سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

قاموس الشريعة
الحاوي طرقها الوسيعة

تأليف
العلامة جميل بن خميس السعدي

الجزء الرابع

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

قاموس الشريعة

الحاوي طرقها الوسيعة

تأليف
العلامة جميل بن خميس السعدي

الجزء الرابع

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي اخترع الأشياء على غير مثال ، ودبر الأمور على غير تمثال ، وابدع بحكمته الانسان من صلصال ، فاخرج من صلبه ذرية وشيكة الاضمحلال ، فركب فيهم عقولاً اليه ينتهون ، ويعرفون بها ما يأتون وما يتقون ، ثم بعث رسلا اليهم دعاة ، وجعلها لهم أئمة وهداة ، فختم أنبياءه بالنبي المبعوث الطاهر ، المطهر للأوائل والأواخر ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأبرار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار .



الباب الأول

في التوحيد ونفي الاشباه ، والتحديد على البارىء المجيد ووصفه بما يليق به من التحميد ، ومن كتاب (نهج الابرار وجواهر الآثار والاخبار)

الحمد لله الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء كوّن ما كان ، ليست له صفة تنال ، ولا حد يضرب به الامثال ، الذي كل عن صفته تحير اللغات ، وضل عما هنالك تصاريف الصفات ، وتاهت في ادراكها عميقات التفكير ، وانقطع دونها جوامع التفسير .

الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، المنعم عليهم بشهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم من ظلمات التشكيك والترديد ، السايق لهم الى اتباع رسوله المصطفى ﷺ ، والاقتداء بصحبه الاكرمين بالتأييد والتسديد ، المعرف انه في ذاته ، الذات واحد لا شريك له ، فرد لا مثل له ، صمد لا ضد له ، منفرد لا ند له ، قديم لا أول له ، ازلي لا نهاية له ، قيوم لا انقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل ولا يزال ، موصوفا بنعوت الجلال .

لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال ، بتصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول ، والآخر ، والظاهر والباطن .

التبرية ؛ وانه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ولا تحله

الاعراض ، بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء ، وانه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الاقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وانه استوى على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي اراده ، استواء منزها عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال .

لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء الى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات ، ذو العرش ، كما انه هو رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع كل ذلك قريب ، وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، لا يماثل قربه قرب الاجسام ، كما لا تماثل ذاته الاجسام ، وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء .

تعالى ان يحويه مكان ، كما تقدس ان يحده زمان ، بل كان قبل ان يخلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ما هو عليه كان ، والله بائن من خلقه بصفاته ، ليس في ذاته سواه ، ولا سواه في ذاته ، وانه مقدس عن العوارض من التغيير والانتقال .

لا تحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لم يزل ولا يزال في نعوت الجلال ، منزها عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول .

القدرة ؛ وانه حي قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وانه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته ، وانه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالايجاد والابداع ، خلق الخلق واعمالهم ، وقدر ارزاقهم وآجالهم لا تشذ عن قبضته مقدوراته ، ولا تغرب عن قدرته تصاريف الأمور ، ولا تحصى صفاته ومقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العليم ؛ وانه عالم بجميع المعلومات ، محيط بما تجزي من تخوم الارض الى اعلى السموات ، لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، يعلم دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الطير في الهوى ، ويعلم السر واخفى ، ويُطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفايا السرائر ، بعلم قديم ازلي ، لم يزل موصوفا به في ازل الازل ، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الارادة ؛ وانه مريد الكائنات مدبر الحادثات ، فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير ، صغير ولا كبير ، خير ولا شر ، نفع أو ضر ، ايمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسران ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، رزق أو حرمان ، الا بقضائه وقدرته ، وحكمته ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا تخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا مهرب لعبد من معصيته الا بتوفيقه وعصمته ، ولا قوة له على طاعته ، الا بمحبته وارادته .

فلو اجتمع الأنس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة ، أو يسكنوها دون ارادته ومشيئته ، عجزوا عنه ، وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفا مؤبدا في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها ، فوجدت في اوقاتها ، كما اراد من غير تقديم ولا تأخير ، بل وقعت الكائنات على وفق علمه وارادته ، من تبدل او تغير ، دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان .

فكذلك لم يشغله شأن عن شأن ، السميع والبصير ، وانه سميع بصير ، لا يغرب عن سمعه مسموع وان خفى ، ولا يغيب عن رؤ يته مرئي وان دق ، ولا يحجب سمعه بعد وان نأى ، ولا يدفع رؤ يته ظلام وان سجى ، فلا تخفى عنه حركة الذر في لجة البحر عند تلاطم امواجه ، وتراكم اهواله وظلماته ، ويرى من غير حدقة ولا اجفان ، ويسمع من غير اصمخة

ولا آذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، فلا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق .

الكلام ؛ وانه تعالى متكلم آمر ناه ، واعد ، متوعد بكلام ازلي قديم ، قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق ، وليس بصوت يحدث من بين اسنان ، ولا اصطكاك اجرام ، ولا بحرف يقطع باطباق شفة ، وتحريك لسان ، وان القرآن والتوراة والانجيل والزبور والفرقان كتبه المنزلة على رسله ، وان القرآن مقروء بالالسنة ، مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب ، لا يقبل الانتقال ، وانه مع ذلك قديم قائم بذاته ـ جل جلاله ـ ، لا يقبل الانفصال ، بالانتقال الى القلوب والاوراق ، وان موسى ـ عليه السلام ـ سمع كلام الله ـ تعالى ـ من غير صوت ، ولا حرف ، ولا جوهر ، ولا عرض .

واذا كانت هذه الصفات كان حيا عالما ، مؤبدا قادرا ، مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع والبصر ، وبجميع صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ لا بمجرد الذات .

الافعال ؛ وانه لا موجود سواه الا هو حادث بفعله ، وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها ، وانه حكيم في افعاله ، عدل في اقضيته ، ولا يقاس عدله بعدل العباد ، لان العباد يتصور منهم الظلم بتصرفهم في ملك غيرهم ، ولا يتصور الظلم من الله ـ تعالى ـ فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ، وكل ما سواه من جن أو انس ، وشيطان وملك ، وسماء وارض ، وحيوان ونبات ، وجوهر وعرض ، ومدرك ومحسوس حادث اختراعه بقدرته بعد العدم اختراعا ، وان شاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل وحده ، ولم يكن معه غيره .

واحدث الخلق اظهارا لقدرته ، وتحقيقا لما سبق من ارادته ، والتكييف لما حق في الازل من كلمته ، لا لافتقاره اليه وحاجته ، وانه متفضل بالخلق والاختراع ، والتكييف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام ، والاصطلاح لا

عن لزوم ، لانه لو صب عليهم العذاب صبا لكان عدلا منه ، وأنه يثيب عباده بالطاعات كرما لا بالاستحقاق واللزوم ، وانه وجب حقه بالطاعة بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ، ولكن بعث النبيين ، واظهر صدقهم ، بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ووجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به .

فصـل : فأول ما يجب على العبد اذا بلغ وصح عقله ، وزالت عنه الآفات في أول احوال التكليف وان يعرف خالقه ، وانه واحد ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، ودليله على ذلك ، ما يرى من عجائب خلقه ، ولطيف صنعه في نفسه ، وغيره وارضه وسمائه ، وليله ونهاره ، واختلاف احواله ، وما يشاهده بين السماء والارض من الدلالات القائمة ، والآيات الدالة على وحدانيته وجلاله .

وأول ما على العبد معرفة من افترض عليه المفترض ، لانه لا يؤدي المفترض عليه حتى يعرف الذي افترض عليه الفريضة حق معرفته ، لانه لا يجوز ان يتقرب الى من لا يعرفه ، ولا يخضع ويعبد ويعمل لمن لا يعلمه ، وانه لا يجوز ايضا ان يعرف الرسل من لا يعرف المرسل ، لانه انما يطيع العبد الرسول اذا عرف المنعم عليه ، الذي تجب طاعته عليه ، ورسوله اليه ، وواجب عليه اتباعه وتصديقه .

وعلى كل عاقل بالغ ان يوحد الله ـ عز وجل ـ ، ولا يوحده الا من عرفه ، واقر به ، ومن لا يعرفه فلا يوحده ، بل يجحده واذا وحد الله ـ تعالى ـ بانه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فقد عرفه .

وأول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيده نفي صفات التشبيه عنه بشهادة القول ، لأن كل مشبه موصوف بالاشباه مخلوق ، وشهادة كل مخلوق ، وان له خالقا لا يشبهه ، ولا يوصف بصفاته ، وشهادة كل صفة بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من

الازل الممتنع من الحدث ، والمعرفة بالله ـ جل جلاله ـ في قيام ولا قعود ، ولا أياه وحد من اكتنهه ، ولا حقيقة اصاب من مثله ، ولا صمده من اشار اليه ، ولا اياه عني من شبهه بخلقه ، ولا تذلل له من بعضه ، ولا اياه اراد من توهمه ، وكل معروف بنفسه مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول ، بصنع الله يستدل عليه ، وبالفطرة تثبت حجته ، وبالعقول تعتقد معرفته .

خلق الله الخلق على ارادته ، فيما بينه اياهم دليل على ان الابتداء له ، وخلقه ادواتهم دليل على ان الاداة له بشهادة الادوات ، بفاقةالملويين الى عاجل الادوات فيهم .

فأسماؤه تعتبر ، وفعاله تفهم ، وذاته حقيقة ، وغيره تحديد لما سواه ، قد جهل الله ـ تعالى ـ من وصفه بصفة خلقه ، وقد اخطأ من اكتنهه .

فمن قال : كيف ؟ فقد شبهه .

ومن قال : لم ؟ فقد اعلمه .

ومن قال : لِمَ فقد ناهاه .

ومن قال : متى ؟ فقد وقته .

ومن قال : حتام ؟ فقد جزأه ؛ ومن جزأه فقد بعضه ، ومن بعضه فقد الحد فيه ، ومن الحد فيه فقد اشرك به ، ولا يتغير الله بتغيير المخلوقين ، كما لا يتجدد بتجدد المتجددين .

فصل : وبالاقرار مع العلم بكمال الايمان ، ولا ديانة الا بعد معرفة ، ولا معرفة الا بعد اقرار ، ولا اقرار الا بعد اخلاص ، ولا اخلاص الا بعد توحيد ، اذ الاقرار يعصم من الانكار ، ولا ينال الاخلاص بشيء دون توحيد ، وكل ما يوجد في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكل ما لم يمتنع من صانعه ، لا تجري عليه حركة ولا سكون لعلة ، فكيف يجري عليه ما هو

اجراه ؟ ويعود فيه ما هو ابداه ؟ اذا لامتنع من الأزل معناه ، ولما كان الأزل غير معنى الحدث .

ولو وجد له وراء ، لوجد له امام ، ولو التمس التمام ، لوجد له النقصان ، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث ؟ أو ينشيء الاشياء من لا يمتنع من الاشياء ؟ اذا لقامت فيه آلة المصنوع ، ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه ليس في حال القوة حجة ، ولا في المسألة عند جواب ، ولا معناه للخلق ضمير ، بل هو الله ـ تبارك وتعالى ـ ينسب لعزته ، بحقيق امتناع الأزل من الفناء ، اذ لا ابتداء له ولا انتهاء ، لم يلد ، اذ الوالد موروث ، ولم يولد اذ الولد موجود بحدوثه ، ولم يكن له كفوا احد ، لأن الكفو هو الضد المنافر ، والشكل المجاور ، ولو كان له ضد لامتنع التدبير ، ولا تم له تقدير ، ذلك قوله تعالى : **﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾** [1]

فمعرفة الله ـ تعالى ـ أول المفترضات ، وبها تصح العبادات ، ومن لم يكن بالله عارفا كان به جاهلا ، ومن كان به جاهلا ، لم يكن له عاملا ، ومن لم يكن له عاملا كان لأوامره مهملا ، ومن كان لأوامره مهملا ؛ كان لعذابه مستوجبا .

فصل : ولا يوصف الله ـ تبارك وتعالى ـ الا بما وصف به نفسه . انقضى الذي من كتاب (نهج الابرار) .

فصل : من كتاب (منهج الطالبين) ، التوحيد من طريق اللغة ؛ هو معرفة الله ـ تعالى ـ انه واحد احد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد ، ليس له شبيه ، ولا ضد ولا ند ، عالم سميع بصير ، حي قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

---

١ - الآية ـ ٢٢ ـ من سورة الأنبياء

ليس بجسم ولا عرض ، ولا تحيط به الاقطار ، ولا تراه الابصار ، وهو الله الواحد القهار ، يوحد ولا يبعض يعرف ، ولا يكيف يحقق ، ولا يمثل عالم بما كان ، وبما هو كائن ، وبما لا يكون ؛ ان لو كان كيف كان يكون ـ تعالى ـ ، عن التحديد ، فعال لما يريد ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

ومن غيره الأول من غير بداية الذي لا ينقص ملكه جحود من جهله ، الواحد الذي لا شريك له فيها فعله ، جل الواحد الصمد ، فلا يحيط به فكر ، ولا يحويه قطر ، ولا يجب عليه حق ، ولا يتوجه عليه ملام ، لم يزل ولا يزال ، انى تتخايله الأوهام وهي صنعته ، كيف تحده العقول وهي فعله ؟ كيف تحويه الأماكن وهي صنعه ؟ ! انقطع سير الفكر ، ووقف سكون الذهن ، وقصرت اشارات الوهم .

رجـــع

فصــل : فيجب على كل عاقل سلم عقله من الآفات ان يعتقد ان الله سبحانه اله واحد لا شريك له ، منفرد لا ند له ، قديم لا أول له ، مستمر الوجود لا آخر له ، ليس بجسم مصور ، ولا بجوهر مقدر ، ولا يماثل الاجسام ، ولا يجزئه الانقسام ، ولا تحله الجواهر والاعراض ، ولا تحويه الاقطار والجهات ، ولا تكتنفه الارض والسموات ، منزه عن التغيير والانتقال ، والاتصال والانفصال ، حي قادر جبار قاهر ، لا يعتريه عجز ولا قصور ، ولا يوهنه لغب ولا فتور ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، له الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، عالم بجميع المعلومات ، محيط بخلقه من تخوم الارض الى السموات ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، يعلم حركات الخواطر ، وما يختلج من مكنون الضمائر ، عالم بما كان ، وبما يكون من ظاهر ومكنون .

يعلم ذلك بنفسه وبذاته ، لا بعلم متجدد قائم بالذات تعالى عن حلول

العوائق والآفات ، هو ـ تعالى ـ مريد الكائنات ، ومدبر الحادثات ، خالق جميع الموجودات وافعالها ، مقدر ارزاقها وآجالها ، لا يقع كفر ولا ايمان ، ولا نكر ولا عرفان ، ولا سهو ولا نسيان الا بقضائه ومشيئته ، وحكمه وارادته ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، لم يزل واحدا حيا ، عالما قادرا ، مريدا في الازل لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها لها ، فوجدت في اوقاتها كما قدرها ، من غير تقدم ولا تأخر ، بل وقعت على وفق علمه وارادته ، وهو ـ سبحانه ـ سميع لا تخفى عليه الاصوات ، بصير لا تغيب عنه الألوان ، لا يغرب عن سمعه مسموع وان خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق .

يرى من غير حدقة ولا اجفان ، ويسمع من غير اصمخة ولا آذان ، كما يعلم من غير قلب ولا جنان ، وهو ـ تعالى ـ متكلم بغير شفة ولا لسان ، آمر بالطاعة والاحسان ، ناه عن الاساءة والعصيان ، واعد على طاعته ثواب الخلد والجنان ، متوعد على معصيته عقابا بين اطباق النيران ، وانه تعالى حكيم في افعاله ، عادل في احكامه ، متفضل بالانعام ممتن بالاحسان ، لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وانه ـ تعالى ـ بعث رسوله النبي الامين محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، الى الجن والأنس اجمعين ، فنسخ بشريعته جميع الشرائع المتقدمة ، الا ما لا ينسخ من التوحيد ، ومكارم الاخلاق المتممة ، فختم به الانبياء وفضله على جميع الأولياء والاصفياء .

ومنع ـ سبحانه ـ كمال التوحيد ، الذي هو لا اله الا هو الله ، ما لم تقترن به الشهادة لرسوله بانه محمد رسول الله ، والزم الخلق تصديقه في جميع ما قاله ، واخبر عنه من ان الموت حق ، والبعث حق ، وان الحساب حق ، وان الجنة حق ، وان النار حق ، وان جملة الانبياء والرسل ، وجملة الملائكة والكتب ، والايمان بالقضاء والقدر ، وولاية اولياء الله من الأولين

والآخرين ، والعداوة لاعدائه من الجن والانس اجمعين ، ومعرفته بالشرك والتوحيد ، وقرن كبائر الشرك وكبائر النفاق ، ومعرفة تحليل دماء المشركين واموالهم ، وسبي ذراريهم بالشرك الذي معهم ، ومعرفة الملل واحكامها ، واعتقاد العبودية لله ـ سبحانه ـ بجميع اوصافها .

وينبغي أن يلقن الصبي هذه العقيدة في أول نشوئه ليحفظها حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناها في كبره شيئا فشيئا ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ، ثم الاعتقاد ، ثم الاتقان ، والتصديق بها ، ذلك مما يحصل في قلب الصبي بغيرها ، ثم لا بد من تقويته بتلاوة القرآن ، وتعبيره ، وقراءة الحديث ، وفهم معانيه ، ويشتغل بوظائف العبادات ، فلا يزال اعتقاده يزيد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن ، وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وما يطلع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم ، فيكون أول التلقين كالقاء البذر في أرض الصدر ، وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية له ، حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ، ويرتفع شجرة طيبة راسخة في الصدر ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ثم اذا وقع نشوء الصبي على هذه العقيدة مشروحة ، ولم ينفتح له غيرها ، ولم يطلع على اختلاف الناس حتى يميز بين البدعة وغيرها ، فاستمر على وظائف العبادات ، واجتناب المحرمات حتى مات على ذلك ، فانه ناج في الآخرة ان شاء الله .

واذا لم يكلف الرسول ـ عليه السلام ـ اخلاق العرب اكثر من التصديق بظاهر هذا الاعتقاد ؛ وهو الايمان بالله ، وبرسوله ، وبما جاء به انه حق من عند الله ، واما البحث والتفتيش على اختلاف الناس ، وتكلف نظم الأدلة لذلك ، فلم يكلفوا لذلك اصلا ، وان سعادة التوفيق في سلوك طريق الآخرة فهي بيان ، فمتى اشتغل العبد بالعمل ، ولازم التقوى ، ونهى النفس عن الهوى ، واشتغل برياضة النفس ، والمجاهدة ، انفتح له ابواب من الهداية ، وانكشف له عن حقائق هذه العقيدة نور يقذف في قلبه بسبب المجاهدة ،

تحقيقا لوعد الله ـ تعالى ـ اذ قال : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [1] ، والله اعلم .

فصل : الدليل بانه ـ تعالى ـ ليس بجوهر متحيز ؛ ان كل جوهر متحيز فهو مختص بتحييزه ، ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه ، أو متحركا عنه ، فالسكون والحركة حادثان ، فما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .

ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم ، وذلك محال ؛ فثبت انه موجود قديم ، وليس بجوهر ـ تعالى ـ عن ذلك ، والله اعلم .

(مسألة) : ومنه الدليل على انه ـ تعالى ـ ليس بجسم مؤلف من جواهر ؛ اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجوهر ، فلما بطل كونه جوهرا مختصا بتحييز ، بطل كونه جسما ، لأن كل جسم لا بد أن يكون متحيزا مركبا من جوهرين فصاعدا .

والجوهر والجسم ، يستحيل خلوهما عن الحوادث من الافتراق والاجماع ، والحركة والسكون ، والهيئة والمقدار ؛ فهذه دلائل الحدث ـ تعالى الله ـ عن ذلك علوا كبيرا . والله اعلم .

(مسألة) : ومنه الدليل على انه ـ تعالى ـ ليس بعرض قائم في الجسم ، او حال في محل ؛ لأن العرض هو ما يحل في الجسم ، أو يعترض فيه من حركة وسكون ، فكل جسم حادث ؛ فحدثه من موجود قبله ، فكيف يكون حالا في جسم ، وقد كان في الأزل ولا شيء معه ، ثم احدث الاجسام والاعراض ؟

وينحصل من هذه الاصول ؛ انه موجود قائم بنفسه ، ليس بجوهر ، ولا بجسم ، ولا عرض ، وان العالم كله جوهر ، واعراض ، واجسام ، فاذا

---

١ ـ الآية ـ ٦٩ ـ من سورة العنكبوت

لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء ، لاستحالة مماثلة الصانع والمصنوع . والله اعلم .

(مسألة) : ومنه الدليل على أن لا نهاية لوجود الله ـ تعالى ـ ودوامه وذلك ؛ انه لو انعدم لكان لا يخلو :

اما ان ينعدم بنفسه ، او بمعدم هو غيره .

فلو جاز ان ينعدم بشيء يتصور دوامه بنفسه ، لجاز أن يوجد شيء بنفسه ، فكما يحتاج حدث الوجود الى سبب ، فكذلك يحتاج حدث العدم الى سبب ، وباطل ان ينعدم بمعدم هو غيره ؛ لأن ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه ، وقد ثبت بما قدمناه انه قديم لا أول لوجوده ، فكيف كان وجوده في العدم وحده ، ومعه ضده ؟!

وان كان الضد المعدم حادثا ، كان محالا ، اذ ليس الحادث بمضادته القديم ؛ حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادة الحادث ، يدفع وجوده ، بل الدفع أهون من القطع ، والقديم أقوى من الحادث ، فثبت انه لا آخر لوجوده ، ولا نهاية له . والله أعلم .

(مسألة) : ومنه الدليل على انه ـ تعالى ـ واحد لا شريك له ، فرد لا ندّ له ، انفرد بالخلق والابتداع ، وتوحد بالايجاد والاختراع ، لا مثل له يساويه ويساميه ، ولا ضد له فينازعه ويناوئه ؛ قال الله ـ تعالى ـ : **﴿لو كان فيهما آلهة الاّ الله لفسدتا﴾**[1] .

وبيانه ؛ انهما لو كانا اثنين ، واراد احدهما امرا ؛ فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان مقهورا عاجزا ، وان لم يكن الها قادرا على مخالفته ومدافعته ، كان الثاني قويا قاهرا ، والأول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا ، فمدار هذا الباب على عشرة اصول وهي :

---

١ ـ الآية ـ ٢٢ ـ من سورة الأنبياء

العلم بوجود الله ـ تعالى ـ ، وقدمه وبقائه ، وانه ليس بجوهر ولا عرض ، وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان ، وانه مستوٍ على العرش استواء القهر والغلبة والاستيلاء ، وانه ليس بمرئي ، وانه واحد لا شريك له . والله أعلم .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ؛ أصل التوحيد في الجملة ثلاث خصال ، فالله ـ عزّ وجل ـ الواحد القدير الرحيم .

فأما الواحد فليس كوحدانيته المخلوقين بأن الله ـ تعالى ـ لا يوصف بأعلى ولا أسفل ، ولا فوق ولا تحت ، ولا داخل ولا خارج ، ولا يمين ولا شمال ، ولا ظاهر ولا باطن ؛ لأن هذه الأسماء وما اشبهها محدثة ، والله القديم ، ولا يشبه القديم المحدث .

وأما القدير فلا يعجز ، ولا يضعف ، ولا راد لمشيئته .

وأما الرحيم فلا يحابي ، ولا يظلم ولا يرتشي ، فان عرفته هكذا فهو أصل التوحيد في الجملة ، والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ (ومعنى التوحيد) ، اثبات الوحدانية لله ـ تعالى ـ ، ونفي ما سواه من اله أو شريك أو ولي أو طاغوت ، فكل ما يعبد سوى الله يجب نفيه ، والكفر به والتبرء منه .

وقد بين الرسول ـ عليه السلام ـ التوحيد وفسره بقوله : «من وحد الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، فقد حرم ماله ودمه وحسابه على الله» ، ونبه الله ـ تعالى ـ على ذلك في كتابه بقوله تعالى : **﴿ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل﴾**[1] ، وقال : **﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال﴾**[2] ، والله اعلم .

---

١ ـ الآية ـ ٦٢ ـ الحج
٢ ـ الآية ٣٢ ـ من سورة يونس

(مسألة) : قلت لابي عبدالله : لو سأل سائل هل لله ذات يعرفها هو ، ما الجواب في ذلك ؟ فقال : نعم ؛ ذاته هو قدرته ومشيئته ، وغير ذلك مما لا يعرفه الا هو .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه ، لا رد على امام المسلمين وقاضيهم في الدين محمد بن محبوب في شيء ، ولكن لعل الكاتب غلط ، لانه لو كان ذات الباري قدرته ومشيئته ، لكان كل من قال : يا قدرة يا مشيئة اغفر لي كان مصيبا ، فلما لم يكن مصيبا ، دل انما القدرة والمشيئة من صفاته لذاته ، كالعلم ، والارادة ، والدليل على ذلك ، انه يقال : لم يزل قديرا ، ولم يزل عالما ، ولم يزل مريدا ، وكل ذلك من صفات الذات لا أن الباري ـ تعالى ـ هو قدرة ومشيئة ، ولكن المراد بذات الباري اثباته .

رجع (مسألة) : ويقال : له ذات غير محدودة ولا موصوفة .

قال غيرهما : ولا موصوفة يعني بالتحديد والكيفية .

رجع ؛ كما قال الله ـ تعالى ـ ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾[1] ، ولا يحد النفس ، ولا يوصف ـ تبارك وتعالى ـ ؟ قلت : فان قال قائل : هل يعلم كم ناره تنضج جلود اهل النار ؟ وكم من مرة يتبدلون بها جلودا ؟ فيقال لهذا السائل : نعم ؛ ان الله عالم بذلك كله من قبل أن يخلقهم ، أهل الجنة ، وأهل النار ، ـ سبحان الله ـ العلي الحكيم !

(مسألة) : من كتاب (النور) ؛ المراد بذات الله اثباته ، والاخبار عنه ، انه ليس كمثله شيء ، فنفسه ذاته ، وذاته اثباته ، لا غير ذلك ؛ لأنه ـ عز وجل ـ ليس بذي جسم ؛ لانه ـ تعالى ـ لو كان جسما من الأجسام لكان طويلا ، عريضا ، عميقا ، لا يخلو من الحدود والنهاية والاعراض ، فهذه صفة الجسم ، ولولا ذلك لم يكن جسما ، وكانت جواهر .

---

١ ـ الآية ـ ١١٦ ـ المائدة

ومن لا يخلو من الحركة والسكون ، والنهاية والحدود ، والمكان ، كان محدثا مخلوقا ، اذ لم يقدر ان لا يكون محدودا ذا نهاية واقطار .

ومن الحركة والسكون ، والتأليف والابعاض ـ جل الله ـ عن ذلك ، وليسه ـ عز وجل ـ بعرض ؛ اذ العرض لا يقوم بنفسه ، وانما يقوم بغيره ، وهو الجواهر والاجسام ، فليس خالق الاجسام بجسم ؛ لأن خالق الأجسام لو كان جسما ، لكنا نخلق من الأجسام بقدر قوانا ، فلما استحال ذلك ، علمنا ان خالق الأجسام ليس بجسم ، ولو كان خالق الأجسام جسما أو جثة ؛ لكان لا يخلو من أن يكون يقدر يزيد في جسمه وجثته ، أو لا يقدر ، فان كان يقدر على ذلك فقد تغير عما هو عليه به .

ومن حله التغيير والزوال ، والزيادة والنقصان ، فهو محدث مع ان زيادة الجسم لا بد من نهاية ، ومن كان ذا نهاية وبداية ؛ فهو مخلوق مقسور على تلك النهاية والحدود .

وان كان لا يقدر ان يزيد في جسمه او جثته ؛ فهو عاجز ، والعاجز ليس باله قدير ، مع ان الهوى الذي تزيد فيه جثته لا يخلو من أن يكون هو أم غيره ، فان كان غيره فقد صح ان معه غيره وبطل التوحيد ، وان كان هو فهذا هو المحال اذا حدث لله صفة لا تعرف ، لان زيادة الجسم لا يكون ذلك الا بفضاء وهواء ليزداد فيه الجسم .

فان قيل : فكيف هو ؟ قيل له : لا كيفية لله ؛ لأن قولك (كيف) اشارة منك الى كأي شيء هو ، والله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء ، وكذلك أين هو ؟ سؤال منك عن المكان ، ولم يزل الله ، ولا مكان له ، ثم خلق المكان ، فكان المكان بعد ان لم يكن مكانا لهذه الاجسام .

فان قال قائل : ما تنكر ان يكون الباري جسما لا كالأجسام ؟ قيل له : ان الأجسام المعقولة المسماة مع اهل اللغة ؛ انه ما كان على هذه الصفة المعقولة معهم في الطول والعرض والعمق .

وقولك جسم لا كالأجسام ، فقد نفيت عنه معنى الجسمية ، وذكرت بما لا يعقل في المشاهد فيما بيننا ، وما يعرف في اللغة كأنك قلت : جسم وليس بجسم ، فهذا محال ونقض .

ولو جاز ان يكون جسما لا كالأجسام ؛ لجاز أن يكون انسانا لا كالناس في الجسمية ، من الطول ، والعرض ، والعمق ، والتأليف ، والحركة ، والسكون ، فلما فسد ذلك فسد قولك جسما لا كالأجسام ، وان قلت فجوهر هو ؟

قلنا : ان الجوهر متغير متحيز محيط به الهوى ، محتاج الى القرار والمكان ، متحرك ابدا ، ومن كان بهذه الصفة فليس بإله عظيم على كل شيء قدير ؛ لان الجوهر لم يخل من المكان والحدود ، وقبول الاعراض .

(مسألة) : والطرق الى معرفة الله ـ تعالى ـ لا تحصى ، وانظر الى ما حكى الله ـ تعالى ـ عن الهدهد البهيمي ، كيف وجد الله ـ تعالى ـ ، واحتج على صحة توحيده بهذا الدليل المذكور في الآفاق ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ حاكيا عنه ، **﴿الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾** [1] ، يعني المطر والنبات فاحتج بحدوث هذين الأمرين العجيبين المعلوم حدوثهما ، مع تكررهما بحسب حاجة الجمع اليهما .

وكذلك قد قيل لبعض الأعراب : بما عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير ، وآثار الخطى تدل على المسير فسماءٌ ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، كيف لا تدل على العلي الكبير ؟

وقد أشارت الرسل ـ عليهم السلام ـ الى هذا المعنى في قوله ـ تعالى ـ : **﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾** [2] ، ومما استجيد في هذا المعنى قول زيد بن عمرو بن نفيل ـ رحمه الله ـ :

---

١ ـ الآية ـ ٢٥ ـ من سورة النمل
٢ ـ الآية ـ ١٠ ـ من سورة ابراهيم

رضيت بـك اللهم ربـا فلن أرى ادين الهـا غيـرك الله ثـانيـا
وأنت الـذي من فضـل من رحمـة بعثت الى مـوسى رسـولا منـاديـا
فقلت لموسى اذهب وهـارون فـادعـوا الى الله فـرعـون الـذي كـان طـاغيـا
وقـولا لـه أأنت سـويت هـذه بـلا وتـد حتى اطمـأنت كـما هيـا ؟!
وقـولا لـه أأنت سـويت وسـطهـا منيـرا اذا مـا جنـه الليـل هـاديـا ؟!
وقـولا لـه أأنت رفعت هـذه بـلا عمـد ارفق اذا بـك بـانيـا ؟!
وقـولا لـه من يـرسـل الشمس غـدوة فتصبح ما مست من الارض صاحيا ؟!
وقـولا لـه من ينبت الحب في الثـرى فيصبـح منه البقـل يهتز رابيـا ؟!
ويخـرج منـه حبـه في رؤوسـه وفي ذاك آيـات لمن كـان واعيـا

وقد ذكر بعض العلماء ؛ ان في كتاب الله ـ تعالى ـ من الآيات في هذا المعنى ، قدر خمسمائة آية كقوله : **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾**[1] ، وكقوله في آية أخرى : **﴿يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده﴾**[2] ، وأشباه ذلك .

(مسألة) : وعن بشير بن محمد بن محبوب ؛ واذا خطر ببالك خاطر في الله ـ عز وجل ـ ، وكان الخاطر ان الله ـ عز وجل ـ يشبه شيئا أو يشبهه شيء ، فانف ذلك عن الله ـ عز وجل ـ ، فانه يقول : **﴿ليس كمثله شيء﴾**[3] ، وكذلك ان دعاك الخاطر الى ان الله في معزل ، أو قال كيف هو ؟ أو مثل ما هو ؟ أو ما هو ؟ أو هو نور من الأنوار ؟ أو ذو طول أو عرض ؟ ، أو هو مؤلف أو جسم أو مماس الأشياء أو مباين لها ؟ أو في معزل ؛ فانف ذلك كله عن الله ؛ فان هذه الاشياء التي ذكرناها ونسبناها وبيناها لك في كتابنا هذا ، لا يجوز شيء منها على الله ، ومن كان فيه خصلة من هذه الخصال ، فهو محدث ، والله قديم لم يزل ، فاجعل هذا اصلا تبني عليه فيما خطر ببالك من هذا الضرب .

وكذلك ان خطر ببالك ان الله يظلم أو يجور ، أو يفعل الظلم والجور ،

---

١ ـ الآية ـ ٢٥ ـ من سورة الروم
٢ ـ الآية ـ ٤١ ـ من سورة فاطر
٣ ـ الآية ١١ ـ من سورة الشورى

أو يأخذ احدا بفعل احد ، او يعذب الولد بفعل الوالد ، في الدنيا أو يعذب الوالد بفعل الولد ، فانف ذلك عن الله ـ عز وجل ـ ، أو يعذب من لم يكن منه معصية في الدنيا ، فانف ذلك عن الله ؛ فان هذه الأشياء التي ذكرناها لك ، لا يجوز منها شيء على الله ؛ لأن فاعل هذه الأشياء لا يستحق ان يوصف بالحكمة والرحمة ، والله ـ عز وجل ـ حليم رحيم حكيم .

وان دعاك الخاطر ان الله ـ عز وجل ـ يقول الكذب ، ويخلف الميعاد ، او يخبر بخبر لا يكون المخبر عنه كما اخبر ؛ فانف ذلك عن الله ، فانه لا يجوز منه شيء لأن من كان منه هذا الفعل ، كان سفيها كاذبا غير عالم الغيب .

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ فان دعاك الخاطر ان الله يظلم أو يجور ، أو يأخذ احدا بفعل احد ، أو يعذب الوالد بفعل الولد ، او الولد بفعل الوالد ، او يعذب من لم يكن منه معصية في الدنيا ، فانف ذلك عنه ، فان هذه الأشياء لا يجوز منها شيء على الله ، لأن فاعلها لا يستحق ان يوصف بالحكمة والرحمة ، والله ـ عز وجل ـ حكيم رحيم .

وان دعاك الخاطر الى ان الله جل ثناؤه يقول الكذب ، او يخلف الميعاد ، أو يخبر بخبر لا يكون المخبر عنه كما اخبر ؛ فانف ذلك عن الله ؛ فانه لا يجوز عليه شيء من هذا ، لان من كان فيه هذا الفعل ؛ كان سفيها غير عالم بالغيب ، والله ـ جل ذكره ، وتقدست أسماؤه ـ نفى عن نفسه شبه المخلوقين بجملة انتظمت ، نفى عنه كل شبه بآية محكمة غير متشابهة ، ولا متصرفة في المعاني ، وهو قوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] ، وفي هذه الآية دليل تشابه الأشياء وتفاوتها ، وهو ـ سبحانه ـ مدح نفسه ، وانه ليس كواحد منها ، ولم يستثن لطيفا من جليل ، ولا ضياء من ظلام ، ولا حيا من ميت ، نفى عن نفسه جميع الخلائق ، من الملائكة والجن ، والانس ، والنور ، والظلمة ، والشمس والقمر ، وجميع الخلق ، وقضى على جميعها

---

١ - الآية ـ ١١ من سورة الشورى

بأنها لا تشبهه ، وانه لا يشبهها ، فتعالى رب العالمين ، وانما شبه الله ـ عز وجل ـ من جهل اللغة ومعانيها ، واتساع العرب فيها ، حين وجد واذكر النفس ، والرحمة ، والعين واليد ، والقبضة واليمين ، وغير ذلك ، وسيأتي ذلك بأدلة واضحة ان شاء الله .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ؛ ان قال بعض الملحدة : ان قلتم انه شيء لا كالأشياء ؛ فلم لا ؟ قلتم انه جسم لا كالأجسام ؟ قيل له : بينهما فرق قد يقال : ـ

جسم أجسم من جسم ؛ يراد انه أجسم منه جثة ، وأثقل منه وزنا ، ولا يقال شيء أشياء ، من شيء ؛ لأن شيئا اسم عام لكل موجود ، فلا يجوز أن يقال شيء أشياء من شيء ، يراد موجودا ، أو قد يقال : جسم أجسم من جسم .

ووجه آخر ان الشيء بنفسه شيء ، واسم الجسم هو بغيره جسم ، وهو التأليف ، فاسم الشيء لازم للجسم وغيره ، واسم الجسم لازم للأجسام دون غيرها .

فان قال قائل : معنى جسم معنى شيء ، ومعنى شيء معنى جسم ؟

قيل له : قد اتفقنا نحن وأنت على أن نقول : جسم أجسم من جسم ، فهل يجوز ان يقال شيء أشياء من شيء ؟ فان أجاز ذلك خرج من الكلام ، وان قال : لا يجوز هذا ، ويجوز ذلك ، قيل له : فهذا الفرق بين الجسم والشيء ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن تفسير قصيدة الشيخ فتح بن نوح المغربي ، تأليف اسماعيل الحكالي النفوسي ، فإن قال قائل من أهل الالحاد : أراك قد ابطلت على الأمم مقالتهم ، وازريت على أهل ملتك في اعتقاداتهم ، وزعمت ان الأشياء كلها محدثة ، وان لها محدثا أحدثها ، وصانعا صنعها لا يشبهها ، ولا تشبهه ، ولا يحل في شيء منها ولا تحله ، واثبته شيئا لا كالأشياء ، وحيا

لا كالأحياء ، وواحدا لا كالآحاد ، قديما عالما قادرا بجميع صفاته ، وزعمت انه لا تكفيه العقول ، ولا تصوره الأوهام ، ولا تلحقه الافكار ، ولا تدركه الأبصار ، فما أراك الا وقد ابطلته اذ زعمت انه شيء لا كالأشياء ، وحي لا كالأحياء ، فكأنك قلت شيء لا شيء ؛ وحي لا حي ، والا فاحتمل الآن سؤالي ، واجبني عن مقالي ، بأوضح البيان ، واظهر البرهان .

قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : انما قولك (بطلنا الصانع) ـ جل جلاله ـ ، اذ وصفناه بما يليق به من صفاته ، فمعاذ الله ان يكون ذلك كذلك .

وأما احتمال سؤالك فسل تجب ان شاء الله .

قال : فاخبرني عن الأشياء اذ زعمت انها محدثة مصنوعة ؛ فما الدليل على حدوثها ؟

قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : الدليل على ذلك ؛ انا نظرنا الى ما ادركنا من الأشياء ، فوجدناه محتملا للتأليف والتبعيض ، مفتقرا الى مؤلف اللغة ، محتاجا الى أمور تقوم بها بنيته ؟ فقلنا : لا يخلو هذا الذي ادركنا منه من أن يكون قديما أو محدثا ، فبطل ان يكون قديما لما شاهدناه من تعاقب الأعراض عليه ، من الحركة والسكون ، وما فيه من دلائل العجز والافتقار ، اذ الحركة والسكون وسائر الاعراض حوادث ، وما لم يسبق الحوادث فحادث مثله ، لأن الجسم لا ينفك من حركة وسكون ، فلما ظهرت فيه اعلام العجز والافتقار ، والحدث ؛ قضينا على ما غاب عنها منها بما ادركناه ؛ لانه مساو له في علته ؛ فقلنا : لا يخلو بجميعه من أحد ثلاثة أوجه : ـ

اما أن يكون أحدث نفسه ؛ لانه لا يخلو أن يكون أحدث نفسه قبل كونه ، أو بعد كونه ، فان كان احدث نفسه قبل كونه ، فهو معدوم ، والمعدوم لا يحدث نفسه ولا غيره .

وان قلت : بعد كونه : فقد فرغ من تكوينه فبطل ان يكون المحدث ،

ولم يفعله احدٌ لاستحالة وجود الفعل ، ولا فاعل له ، والكتابة ولا كاتب لها ، ولأن العالم كله على ثلاثة أشياء :

حيوان عاقل ، وحيوان غير عاقل ، وجماد موات ، فلو اجتمع الحيوان العاقل على انزال قطرة ، أو انشاء ذرة لعجز ، فاذا عجز الحيوان العاقل ، فغير العاقل اعجز ، فاذا عجز العاقل وغير العاقل ، فالجماد أبعد وابعد ، فلما بطل هذان الوجهان ، لم يبق الا ان له محدثا احدثه ، وخالقا خلقه لا يشبهه في صفة من الصفات ، لانه لو كان ذلك لدخل عليه العجز مثل تلك الصفة ؛ ولأن الصنعة لا تشبه الصانع علما عقليا ضروريا .

فان قال : فاخبرني كيف خلق هذه الأشياء ، ومن أي شيء أخرجها ؟ قيل له : ان الله ـ تبارك وتعالى ـ ، خلق الأشياء لا من شيء ، ثم خلق بعضها من بعض ، فلو خلقها من شيء ، لاحتاج ذلك الشيء الى شيء آخر يخلق منه ، فيتصل ذلك الى ما لا نهاية له ، ولا غاية فلو احدثها من نفسه لكانت تشبهه ويشبهها ـ عز وجل ـ ، ولكنه خلقها لا من شيء ، ثم يفنيها الى غير شيء .

فان قال : فكيف يخلق هذه الأشياء المختلفة من الوحوش والطير ، والدواب والبشر ، ثم يفنيها الى غير شيء ؟

قيل له : انا وجدنا أشياء كثيرة من الأجساد الهالكة ، والنيران والغنى والفقر ، وغير ذلك طفئت النيران فذهبت ، وهلكت الأجساد فبليت فصارت لا شيء ، وكذلك الأحداث الكائنة من العز والذل ، وغير ذلك اضمحلت ، فصارت لا شيء .

فان قال : فاذا ثبت ان الأشياء مخلوقة ، وان خالقها لا يشبهها ، ولا تشبهه ، فاخبرني عن خالقها ، أواحد هو أم اثنان ؟

قيل له : ان محدث الأشياء واحد ليس معه ثان ، فلو كان معه غيره ؛

لكان لا يخلو أن يكون كل واحد منهما يقدر ان يفني صاحبه ، أو لا يقدر ، فان كان كل واحد منهما قادرا على افناء صاحبه ، كانا ضعيفين جميعا ، اذ كل واحد منهما مقدور لصاحبه ، مقهور ذليل ، والذليل المقهور لا يكون الها ، وان كان احدهما قادرا على صاحبه ، قاهرا له ، فالقادر والقاهر هو الاله ، والمقدور الذي تجري عليه قدرة القادر هو مخلوق ذليل مقهور .

فان قال : فاذا ثبت انه واحد ، فما معنى قولك (واحدا هو ، كما يقال للجوهر : انه واحد ، وان كان اجزاء مفترقة ؟ قيل له ـ تعالى ـ عن ذلك ، فان قال : كما يقال للأشياء المجتمعة جثة واحدة ؟ قيل له : فان قال كما يقال للجوهر الواحد في عينه واجتماعه ؟ قيل له : فان قال فما معنى قولك الله واحد اذ بينت عن هذه المعاني ؟

قيل له : معنى قولنا ؛ اي الله واحد لا كواحد الأشياء التي شاهدنا ، وذلك انا شاهدنا ان الواحد من الأشياء على ضربين : ـ

اما واحد في اسمه ، متجزىء في معناه ، اعلام التدبير فيه ظاهرة .

أو يكون جزءا واحدا في عينه ، ولو كان اقل قليل ؛ لكان محتملا للصنعة ، لانه لا يخلو من أن يكون محاطا به ، متحركا او ساكنا ، يحتمل ان يضم اليه امثاله ذا جهات مختلفة .

فنفينا عن الله ان يكون واحدا في اسمه ، متجزئا في معناه ؛ لأن التجزي متفاضل الأجزاء المفضولة .

فما كان ناقصا غير تام فليس بالله فاثبتناه واحدا في ذاته ، واحدا في صفاته ، واحدا في فعله ، اي لا ذات كذاته ، ولا احد يوصف بصفاته ، ولا احد يفعل كفعله .

(مسألة) : فان قال : فما معنى قولك [شيء لا كالأشياء] ؟ قيل له : معنى ذلك ؛ الله شيء مخبر عنه موصوف لا كالأشياء المحدثات ؛ لأن معنى

شيء اثبات . فاذا قلت [شيء] اثبت ، فاذا قلت [لا شيء] ابطلت ؛ لأن ضد الاثبات الابطال ، والدليل على ان الله شيء قوله ـ تعالى ـ : ﴿**قل أي شيء أكبر شهادة قل الله**﴾ [1] ، فان قال : الله شيء ، والانسان شيء قيل له : نعم ؛ فان قال : اوليس هذا تشبيها ؟ قيل له : ان التشبيه لا يقع في اتفاق الاسماء ، وانما يقع في اتفاق الاعيان ، الا ترى انك تقول : الله موجود ، والانسان موجود ، والله حي ، والانسان حي ، وكذلك سميع وسميع ، وعالم وعالم ، وسائرها من الأسماء ، فليس في ذلك تشبيه ، انما التشبيه في اتفاق الأعيان ان يوصف هذا بصفة ، ويوصف غيره بتلك الصفة .

(**مسألة**) : فان قال : الله حي ؟ قيل له : نعم ؛ هو حي لا كالأحياء .

فان قال : ما معنى قولك (الله حي) ؟ قيل له : اخبار عن الذات انها ليست بميتة ، والله حي اذ ليس بميت ؛ ولا يموت ولا يجري عليه ان يموت ، ويقال : الله حي على الحقيقة ، وحي على حقيقة الحياة ، ولا يقال : حي بحياة ؛ ولا بلا حياة ؛ لانك اذا قلت : بحياة أوهمت الغيرية ، وان قلت : بغير حياة كان القول متناقضا فاسدا ، كأنك قلت حي ولا حي ، والله تعالى حي بنفسه وبذاته ، اذ ليس بميت ، ولم يزل حيا ؛ لانه الفاعل ، ولا يصلح ان يكون الفاعل الا حيا لانه لو كان ميتا ، ثم صار حيا ، لم تخل تلك الحياة الحادثة من أحد ثلاثة أوجه : ـ

اما ان تكون حدثت بغير محدث ، او حدثت بمحدث هو غيره ، أو يكون احدثها لنفسه ؛ فبطل ان تكون حدثت بغير محدث لاستحالة حدوث الأشياء بغير محدث ، وبطل ايضا ان يكون هو الذي احدثها لنفسه ؛ لانه لو كان ذلك ميتا قبل حدوثه ، والميت لا يحيي نفسه ، ولا غيره ، وبطل ان يحدثها غيره ، فلما بطلت هذه الوجوه الثلاثة ، وجب القول انه ـ عز وجل ـ لم يزل حيا بذاته ، ولا يقال لله ـ عز وجل ـ ؛ حي لا كالأحياء والأموات ، ولا

---

١ ـ الآية ـ ١٩ ـ من سورة الأنعام

حي لا كالأحياء ، ولا حي لأمر لا يقع بين الحياة والموت ، ولا يقال : حي من الأحياء ، ولا حي لا من الأحياء .

وقال بعض العلماء : معنى [الحي] اشارة الى انه الفعال .

فان قال : ما الدليل على انه لم يزل حيا ؟ قيل له : وجوده قبل خلقه ، وابتداؤه اياهم دل على انه لم يزل حيا ؛ لأن الميت لا يحدث شيئا ، والأموات استحالت منهم الافعال .

وكذلك القول في عالم : اي انه ليس بجاهل ، ولم يجهل قط ، ولا يجري عليه ان يجهل .

والقول في كل صفة من صفاته - عز وجل - التي هي الكلام والسمع والبصر ، والارادة والقدرة ، والعظمة والكبرياء والعلو ، وجميع صفات الذات كالقول في الحياة والعلم فهما سمع سامع بأن الله حي ، او عالم ، أو كبير ، او عظيم في جميع ذلك ، ومن لم يعتقد ما قلنا من انه لم يزل ، وانه لا يزال كذلك كان جاهلا بصفات ربه - عز وجل - معتقدا بانه على صفة الخلق ؛ لأن الخلق اذا وصف بصفة من تلك الصفات ، كان لا يكون لم يزل بتلك الصفة ، ولا يكون ان يكون لا يزال عليها ، ولا يزول ؛ لأن جميع صفات المحدث المخلوق محدثة اليه ، كائنة بعد ما لم تكن زائلة ، بعدما كانت ، وسيأتي شرح الصفات في موضعها ان شاء الله .

فصــل : الله - عز وجلّ - موجود قبل خلقه ، قديم ازلي ليس له قبلية ، ولا لوجوده بداية ، ولا لأوليته أول ، والقديم صفة الله - عز وجل - ، التي تتعلق بها جميع الصفات ، لأن القديم لا يكون جاهلا ، والجهل حدث ، والقديم لا يكون عاجزا ، ولا ذليلا ، ولا ضعيفا ، ولا صغيرا ، ولا مهينا في جميع تلك الأوقات التي تحل بالحدث المخلوق المصنوع ، فجميع ذلك ينفى بالقديم ، لكون ذلك دلالة المحدث ، بل هو نفسه حدث ، فمن وصف شيئا من الأشياء المحدثات بانه قديم لم يحدث قط ؛ فقد ساواه بالله فالقديم على

الحقيقة ، هو الله الذي لا تجري عليه صفات الحدث ، ولا يوصف بها .

فالقديم ما لا أول لوجوده ، وهو الموجود لا بعد عدم ، فالموجود قبل جميع الخلق لا يكون خلقا ، والقديم على المجاز هو الشيء يمر عليه زمان طويل فيسمى قديما لطول عمره ، لقول الله ـ عز وجل ـ : **﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾** [1] ، أراد حتى يعوج الهلال ، كما تتعوج الكياسة الحولية .

ويقولون ايضا : شيخ قديم على هذا المعنى ، ويقال : الله ـ عز وجل ـ قديم لم يزل ، ولا يقال ذلك لغيره ، ولا يقال لغير الله لم يزل ، الابصلة لم يزل فلان يطلع وينزل حتى قضى حاجته ، ويقال كان الله في الأزل ، ولا شيء معه لم يزل ، أي لم يكن عدما ، ولا يزال ، أي لا يكون معدوما ولا يزول ، اي لا يتنقل ، ولا يجوز على الخلق لم يزل الا بصلة منذ كان .

قال الله ـ تعالى ـ : **﴿لا يزال بنيانهم﴾** [2] ، والأزل ما ليس بمفنى .

ومن قال : الأزل شيء فقد أشرك . فان قال للمخلوق : ازلي منذ كان ، اشرك ولا تنفعه الصلة .

وهل يقال للحال الذي احدث الله فيه الأشياء أزل؟ قال : لا ؛ وكذلك بعدما أفناها ، والأزلية فيها قولان ، وقيل انها صفة والله اعلم بذلك .

ولا يقال لله ـ عز وجل ـ : عاديّ ولا عتيق ولا عدملي على انها عبارة تستعمل بمعنى القديم من الأشياء ، ينسب الى أيام عاد ، وعتيق ، وهل يقال الله سرمدي ابدي ؟ فالله أعلم . وأما دائم فنعم ؛ فمعناه باق لا يزول ولا يفنى ، والله اعلم ، واحكم .

---

١ ـ الآية ـ ٣٩ ـ من سورة يس

٢ ـ الآية ـ ١١٠ ـ من سورة التوبة

فصــل : في الحياة : وهي صفة الله ـ عز وجل ـ لم يزل موصوفا بها ، والدليل على حياته تصرفه في الحدث بالأشياء ، والاعادة والافناء ، والابادة والنقص والزيادة ، لأن الأموات استحالت منهم الأفعال .

(مسألة) : الصفات التي بانت بها الاحياء عن الأموات ؛ هي الاستطاعة والزمانة ، والعلم والجهل ، والاستلذاذ والألم ، وكذلك المشاممة والملامسة ، والمذاوقة والمطاعمة في سائر المحسوسات لا تكون هذه الصفات الا من الأحياء .

وأما المشتركة بينهم فكالمماسة والملازقة ، والملازبة والمجامعة والمفارقة .

وأما التي بانت بها الأموات عن الأحياء ، فكالجمودة واستحالة اللذات والاستطاعة .

(مسألة) : فإن قال قائل : ما معنى قولك (الله حي) ؟ قيل له : اثبات انه ليس بميت ، ولا يموت ، ولا يجري عليه ان يموت ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿**وعنت الوجوه للحي القيوم**﴾ [1] .

وقال بعض العلماء في معناه : [الحي] اشارة الى انه الفعال ، واصل [الحي] في لغة العرب ؛ ما تعلقت به صفة الادراك على وجه من الوجوه ، فلا حي الا وشأنه ان يدرك ، ولا شيء شأنه ان يدرك الا وهو حي ، وليس يحتاج في ذلك الى اشتراط جمع المدركات ؛ لأن الأعمى لا يدرك المرئيات ، والأصم لا يدرك المسموعات ، وهما مع ذلك حيان ، فلما ثبت ما ذكرناه في الخلق ؛ صح أن القديم ـ جل جلاله ـ حي فعال لجميع الكائنات ، مدرك لجميع الغامضات كان منزها عن جميع الآفات فهو ـ تعالى ـ حي بذاته ، لا يقال

١ - الآية - ١١١ - من سورة طه

بحياة لئلا يوهم الغيرية ، ولا بغير حياة ؛ لئلا يوهم تناقض القول ، كأنه قال : (حي لا حي) .

(مسألة) : فان قال قائل : الله حي لا كالأحياء ؟ قيل له : نعم ؛ فان قال : فلما انكرتم ان يكون جسما لا كالأجسام ؟ قيل له : من أجل الله - سبحانه - سمى نفسه حيا ، ولم يسمها جسما ، فعلمنا ان حياته على معنى غير الحياة الموجودة في الأحياء ، وليس في ذلك ما يوجب كونه جسما اذ لم يسم نفسه بذلك رأسا ، وقد يسمى بحي ؛ لأن [الحي] في لغة العرب على معان كثيرة : -

يقال [لحم حي] اذا كان قطعه يؤلم ، ولحم ميت اذا كان لا يؤلم .

ويقال : [فلان حي الذهن] اذا كان سريع الفطنة ؛ قال الله - تعالى - ﴿لينذر من كان حيا﴾ [1] .

ويقال : [أرض حية وشجر حي] ، وفي الحديث : «من أحيا ارضا مواتا فهو له» .

قال الله تعالى : ﴿فيحيي به الأرض بعد موتها﴾[2]

ويقال : [فلان حي] وان كان ميتا ، اذا ترك ولدا يذكر به ، او ذكرا صالحا في الناس .

ويقال للأفاعي [حية] .

واذا كانت الحياة تتصرف على هذه الوجوه ، فلم لا يكون الله - تعالى - [حيا] لا كحياة ذوي الأرواح ؟

والجسم انما هو مقصور على التجزىء والتسديس ، والطول والعرض ،

---

١ - الآية - ٧٠ - من سورة يس
٢ - الآية - ٢٤ - من سورة الروم

وهيئة من الهيئات ، وقدر من الأقدار ، فأما حياة الخلق فانما هي بعد موت تقدم اليهم قبل وجود الروح في أجسادهم ، فمن لم يعرف ان الله حي ؛ بمعنى انه ليس بميت ، ولم يمت ولا يموت ، ولا يجري عليه ان يموت ، ومن شك في ذلك ، أو اعتقد أن حياته ـ عز وجل ـ على معنى من معاني الخلق ، كان مشركا جاهلا بصفاته ـ عز وجل ـ .

ومنه فيما يتعلق بالخلق ؛ فللافناء والاعادة من الكلام ، فان قال قائل : ما هيئة الخلق ؟ قيل له : هي الاخراج من العدم الى الوجود .

فان قال : ما هيئة الحدث ؟ فقل : وجود بعد عدم .

فان قال : ما هيئة البقاء ؟ فقل : وجود بعد وجود .

فان قال : ما هيئة الاعادة ؟ فقل ؛ وجود بعد وجود ، وبعد عدم .

فان قال : ما حد الفناء ؟ فقل : قطع التدبير عن الله ـ عز وجل ـ عن الشيء الموجود .

وقال : اصحابنا خمسة اشياء متعلقة لا الى شيء وهي : الفناء ، والعدم ، والازل ، والخذلان ، والمحال ، وزاد بعضهم الفاسد ، والمتناقض .

واما حد العدم ؛ فما ليس بشيء ، ولا يجوز ان يكون شيئا .

وأما حد المعدوم ما ليس بموجود ولا حاضر ، فلا يجوز ان يكون شيئا ، والمعدوم على وجهين :

معدوم يوجد ، ومعدوم فان .

وحد الازل ؛ عدم الاشياء ، وعدم الخلق .

وقيل : اسم وعبارة وضعت لما قبل حدوث العالم ، وليس هناك معنى موهوم .

وقيل : اسم معلق لا الى شيء .

وحد الخذلان ؛ ما ليس بشيء ، وانما هو ترك العون .

وحد المحال ؛ بضم الميم ما لا يتعلق وجوده ، ولا يستقيم كونه .

فان قال : ما الفرق بين الشيء والموجود ؟ قيل له ; قال اهل النظر : ان معنى شيء ما كان مخبرا عنه موصوفا ، واما موجود فهو ما كان كائنا ، ولا يقال : كل ما جاز فيه شيء ، جاز فيه موجود من جهة الآخرة ، والجائز ان يقال : كل ما جاز فيه موجود ، جاز فيه شيء .

فأعم الاشياء عندنا شيء ، وعند المعتزلة ، واما الاشعرية فأعم الاشياء عندهم معلوم ومذكور ، ولا يجعلون المعدوم شيئا ، والمعدوم عندنا شيء معدوم ، والعدم عندنا وعندهم في الحقيقة ليس بشيء .

وقد اختلف اهل النظر في خلق الشيء ، وحدثه وبقائه وفنائه واعادته ، على ثلاث مقالات :

وقال من الاباضية عبدالله بن يزيد ، وبعض المعتزلة ، بانها صفات الأجسام ، وهي عندهم اعراض حالة في الجسم كالحركة والسكون .

وقيل عيسى بن عمير واحمد بن الحسين الاطرابلسي ، وغيرهما من المتكلفين ، بأن خلق الشيء وبقاءه واعادته هو الشيء نفسه ، واجمعوا جميعا على ان وجود الشيء هو لا غيره ، هذا ما حكي عن المتكلفين .

فأما من قال بان خلق الشيء عرض ، فقد زعم ان وجود الشيء غير خلقه وغير بقائه .

واما الذين زعموا ان حدثه هو وجوده في أول ما يوجد ، وان بقاءه هو وجوده في الحال الثانية من حال الحدوث ، وان اعادته هي وجوده بعد الفناء ، فزعم هؤلاء ان خلقه وحدثه وبقاءه واعادته ؛ كل ذلك عندهم هو وجود

الشيء على قدر تفرق الاحوال للوجود ، فسمي وجوده في الحال الأولى حدثا ، أو في الحالة الثانية بقاء ، فاذا وجد بعد الفناء سمي ذلك الوجود اعادة عندهم ، وليس هناك صفة زائدة على الوجود ، وهو احب القولين الى اهل النظر .

ورأيت في آثار مشائخ الجبل - رحمهم الله - انهم يميلون الى هذا القول الآخر ؛ بأن خلق الشيء هو لا غيره ، لئلا يثبت للشيء خلق وللخلق ايضا ، فيتصل ذلك الى غير غاية ، وقد احتج من قال : بان خلق الشيء غيره بقول الله - عز وجل - : ﴿**ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم**﴾[1] ، فزعموا ان خلق الشيء غيره .

ورأيت في اثر اظنه لبعض مشايخ اهل المغرب ، بان خلق الشيء غيره ، واحتج بالآية المتقدمة والله اعلم ؛ غير انه ذكر في كتاب (الجهالات) ان ابا خرز (يغلا بن كتاب) سئل عن هذين القولين فقيل له :

ايهما قول اصحابنا ؟ فلم يجب السائل في ذلك الجواب ، فقال صاحب (الكتاب) يمكن ان يكون انما لم يجبه في ذلك لاستواء القولين عنده ، وانهما جميعا مذهبان غير فاسدين ، وان المسألة ليس فيها تحليل ولا تحريم ، ولا ديانة ولا قطع عذر لقائل ، والله اعلم .

فأما المقالة الثالثة ؛ فهي مقالة اصحاب المعاني ، واحسب ان ابن الحسين ذكرها في الكتاب المنسوب اليه ، فنسبها الى بعض المعتزلة ، وذلك ان من قال : بهذا القول ، زعم ان خلق الشيء غيره وللخلق خلق ، ولذلك الخلق خلق آخر الى ما لا نهاية له ، ولا غاية ، فزعموا ان اهل التوحيد محمول على فساد مذهب اصحاب المعاني ، كما اجمع الملحدون على فساد القول بالسفسطة ، وهما مذهبان فاسدان عند جميع من ينتحل الكلام من موحد وملحد .

---

١ - الآية - ٥١ - من سورة الكهف

واختلفوا في الفناء فزعم من قال : ان تلك الاشياء صفات ، وان الفناء صفة للفاني يوجد قبل حال الفناء ، ولا يسمى فناء الا عند فناء الفناء ، واذ افناء الفاني فني عنده فناؤه .

وأبطل آخرون ان يكون هناك شيء يسمى فناء ، وانما الفناء عندهم اسم معلق لا الى شيء غير ان الله ـ عز وجل ـ اذا قطع تدبيره عن الاشياء الموجودات فتثبت الموجودات لا على حدوث معنى يسمى فناء ، والله اعلم ؛ كتبت هذا الطرف من الكلام لتحصل فائدته بالتمام .

فصل : الله عز وجل قديم لم يزل ، والقديم صفة له ـ عز وجل ـ تتعلق به جميع الصفات ؛ لأن القديم لا يكون جاهلا ، والجهل عجز وحدث ، والقديم لا يكون عاجزا ولا محدثا ، ولا ذليلا ولا صغيرا ، ولا ضعيفا في جميع الآفات التي تحل بالخلق فهي منفية عنه بالقديم كما قدمنا في صدر الكتاب .

(**مسألة**) : الدليل على ان الله قديم ؛ كونه قبل وجود الاشياء ، ومعنى القديم ما ليس بمحدث وحده ما لا أول لوجوده .

وقيل : ما كان لا بعد ان لم يكن .

وقيل : ما وجد الا بعد عدم ، والمحدث بخلافه ، وضد القدم الحدوث كما ان الحدوث ضده القدم .

(**مسألة**) : فان قال قائل : أليس من شريطة القديم لا يفنى ؟ قيل له : نعم .

فان قال : وكذلك المحدث من شريطته لا يبقى ؟ قيل له لا .

فان قال : ما الفرق ؟ قيل له : الفرق في ذلك أن العلة التي لا يفنى لها القديم استحالة العدم عليه في الماضي ، فكذلك استحال عليه في الآتي ، فلما كانت غير ما ذكرنا كان غير القديم لم يستحل عليه ان يفنى ، ولا ان يبقى ،

وكلتاهما غير جائزتين ، ولو جوزنا مثل ذلك في القديم ، فقلنا : قد يقدم القديم ، وقد يحدث ، لكان القول متناقضا محالا غير متفق في وهم ، لأن القدم ضده الحدوث ، والبقاء ضده الفناء .

فمن زعم ان الفناء ضده الوجود ، فقد اثبت الاشياء المعدومات قبل حال الوجود ، فانيات فهذا فاسد .

وكذلك لو زعم ان العدم ضده البقاء ، لكان موجبا ان الاشياء التي هي غير موصوفة بالبقاء انها فانيات في حال وجوده وهذا محال .

(مسألة) : فان قال قائل : هل يستحيل العدم على الباقي ؟ قيل له : ان العدم انما يستحيل على القديم ، فاذا زالت عن الشيء علة القدم كان غير مستحيل عليه القدم والفناء باقيا أو غير باق ، بعد الا يكون قديما .

فان قال : وما العلة في حدوث الاشياء وفساد قدمها ؟ قيل له : مشاهدة فنائها دال على فساد قدمها ، وقد اتفقنا جميعا على انها فنيت وعدمت بعد حال وجودها ، وزعمتم انتم انها لم تعدم قط الا عند فنائها ، وقلنا : لو لم تعدم قبل هذا قط ما عدمت اليوم ، فكيف استحال عليها القدم في الماضي ، وهو فيها بعد الوجود ثابت مشاهد معلوم ؟

فان قال : فهلا كانت الاشياء الباقيات كلها قديمة كما كان القديم باقيا ؟ قيل له : قد انبأك ان البقاء معلق بالقدم ، وليس القدم معلقا بالبقاء ، وقد يكون الباقي غير قديم ، ولا يكون القدم غير باق للعلة التي قدمنا من استحالة الفناء على القدم ان ذلك لاستحالة العدم عليه في حال ، وليس الباقي كذلك .

فان قال : أوليس الباقي مستحيلا عليه الفناء ؟ قيل له : قد اخبرناك ان الفناء انما يستحيل على الشيء لاستحالة الحدوث عليه ، ولا يكون ان يستحيل عليه الفناء بكونه باقيا ، فان سأل عن الوجود والبقاء ؛ ايهما اعم من

الآخر ؟ قيل : الوجود اعم ؛ لأن من الاشياء باقيا وغير باق ، والكل موجود .

وكذلك لو سأل عن العدم والفناء ، ايهما اعم ؟ قيل له العدم أعم من الفناء ، لأن كل باق معدوم ، وليس كل معدوم فانيا .

وكذلك لو سأل عن الحدوث والوجود ؟ فالوجود اعم .

وقال المتكلمون اعم الاشياء شيء ، ومحدث اخص منه وهو اعم من جسم وجسم اخص منه .

فان سأل عن العام والخاص ، ايهما اكثر صفة ؟ قيل له : ان الاخص عند المتكلمين اكثر صفة ، لانه يشارك الاعم في صفته ، ويزيد عليه بصفة الخصوصية ، والله اعلم واحكم .

(مسألة) : ومن كتاب (البحر الزخار العلم) ؛ يكون المحدث لا بد له من محدث استدلالي ، وقال بعض : ضروري ، ومنه واذا علم المؤثر ، فالعلم بالقدرة مكتسب ، قال غيره : بل قد يخفى .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي : كل صفة لله متى خطرت على قلب عاقل ، وفهم معناها قامت عليه الحجة من عقله ، ان يصف الله - تعالى - بها ، وكل مستحيل ان ينزه الله عنه ، وحقيقة معرفة الله بالاستدلال والدليل قائم ، والاستدلال به واضح ، ومعرفة الله به تقع ضرورية ، والله اعلم .

رجـع

(مسـألة) : والمحدث للعالم هو الله تعالى ، قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : ويعرف الله بصفاته من مخلوقاته ، بالدلالة الدالة على معرفته - تعالى - منها ، فكل ذرة من ذرات الوجود هي كلمة من كلام الله ، ناطقة بجميع

معرفته ـ تعالى ـ التي اراد ان يعرف عباده المكلفين عبادته منها ، وكل ما يدل عليه جميع الوجود من ذلك ، تدل عليه كل ذرة من ذرات الوجود ، وما بقي فكالشرح لتلك الكلمة .

ووجبت معرفته ـ سبحانه وتعالى ـ منها ، ومن كتبه ـ جل وعلا ـ ومن لسان انبيائه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، ومتى نظر الى شيء من المحدثات ، وخطر بباله معرفة صفة من صفاته ـ تعالى ـ ، أو من غير ان ينظر الى شيء من الوجود ، ومعرفة معنى تلك الصفة ، وكانت مما يوجب له ـ تعالى ـ لزمه اعتقاد ذلك في حقه ـ تعالى ـ بالوجه الحق ، ولم ينفس له في الشك بعد ذلك ، ولو اعتقد السؤال فلا ينفس له ما شكه ، وان كانت مما يستحيل في توحيده ، فعليه ان ينزهه ـ جل وعلا ـ ، ولا ينفعه اعتقاد السؤال مع شكه .

وان كان مما يمكن وجوده وعدمه ؛ اي كان مما يمكن انه فعله أو سيفعله ، أو يمكن ان لا يفعله ، فان كان مما تقوم بمعرفته الحجة من العقل بعد السماع له ، ويجب الايمان به انه فعله ، أو سيفعله ، فمتى سمع به وعرف معناه ، قامت عليه الحجة في عقله ، ووجب عليه الايمان به ، كالبعث والثواب والعقاب وارسال الرسل والانبياء ، وما اشبه ذلك .

فان قلت : كيف جعلت هذا من الممكن ، والممكن لا يكون الا فيما يمكن وجوده وعدمه ، فنقول اعتبارا بالمنقطع الذي لم تبلغه الحجة فكما امكن في بقية الحيوانات لم يرسل اليهن رسلا ، فما الفرق بينه وبينها ؟

فان كان مما لا يمكن لزمه ان يعتقد كذلك في الحيوانات ، وان كان مما يمكن وهو مما يمكن ، لانه كان كذلك في الحيوانات ، صح انه من الممكن وجود ذلك وعدمه ، وان كان الممكن مما تقوم به الحجة من العقل ، لم يلزمه اعتقاده حتى تقوم عليه الحجة بالسماع فيما هو واجب عليه عمله ، أو واجب عليه تركه ان كان يفعله ، ومعذور قبل ان يعرفه الا اذا اقامت عليه الحجة بمعرفته بما تقوم عليه الحجة في ذلك .

بيـان : وبيان معرفته ـ تعالى ـ من مخلوقاته قوله حاكيا اهل التحقيق بمعرفته (بسم الله الرحمن الرحيم) ، لما عرفه ابتداء باسمه ، مستعينا به على اداء ما لزمه من اعتقاد ، وفعل وترك أو وسيلة ، ولذلك قيل : ان جميع ما تضمنه القرآن هو في الفاتحة ، وجميع ما تضمنته الفاتحة فهو في البسملة ، وجميع ما في البسملة فهو في الباء ، وجميع ما في الباء فهو في النقطة ، لأن ابتداء النقطة بالباء بالكسرة هو ابتداء بها ، لأن الباء يمكن ابتداؤه بالفتحة ، وبالضمة ، ثم قال : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[1] والله اعلم .

(مسـألة) : من كتاب (الارشاد) ؛ ان قيل لك : من اين تعلم ان الهك واحد ؟ فقل : من قبل انه لا يكون قادرا الا واحدا ، ولا يكون الغالب الا واحدا ؛ ولو كانا اثنين ، وغلب احدهما صاحبه فالمغلوب ليس باله ؛ لأن الاله لا يكون عاجزا مقهورا ، فلذلك علمنا انه اله واحد لا شريك له .

فان قال : كيف تعلم انه واحد ليس كمثله شيء ؟ قيل له ان الشيء يكون من صنعه وخلقه ، والله ـ سبحانه ـ هو الصانع للشيء ، والشيء مصنوع ، ولا يشبه الصانع بالمصنوع ، لأن الصانع قديم والمصنوع محدث .

فان قال : ان الله واحد ، وانت واحد ، فما الفرق ؟ قيل له : انا واحد في الاسم ، اشياء في الحقيقة ، والله ـ سبحانه ـ واحد في الاسم ، واحد في المعنى ، لا يجوز عليه التجزىء ، والقسمة والتبعيض ، ولانه يمكن ان اكون متفرقا بعد ان كنت مجتمعا ، والله تعالى لا يجوز عليه ذلك ، لأنه هو الخالق ، والخالق لا يشبه المخلوق والله اعلم .

(مسـألة) : ان قال قائل : ما تنكر ان يكون العالم من اصلين قديمين : نور وظلمة ؟ قيل له : انكرنا ذلك لانه لا بد من ان يكونا متمازجين أو متباينين ، والممتزج والمتباين له حد ونهاية ، وما له حد ونهاية ، فهو محدث ، والمحدث مصنوع وله صانع .

١- الآية ١ - سورة الفاتحة

والظلمة والنور ضدان متباينان ، ولا يصح امتزاجهما ، وقد قال الله ردا على مقالة من قال بقدم العالم : ﴿**الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور**﴾[1] فدل ان الله خالق الظلمة والنور .

فان قال : ما انكرت ان يكون العالم من صانعين قديمين ؟ قيل له انكرنا ذلك ؛ لأنه لو كانا اثنين ، فلا بد ان يريد احدهما خلاف ما يريد الآخر ، فيزيد احدهما ان يجعل جسما في مكان ، ويريد الآخر بخلافه ، ويريد احدهما تسكين الجسم ، ويريد الآخر تحريكه ، ويريد احدهما بقاء جسم ، ويريد الآخر فناه ، فلا يجوز ان يكون ما اراداه جميعا فيكون جسمان في مكان ، أو يكون جسم متحرك ساكن في حال واحدة ، فلما لم يصح ذلك ، ثبت وصح ان الله اله واحد ليس كمثله شيء ، وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون**﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿**لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد**﴾[3] وقال : ﴿**لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا**﴾[4] والله اعلم .

(**مسألة**) : ومن وضع الفقيه تبغورين بن عيسى بن داود الملشوطي المغربي منتخبا منه ؛ والدليل في صواب ما قلنا : انهم مجمعون على ان من وصف الله بصفته على ما هو فيه فهو موحد ، وذلك منه توحيد ، وكيف يكون منه توحيد وموحد ، ومن لم يعزه من صفات الخلق وان الله انما خاطب الخلق بما يفهمون من لغاتهم ، كما قال : ﴿**وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم**﴾[5] (الآية) ، فبين لهم في قوله : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[6] ان يؤمنوا بغيب الايمان ، ويصدقوا بما لا تقدر عليه عقولهم ولا تمثله افكارهم ،

---

١ - الآية ـ ٢١ ـ من سورة الانعام
٢ - الآية ـ ٢٢ ـ من سورة الأنبياء
٣ - الآية ـ ٥١ ـ من سورة النحل
٤ - الآية ـ ٤٢ ـ من سورة الاسراء
٥ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة ابراهيم
٦ - الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى

بان العقول لا تدرك الا ما ادت اليها الحواس ، أو مثله أو ما علموه بالدلالة أو بالقياس على ذلك ، وفي دلالة الانبياء - عليهم السلام - بيان شاق ، وحجة بالغة على من لحد في صفات الله حين استشهدوا على قومهم واحتجوا عليهم بخلقه ، ولم يمثلوه بغيره ، ولم يصفوه بصفة خلقه .

وقال ابراهيم عليه السلام اذ حاجه الكافر : **﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾**[1] قال الكافر : (انا احيي واميت) ، ولو اراد ابراهيم ان يحتج في ذلك لاحتج عليه ، ولكن اراد حجة لا يجد عنها محيدا فقال : **﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾**[2] ، اذ اتاه بآية لا يقدر البشر ان يأتوا بها ، ولو ان احدا يفعل مثل افعال الله لاشبهه ، لان في اشتباه الفعلين اشتباه الفاعلين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقال موسى لفرعون حين سأله عن ربه : **﴿ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾**[3] وقال : **﴿رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾**[4] وقال : **﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾**[5] وقال : **﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون﴾**[6] ، ولم يقل جسم ولا نور ، ولم يمثله بشيء من الاشياء ، ولم يحد له مكانا دون مكان كما زعمت المشبهة .

وقال ابراهيم : **﴿لا احب الآفلين﴾**[7] ، يعني الزائل المتنقل لا يرضى ان يكون له ربا والها .

وجاءت الانبياء كلهم - عليهم السلام - بانفراد الله ، ونفي الاشتباه

---

١ - الآية - ٢٥٨ - من سورة البقرة
٢ - الآية - ٢٥٨ - من سورة البقرة
٣ - الآية - ٥٠ - من سورة طـه
٤ - الآية - ٧ - من سورة الدخان
٥ - الآية - ٢٦ - من سورة الشعراء
٦ - الآية - ٢٨ - من سورة الشعراء
٧ - الآية - ٧٦ - من سورةالأنعام

عنه تعالى الله قد نزه نفسه عن الشبه للخلق في قوله : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[1] .

وبلغنا انه لما نزلت هذه الآية في اليهود حين قالوا للنبي ـ عليه السلام ـ ان كنت نبيا فصف لنا ربك كيف هو ؟ فقال : كيف امثل من خلق السموات والأرض ؟!

فقالوا له : لست اذا نبيا ، وقالوا : بل هو (كذا وكذا) ، فانزل الله قرآنا تكذيبا لقولهم ، وردا عليهم : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[2] .

وقال : ﴿ما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء﴾[3] ، يعني ما عرفوه حق معرفته فنسبهم الى جهله والشرك به ، واخبر انه تسبحه السموات السبع ، والارض ومن فيهن ، وقال : ﴿وان من شيء الا يسبح بحمده﴾[4] ، يريد ـ والله اعلم بحقيقة التفسير ـ ان الخلق كله يدل على ان الله واحد ، لا يشبههم ولا يشبهونه بوجه من الوجوه ، ولا معنى من المعاني ، وان دق ورق ، وانه لو اشبههم بمعنى للزمه ما لزم ذلك المعنى من الذل والحاجة ، والا بطلت دلالة الخلق على نفسه بان له خالقا ، والتسبيح من الخلق هو التنزيه ، والتنزيه لله من شبههم وصفاتهم ، وذلك موجود في بيان اللغة ، يقولون لم يزل الله نفى عن نفسه شبه الأشياء ، ويقولون النار نفت عن نفسها البرودة أي كذلك كانت حارة ليست بباردة ، ودل الفعل كله على انه لا يشبه فاعله ، ولو اشبهه لكان الفاعل فعلا والفعل فاعلا ، والله ابعد ان يشبهه فعله ، واشد خلافا لهم من بعضهم لبعض ، لانه قديم وهم محدثون ، وصفات الحدث كلها منفية .

واما ما احتجوا به من قوله : ﴿الله نور السموات والارض﴾[5] ،

---

١ - الآية ـ ٤٠ ـ من سورة الروم
٢ - الآية ـ ٤٠ ـ من سورة الروم
٣ - الآية ـ ٩١ ـ من سورة الأنعام
٤ - الآية ـ ٤٤ ـ من سورة الاسراء
٥ - الآية ـ ٣٥ ـ من سورة النور

وقوله : ﴿يد الله﴾[1] وقوله : ﴿تجري بأعيننا﴾[2] و﴿في جنب الله﴾[3] و﴿نفسه﴾ ، واشباه هذه من الآيات المتشابهات ، والروايات عن النبي ـ عليه السلام ـ فاغفلوا فيه النظر ، وحملوه على غير تأويله ، وتركوا قول الله : ﴿ليس كمثله شيء﴾[4] وقوله : ﴿هل تعلم له سميا﴾[5] وقوله : ﴿الواحد القهار﴾[6] ، وقول النبي ـ عليه السلام : « من وصف الله بشيء أو مثل لم يعرفه » .

واعلم ان معنى (النـور) في اللغة الجارية بين الناس ، الذي لا ينكره احد من اهل اللغة (الهادي) تقول الناس (الهادي) نور و(للهدى) نور .

وقال الله تعالى : ﴿وجعل الظلمات والنور﴾[7] وقال : ﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾[8] ، يعني من الكفر الى الايمان ، في قوله : في ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾[9] فمثل هذا النور الى المصباح يدل على صواب ما قلناه انه الايمان في قلب المؤمن .

ومن كلام النبي ـ عليه السلام ـ : « احذروا فراسة المؤمن فانه بنور الله ينظر وكاد ان يبصر الحق بقلبه وان لم يخبر به ويميز بين الحق والباطل بنور الله الذي اعطاه له » .

وقد سمى الله (القـرآن) نورا في غير موضع من كل آية كما سماه (هدى ورحمة) .

(مسـألة) : ومن جواب ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، في قوله

---

١ - الآية ـ ١٠ ـ من سورة الفتح
٢ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة القمـر
٣ - الآية ـ ٥٦ ـ من سورة الزمر
٤ - الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى
٥ - الآية ـ ٦٥ ـ من سورة مريم
٦ - الآية ـ ٤٨ ـ من سورة ابراهيم
٧ - الآية ـ ١ ـ من سورة الانعام
٨ - الآية ـ ٢٥٧ ـ البقرة
٩ - الآية ـ ٣٥ ـ من سورة النور

تعالى : ﴿وقالت أليهود عزير بن الله﴾[1] لمَ قالوا هذا فيه ، وما الذي دلهم عليه ؟ ففي قول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : من اجل انهم اضاعوا التوراة ، وعملوا بغير الحق ، فرفع الله عنهم التابوت ، وانساهم التوراة فنسخها من صدورهم ، وعزير فيهم ، فدعا ربه ، وابتهل اليه فسأله ان يرد اليه ما نسخ من صدورهم ، فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله ، اذ انزل عليه من السماء ، ودخل جوفه فعاد اليه فأذن في قومه فقال : « يا قوم ؛ قد اتاني الله التوراة فردها الي » ، فعلقوا به يعلمهم اياها ما شاء الله ، ثم ان التابوت نزل اليهم بعد ذهابه منهم ، فعرضوا ما كان فيه على الذي علمهم به فوجدوه مثله ، فقالوا : ما أوتي عزير هذا الا انه ابن الله .

وفي قول الكلبي : ان (بخت نصر) لما ظهر على بني اسرائيل ، وعزير اذ ذاك صغير فلم يقتله ، ولما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس ، وليس فيهم من يقرأ التوراة بعثْ الله عزير ليجددها لهم ، فيكون لهم آية بعد ما اماته مائة سنة .

وفيما يقال : انه اتاه ملك باناء فسقاه فثبتت التوراة في صدره ، فلما اتاهم وقال لهم انا عزير قالوا : ان كنت كما تزعم فاتل علينا التوراة فكتبها لهم .

وفي قول ثالث : انهم لما قتلوا الانبياء رفع الله عنهم التوراة ومحاها من صدورهم ، خرج عزير وهو غلام يسيح في الارض ، فاتاه جبريل فقال له : الى اين تذهب ؟ فقال اطلب العلم ، فحفظه التوارة فأملاها عليهم ، عن ظهر لسانه لا يخرم منها حرفا ، فقالوا : ما جمعها الله في صدره وهو بهم غلام الا انه ابنه .

وفي قول رابع : انها جعلت جنبه ، فدفنت في اكرم موضع فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بالذي كتبه لهم فوجدوه لم يغادر منها حرفا

---

١ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة التوبة

واحدا ، فقالوا : ان الله لم يقذفها في قلبه الا وهو ابنه .

وقالت النصارى : المسيح ابن الله من اجل انهم ؛ لما رأوا ما قد اظهره الله على يديه من آياته المعجزة لاهل زمانه ، ثم نظروا في الشهود ، فلم يجدوا ابنا لغير اب في الوجود فانكروا جواز امكانه ، وفي آدم ما دل عليه لو انهم ابصروا ، وكفى به عما زاد عليه من الشهود ، ولكنهم عموا عن اصلهم ، فقالوا : هو ابن الله ، والقائل به في عزير بعض اليهود لا كلهم . وفي قول عبيد بن عمير انه رجل واحد اسمه فنحاص .

وفي المسيح بعض النصارى ، وفي المسطور عن اهل العلم ، انه رجل يقال له : نسطور ، نعم ، ولما كان في صورة العام لفظا لكل فريق ؛ فانه من الخاص معني عن تحقيق لمن قاله من رأيه ، فابتدعه أو قبله من قاله فاتبعه ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون .

قال ابن عباس ـ رحمه الله ـ : اي (يشابهون) ، لأن المضاهاة هي المشابهة .

وقال الحسن : (يوافقون) .

وقال محمد ومجاهد (يواطئون) ، قول الذين كفروا من قبل ، فجاز على قول قتادة والسدي في (الضمير) ان يكون (للنصارى) لأنهم في قولهما ضاهوا فيما قالوه من هذا في (المسيح) قول اليهود من قبلهم في (العزير) ، وعلى قول مجاهد : فيجوز ان يعمهم جميعا فيكونوا قد ضاهوا فيها قول المشركين من قبلهم في اللات والعزى بنات الله على معنى ما قالوه في هذا .

وعلى قول آخر : ان يضاهي قول الذين كفروا من قبل في (الملائكة) انها بناته ـ سبحانه ـ ان يكون له ولد ، وليس له صاحبة عنهم ، ام جاز في جزم ان يكون لغير أم .

وفي قول العتيقي : هم الذين كانوا على عهد النبي ﷺ ، من اليهود والنصارى ، يقولون بما قاله اولهم .

وعلى كل حال فالمراد به في هذا ؛ ان قول هؤلاء الآخرين ضاهى قول اولئك الأولين ، فالمشابهة في كونها انما هي بين القولين ، لانهما من كل وجه على سواء - قاتلهم الله - اي (لعنهم) في قول ابن عباس - رضي الله عنه - .

وفي قول ابن جريج قتلهم الله ، وليس هو على التحقيق للمقاتلة ، ولكن لما اراده من التعجيب للنبي وللمؤمنين .

وقيل للاحبار وفي قول ثالث : اي (اهلكهم) ، لأن من قاتله الله هلك فهو الدعاء عليهم بالهلاك ، ومن لعنه في دنياه فهو هالك لا محالة في اخراه .

وفي قول رابع : انهم الاحقاء ان يقال فيهم وذلك لشناعة قولهم (انى يؤفكون) يعني كيف يصرفون الى الحق الى غيره من الباطل ، ومنارة لقيام الأدلة عليه ظاهرة انواره حتى لا يخفى على احد من ذوي العقول مع ما جاءهم فيه من نص في التوراة والانجيل ، الا وان في قرينة القول بالافواه ما دل على انهم قالوه لا عن دليل ، فليس هو بشيء على حال لانه ولا شك من المعنى المحال .

وفي قول اهل المعاني والبيان : ان كل ما كان من الأقوال مقرونا بالافواه والألسن ؛ فهو من الزور لعدم ما له في الحق من برهان ، في هذا الموضع بل في كل مكان ، فكيف يجوز ان يصغى اليه فيعول عليه ، واحق ما به ان يمنع من جوازه ، فيدفع من وراء هذا كله فقد اخبر عنهم - عز وجل - بانهم قد اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ؟

وهذا ما لا خفاء في بطله ، لأن الاحبار هم العلماء من اليهود . والرهبان ؛ هم العباد من النصارى اصحاب الصوامع المنفردون عن العباد .

وقيل : كلاهما من اليهود ، وفي قول عكرمة ان المراد به ما هم عليه من السجود لبعضهم بعضا .

وفي قول آخر لغيره من المفسرين : انهم لم يتخذوهم آلهة ولا عبدوهم في

شركه معه ، ولا على الانفراد ، ولكنهم اطاعوهم فيما يقولونه من تحريم ما احله ـ تبارك وتعالى ـ ، وتحليل ما حرمه ، ولم يخالفوهم فيما يأمرونهم به من معاصي الله ، كأنهم مع ما هم فيه من الفساد ارباب لهم ، مالكون لأزمتهم حتى لا يقدروا على غير الأنقياد ، وما امروا في نص الهي ولا في سنة نبي ، ولا قول تقي ، الا ليعبدوا الها واحدا هو الله لا غيره فان ذلك من حقه فابوا الا ان يجعلوا له شريكا من خلقه ـ سبحانه وتعالى ـ تنزيها له عما يشركون به من شيء فانه قد نزه نفسه ان يكون كمثله شيء ، فكيف يجوز ان يصح لهم ما يدعون ؟ انهم في هذا ونحوه الا يخرصوا عن الشريك جل ان يرضى من الاعمال ، الا ما كان خالصا لوجهه الكريم ولعلي ان اقول في الضمير بانه في هذا الموضع للمتخذين بكسر الخاء والذال المعجمتين .

وعلى قول آخر فعسى ان يكون ـ بفتح الخاء لانها في عودة (للمتخذين) وكسر الذال من المتعبدين بالامر والنهي ، فلا يصح ان يكونوا معبودين ، والمسيح والعزير وجميع ما خلا ـ تبارك وتعالى جده ـ ليس هو في نفسه لا غيره ، فانى يجوز لاحد ان يتخذه ربا يعبده ، أو ان يطيعه فيما به يأمره من معاصي ربه ، ولما كانوا على ما وصفهم من زور الاقوال ، ومحرم ما يأتونه من الافعال .

واراد ان يحتج عليهم فيظهر لهم باطل ما هم فيه من الاحوال لينجي من اتبع ، ويهلك من ابى ان يرجع عما به من الضلالة ، امر النبي ﷺ ، ان يبلغهم ما قد انزله في هذا اليه ، فقال تعالى في موضع اخر : ﴿**قل يا أهل الكتاب**﴾ [1] (في عموم) .

وقيل : في خصوص لمن حضره من يهود المدينة ونصارى نجران ، الا انه وان كان ذا فلا بد وان يعم من قد بلغ اليه لفظا أو معنى ، فدله عليه ، وان لم يسمع نفس النداء ، ولا ما اتبعه لهم من الدعاء ، بان تعالوا الى كلمة

---

[1] - الآية ـ ٧٧ ـ المائدة

جامعة ، الى ما تحتها من جملة (سواء) اي (عـدل) بيننا وبينكم ، حكمها لا يختلف في ثبوتها لازمة عن امر الله في كل زمان ، على من بلغته فعرفها في اي مكان ، وهي ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فانهما من الحرام ، وعسى في هذا الاتخاذ ان يكون اراد به على قول ما هم عليه من السجود لبعضهم بعضا فانه من حق الملك المعبود .

وعلى قول آخر في معناه : ان لا تطيع في معصية احدا من العبيد ، فهما في تأويله وجهان : الا ان الأول اخص ، والثاني اعم لما فيه من زيادة عليه ، وكلاهما محرمان ؛ لانه قد تفرد بالألوهية . فعز ان يقبل الشركة معه في العبادة ، لانها من لوازم حق الربوبية .

والسجود من انواع جنسها في الاجماع ، فلا يجوز ان يكون لغيره لا عن امره كما جرى لآدم من الملائكة انحناء ، وانه لهو المقصود .

وقيل انه كان لهم قبلة ، والله لا يرضى ان يخالف فيما امر به ، أو نهى عنه ، فانه لا يجوز الا ان يطاع فلا يعصى ، والرب في قول اهل العلم والعدل مهما كان معرفا بالالف واللام ، ليس هو غير الاله الملك الحق المالك لما سواه من الخلق ، فانه لا يصح لغيره الا فيما يملكه من شيء ، فيكون مضافا اليه .

وعلى الحقيقة فالعبد وما في يده لمولاه ، فاتركوا ما انتم به وعليه من قول الزور في المسيح والعزير ، فانه منزه عن الابوة والصاحبة والبنوة ، واياكم ان تسجدوا للغير ، أو ان تركنوا الى من دعاكم الى معصية في شيء من الامور ، هذا معنى ما امره ان يدعوهم اليه ، ويأمرهم به فيدلهم عليه .

يا لها من دعوة الى كلمة من عنده ، اظهرها على لسان عبده محمد ﷺ ، فنكرها لتعم اجناس ما به فسرها فتأتي على انواع العبادة فيمنع من جوازها لغيره فرضا ونفلا ، وتضم انواع الشرك ، فتقطع بحرامها قولا ونية وفعلا ،

وجعلها مقرونة في لاحقة بما لها من صفة دل عليها ، فاخبر انها عدل بين الجميع لا جور فيها فان تولوا عن قبولها في ظلم الامتناع في جهل أو علم ، فقد لزمتهم الحجة .

فقولوا يا معاشر المسلمين لهؤلاء القوم المشركين ، اشهدوا بانا مسلمون ، فان عليهم متى استشهدوا في هذا ومثله ، ان يشهدوا بالحق لأهله اذ لا يحل لهم في موضع لزوم اظهاره باللسان ان يميلوا الى غيره من الكتمان ، الا انهم ان امتثلوا فشهدوا بالذي به امروا وهم على خلافه مقيمون ، فكأنهم اعترفوا على انفسهم فاقروا بانهم كافرون . وان كتموه فلا مرية في انهم آثمون ، وان انكروا الجهل ، أو في علم فهم ظالمون ، وان ادعوا صواب الكل فهم كاذبون .

وعلى كل حال فاينما تولوا الى وجه من هذه الاربعة الأوجه ، فلا شك انهم هالكون ، الا من تاب الى الله فرجع عما فيه الى ما دعي اليه فوحده ودان بما يلزمه فعبده ، ولم يشرك به شيئا ، والا فلا نجاة له ، هذا ما لا يجوز غيره ابدا ، ولن تجد لهم من دونه ملتحدا ، والله اعلم فينظر في ذلك .

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ ان سأل سائل ، ما هو ؟ قيل له : قد انزل الله جواب مسألتك وكفانا مؤونتها ، وهو الذي قال ابراهيم ﷺ **﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين﴾** (١) وهو الذي قال موسى ﷺ ، حين قال له فرعون : **﴿وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾** (٢) ، وقال ايضا : **﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون﴾** (٣) وهو الذي قال فيه الفتية اذ قاموا فقالوا : **﴿ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه**

---

١ - الآية ـ ٧٩ ـ من سورة الانعام
٢ - الآيتان ـ ٢٣ ، ٢٤ ـ من سورة الشعراء
٣ - الآية ـ ٢٨ ـ من سورة الشعراء

إلها لقد قلنا اذا شططا﴾[1] . قال غيره : حسن هذا وهو انك ان سألت عن ربك ما هو ؟ فقل هو الذي خلق السموات والارض وهو رب المشرق والمغرب وما اشبه هذا ، لأن الله لا يشبه شيئا من الاشياء ، فيوصف به ، ولا يحيط به العلم .

(مسألة) : من كتاب (الشفاف المنتزع من مغاصات الكشاف) في تفسير قوله تعالى : قال فرعون : ﴿وما رب العالمين﴾[2] لما قال له بوابه : ان ها هنا من يزعم انه رسول رب العالمين ، قال له عند دخوله وما رب العالمين ؟ يريد اي شيء رب العالمين .

وهذا السؤال لا يخلو من ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها ، فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس شيء مما شوهد به وعرف من الاجسام والاعراض ، وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي ؟ فاجابه بان الذي اليه سبيل ، وهو الكافي في معرفته هو معرفة ثباته بصفاته ، والاستدلال بافعاله الخاصة على ذلك ، واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطن العقول ، فتفتيش عما لا سبيل اليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، قال رضي الله عنه والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن سؤاله هذا انكار ؛ لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الألوهة .

قال موسى : (رب السموات والارض) اي (مالكهن وخالقهن) ، والمراد (السموات السبع) و(الأرضون السبع) وما بينهما اي ما فوق الارض وتحت السموات من الاشياء (ان كنتم موقنين) اي ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب ، والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله .

---

١ - الآية - ١٤ - من سورة الكهف

٢ - الآية - ٢٣ - من سورة الشعراء

(مسألة) : من كتاب (النور) تأليف عثمان بن عبدالله الاصم ؛ اختلف الناس في الباري ـ عز وجل ـ .

فقال الموحدون اهل العدل : انه تعالى واحد ليس كمثله شيء .

وقالت الدهرية : بالنفي المحض ليس بشيء وانما الدنيا لم تزل كما ترى ﴿**نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر**﴾[1] وما لهم بذلك من علم انهم لا يظنون .

وقالت الثنوية : اثنين .

وقالت النصارى : ثلاثة .

ثم اختلف الذين قالوا بوحدانية الله ـ عز وجل على وجهين .

وجه ثبتوا معبودهم واحدا ليس كمثله شيء ، وهم أهل العدل ، الباقون مشبهة ، وان اختلفوا في كيفية الباري وما هو من شيء .

وقال بعض من قال : ان الباري هو هذا الهواء المحيط بالأشياء ، ونفى ذلك آخرون ، وقالوا هو هذه الرياح العاصفة ، وكيف يكون الهواء والهواء له بعض ؟ وما كان له بعض فله كل وكله مجتمع في الحرارة ، والحرارة محيطة به ، وكل ذلك في العقل ، والعقل محيط بالهواء ، والهواء وما في الهواء من السماوات والارض ، وما فيهما في العقل كحلقة في أرض فلاة ، وهذا العقل خلقه في ارض فلاة ، وعبره بعض بالعقل الفعال ، وبعض عبره بالعقل الكلي .

وقولنا وقول اهل العدل ، اجمع ان الله ـ تبارك وتعالى ـ واحد ليس كمثله شيء ، والتوحيد هو الاقرار بالله ، والوصف له ، والتسمية بانه ـ عز

---

١ ـ الآية ـ ٢٤ ـ من سورة الجاثية

وجل ـ واحد لا خلاف بين احد من أهل الاقرار بالله ، العلة ان من وصف شيئا واحدا وافرده بالتسمية له فقد وحده ، ومعنى التسمية للموحدين بأنهم موحدون انهم مثبتون معبودهم ، انه واحد واذا قال واعتقد انه واحد ، ولم يقل ويعتقده أنه ليس كمثله شيء فهو كافر ، ولم يوحده بعد حتى يعتقد انه واحد ليس كمثله شيء قال الله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

فصـــل : من كتاب (النور) تأليف الفقيه عثمان بن عبدالله الأصم قال المؤلف : وأما جملة التوحيد هي ؛ ما ذكر الله ـ تعالى ـ من صفته في هذه الآية : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

وقال ابو المؤثر : من عرف الله ـ عز وجل ـ انه واحد ليس كمثله شيء فقد عرفه ، وهنا أقل ما يكون به الانسان موحدا .

قال المؤلف : فكل من لحد في الله ـ عز وجل ـ ومال به الهوى عن التوحيد ، فعليه التوبة والاستغفار ، وعليه ان يرجع يستمسك بهذه الجملة التي ابطلها بما ارتكبه من الكفر والالحاد في الله ـ عز وجل ـ ، وليرجع الى التمسك بهذه الجملة يعتقد انه ـ تعالى عز وجل ـ واحد ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وعليه ان ينفي عن الله ـ عز وجل ـ ما خالف جملة التوحيد التي بها يسلم من الهلاك ، وعليه السؤال عن بليته تلك التي وقع فيها حتى يرجع الى الحق والعدل من أمر التوحيد وبالله التوفيق .

(مسألة) : ومن تفسير قصيدة الشيخ فتح بن نوح المغربي النفوسي ، فان سأل سائل عن التوحيد ما هو؟ فقل : اما في جملته فضرب واحد ، وحقيقته افراد الله ـ عز وجل ـ ، وأما في تفسيره فضروب كثيرة مثل ؛ ان الله

---

١ ـ الآية ١١ من سورة الشورى

عالم وقادر ، وسميع وبصير حتى تصفه بجميع صفاته ، وتنفي جميع صفات الخلق .

والواحد في صفة الله ـ عز وجل ـ على اربعة معان : ـ

واحد في الذات .

وواحد في الصفة .

وواحد في الفعل .

وواحد في العبادة .

ومعنى واحد في الذات ؛ أي أن ذاته ليست بذات جسم فيوصف بالتجزئة والانعداد ومعنى واحد في الصفة اي ليس احد غيره يوصف بصفاته من الالوهية والربوبية ، والعلم والقدرة ، وسائر الصفات .

وواحد في العلم ، في العقل ، اي لا أحد يفعل كفعله من خلق الخلق ، وارسال الرسل ، وانزال الكتب ، وسائر أفعاله ـ عز وجل ـ .

وواحد في العبادة ، أي لا يستحق العبادة الا هو قال الله تعالى : ﴿**فإياي فاعبدون**﴾[1] ، فمن لم يعرف معنى الواحد في صفة الله ـ عز وجل ـ ، أو شك ان ما يوصف الله به على هيئته ، وما يذكر من الواحد في المخلوقين ، كان جاهلا بالله ـ عز وجل ـ غير عارف به ، ولا بريء من اعتقاد التشبيه لله ـ عز وجل ـ بخلقه .

(مسألة) : ومنه ؛ ويقال : الله عز وجل واحد على الحقيقة ، وواحد على حقيقة الوحدانية ، وعلى حقيقة الواحد ، ويقال واحد موحد لا كالواحد ، ولا يقال واحد لا كالواحد ؛ ويقال لله ـ عز وجل ـ موحد

---

١ - الآية ـ ٥٦ ـ العنكبوت

وموحد بالكسر والفتح ، موحد بالكسر في الأزل ، وفي غير الأزل بالفتح ، والموحد بالكسر هو الفاعل للتوحيد ، وبالفتح وحد نفسه ووحده الموحدون من عباده ، وحكي عن ابي خزرانة قال : كل من فعل التوحيد يقال له موحد ، والله فاعل للتوحيد .

(مسألة) : ومنه ؛ لدليل على ان الله واحد من القرآن قوله تعالى : ﴿**انما الله اله واحد**﴾[1] ومن القياس ابطال اتفاق الصنع من اثنين ، وقيل : اتصال التدبير ، وقوام الصنعة .

وقال الله تعالى : ﴿**لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**﴾ و﴿**اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض**﴾[2] .

ومن التوراة فيما زعموا : (اهيا شراهيا) ، أي (حي قيوم) .

ومن السنة جاء اعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : علمني من غرائب العلم ، قال : «وما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه» ، قال : وما رأس العلم ؟ قال : «ان تعرف الله حق معرفته» ، قال : «ان تعرفه بلا مثل ولا ند واحد احد ظاهر باطن» ، فذلك معرفة الله حق معرفته .

(مسألة) : ومنه فان قال قائل : ما الحجة على من زعم ان الآلهة اثنان أو ثلاثة فصاعدا ؟ قيل له : لا يخلو الاثنان فصاعدا يستطيع منع صاحبه عما خلق ، فاذا كانوا كذلك فقد صاروا كلهم مقهورين ، غير مستطيعين بخلق ما يريدون ، فمن كان هكذا فهو عاجز ليس له باله ، فان كانوا في القدرة سواء ، وقد اصطلحوا جميعا على الخلق ، قيل له : ليس احد يطلب الصلح الا لجر منفعة ، او لدفع مضرة ، فهم كلهم محتاجون ، والمحتاج الى غيره لا يكون الها ، والله تعالى لا يحتاج الى أحد ، فهو الغني الحميد .

---

١ - الآية - ١٧١ - من سورة النساء
٢ - الآية - ٢٢ - من سورة الأنبياء

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) الدليل على ان الله تعالى واحد ، وانه لا اله غيره ، وانه لا شريك له ، في الملك قوله تعالى : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾[1] ، فلا اله غيره ، ولا خالق سواه ، والدليل على ان الله خالق الأشياء ومحدثها ؛ لو ان نطفة وضعت بين ايدي الخلق جميعا ، يرونها ويمسونها ، لم يقدروا ان يخلقوا لها عظما ، ولا لحما ، ولا شعرا ، ولا بشرا ، ولا حياة ، ولا قدرة ، فكيف اذا كانت في ظلمة الرحم وبينها وبينهم الحجب الكثيرة ؟ فهم عن صنعها اعجز ، وعن تدبيرها ابعد ، فعلمنا ان من جعل النطفة خلقا هو الله الواحد الذي ليس كمثله شيء ، والله اعلم .

(مسألة) : التوحيد الوصف لله ـ عز وجل ـ والتسمية له ؛ بانه تعالى واحد لا خلاف بين أهل اللغة ، ان من وصف شيئا واحدا وافرده بالتسمية ، فقد وحده .

ومعنى التسمية للمسلمين بأنهم موحدون ؛ انهم يثبتون معبودهم واحدا ، والتوحيد الايمان لا شريك له والله الموحد .

والتوحيد أيضا ، الاقرار بالله ، والتسمية له بالوحدانية ـ سبحانه ـ لا إله إلا هو الواحد القهار .

وجملة التوحيد ان الله واحد ليس كمثله شيء ، والله اعلم .

(مسألة) : ومنه قال ابو المؤثر : من عرف الله ـ عز وجل ـ انه واحد ليس كمثله شيء ، فقد عرفه ـ تبارك وتعالى ـ ، وهذا أقل ما يكون به الانسان موحدا ، فان خطر بباله أجسم هو أم ليس بجسم ؛ أو محدود أو غير محدود ، أم يعاين بالأبصار أم لا يعاين بها ، أو سمع بذكر هذا ؟ فقد نزلت بليته ، وعليه ان يعلم ان الله ـ تبارك وتعالى ـ ليس بجسم ولا محدود ، ولا تحيط به

---

١ - الآية ـ ٩١ ـ من سورة المؤمنون

الاقطار ، ولا يرى بالأبصار في الدنيا ، ولا في الآخرة ، فان جهل ذلك فلم يدر أجسم هو أو ليس بجسم ، أو محاط به أو يرى أو لا يرى فقد هلك ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن كتاب (اهل المغرب) ؛ اعلم ان معرفة الله - عز وجل - لا تدرك بالحواس ، ولا بتقليد الذي يؤدي الى العلم الضروري ، وذلك ان جميع العالم ثلاثة أجناس : -

حيوان ذو عقل يتأتى منه الفهم والتمييز .

وحيوان عاقل لا يعقل التدبير .

وموات ظاهرة فيه اعلام الصنعة والتقدير .

وكل ما في الوجود من الأفعال يدرك بوجهين :

احدهما : يدرك بالمعالجة والتعليم ، كالصنائع الآدمية بأسرها من الخياطة والكتابة وسائرها .

والثاني : لا يدرك بالمعالجة ، كتصوير البشر من الماء ، وانشاء الشجر ، وغير ذلك من افعال الاختراع .

فاذا علم بدليل العقل ؛ ان الصنعة لا تقوم بذاتها الا بصانع صنعها ، وحكيم يخترعها ، علم ان النطفة لا تتصور بنفسها ابدا ، ورجلا وكلاما وعقلا ، فلو اجتمع الحيوان العقلي على ان يرد الى الجسد بعد تصويره اصبعا واحدا بعد زواله فضلا عن انشائه لعجزوا ، فاذا عجز الحيوان الذي يتأتى منه العقل والتمييز ، فغير العاقل اعجز ، واذ عجز الحيوان العاقل ، فالجماد الذي بمنزلة الموتى أبعد ، وأبعد ، فاذا ثبت ما ذكرنا بضرورة العقل ، صح ان المصنوعات لا تتصور بنفسها ، ولا تقوم بذاتها ، لكن بقدرة مكون الكائنات ، وخالق الارض والسماوات ، ﴿هو الذي احسن كل شيء

خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة﴾[1](الآية) .

(مسألة) : ومنه ، فان قال : فهل يحيط به علمك أو يضبطه وهمك ؟ قيل له : تعالى عن ذلك ؛ فقولك يحيط به يحتمل معنيين : ان كنت تريد (احيط به علما) بانه [موجود] فنعم ؛ وان كنت تريد (يحيط به علمي) بالمشاهدة والادراك جهرة فلا .

فان قال : ما معنى قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ولا يحيطون به علما﴾[2] ، وقد زعمت انك تحيط به علما بانه موجود ؟ قيل له : ان معنى قوله ـ عز وجل ـ : ﴿لا يحيطون به علما﴾ ، بما مضى امامهم ولا بما يأتي بعدهم ، الا ترى الى قوله : ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾[3] ، فيه دليل على ما ذهبنا اليه من تأويلنا ؛ انه أراد انهم لا يحيطون علما بما بين ايديهم ، ولا ما خلفهم ، وانه محيط بذلك يدلهم على ضعفهم ونقصهم .

فان قلت : فكيف يحيط علمك بما لايقدره عقلك ولا يضبطه وهمك ؟ قيل له : قد أخبرناك ان الاحاطة احاطتان :

احداهما : احاطة بالشيء بأثره ودليله .

واحاطة أخرى ادراك له جهرة ، ومشاهدة بالحواس ، والله تعالى تقدست اسماؤه لا يحاط علما بالجهر ، ولا تدركه مشاهدة الحواس ، وانما يحاط به علما بالدلائل والعلامات ، التي تبصرها العقول ، ويضطر الخصوم الى الاقرار بانه واحد ليس له شبيه .

فان قال : كيف يسكن قلبي الى اعتقاد ما لا يتصور في وهمي ولا يحصره عقلي ؟ قيل له : هلم نخاصمك الى نفسك ، فنقول لك : فلا ينبغي لنا أن نرجعك الى ما تعرفه من نفسك من عجائب ما يحل في جسمك من روحك ،

١- الآية ـ ٧ ـ من سورة السجدة
٢- الآية ـ ١١٠ ـ من سورة طه
٣ـ الآية ـ ٢٥٥ ـ من سورة البقرة

وعقلك في قلبك ، وحجة جوارحك المتصلة ببدنك ، هل يتصور شيء من ذلك في وهمك شبحا ماثلا في عقلك ؟ فاذا كنت مقرا بمثل ذلك في روحك ، وعقلك ، وحواسك من لطيف سمعك وبصرك ، الذي مع حلولها فيك معتقد ، لذلك مقر به ، وان كان وهمك لا يحصره ، وعقلك لا يقدره ، فكيف بالله الذي ليس كمثله شيء - عز وجل - ان يشبهه شيء ، ان يتصوره في عقلك ؟ وهو تعالى أبعد شبهة من جميع خلقه ، وايضا فان الأمور على جنسين : -

جنس منها ظاهر مدرك محسوس ، وجنس غائب لا يدرك بالحواس بمخالفته المحسوسات .

فالظاهر المحسوس مستغن بظهوره عن الدليل عليه ، ولا تنازع بين الحيوان في ادراكه ، وأما الامور الغائبة عن الحواس ، ففي العلم بها التفاضل والتباين ، فباستخراجها بأدلتها وجبت المعرفة للعلماء بها ، وبانوا من الجهال بادراكها ، فثبت وجودها باعلامها الدالة عليها ، فسكنت النفوس عند اعتقادها ، والاقرار بها ، وان لم تتصور في الأوهام اشباحا ماثلة ، ولو كانت الامور متصورة في الوهم مدركة بالحواس ، لم يجب التفاضل في العلم ، ولم يكن لازدياد العلوم معنى فهذا القدر كاف في هذا .

فان قال : فمن زعم انه يدرك بالحواس ما هو ؟ قيل له : قد ذكر في كتاب (السؤالات) انه مشرك ما خلا حاسة البصر في الآخرة ، من زعم انه يدرك بها فهو كافر منافق متأول .

فان قال : فهل يجوز على الله - عز وجل - يرى الألوان ويبصرها ؟ قيل : نعم ؛ على معنى يدركها (يعلمها) ويسمع الأصوات أي (يعلمها) .

(مسألة) : ومنه فكل ما تخيل في وهمك ، أو تكيف في عقلك ، أو تمثل في نفسك ، أو تكون في فكرك ، فاعلم ان الله - عز وجل - وصفاته بخلاف

ذلك ؛ لانه لا يدرك ببصر ولا بصيرة ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ لا يشبه المخلوقات في شيء من الصفات ، ولا يوصف بالسكون ، ولا بالحركات ، فكل حادثة في الوجود لا تخلو من ثلاث تقييدات : الجنس ، والزمان ، والمكان ، فهذه التقييدات هي حد العقول لا تتعداه ، وهو العجز عن التكييف ، وليس للعقول وراء ذلك مجال تجول فيه الا غموض الوحدانية ، وصفات الربوبية ، لا يطلع على ذلك الا الجبار الاعظم ، لا شريك له ، ليس البصر والبصيرة له بلاحظات ، ولا الأوهام له بلاحقات ، ولا العقول له بمكيفات ، ولا النفوس له بممثلات ، ولا الأفكار له بمخيلات ، ولا الاذان له بسامعات ، ولا الفوقيات له برافعات ، ولا التحتيات له بواضعات ، ولا السماوات له بكانفات ، ولا فوقيات العرش له بمجاورات ، ولا تحتيات الثرى له بمقابلات ، ولا جوانب الحوادث له بمحاذيات ، ولا الاعراض له بمحركات ، ولا الجواهر له بمجانسات ، بل هو رفيع الدرجات عن جميع المحدثات ، حي قيوم في السماوات ، ﴿**ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين**﴾ .

(**مسألة**) : ومن غيره ، ان قال قائل : اخبروني عن الله ـ عز وجل ـ ما هو ؟ قيل له : ان اردت ما هو (ان تسميه وتصفه) ، فهو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، العالم القادر ، الحي السميع البصير ، الرحمن الرحيم ، الرؤوف الكريم ، اللطيف الخبير العزيز الحكيم .

وان اردت بقولك [الدلالة عليه] فالسماوات والارض وما بينهما من آثار صنعه وتدبيره دالة عليه ، وقد قال سبحانه : ﴿**أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق**﴾[1] ، وقال : ﴿**أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شي**﴾[2] ، وقال :

---

١ - الآية ـ ٨٦ ـ سورة الروم
٢ - الآية ـ ١٨٤ ـ من سورة الأعراف

﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة﴾[1] ، وأشباه هذا في القرآن كثير ، دلالة على الله ، انه خالق ورازق ، وصانع ومدبر ، وانه ليس له مثل ولا شبيه ولا نظير .

وان اردت ما هو (من أي الأجناس) ؛ فالله ـ تعالى ـ ليس بذي جنس مؤلف ، ولا صورة ، لانه قال الخالق المصور لكل شيء : ﴿ليس كمثله شيء﴾[2] ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾[3] ، والله أعلـــم .

رجـــع

فصـــل : في النهي عن الفكر في الله ـ عز وجل ـ ؛ قال جابر بن زيد حدثني رجل من أئمة أهل الكوفة ، يكنى أبا أمية ، ان النبي ﷺ ، خرج على أصحابه وهم يتذاكرون ، فلما رأوا النبي ﷺ سكتوا ، فقال : «ما كنتم تقولون» ، فقالوا : تفكرنا في الشمس وفي مجراها ، فقال : كذلك فافعلوا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق» ، وزاد فيه الحسن : (ان الله لا تناله الفكرة) .

عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول ﷺ : (لا تتفكروا في الله فان في التفكر في غير الله شاغلٍ عن التفكر في الله فانه لا تدركه فكرة متفكر الا بتصديقه) .

(مسألة) : بلغنا ان عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مر بحلقة ، وفيهم رجل من اليهود يحدثهم فقال : وما يحدثكم ؟ فقالوا : يحدثنا عن التوراة ، وعن ربنا ، قال : وعن ربكم ماذا ؟ قالوا : يقول : ان الله خلق السموات والارض صعد الى السماء من بيت المقدس ، فوضع رجله على

---

١ ـ الآية ـ ٧٧ ـ من سورة يس
٢ ـ الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى
٣ ـ الآية ـ ٦ ـ من سورة طـه

الصخرة التي فيه ، وانه ينزل الى الدنيا في النصف من شعبان . فقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنا لله وإنا إليه راجعون (ثلاث مرات) ، ثم قال : اللهم لا كفر بعد ايمان ، ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾[1]، فهلا قلتم كما قال ابراهيم خليل الله ـ عليه السلام ـ : ﴿إني لا أحب الآفلين﴾[2] ، يعني الزائلين المتنقلين . ألا فاتهموا اليهود والنصارى على دينكم ، لا تصدقوهم على ما يخالف كتابكم ، فانهم سيضلون أكثر هذه الأمة ، الا ان ربكم ليس بزائل ، ولا متنقل ، ومن وصف الله زائلا فقد كفر ، ومن شبهه بشيء من الأشياء فقد كفر والله أعلم .

(**مسألة**) : قال ابو عبدالله : اخبرني المهلب بن سليمان انه قال بعض أصحاب النبي ﷺ : يا رسول الله ؛ ان الشيطان قد يوسوس لنا في الشيء حتى تبلغ بنا الفكرة في ذات الله • ان الله خلق كل شيء ، فمن خلق الله ، فقال النبي ﷺ : «ذلك محض الايمان» ، وخاطر القلب متعبد به الانسان ، كما متعبد بسمعه وبصره ، وشاهد ذلك من كتاب الله ـ تعالى ـ ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[3] ، فهو مسئول بما اعتقد بقلبه ، مثاب على ما اعتقد بقلبه ، فمن قال بقلبه واسر في نفسه ، ولم يلفظ بلسانه ، فقال تعالى : ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾[4] ، فقد كان قول في النفس بغير حركة باللسان اوجب الله عليه العذاب ، فقال : ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾[5] .

وقال النبي ﷺ فيما يروى عنه : «الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة» ، فلا يكون الايمان الا بهذه الأربع .

والكفر قول ، وعمل ، ونية ومخالفة السنة .

والدليل على أن المعصية لا تكون الا من قاصد اليها قول الله ـ عز

---

١ - الآية ـ ٨٩ ـ من سورة النساء
٢ - الآية ـ ٧٦ ـ من سورة الانعام
٣ - الآية ـ ٣٦ ـ من سورة الاسراء
٤ - الآية ـ ٨ ـ من سورة المجادلة
٥ - الآية ـ ٨ ـ من سورة المجادلة

وجل ـ ذكره : ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ [1] ، وروي عن النبي ﷺ انه قال : «ان الله يقول اذا همَّ عبدي بحسنة فان عملها كتبتها له عشرا الى سبعمائة وعند الله أضعاف كثيرة» ، وقيل : الأضعاف الكثيرة الف الف . «وان لم يعملها كتبتها واحدة واذا همَّ بالسيئة فان عملها كتبتها واحدة وان لم يعملها لم اكتبها» ، وقيل من نوى ان يعمل كبيرة ثم مات ، ولم يتب عن تلك النية ، ولم يكن عملها لكان هالكا ، والله اعلم .

ومن شرح قصيدة الشيخ فتح بن نوح المغربي النفوسي ، تقدس عن حدّ تنزه ان يكون ذا حد فيتناهى ، لان كل ذي حدّ له نهاية ، وكل ذي امد له غاية ، والله تعالى ليس بذي حد فيتناهى ، ولا بذي امد فيفنى ، ولا بذي أين فيناء ، ولا بذي حيث فيحوى ، ولا بذي قدر فيرى ، ولا بذي كيف فيمثل ، وتجري عليه بدائع العلل ، فالمعرفة ان كل ما جاز على غيره لا يوصف به .

(مسألة) : فان قال قائل : لِمَ أنكرت أن يكون الله جسما لا كالأجسام وقد قلتم انه شيء لا كالأشياء ؟ قيل له : ان قولنا شيء اثبات ، وما ليس بشيء فهو عدم ، والجسم انما هو مقصور على التجزئة والتبعيض ، وتجري عليه الحركة والسكون .

فان قال : ولم قلتم : انه ليس بصورة ؟ قيل له : ان الصورة تدل على مصور صورها ، وعلى مخطط خططها ، فما كان كذلك فاعلام التدبير فيه قائمة ، وكل ما كان فيه دلائل الحدث فهو حدث .

فان قال : ولم أبيتم أن يكون نورا لا كالأنوار ؟ قيل له : قولك : [نور] يحتمل معنيين : ان كنت تريد [الله نور لا كالأنوار] تريد الله [هاد لعباده] لا [كسائر الهادين] ، فقد أصبت في معناك ، وأخطأت في ارسالك هذه اللفظة لما يوهم منها ، وانما يقال : [الله نور السموٰات والارض] .

١ - الآية ـ ٥ ـ من سورة الاحزاب

وان كنت تريد [الله نورا] أي [بياضا وضياء] فتعالى الله عن ذلك ، لأن النور والبياض من صفة الأجسام ، وقوله : [وجل عن التكييف] يريد أن الله - عز وجل - لا يكيفه العقل ، ولا يحقره بصورة الوهم ، لان العقل لا يتكيف فيه الا ما له مثال ، أو يدرك جهرة ، والله تعالى ليس له مثل ولا كيف .

وكل ما غاب عن الحواس لا يتصوره في الوهم والكيف يجري على وجهين : على الألوان فيقول : كيف هو ؟ فيقال : أحمر أصفر ، والثاني يجري على الحدود والأحداث ، ان تقول : كيف هو ؟ فيقال : طويل عريض ، صحيح سقيم ، فهذان تشبهه صنعته ، والصنعة لا تشبه الصانع علما عقليا لا سبيل الى دفعه ؟ .

فصــل : وبلغنا ؛ ان بني اسرائيل اجتمعوا في زمانهم في سبعين رجلا من فقهائهم وعلمائهم، واهل النظر منهم ، وكل واحد منهم يحسن سبعين لغة ، وفيهم واحد اعلمهم كلهم يحسن سبعة وسبعين لغة ، فبلغه خبر اجتماعهم في بيت فأتاهم ذلك العالم الذي هو أعلمهم ، فقال لهم : لم اجتمعتم ؟ قالوا اجتمعنا لعلنا نبلغ ربنا كيف هو بغير مخلق ، وبغير تحقيق الأيمان بالغيب ؟ فقال لهم العالم : ادركتم كيف هو؟ قالوا : قسنا ودبرنا ونظرنا ، ووجدنا حواسنا وجوارحنا ، لا تدرك الا مخلوقا ، لانها مخلوقة ، ولا نعرفه الا بتحقيق الايمان بالغيب ، قال لهم العالم : الآن عرفتم ربكم حين لم تبلغه جوارحكم .

وبلغنا ان نافع بن الازرق سأل ابن عباس ؛ فقال : اخبرني عن ربك اين هو؟ قال ابن عباس ثكلتك امك يا ابن الازرق ؛ ان الله لا كيف له غير الخلق ، وهو الخالق لكيفيتهم ، وهو بكل اين ، يعني [بكل مكان] قال : فسكت عنه ابن الازرق فقال ابن عباس : لا تمضي الليالي والأيام حتى يتفقه قوم في الشرائع ، وهم عن توحيد الله غافلون ، قوم يصفون ربهم بصفات البشر ، ويسمون من خالفهم كافرين . وهم أولى بذلك يختلفون من بعد ما جاءتهم البينات ، ويأخذون بالشبهات وروايات أهل الكتاب ، ويسمون

المتفقهة وهم ليسوا كذلك ، فعند ذلك تمنع السماء قطرها ، والارض نباتها ، وتنقص من اطرافها ، فعند ذلك يحبط الله أعمالهم ، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب :

وبلغنا ان يهوديا سأل علي بن أبي طالب فقال : يا علي ؛ متى كان ربنا ؟ فقال له علي : انما يقال : متى كان لشيء لم يكن ، فكان والله ـ تعالى ـ كائن بلا كينونة كان ، كائن بلا كيف ، ولم يزل بلا كيف ، ليس له قبل ، وهو قبل القبل ، بلا قبل غاية ولا منتهى غاية ينتهي اليها غاية ، انقطعت الغاية عنده ، فهو غاية كل غاية ، وقال النبي ﷺ ؛ «ان الله لا يعرف بالأمثال والأشباه وانما يعرف بالدلائل والأعلام الشاهدة على ربوبيته النافية عنه آثار صنعته» ، وقوله ـ عز وجل ـ عن التكييف والحيث والأين :

والله ـ عز وجل ـ ليس له كيفية ولا تجري عليه الحيثية ، لا يوصف بالأين ، وهو بكل أين .

وبلغنا عن اسماعيل بن مسلم المكي قال : سمعنا الحسن يقول : سمع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلا يقول : والله حيث كان ، فقال له عمر : ويحك كأنك تنسبه ان الله بكل مكان ، وفي حديث حماد بن زيد فعلاه بالدرة فقال : أوليس هو بكل مكان ؟

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ان قال قائل : اذا كنت تعلم الأشياء التي يعلمها الله ـ تعالى ـ فما الفرق ؟ قيل له : اني علمت الأشياء على ضربين : مشاهد ودليل .

فالمشاهد مثل السماء والارض ، وغير ذلك .

والدليل فمثل الروح والسمع والموت ، واشباه ذلك والله تعالى علم الأشياء لا بدليل عليها ، وعلمها بخلاف ما علمتها ، لأني علمتها بالمقابلة والمحاذاة ، وغير ذلك مما بيني وبينك مسافة ، وكل ذلك لا يجوز على الله تعالى .

وضرب آخر اني علمت الأشياء بعد اذا كنت بها جاهلا ، واعلمها بآلة فاذا حلت بي الآفة عاد علمي بها جهلا ، والله تعالى لا يجوز عليه ذلك ، والله اعلم .

(مسألة) : ان قال قائل : اذا قلت : ان الله ـ تعالى ـ يحدث الشيء لا من شيء ، وأنت تحدث الشيء لا من شيء ، فما الفرق ؟ قيل له : بيني وبينه فرق كثير .

احدها ؛ اني أحدث الشيء لا من شيء بآلة ، وارادة ضمير ، وجولان فكر ، وحركة وسكون ، والله تعالى يحدث الأشياء لا بشيء من ذلك .

وفرق آخر ؛ اني افعل الشيء ولا اعلم عواقبه الام يؤ ول .

وفرق آخر ؛ اني لا افعل الا لاجتلاب نفع أو دفع ضر .

وفرق آخر ؛ اني افعل الشيء على انه صواب ، فيكون خطأ ، أو على انه خطأ فيكون صوابا ، وكل هذا منفي عن الله ـ تبارك وتعالى ـ .

فان قال : فما الذي فعلته لا من شيء ؟ قيل له : فعلت الصلاة لا من شيء ، لان الصلاة لم تكن موجودة قبل ان اصليها ، ولو كانت موجودة كنت مصليا ، وان لم أصل فكأن لا فرق بين من صلى وبين من لم يصل ، وكذلك الصوم ، والزكاة ، والحج ، وجميع ما افترضه الله ـ تعالى ـ ، وكذلك سائر افاعيل العبيد ، ألا ترى ان الرجل يقتل الرجل فيقاد به ، أوتؤخذ منه الدية ، فلو كان القتل موجودا قبل فعله ، لكان المقتول مقتولا قبل ان يقتل ، ولم يجب على القاتل شيء لانه لم يفعل شيئا ؟ ففعل الشيء من شيء لا يجوز على ما تقوله الملحدة .

ويفعل الرجل القيام والقعود ، وغير ذلك من فعله ، وكل ذلك لا من شيء ، وقد يفعله من شيء ؛ لانه يفعل قياما في نفسه ، وقعودا في نفسه ، وقتلا في غيره .

ومن احدث ما لم يكن ، فقد احدث الشيء لا من شيء والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب [منهج الطالبين] الدليل على قدم الله ـ تعالى ـ ؛ كونه قبل الحدث ، لان معنى الحدث ما لم يكن ثم كان ، ومعنى القديم ، ما كان بغير تكون فهو الله ـ سبحانه ـ ، لانه كان ولا شيء معه ، ثم كون الأشياء فلو لم يكن قديما ، لكان محدثا مفتقرا الى محدث يحدثه ، وافتقر محدثه الى محدث ، وتسلسل ذلك الى غير نهاية ، وما تسلسل لم يتحصل وينتهي الى محدث قديم ، وذلك المطلوب الذي هو صانع الأشياء وبارئها ، ومحدثها وموجدها الأول ، والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ؛ والله أعلـــم .

(مسألة) : من كتاب (النور) الدليل على حدث الاشياء ؛ انها لا تخلو من أن تكون أحدثت أنفسها ، أو احدثها محدث ، فان كانت احدثت نفسها ، لم تخل من أن تكون أحدثت انفسها وهي عدم ليست بشيء ، أو أحدثت أنفسها وهي موجودة ، فان كانت احدثت انفسها وهي عدم غير موجودة فمحال ان يفعل من لا شيء موجود شيئا موجودا ، لأن المعدوم لا يفعل شيئا ، وان الوجهان لا يجريان على الله ـ عز وجل ـ .

فان قال قائل : من أي السبيل يعرف ؟ قيل له ؛ انما يعرف بالدلائل الدالة على ربوبيته ، ولا يعرف من جهة ما يعرف به الخلق ؛ لأن الخلق انما يعرف كل شيء منه من جهة سبيله .

فالخلق كله خمسة اصناف : ـ

منها الألوان وسبيله ؛ الذي به يعرف هي الابصار .

وصنف منه الاصوات ، وسبيله الاسماع .

وصنف منه الطعوم ، وسبيله الالماس لعله اراد الذوق .

وصنف منه بالأيدي ؛ وسبيله الالماس .

قال غيره : وصنف منه المشموم ؛ وسبيله الأنف .

رجــع ؛ فهذه الأشياء تعرف من هذه الأسباب ، فاذا ادركت الأشياء المختلفة من قبل هذه الأسباب فهذه دلائل على معرفة الرحمن الرحيم ، الذي ليس كمثله شيء .

وأما الأسباب التي يدرك بها الدلائل ، فلا يدرك الرب ـ تعالى ـ بها ، وذلك لأن البصر ليس له اليه سبيل ؛ لانه تعالى ليس بلون ، انما سبيل البصر الى اللون خاصة ، وسبيل السمع الى الصوت خاصة ، وليس هو بصوت . وسبيل الذوق الى الطعم خاصة ، والله ـ تعالى ـ ليس بطعم ، وسبيل الشم الى الرائحة والله ـ تعالى ـ ليس كذلك ، وسبيل اللمس الى الليانة والخشونة والحرارة والبرودة ، فليس هو شيئا من هذه الأشياء ـ تعالى الله ـ عن ذلك علوا كبيرا .

انما يعرف ربنا بالآيات وبتثبت العلامات ، التي جعلها في كبير الخلق وصغيره الدالة على ربوبيته ووحدانيته .

فان قال : فكيف يعتقد قلبي من لا يدركه وينطوي على من لا يكيفه ؟ قيل له : اتقدر على تكييف روحك ، وعقلك وفعلك ، وصحتك ، وحياتك ، وسائر المخلوقات المركبة فيك من الغضب والحزن والفرح وسائرها ، أم تقدر على وصف شيء من ذلك ؟ فان وصفت شيئا من هذه الأشياء بكيفية تدل عليها كابرت عقلك ، وان اقررت بالعجز عن تكييف المخلوق الذي له أمثال ؛ فكيف بمن ليس كمثله شيء ان كانت احدثت انفسها وهي موجودة فمحال ايجاد الموجود ، لأن الموجود اذا وجد فقد كفى عن ايجاده ثانية ، فلم يبق الا انها محدثة احدثها ، ومحدث اخرجها من العدم الى الوجود ، وهو الله ـ عز وجل ـ .

ومما يدل على ان الأشياء لم تحدث انفسها ، انا قد نراها في حال وجودها وكمالها وقوتها ، لا تقدر ان تخلق من النطفة جسما ، فاذا كانت في حال وفورها

وقوتها وصحتها وكمال خلقها ، لم تقدر على خلق جسم وان صغر ذلك الجسم ، ولو ذرة فكيف تحدث انفسها وهي عدم ؟

وقد قال الله تعالى : ﴿**ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**﴾ [1] ، فمن أضعف ممن اذا سلبته الذبابة شيئا لا يقدر ان ينزعه منها فكيف ان يخلق خلقا ؟

(**مسألة**) : ان قال قائل : اخبروني اخلق الله الأشياء من شيء أم من لا شيء ؟ قيل له : لا من شيء خلقها ؛ لانه ان كان خلقها من أصل كان معه ، فليس يخلو ان يكون ذلك الأصل خلق من شيء كان قبله ، او خلق من لا شيء قبله ، وكان الكلام في ذلك الشيء كالكلام في الأصل ، وهذا يؤول الى الفساد ، والى ما لا يصح ، ولا يجوز ؛ لأن هذا يؤدي الى ما لا نهاية له .

وان قال : خلقت الأشياء من أشياء كانت قبلها لم يتوقف عند آخر ذلك ، ولم يجهل العلم به ، وثبت ان الله ـ تعالى ـ خلق الأشياء واخترعها واخرجها من العدم الى الوجود ، لا من شيء ؛ لانه اذا كان لا بد من القول بأحد الوجهين ، وفسد احدهما ، صح الآخر .

فان قال : فما يدريكم لعل الأشياء أحدثت نفسها ؟ قيل له : لو كانت أحدثت نفسها ، لا تخلو من أن تكون أحدثت نفسها في حال وجودها او عدمها ، فان كانت احدثت نفسها في حال وجودها ، فوجودها يغني عن ايجادها مرة اخرى ؛ لأن الوجود مستغني عن الوجود ، وانما يوجد المعدوم فيصير موجودا بعد ان كان معدوما .

ولو كانت احدثت نفسها في حال عدمها ، لكان المعدوم فاعلا للوجود ، ولو كان كذلك لكان لا فرق بين المعدوم والموجود في العلم ، والفعل والارادة ، فلما بطل ان يكون المعدوم يفعل شيئا ، أو يحدث منه شيء ، صح ان الأشياء انما احدثها محدثها ونقلها من العدم الى الوجود ، وهو

١- الآية ـ ٧٣ ـ من سورة الحج

الله ـ سبحانه وتعالى ـ ؛ والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب (منهج الطالبين) الدليل على ان الله ـ تعالى ـ منزه عن الاختصاص بالأمكنة ، والجهات ؛ لأن الجهة إما فوق ، وإما أسفل ، واما يمين أو شمال ، أو قدام ، أو خلف ، وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها ، ولو اختص بجهة منها لكان متحيزا محدودا ، كاختصاص الجواهر والأجسام وتحيزها بالأمكنة والجهات ، وقد اثبت استحالة كونه جسما أو جوهرا ، فاستحال كونه مختصا بجهة .

فمن زعم : انه مختص بجهة فوقية ؛ قيل له : لو كان فوق العالم بجهة ، لكان محاذيا له ، وكل محاذ لجسم فلا بد ان يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر ، ذلك تقدير يخرج على مقدر يتعالى عنه الواحد المدبر .

واما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء ؛ فهو لانها قبلة الدعاء ، وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء ، تنبيها بقصد جهة العلوّ الى صفة المجد والعلا ؛ فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن كتاب (شرح الاصول الدينية) المضافة للشيخ ابي نصر فتح بن نوح الملوشاي النفوسي ـ رحمه الله ـ تأليف عمنا اسماعيل الحكالي النفوسي ـ رضي الله عنه ـ .

فصــل : ويقال : الله ـ عز وجل ـ في كل مكان .

فان قال : ما معنى قولك بكل مكان ؟ قيل : ذلك معنى الاحداث لها ، والزيادة فيها والنقصان ، وهو مشاهد لذلك لا يغيب عنه شيء من الأشياء ، وفي كل الخلق ، وفي كل العالم كله جائز ، ويقال : هو في السمٰوات والأرض ، كما قال الله تعالى : ﴿وهو الله في السمٰوات وفي الأرض﴾ [1] ،

---

١ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة الانعام

ولا يقال هو في الدنيا ، ولا في الليل ، ولا في النهار ، ولا في السنة ، ولا في الشهر ، ولا في اليوم ، ولا في الوقت ، ولا تمرّ عليه الأوقات ، والأيام ، يتعالى عن ذلك ، ولا يقال هو في الأجسام دون الاعراض ، ولا في الأعراض دون الأجسام ، يقال : هو في الأجسام والاعراض .

(مسألة) : فان قال قائل : اخبرني عن الله - عز وجل - أليس عندكم في كل مكان ؟ قيل له (نعم) .

فان قال : أوليس الاماكن كلها محدودة عندكم وهو غير محدود ؟ قيل له (نعم) .

فان قال : فكيف يكون غير المحدود في المحدود ؟ أوليس كونه في المحدود مما يوجب انه محدود ؟ قيل له : ليس كونه في الاشياء على ما توهمت من كون الشيء في الشيء على الوعاء والظرفية ، انما كونه في الاشياء على الاحاطة والتدبير والزيادة ، والنقصان والفناء ، والبطلان ، فمن كان في الاشياء على غير حواية ولا اجتنان فليس هو بمحدود .

فان قال : أوليس في لغة العرب انما لفظة (في) على الوعاء والتحديد ، كما يقول زيد في الدار اي (هو فيها) على معنى (الدخول فيها) والسكون والتمكن واحاطة الدار به ؟ قيل له : ان لفظة (في) في لغة العرب تخرج على (التحديد) ، اما (التحديد) فكقوله - عز وجل - : ﴿**فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾ [1]. وكقوله : ﴿**وفيها نعيدكم**﴾ [2] على احاطة الارض بتأخر كل الوجوه ، وقوله : ﴿**اذ هما في الغار**﴾ [3] وما اشبه ذلك .

واما على غير (التحديد) فكقول الله - عز وجل - : ﴿**وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله**﴾ [4] (الآية) على معنى التدبير والحفظ والزيادة

---

١ - الآية - ٢٥ - من سورة الاعراف
٢ - الآية - ٥٥ - من سورة طـه
٣ - الآية - ٤٠ - من سورة التوبة
٤ - الآية - ٨٤ - من سورة الزخرف

والنقصان ، مثال ذلك في لغة العرب (الناس في الصلاة) ، (امير المؤمنين في رد المظالم) ، (فلان في عمله) ؛ لأن من كان في شيء لم يقطعه جاز في اللغة ان يقال : هو (فيه) اي (يفعله) ويصنعه ؛ لأن فعله ذلك وصلاته مكان له كالارض والدار ، وما شاكلهما ؛ لأن فعله وصلاته تلك اعراض ليست باجسام ، فنقول : (هو فيها) ككون الجسم في الجسم ، فلما كانت السماء والارض وجميع الخلق تدبيرا لله ـ عز وجل ـ وفعله ، جاز ان يقال : الله ـ عز وجل ـ في كل مكان مدبرا صانعا خالقا ، لأن الأمكنة وجميع الخلق فعله ، فكان فيه على الحفظ كما قال تعالى .

وقد قال الشاعر في هذا المعنى :

ففي كل عام زفرة مستحدة   تضمنها مني حشا وضلوع

وربما تخرج لفظة (في) في القرآن وفي لغة العرب على معنى (مع) قال الله تعالى : ﴿**واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة**﴾ [1] ، اراد (معهم) ، وقال تعالى : ﴿**وجعل القمر فيهن نورا**﴾[2] ، اي (معهن) وتأتي ايضا ، بمعنى (على) ، كما قال الله ـ عز وجل ـ ﴿**ولاصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [3] ، وقال الشاعر :

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة   فلا عطشت شيبان الا باجذعا

اراد (على) جذع نخلة ، فاذا كانت لفظة (في) تتصرف في لغة العرب على هذه الوجوه ، فلمَ لا يكون كونه ـ عز وجل ـ في الاشياء ، وفي الخلق ، والاماكن على غير معنى (الحلول والتحديد والتحيز) وغير ذلك من صفات الأجسام ، تعالى الله عما يقول الغالون علوا كبيرا .

(**مسألة**) : فان قال : اخبرني عن الله ـ عز وجل ـ في اي شيء كان قبل ان يخلق الاشياء وفيما يكون اذا هو افناها ؟ قيل : ان السؤال متناقض

١- الآية ـ ١٠٢ ـ من سورة النساء
٢- الآية ـ ١٦ ـ من سورة نوح
٣- الآية ـ ٧١ ـ من سورة طه

لأنك سألت في اي شيء يكون ، فاثبت الاشياء بقولك ثم قلت قبل وجود الاشياء ، وبعد فنائها ، فابطلت الاشياء فاجتمع الاثبات والابطال ، في مسألة واحدة فسقطت لذلك .

فان قال : فأين كان قبل ان يخلق الخلق ؟ قيل له : ان الله لم يزل قبل الأين ، والأين المكان .

فان قال : كيف كان قبل ان يخلق الخلق ؟ قيل له : كان ما هو عليه من حقائق صفاته غير متغير في ذاته .

فان قال : ولِمَ لم يتغير اذ خلق الخلق ؟ قيل له : تعالى عن التغيير ؛ لأن ذلك من صفات المحدث المصنوع ، والله تعالى قبل ان يخلق الخلق ، واذ خلق الخلق ، على ما كان عليه غير متغير ولا متنقل .

فان قال : فخبرني عن الله ـ عز وجل ـ اذ احدث الخلق أفي نفسه احدثه ام في غيره ؟ قيل : ان الله يتعالى ان تحل فيه الافعال ، أو تحدث فيه الاشياء ، لأن الاشياء انما تحدث في الامكنة ، والامكنة اجسام ، والله تعالى ليس بجسم ، فتحله الحوادث .

فان قال اخبرني أيقوم الخلق بغير خالق ؟ قيل له : ان الخلق لا يقوم الا بالخالق ، على معنى الانشاء له ، والتدبير والامساك ، دون الحلول فيه تعالى الله عن ذلك .

فان قال : فاين احدث الخلق وفي اي شيء حل اذ لم يكن موجودا في الخلق تعالى عن ذلك ؟ قيل له : اما ما كان من الأجسام ، فبعض حالٌ في بعض ، وذلك ان الاجسام هي الامكنة ، فبعضها مكان ببعض ، واما صفات الاجسام فكل شيء ليس بجسم كالحركات والافعال ، وما اشبه ذلك ، فانها موجودة في الاجسام .

فان قال : أرأيت ان زعمت ، ان الله خلق الاجسام بعضها في بعض ، وان الاماكن هي الاجسام ، فهل من جسم لا في مكان ؟ قيل له (لا) .

فان قال : هل للامكنة غاية ؟ قيل له : (نعم) .

فان قال : خبرنا عن المكان الذي هو الغاية ؛ هل هو في مكان ؟ قيل له : (نعم) ؛ هو في المكان الذي يليه من داخل العالم ، متصل به ، والله اعلم واحكم .

(مسـألة) : ويقال : الله كان قبل الاشياء وبعدها ، فان قال : هل يجوز القبل والبعد على الله ؟ قيل له : لا وانما اثبتنا القبل والبعد للأشياء ، بقولنا ؛ قبل الاشياء وبعدها ، ولم نقل : قبل الله ولا بعده ، ويقال ، الله كان قبل قبل وجود الاشياء ، وبعد بعد فناء الاشياء ، ومعنى ذلك لو ضاعفته ما شئت معنى واحد ، ويقال كان الله اذ ولا شيء وكان الله ولا شيء ، وكان اذ ولا شيء خلق ، وكان ولا خلق ، ولا يقال كان في لا شيء ، ولا كان في لا خلق ، ولا كان في غير شيء ، ولا كان في غير الخلق .

فان قال قائل : أولست تقول كان الله في الازل ؟ قيل له : (نعم) .

فان قال : أوليس الأزل لا شيء ولا خلق ؟ قيل له : انك اذا قلت : ان الله كان في الأزل لم يذهب وهم احد ان الله في شيء ، ولا في خلق ؛ لأن الازل معناه عدم الاشياء ، وعدم الخلق ، ويقال : الله في الازل كائن وموجود ، وشيء ، معنى ذلك كله الاثبات .

فان قال : اخبرني عن كونه في الازل ؛ أهو كونه عندما احدث الاشياء وعن كونه بعد ما احدثها أهو كونه اذا هو افناها ؛ قيل له : ان كونه - عز وجل - ووجوده ليس هو شيء غيره قبل ما احدث الاشياء ، وعندما احدثها ، وبعد ما افناها ، فاما كونه في الاشياء فهو غيره ، وهو احداثه لها وتدبيره اياها .

(مسـألة) : فان قال قائل : فما معنى قولكم الله بكل مكان ؟ قيل له : معنى ذلك ؛ انه موجود غير معدوم ، ولا غائب ، وهو تعالى في الاشياء مدبر محيط عالم على غير اجتنان فيها ، ولا مماسس لها .

فان قال : كيف يفعل شيء يكون في الاشياء غير مماسس لها ، ولا اجتنان فيها ؟ قيل له : كما كان جل اسمه بخلاف ما يفعل من كون الشيء في الشيء على المماسة ، مع انا قد نجد اشياء يكون في بعضها الاشياء على غير مماسة ، وذلك انا اذا قلنا ، فلان في الصلاة ، وفلان في الحج ، لم يذهب الى انه مماس للصلاة ، والحج ، لأن الصلاة ليست بجسم ، فيجوز عليها المماسة ، وانما يذهب الى فلان اهو مصل فاعل لصلاته مؤد لحجه ؟ وكذلك يجوز لنا ونقول : بأن الله في الاشياء مدبر لها ، وان كان بخلاف الخلق غير ان مرادنا الدلالة على ان الشيء قد يكون في الشيء على غير مماسة .

(مسألة) : فان قال : اخبرني حيث انقطعت الاشياء ، هل يوصف الله انه تم ام مضى عنها ؟ قيل له : لا يجوز مضى ، ولا بقي ، وانما يجوز ذلك على الاجسام التي لا تنفك من الحدود والاقطار ، والعرض ، والطول والهيئات ويجري عليه التجزيء والانقسام ومرور الاوقات غير متفكه من الجهات ، فقولك حيث انقطعت الاشياء هو ما ليس بخلق ولا مكان ، ولا شيء من الاشياء ، فقلت : هل يوصف ثم اسما به موجود هناك فصار اول كلامك ناقضا آخره ، وآخره ناقضا أوله ، وليس وجود الله في الاشياء كوجود الاشياء بعضها في بعض ، فيلزمه ما يلزم الاشياء من العرض والطول ، والحدود والاقطار ، يتعالى الله عن ذلك .

(مسألة) : فاخبرني عن الجنة والنار ، هل يوصف الله بانه ، ثم قيل له : قد فرغنا من هذا الجواب ؛ فان الله تبارك وتعالى صانع لكل مكان ممسك له ، قادر عليه ، فلا يكون في موضع من المواضع ككون الشيء في الشيء من اماكن الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، ما خلا القول بان الله في السموات والارض ، اتباعا لقوله عز وجل : ﴿وهو الله في السموات وفي الارض﴾[1] وقوله : ﴿وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله﴾[2] وما سوى ذلك من

١ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة الانعام
٢ ـ الآية ـ ٨٤ ـ من سورة الزخرف

الاماكن والخلق ، انما يقال : انه في كل مكان ولا يقصد الى مكان دون مكان ، ولا الى شيء من الاشياء ، فيقال : انه فيه ، لأن ذلك يوهم التحديد له ، تعالى الله عن ذلك ، ومع ذلك لا ينفى عن مكان من الاماكن ، ولا عن شيء من الاشياء .

فيقال ليس فيه ، وكذلك لا يقال : ان الله في الاشياء الماضية ولا في الاماكن الفانية ، وكذلك الاماكن الجائية التي لم توجد بعد من اماكن الآخرة ، والجنة والنار ، فان ذلك يوهم ان غير الكائن كائن ، وان الفاني من ذلك موجود غير فان .

فان قال : ما معنى قولهم في التوحيد ، ويقال : ان الله خلا من الاماكن ، ولم تخل منه الاماكن ؟ قيل له : ان الله خلا من الاماكن ؛ اي لم تتمكن فيه الاماكن ، ومعاذ الله ان يكون مكانا لشيء من الاشياء ، وتكون ذاته محلا للمعاني كما زعم قوم من اهل الخطأ ان ذاته ـ عز وجل ـ محل للصفات ، وهي مع ذلك متغايرة ، فجعلوه تعالى مقاما للاشياء المتغايرة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

واما قولهم ولم تخل منه الاماكن ، اي انه عز وجل في الاماكن على التدبير ، والحفظ من الزوال كما قال تعالى : ﴿**ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا**﴾[1] وقال : ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾[2] ، فلهذا المعنى الذي فسرناه صار هذان الوجهان توحيدا ، واما قولهم فيمن قال : ان الله لا يخلو من الاماكن وخلت منه الاماكن ، فهذان الوجهان شرك ، فان معنى قولهم لا يخلو من الاماكن اي ان الاماكن حالة فيه وموجودة به ؛ لأن لا يخلو ولا ينفك ، ولا يتعرى معناها واحد ، وقولهم خلت منه الاماكن يريد انها منفكة من ان يكون الله خلقها ، وجعلها على ما هي به من اتفاق ما اتفق منها ، واختلاف ما اختلفت .

---

١ ـ الآية ـ ٤١ ـ من سورة فاطر
٢ ـ الآية ـ ٣٨ ـ المدثر

فمن زعم ان الله غير خال من الاماكن ، ولا عار منها ، فقد وصفه ـ عز وجل ـ بأنه وعاء للاماكن ـ تعالى الله ـ عن ذلك علوا كبيرا .

فمن كان وعاء للاماكن فهو جسم من الاجسام ، وايضا لو كان الله ـ عز وجل ـ غير خال من الاماكن لوجب ان الاماكن معه وقديمة لم تزل فهذا كله شرك .

(مسألة) : فان قال : الله مباين لخلقه أو مماسس له ؟ قيل له : ان المماسة منفية عن الله ـ عز وجل ـ لما قدمنا قبل هذا ، وأما قولك : مباين فيحتمل معنيين :

ان كنت تريد مباين لخلقه (بينونة معزل وبعد مسافة) ، فذلك منفي عن الله ـ عز وجل ـ .

وان كنت تريد (بينونة مخالفة لهم وبعد شبهة منهم) فنعم ، الله مخالف لخلقه ، ولا يشبهه خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والله اعلم واحكم ، انقضى الذي من كتاب (اهل المغرب) .

(مسألة) : ومن كتاب (بيان الشرع) ان الله سبحانه وتعالى كان ولا مكان ، ولا انس ولا جان ، ولا جماد ولا حيوان ، متفردا على طول الدهر والأزمنة ، لا يحل في البقاع ولا الامكنة .

حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه الاقطار ، وهو الله الذي لا اله الا هو الواحد القهار ، عالم بما يكون قبل كونه ان لو كان كيف كان يكون متعاليا عن التحديد ، هو الأول والآخر ، الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ولا غاية ، ومن كان ذا نهاية وبداية فهو مخلوق والله هو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

(مسألة) : ومنه ؛ قال ابو عبدالله : يا من هو في كل مكان ، ثم قال ليس المعنى في هذا بصورة ولا بجسم ، ولكن بعلمه في كل مكان .

(مسـألة) : ومنه ؛ عن الربيع بن يزيد عن بعض اشياخه ، قال من قال : ان الله في السماء فجائز ، ولكن لا يقول ليس هو في الارض ، لأن الله يقول : **﴿وهو معكم اينما كنتم﴾** [1] وقال : **﴿وهو الله في السموات وفي الارض﴾** [2] وقال : **﴿وهو الذي في السماء إله وفي الارض اله﴾** [3]

(مسـألة) : قال ابوعبدالله : لا يقال : كان الله ولا شيء ، ولكن يقال لم يزل الله ولا شيء ، قال غير المؤلف للكتاب ، والمضيف اليه : حسن ما قال الا انه موجود في الآثار جواز ذلك .

(مسـألة) : ومنه ؛ قال النبي ﷺ «ألا أحدثكم بملك اذن الله لي ان اخبركم » ، وعنه في الحديث ان « قرنه تحت احدى زوايا العرش وقدماه في الارض السابعة والذي نفسي بيده لو سخرت الطير من اصل عقبه الى منتهى هامة رأسه لخفقت الطير سبعمائة سنة قبل ان تجاوزه وانه ليقول سبحانك يا رب اينما كنت لا يعرف اين ربه » .

وتفسير ذلك انه ليس لله منتهى ولا أينية ، والملك يعلم ان الله معه ، وانه في كل مكان ، ولكن لا اينية له ، ولا كيف ، ولا يخلو منه مكان .

(مسـألة) : من كتب بعض اهل المغرب من اصحابنا : الله تعالى قريب غير ملتزق ، بعيد غير منفصل ، وذكرت العلماء فيما وجدت في تأويل الوصف لله ـ عز وجل ـ على معنى الأحتمال في قريب وبعيد خمسة أوجه :

احدها : ان المعنى في ذلك انه قريب غير منفصل عن الخلق ، فتكون بينه وبين الخلق قربة ، تعالى الله عن ذلك ، فالقرب صفة له ـ عز وجل ـ على نفي الانفصال والعزلة ، لأن ذلك من صفات الاجسام .

فاما البعيد اي انه ليس بملتزق بالخلق ، ولا مماس ، فهو بعيد عن نفي

---

١ ـ الآية ـ ٤ ـ سورة الحديد
٢ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة الأنعام
٣ ـ الآية ـ ٨٤ ـ من سورة الزخرف

الالتزاق عنه ، لان الاشياء عند المتكلمين ليس تنفى الا باضدادها ، فالجهل ينفى بالعلم ، والعجز ينفى بالقدرة ، والكره ينفى بالارادة ، وكذلك الانفصال بالقرب والالتزاق ينفى بالبعد ، والقريب لا يكون منفصلا ، والبعيد لا يكون ملتزقا .

والوجه الثاني : قريب وبعيد ، ان القريب في صفة الله ـ عز وجل ـ على غير الالتزاق ، والبعيد في صفة الله ـ عز وجل ـ على غير الأنفصال ؛ اي ان قربه ليس كقرب المخلوقين ، وبعده ليس كبعد المخلوقين ، وهذا المعنى الثاني من الوصف له ـ عز وجل ـ بالقرب والبعد على غير ما يوصف به احد من الخلق ؛ لأن قرب الخلق ملازقة ومماسة ، وبعده مفاصلة ومفارجة ، وهذا الجواب الثاني هو الذي اجاب به في كتاب الشيخ (ابي الربيع) فالأول جواب سليمان بن حفص .

والوجه الثالث : من معاني الوصف بقريب وبعيد ، أي قريب يعرف وبعيد لا يشاهد بالحواس ، كأنه قريب المعرفة بالدلائل وبعيد المعرفة بالمشاهدة .

والوجه الرابع : قريب من صفات الوحدانية ، ومن كل صفة يوصف بها ـ عز وجل ـ اي انه موصوف بصفاته ، وبعيد ؛ اي من صفات الخلق لا يشبهه الخلق في شيء ؛ ولا يشبهه في شيء ، وهذا مثلما يقال داخل في صفات العدم ، خارج من صفات الحدث ، والمعنى انه موصوف بصفاته غير موصوف بصفات خلقه .

والوجه الخامس : في قريب ، اي انه قريب في الاجابة لعباده اذا هم دعوه ، وهو قوله تعالى : ﴿**واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني**﴾ [1] ، ولم اسمع هذا الوجه الذي هو على معنى الاجابة ان يقال فيه : انه بعيد ، بل قد يروى عن بعض الصالحين من السلف انه دعا

١ - الآية ـ ١٨٦ ـ البقرة

فقال : يا قريبا غير بعيد ، وقد يكون ان يحتمل هذا الوجه ايضا الذي هو على معنى (الاجابة) ان يكون قريبا من اوليائه وبعيدا من اعدائه ، والله اعلم بالحقائق في هذا المعنى .

ووجه سادس ؛ وهو ان الله ـ عز وجل ـ قريب من جميع خلقه لا تخفى عليه منهم خافية ، كما قال تعالى : ﴿**ونحن اقرب اليه**﴾ [1] ، والله اعلم واحكم .

(مسألة) : ومنه ؛ والله ـ عز وجل ـ مع خلقه ، كما قال : ﴿**وهو معهم اينما كانوا**﴾ [2] ، بالحفظ والتدبير ، والزيادة والنقصان ، يعلم ما في مكنون ضمائرهم ، وما انطوت عليه سرائرهم ، وهو في كل مكان بلا حواية ولا اجتنان ، كما قال : ﴿**وهو الله في السموات وفي الارض**﴾ [3] ، مدبر موجود حاضر غير غائب ؛ لأن الصانع لا يغيب عن صنعته ، وقال تعالى : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**﴾ [4] الى آخر (الآية) ، وقال تعالى لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ : ﴿**اذهبا انا معكم مستمعون**﴾ [5] .

وفي الحديث المشهور عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله بعث اربعة املاك فالتقوا في الهواء فقالوا : بعثنا ربنا فقيل لاحدهم من اين بعثك ربك انت فقال بعثني من فوق عرشه ، وقال الآخر : بعثني من الارض السفلى ، وقال الثالث بعثني من المشرق ، وقال الرابع : بعثني من المغرب »

وفي طريق آخر : « واحد من السماء السابعة ، وآخر من الارض السابعة ، وآخر من المشرق ، وآخر من المغرب ، فتساءلوا فيما بينهم كل

---

١ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة «ق»
٢ - الآية ـ ٧ ـ من سورة المجادلة
٣ - الآية ـ ٣ ـ من سورة الانعام
٤ - الآية ـ ٧ ـ من سورة المجادلة
٥ - الآية ـ ١٥ ـ من سورة الشعراء

يقول : جئت من عند ربي » ثم قال رسول الله ﷺ : « هو الأول فلم يكن قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء » .

تأويل هذا كله ؛ ان الله في جميع الاشياء كائن ، وفي الخلق موجود ، على معنى الاحداث والانشاء ، والزيادة والنقصان .

عن خالد بن معدان عن رسول الله ﷺ قال : « ان ربي لا يزول ولا يحول ولا يخلو منه مكان » ، وعن حماد بن سلمة ، عن ثابت البستاني ، عن ابي عثمان النهري ، عن ابي موسى الاشعري ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فلما دنونا من المدينة كبر الناس ، ورفعوا اصواتهم ، فقال : « ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذي تدعونه بينكم وبين اعناق ركابكم » ثم قال ﷺ : « يا أبا موسى هل ادلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : قل : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

قال جابر بن زيد ـ رحمه الله ـ ومعنى قول رسول الله ﷺ : « ان الذي تدعونه بينكم وبين اعناق ركابكم » ؛ وذلك ان الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم**﴾[1] (الآية) ، وقال : ﴿نحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾[2] ، فالتشبيه والتحديد لا يكون الا لمخلوق ؛ لأن المخلوق اذا قرب من موضع تباعد عن موضع آخر ، واذا كان في مكان عدم من غيره ؛ لأن كونه على التحديد والزوال والانتقال ، والله يتعالى عن ذلك .

وقال جابر : سئل ابن عباس عن الله ، (هل يخلو منه مكان) قال : قال الله ـ عز وجل : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة**﴾[3](الآية) ، وجاء عن رسول الله ﷺ انه قال : «لو حفرتم لصاحبكم في ماء ثم دليتموه لوجدتم الله ثم » ، وفي الخبر جاء رجل الى ابن مسعود فقال : اني رأيت رجلا يصلي عند كل

١ - الآية ـ ٧ ـ من سورة المجادلة
٢ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة «ق»
٣ - الآية ـ ٧ ـ من سورة المجادلة

اسطوانة ركعتين فقال ابن مسعود : لو علم المصلي ان الله عند ادنى اسطوانة منها ما جاوزها الى غيرها وهذه الآثار تؤيد ما قلنا ؛ وبالله التوفيق . من (كتاب الضياء) .

قال الله عز وجل يصف نفسه : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿**هل تعلم له سميا**﴾[2] ، يعني (مثلا ونظيرا) ، وقال عز وجل : ﴿**فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون**﴾[3] ، اي (امثالا واشباها) واحدهم (ند ونديد) ، قال جرير :

اتيما تحملون الي ندا ‏ ‏ ‏ ‏ وما تيم لذي حسب يزيد

وقوله تعالى : ﴿**وانتم تعلمون**﴾[4] اي تعلمون ان لا (مثل له) ـ عز وجل ـ ، وقال ـ سبحانه ـ يخبر عن بعض الهالكين يقولون في النار : ﴿**تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين**﴾[5] ، فأخبروا انهم كانوا في ضلال مبين ، اذ شبهوا الخالق بالمخلوقين ، وشبهوا القديم بالمحدثين .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : « تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لأن التفكر في الخلق يدل على ان الانسان مخلوق ، وان للمخلوق خالقا بائنا عنه ، وعن صفات المخلوقين » ، وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ، انه قال : «اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون» ، روي عن الحسن انه قال : (هم الذين صوروا الله في قلوبهم) .

وعن عبدالله بن مسعود انه قال : ما عرف الله من شبهه بخلقه وعن نافع ان عبدالله بن عمر كان جالسا في اناس فأتى رجل فقال : ايكم عبدالله بن عمر ؟ فقال : انا فقال الرجل : اني تاجر ابتغي من فضل الله ، واني قدمت هذه الليلة البلدة ، فاذا انا برجل قد توسمت فيه الخير ، فقعدت اليه فحدثني حديثا ضاق به صدري ، فقال عبدالله : وما هو ؟ فانه لا اثم

---

١ ـ الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى
٢ ـ الآية ـ ٦٥ ـ من سورة مريم
٣ ـ الآية ـ ٢٢ ـ من سورة البقرة
٤ ـ الآية ـ ٢٢ ـ من سورة البقرة
٥ ـ الآيتان ـ ٩٧ ، ٩٨ ـ من سورة الشعراء

عليك اذا حدثت به من غيرك فقال : قال لي : ان الله ـ تبارك وتعالى ـ لما اراد ان يخلق آدم لم يدر كيف يخلقه ، حتى خلق مرآة فنظر فيها الى وجهه فخلق مثاله ، فقال له ابن عمر : تعالى الله لا مثل له ، الا ان هذا من الشيطان اراد ان يدخلك في دينه ، الا وان الشيطان قد أيس منكم ان تعبدوا اصناما ظاهرة فتعبدوها ، ولكنه يأتي الانسان فيقول : كيف ربك ؟ فلا يزال حتي يصف ربه بصفة الخلق فيضل ، ويضل ، فان لقيته فاخبره ان عبدالله بن عمر بريء من دينك ، الا وان نبي الله ﷺ ، سئل عن الله ـ عز وجل ـ فقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد﴾[1] ، فان وسوس الشيطان لكم ، فقولوا له كما قال رسول الله ﷺ .

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ انه قال ـ سيرجع اقوام من هذه الامة عند اقتراب الساعة كفارا ، فقال رجل : يا ابا عبدالرحمن ، أبالاحداث كفرهم ام بالجحود ؟ قال : لا ؛ ولكن بالجحود ؛ يجحدون خالقهم فيصفونه بالصورة والاعضاء ، والمفاصل ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولهم عذاب عظيم .

(مسألة) : ومنه ، قال المسلمون : من شبه الله تعالى ، فهو منافق ، وليس بمشرك كذلك رفع عن ابي عبيدة ، ومحبوب ـ رحمها الله ـ ، ويوجد في الاثر عن محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ انه قال : اذا قالوا ان لله يدا كيد المخلوقين فقد اشركوا ، والله اعلم .

وانما لم يلحقهم بالشرك ؛ لانهم تأولوا آيات الله عز وجل على غير تأويلها في اجتهاد منهم على ان يوافقوا العدل فيها ، وهم مصدقون بتنزيل ما جهلوا بتأويله متمسكون بما عرفوا ، طالبون لما لم يعرفوا .

(مسألة) : قال سعيد بن جبير انه قال : اتى رهط من اليهود الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد ؛ هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ قال :

١ - الآية ـ ١ ـ من سورة الاخلاص

فغضب ﷺ حتى امتقع لونه ، ثم واثبهم غضبا لربه ، قال : فجاء جبرائيل ـ صلى الله عليهما ـ فسكنه وجاء من الله بجواب ما سألوه (يقل هو الله احد الى تمام السورة) .

وبلغنا ان ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مر بحلقة وفيهم رجل من اليهود يحدثهم فقال ، ما يحدثكم ؟ قالوا : يحدثنا عن التوراة ، وعن ربنا ، قال : وعن ربكم بماذا ؟ قالوا : يقول ان الله لما خلق السموات والارض ، صعد الى السماء من بيت المقدس ، فوضع رجله على الصخرة التي فيه ، وانه ينزل الى السماء الدنيا في النصف من شعبان . فقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ انا لله وانا اليه راجعون ، (ثلاث مرات) ، ثم قال : لا كفر بعد ايمان ، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فهلا قلتم كما قال ابراهيم خليل الرحمن ﷺ «لا احب الآفلين » ، يعني (الزائلين المنتقلين) ؛ الا فاتهموا اليهود والنصارى على دينكم ، ولا تصدقوهم على ما يخالف كتابكم ، فانهم سيضلون اكثر هذه الأمة ان ربكم ليس بزائل ، ومن وصف الله زائلا فقد كفر ، ومن شبهه بشيء من الاشياء فقد كفر .

(مسألة) : المشبهة عندي صنفان : منهم المجسمة ، الذين صرحوا بالتجسيم على حقيقة التجسيم ، وصرحوا بالجوارح والاعضاء ، ولوازم الجسمانية ، كتخريق الحجب ، وركوب الحمار الاقم ، ومخالطة الناس في الاسواق ؛ فهؤلاء صنف ، وعامة الامة قد صرحوا بتشريك هؤلاء الموافق والمخالف والسلف والخلف .

قال الغزالي في (الجامة) : من خطر بباله ان الله ـ تعالى ـ جسم مركب من اعضاء ، فهو عابد صنم ، لأن كل صنم جسم ، وكل جسم مخلوق ، وعبادة المخلوق كفر ، ومن عبد جسما فهو مشرك باجماع الامة ، سواء كان جسما كثيفا كالجبل ، أو لطيفا كالهواء ، أو مظلما أو مشرقا أو عظيما كالكرسي والعرش ، والسماء والارض ، أو صغيرة كالذرة أو كالحجارة ، أو حيوانا كالانسان والصنم جسم ، وان اختلفت انواعه .

وكذا هو في آثار اصحابنا المشارقة والمغاربة ؛ اذا صرح بالتجسم فهو مشرك ، سواء قال جسم كالاجسام ، أو ليس كالاجسام ، وكذلك ان وصف بالانتقال ، أو بالنزول المعروف اللازم للجسم المنتقل من علو الى أسفل ، فهو مشرك عندهم . الصنف الثاني من المشبهة الذين لم يصرحوا بالجسمانية ، لكن غلطوا في الصفات ، ومعاني القرآن كالغالطين في الرؤ ية ، والغالطين في الاستواء ، وفي الصفات كالسمع والبصر ، والكلام فهؤلاء مشبهة لا مجسمة .

لكن الاختلاف بين الاباضية فيهم ، فاصحابنا قالوا فيهم متأولون منافقون ليسوا بمشركين ، وسائر الاباضية قالوا هم مشركون ، والحقوهم بالصنف الأول والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب عن بعض قومنا فيه رد عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان قال : النسفي والمحدث للعالم ؛ هو الله تعالى الواحد الحي القادر ، السميع العليم البصير ، الشائي ، المريد من الشرح قوله : هو الله ـ تعالى ـ اي الذات الواجب الوجود ، اذ لو كان جائز الوجود لكان من جملة العالم ، قوله الواحد ، يعني ان صانع العالم واحد ، ولا يمكن ان يصدق مفهوم واجب الوجود الا على ذات واحدة .

والمشهور في ذلك بين المتكلمين برهان التمانع المشار اليه بقوله تعالى : **﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾** [1] وتقديره لو امكن الهان : لأن بينهما تمانعا بان يريد احدهما حركة شيء ، والآخر يريد سكوته ، لأن كلا منهما امر ممكن ، وكذا تعلق الارادة بكل منهما اذ لا تضاد بين الارادتين ، بل بين المرادين ، وحينئذ اما ان يحصل الأمران فيجتمع الضدان ، او لا ؛ فيلزم عجزهما ، أو يحصل احدهما ، فيحصل عجز أحدهما وهو امارة الحدوث والامكان ، لما فيه من شائبة الاحتياج .

---

١ - الآية ـ ٢٢ ـ من سورة الأنبياء

ويصح ان يقال : انَ احدهما ان لم يقدر على مخالفة الآخر لزم عجزه ، وان قدر لزم عجز الآخر قوله القديم ، هذا تصريح بما علم التزاما ، اذ الواجب لا يكون الا قديما اي لا ابتداء لوجوده ، اذ لو كان حادثا مسبوقا بالقدم ، لكان وجوده من غير ضرورة حتى وقع في كلام بعضهم ، ان الواجب والقديم مترادفان ، لكنه ليس بمستقيم للقطع بتغاير المفهومين ، وانما الكلام في التساوي بحسب الصدق فان بعضهم قال :

ان القديم اعم لصدقه على صفات الواجب والاستحالة ، في تعدد الصفات القديمة ، وانما المستحيل تعدد الذوات القديمة .

وفي كلام بعض المتأخرين كالامام حميد الدين الضريري ، ومن بنفسه تصريح بان واجب الوجود لذاته هو الله ـ تعالى ـ وصفاته ، وقد استدلوا ان كل ما هو قديم فهو واجب لذاته ، بانه لو لم يكن واجبا لذاته ، لكان جائزا لعدم في نفسه ، فيحتاج وجوده الى مخصص ، فيكون محدثا ، اذ لا بقي بالمحدث الا ما يتعلق وجوده بايجاد شيء آخر ثم اعترضوا بأن الصفات لو كانت واجبة لكانت باقية ، والبقاء معنى فيلزم قيام المعنى ، فاجابوا بان كل صفة باقية ببقاء هو نفس تلك الصفة ، وهذا الكلام في غاية الصعوبة ، فان القول بتعدد الواجب لذاته مناف للتوحيد ، والقول بامكان الصفات ينافي قولهم بان كل ممكن حادث .

فان زعموا انها قديمة بالزمان ؛ بمعنى (عدم المسبوقية بالعدم) ، وهذا لا ينافي الحدوث الذاتي بمعنى (الاحتياج الى ذات الواجب) ، فهو قول بما ذهب اليه الفلاسفة من اقسام كل من القدم والحدوث ، اي الذاتي والزماني ، وفيه رفض كثير من القواعد ، وسيأتي لهذا زيادة تحقيق ان شاء الله تعالى .

ومن الحاشية لأن القول بان صفات الله تعالى ممكنة قديمة بالزمان ، حادثة بالذات ، يستلزم ان يقال العناصر كذلك ؛ لانها ممكنة ايضا فهذا من رفض القواعد ، وكذا في غيره مما يقولون بقدمه (انتهى) .

وقوله : الحي القادر السميع ، البصير الشائي المريد ، لان بديهة العقل جازمة بان محدث العالم على هذا النمط البديع ، والنظام المحكم مع ما يشتمل عليه من الافعال المتقنة ، والنقوش المستحسنة ، لا يكون بدون هذه الصفات ، على ان اضدادها نقائص يجب تنزيه الله تعالى عنها ، وايضا قد ورد الشرع بها ، وبعضها مما لا يتوقف ثبوت الشرع عليها ، فيصح التمسك بالشرع فيها كالتوحيد ، بخلاف وجود الصانع ، وكلامه ، ونحو ذلك ، مما يتوقف ثبوت الشرع عليه .

قال الشيخ النسفي : ليس بعرض ، ولا جسم ، ولا جوهر ، ولا مصور ، ولا محدود ، ولا معدود ، ولا متبعض ، ولا متجزىء ، ولا متركب ولا متناه ، ولا يوصف بالماهية ، ولا بالكيفية ، ولا يتمكن في مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا يشبهه شيء ولا يخرج على علمه وقدرته شيء ، وله صفات قائمة بذاته ، وهي لا هي هو ولا هي غيره ، وهي العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع والبصر ، والارادة والمشيئة ، والعقل والتحقيق والترزيق .

والكلام من الشرح قوله : (ليس بعرض) ؛ لأن العرض لا يقوم بذاته ، بل يفتقر الى محل يقومه ، فيكون ممكنا ولانه يمتنع بقاؤه والا لكان البقاء معنى قائما به قيام المعنى بالمعنى وهو محال .

قوله : (ولا جسم) ؛ لأن الجسم متركب ومتحيز وذلك امارات الحدوث .

قول : (ولا جوهر) أما عندنا لأن الجوهر اسم للجزء الذي لا يتجزأ ، وهو متحيز ، وجزء من الجسم ، والله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك .

وأما عند الفلاسفة ، فلانهم وان جعلوه اسما للموجود لا في موضوع ، مجردا كان أو متحيزا ، لكنهم جعلوه من اقسام الممكن ، وارادوا به الماهية الممكنة ، التي اذا وجدت كانت لا في موضوع ، وانما يمتنع اطلاقهما على

الصانع من جهة عدم ورود الشرع بذلك ما تبادر الفهم الى التركب ، والمتحيز وذهاب المجسمة والنصارى الى اطلاق الجسم والجوهر عليه ، بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه .

قوله : (ولا مصور) ؛ اي ليس ذا صورة وشكل ، صورة انسان ، أو فرش ، أو غير ذلك ، لأن ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات ، واحاطة الحدود والجهات .

قوله : (ولا محدود) ؛ اي ليس ذا حد .

قوله : (ولا معدود) ؛ ليس هو ذا عدد وكثرة ، يعني ليس محل الكميات المتصلة كالمقادير ، ولا المنفصلة كالاعداد ، وهو ظاهر قوله ، ولا متبعض ، ولا متجزىء اي ليس هو ذا ابعاض واجزاء .

قوله : (ولا متركب منها) ؛ لما في كل ذلك من الاحتياج المنافي للوجوب ، فما له اجزاء يسمى باعتبار تألفه منها ، متركبا ، وباعتبار تحلله منها متبعضا ومتجزئا .

قوله : (ولا متناه) ؛ لأن ذلك من صفات المقادير والاعداد .

قوله : (ولا يوصف بالماهية) ؛ اي بالمجانسة للاشياء ، لأن قولنا ما هو ؟ اي من اي جنس هو ؟ والمجانسة توجب التمايز على المجانسات بفصول مقومة ، فيلزم التركيب .

قوله : (ولا بالكيفية) ، من اللون والطعم ، والرائحة ، والحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، وغير ذلك مما هو من صفات الاجسام ، وتوابع المزاج والتركيب .

قوله : (ولا يتمكن في مكان) ؛ لأن التمكن عبارة عن نفور بعد في بعد آخر متوهم أو متحقق ، يسمونه المكان ، والبعد عبارة عن امتداد قائم

بالجسم ، أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء ، والله ـ تعالى ـ منزه عن الامتداد .

والدليل على عدم التحيز فانه لو تحيز ما في الأزل فيلزم قدم الحيز أولا ، فيكون محلا للحوادث .

قوله : (ولا يجري عليه زمان) ؛ لأن الزمان عندنا عبارة عن متحدد ، وبقدرته متحددا ، وعند الفلاسفة هو مقدار الحركة ، والله ـ تعالى منزه ـ عن ذلك .

واعلم ان ما ذكره في التنزيهات بعضها يغني عن البعض ، الا انه حاول التفصيل والتوضيح في ذلك ، قضاء لحق الواجب في التنزيه ، وردا على المشبهة والمجسمة ، وسائر فرق الضلال ، ما بلغ وجه ، فلم يبال بتكرير الألفاظ المترادفة ، والتصريح بما علم بطريق الالتزام .

ثم اعلم ان مبنى التنزيه عما ذكرت على انها تنافي وجوب الوجود لما فيها من شائبة الحدوث ، والامكان ، على ما أشرنا اليه ، لا على ما ذهب اليه المشايخ من أن معنى العرض بحسب اللغة ، ما يمتنع بقاه ، ومنع الجوهر ما يتركب عنه غيره ، ومعنى ما يتركب هو عن غيره قوله : **(ولا يشبهه شيء)** ، أي لا يماثله شيء .

أما اذا أريد بالمماثلة ؛ [الاتحاد في الحقيقة] ؛ فظاهر ؛ واما اذا أريد بها [كون الشيئين بحيث يسد أحدهما مسد الآخر أي يصلح كل واحد منهما ما يصلح له الآخر] ؛ فلأن شيئا من الموجودات لا يسد مسده في شيء من الأوصاف ، فان أوصافه من العلم والقدرة ، وغير ذلك أجل وأعلى مما في المخلوقات بحيث لا مناسبة بينهما .

قوله : (ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء) ؛ لأن الجهل بالبعض ،

والعجز عن البعض نقص وافتقار الى مخصص ، قال تعالى : ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [1] ، ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [2] .

لا كما يرى الفلاسفة من انه لا يعلم الجزئيات ، ولا يقدر على أكثر من واحد .

ولا كما زعمت الدهرية على انه لا يعلم ذاته .

والنظام وهو من قدماء المعتزلة ؛ انه لا يقدر على خلق الجهل .

والفلح والسلحي وهو المعرف بالكعبي ، انه لا يقدر على مثل مقدور العبد وتمامه المعتزلة ؛ كالجبائي ؛ انه لا يقدر على نفس مقدور العبد قوله ، وله صفات لما ثبت انه حي عليم ، قدير سميع بصير ، مريد متكلم ، الى غير ذلك .

ومعلوم ان كلا من ذلك يدل على معنى زائد على مفهوم الواجب ، وليس الكل الفاظا مترادفة ، فثبتت له صفة العلم والقدرة ، والحياة وغير ذلك ، لا كما تزعم المعتزلة ، انه عالم لا علم له ، وقادر لا قدرة له ، الى غير ذلك ؛ فانه محال ظاهر ، بمنزلة قولنا : اسود لا سواد له .

قال المؤلف ناصر بن ابي نبهان : ليس كذلك قول المعتزلة ؛ بل وجدت في بعض عقائد اهل المذاهب الاربعة ، ان المعتزلة ذهبت ان الله كان قبل ان يخلق شيئا سميعا يسمع ، لا يسمع به شيئا ، بصيرا يبصر لا يبصر به شيئا .

فرد عليه البلكفي : انه اذا كان كذلك ؛ كان غير بصير ، ولا سميع ، بل لم يزل الله سميعا بسمع يسمع به ، بصيرا ببصر يبصر به .

ومعي ؛ ان بقولهم : (سميع يسمع وبصير يبصر) ، قد ضلوا جميعا

---

١ - الآية ـ ٢٩ ـ من سورة البقرة
٢ - الآية ـ ١٢٠ ـ من سورة المائدة

ضلالا مبينا ، اذ لا يجوز أن يوصف الله ـ تعالى ـ (سميع بسمع ولا بصير ببصر ، ولا قدير بقدرة ، ولا عليم بعلم ، ولا حي بحياة هو لم يزل حيا بها) ؛ لانه يكون بذلك هي صفات قديمة حالّة ، فذاته يستعين بها ، فكان بها ، كذلك ، فهي غيره وهو غيرها ، ولا يوصف الله ـ تعالى ـ ان ذاته ـ تعالى ـ هي صفاته ، ولا أن صفاته هي غير ذاته ، ولا انها قائمة بذاته بمعنى حالّة في ذاته فيكون هو محلا للصفات ، لانه يكون لذلك متعددا وقدماء كثيرين مجموعهم هو الله تعالى .

فكل ذلك لا يجوز في صفات الله ـ عز وجل ـ وانما الواجب في وصفه ان يقال : انه هو ذاته ، وان ذاته هو لا غيرها ، وانه سميع عليم بصير حي مريد متكلم .

ومعنى المعتزلي انه [سميع لا يسمع مخلوقاته] ، لانه لم يخلق ، [بصير لا يبصر شيئا من مخلوقاته] ، لانه ليس هنالك مخلوق فيسمعه ، وهذا اذا قيس على سمع وبصر المخلوقين فهو كذلك ، ولكن ـ تعالى الله ـ ان يقاس ، أو أن يشبه خلقه ، فان سمع الله وبصره معناهما يتقاربان ويقاربان معنى العلم ، واذا كان كذلك ؛ فالله لم يزل عالما بما سيخلقه ، وغير حادث علمه في ذلك عليه ، فانه منزه عن الحوادث والتغييرات ، ولا فرق في علمه بالمخلوقات قبل ان يخلقها وبعد أن خلقها ، فالله بكل شيء عليم ؛ فاعرف ذلك .

رجـــع الى شرحه ؛ (وليس النزاع في العلم والقدرة التي هي من جملة الكيفيات ، لما صرح به مشايخنا من ان الله ـ تعالى ـ حي وله حياة أزلية ، ليس بعرض ولا مستحيل البقاء) !

قال المؤلف ناصر ، يعني انه ؛ ليس النزاع في الصفات المعبر عنها بالكيفيات ، فانها مع الجميع انها لا تجوز في وصف الله ، وانما النزاع في الصفات المنزهة عن الكيفيات كما ذكره .

رجـــع الى شرحه ؛ (والله تعالى عالم بكل شيء ، وله علم أزلي ليس بعرض ولا مستحيل البقاء ، ولا ضروري ولا مكتسب ، وكذا في سائر الصفات) .

قال المؤلف ناصر ؛ يعني ان هذا المعنى لا اختلاف فيه ولا خلاف فيه بين المعتزلة وغيرهم ، وبين أهل المذاهب الأربعة ، وانما النزاع فيما سنذكره .

رجـــع الى شرحه ؛ (في انه كما للعالم منا علم هو عرض قائم به ، زائد عليه حادث ، فهو للصانع العليم علم هو صفة أزلية قائمة به ، زائد عليه ، وكذا جميع صفاته ، فانكره الفلاسفة والمعتزلة ، وزعموا ان صفاته هي غير ذاته ، يعني ان ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالما ، وبالقدرة قادرا الى غير ذلك فلا تلزم ، تكثر في الذات ولا تعدد في القدماء والواجبات ، والجواب ما سبق من أن المستحيل تعدد الذوات القديمة ، وهو غير لازم ويلزمكم كون العلم مثلا قدرة وحياة ، وغير ذلك ، وكون الواجب غير قائم بذاته ، وغير من المحالات) .

قال المؤلف ناصر : لا يجوز ان يوصف الله ـ تعالى ـ انه هو صفاته ، ولا أن ذاته غيرها ، ولا انه هو غير صفاته ، وصفاته غير ذاته ، فيكون كالخلق ، ولا انها صفات قائمة بذاته ، بل لله ذات ، ومن وصف ذاته انه حي بصير ، سميع عليم ، قدير مريد متكلم ، الى غير ذلك من صفاته ، وليس للمرء ان يتعمق في التوحيد الى ما لا يحيط به فهمه ؟ فاعرف ذلك .

قوله ؛ (أزلية) لا كما يزعم الكرامية من أن له صفات لكنها حادثة ، لاستحالة قيام الحوادث بذاته .

قوله : (قائمة بذاته) ضرورة ؛ لانه لا معنى لصفة الشيء الا ما يقوم به ، لا كما تزعم المعتزلة من انه متكلم بكلام هو قائم بغيره ، لكن مرادهم نفي كون الكلام صفة له ، لا اثبات كونه صفة غير قائمة بذاته ، ولما تمسكت

ان في اثبات الصفات ابطال التوحيد لما انها موجودات قديمة ، مغايرة لذات الله ، فيلزم قدم غير الله ـ تعالى ـ وتعدد القدماء ، بل تقدر الواجب لذاته على ما وقعت الاشارة اليه في كلام المتقدمين ، والتصريح به في كلام المتأخرين ،من أن واجب الوجود هو الله ـ تعالى ـ ، وصفاته قد كفرت النصارى باثبات ثلاثة من القدماء ، فما بال الثمانية والأكثر ؟

فأشار الشيخ بالجواب بقوله : وهي لا هو ، ولا هو غيرها ، يعني ان الصفات ليست هي غير الذات ، ولا غير الذات فلا يلزم قدم الغير ، ولا تكثر القدماء ، والنصارى وان لم يصرحوا بالقدماء المغايرة ، لكن لزمهم ذلك ؛ لانهم اثبتوا الأقانيم الثلاثة ، التي هي الوجود والعلم والحياة ، وسموها الأب والابن وروح القدس ، وزعموا ان اقنوم العلم قد انتقل الى عيسى ـ عليه السلام ـ ، فجوزوا الانفكاك والانتقال ، فكانت ذوات متغايرة ، فمعنى من قال : الواجب الوجود لذاته هو الله ـ تعالى ـ وصفاته ، يعني انها واجبة لذات الواجب .

وأما في نفسها فهي ممكنة ، ولا استحالة في قدم الممكن اذا كان قائما بذات القديم واجبا له غير منفصل عنه ، فليس كل قديم الها حتى يلزم من وجود القدماء وجود الآلهة ، لكن ينبغي ان يقال : الله ـ تعالى ـ قديم بصفاته .

ومن [الحاشية] ؛ ويجوز أن تكون لله صفات وأسماء لا نعرفها تفصيلا خلافا للمعتزلة ، ولا يقال صفاته محل ذاته ، او ذاته محل صفات ، او صفاته معه ، أو فيه ، أو مجاورة له ، أو مباينة عنه ، ويقال : صفات قائمة بذاته .

قال المؤلف ناصر بن ابي نبهان : أما قوله ؛ انه يقال : أي يجوز ؛ والمعنى انه يجوز أي كذلك حقيقة صفات الله انها قائمة بذاته ، فان كان المراد بحقيقة معنى القائم فالقائم بالشيء الحال فيه الثابت في القيام ، فهذا مما يخالف التوحيد ، ويلزم أن تكون الصفات هي غير الذات كما هي في المخلوقين ـ تعالى الله ـ عن ذلك .

ومن معنى القيام بالشيء الحال الملازم للشيء والملازم للشيء بكسر الزاي غير الملازم بفتح ـ وتعالى الله ـ عن ذلك .

وانما الحق ؛ ان صفات الله ـ تعالى ـ ليست هي غير الذات ، بل الذات شيء ، ولا بد لها من وصف ، وصفاتها هي صفات الذات القديمة ، وليس الصفات هي شيئا زائدا ، على الذات في حق الله كما في ذات المخلوقين ، هي شيء زائد على الذات ، بل كل ذلك باطل في وصف ذات الله ـ تعالى ـ ، ولو انهم جعلوا صفات الله ـ تعالى ـ على معنى ؛ ان ذاته موجودة وقديمة وباقية ، لفهموا باقي صفاته انها على هذا المعنى ، فلا يوجب تعدد صفاته بتعدد القدماء ؛ لانها صفات للذات القديمة ، ولا يقال : ان صفات الله ـ تعالى ـ هي الله ، ولا انها غيره ، لأن قولك ان ذات الله واجبة الوجود ، فهذه الصفة راجعة الى الذات انها حق ، فكذلك صفة ذاته انها عليمة ، فليس المراد بالعلم في صفته ان العلم هو صفة قائمة بذاتها في معناها ، ويكون الله موصوفا بالعلم لعلمه للأشياء بذلك العلم القائم بذاته ـ تعالى ـ عن ذلك ، بل ذاته عليمة فصفة ذاته انها عليمة راجعة الى صفة الذات .

واذا رجعت الصفة الى صفة الذات ، رجعت الى الذات ، ولم تكن صفة زائدة على الذات ، كما اصلوه في قواعد توحيدهم لله ـ تعالى ـ اذ لو كان معنى زائد على الذات لكان غير الذات لا محالة ؛ لأن الزائد على الشيء هو غير الشيء ، كما هو في المخلوقين ، والله ـ تعالى ـ لا يشبه خلقه في شيء ، ولا يشبهه خلقه في شيء ، لقوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ (١) .

والصحيح في صفات الله ـ تعالى ـ ما نقلناه من (الحاشية) ، والصحيح ما قاله صاحب تفسير هذه العقيدة ، ان يقال : الله قديم بصفاته ، والمعنى الذي أراده في ايضاح التوحيد هو المعنى الذي أردناه لا خلاف ، وانما الخلاف

---

١ ـ الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى

بيننا وبينه وبينهم جميعا ، انه لا يصح ان يقال : ان صفاته ـ تعالى ـ قائمة بذاته ، بل الحق ان يقال : ان صفات الله ـ تعالى ـ هي صفات ذاته ، لا هي فيه ، ولا هو فيها ، والقائم بالشيء هو القائم فيه .

وان كان [الباء] تستعمل في معاني غير ما تستعمل كلمة [في] ، وانها في هذا المعنى يتوافق معناهما واستعمالها ، والخلاف بيننا وبينهم ، انه لا يجوز ان يكون صفات ذات الله هي معنى زائدا على الذات ، فاذا ثبتت انها معنى زائد على الذات ، بطل ما اصّلوه في قواعدهم ، وفسروه في شروحاتهم ، وخالفوا حقيقة اعتقاداتهم ، ولكن لا يهلك المرء باعتقاده حقيقة التوحيد مع غلطه في اللفظ ، لا اعتقاده أن صفات الله لذاته هي معنى زائد على الذات ، فهذا مما لا يجوز في توحيد الله ، ولا يعذر المرء بجهله بذلك مع اعتقاده كذلك ، لما أوضحناه ان الزائد على الشيء هو غير الشيء ، وهذا هو الحق معنا .

وان اثبت من كلامهم ، ولم أرد عليهم في كل موضع ، فهذا رد جامع لجميع ما خالفونا فيه في هذا المعنى ؛ فاعرف ذلك .

رجـــع الى شرحه ؛ (بل ينبغي ان يقال : الله ـ تعالى ـ قديم بصفاته ، ولا يطلق القول بالقدماء ؛ لئلا يذهب الوهم الى أن كلا منها قائم بذاته ، موصوف بصفات الالوهية ، ولصعوبة هذا المقام ذهبت [المعتزلة والفلاسفة] الى نفي الصفات و[الكرامية] الى نفي قدمها . و[الاشاعرة] الى نفي غيريتها وعينيتها) .

قال المؤلف ناصر : ما ذكره هذا الشارح هاهنا هو الحق معنا ، والمعنى من قوله لئلا يذهب الوهم الى ان كلا منها ، أي من الصفات قائم بذاته ، فليس المراد [بالهاء] من [ذاته] هي ضمير راجع الى الله ـ تعالى ـ ، وانما هي ضمير راجع الى [الصفة] وانما ذكرها لقوله : [كل] منها ، ولفظة [كل] هنا اراد بها [كل نوع من الصفات قائما بذاته] ؛ والمعنى القائم بذاته هنا أي هو شيء منفرد بنفسه ، كالعلم في الانسان ، والسمع والبصر والعقل والقوة ،

فان كل شيء من هذه الأشياء هو شيء قائم بذاته ، أي ذات هذا هو شيء معلوم ، والانسان ذاته أي عينه هو شيء قائم بذاته ، وهذه القوى التي هي العلم والقوة ، والسمع والبصر ، قائمة بذات الانسان عرضية حادثة ، وليس الله ـ تعالى ـ ذاته كذلك ، ولا صفاته كذلك .

فان قلت : أليس قولهم ان صفات الله قائمة بذات الله ؛ مثل قولك ان العلم في الانسان هو صفة قائمة بذاتها ، أي الصفة ؟ قلنا : ان هذا يوهم أن تكون الذات غير الصفات ، اذا قلنا ان صفات الله قائمة بذاته ؛ لأن ذات الله ـ تعالى ـ قائمة بذاتها ، وهي موصوفة بصفاتها ، ليست هي غير الذات ، ولا الذات غير الصفات ، ولا يعلم ذات الله الا الله ـ تعالى ـ ، فليس لنا ان نجاوز الى ما لا يعلمه الا هو ، وانما علينا ان ننزهه مما علمنا به ، وتقم (١٢٢) عليه الحجة من معرفتنا به .

واما صفاتنا وصفات جميع المخلوقين فهي اعراض ، وكل صفة منها هي قائمة بذاتها ، وليس المراد قيامها بذواتها أي يمكن وجودها في غير محل ، بل لا بد من محل ذاته هو غير ذاتها فيحل فيه ، فتكون ذات تلك الصفة حالة في ذات هذا المحل قائمة بذاته ، فالله تعالى ليست كذلك صفاته ، وليس لذلك لم يجز ان يقال : صفات الله قائمة بذاته ؛ لانه يوهم هذا المعنى .

رجـــع الى شرحه ؛ قوله (وهي العلم وهي صفة أزلية تنكشف بها المعلومات عند تعقلها) .

قال المؤلف : وهذا لا يجوز في توحيد الله ـ تعالى ـ أن يكون لله علم يكشف الله تعالى المعلومات ، لانها مما توجب ان تكون هي غيره ، ويستعين بها على كشف المعلومات ، وانما صفة علم ذات الله انها عليمة بكل شيء . وقوله [عند تعقلها] فهذا أيضا في وصف ذات الله باطل ؛ لأن التعقل هو ما يعقله العقل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وانما هذه صفة ذات العلم في ذات العقل ، والشيخ النسفي اراد بالعلم صفة ذات الله لا صفة علم العقلاء .

رجـــع الى شرحه ؛ قوله : (والقدرة وهي صفة أزلية تؤثر في المقدورات) .

قال المؤلف : فاذا كان كل صفة من صفات الله تؤثر أثرا في الأشياء ، بطل ما أصله من قواعد توحيده لله ـ تعالى ـ من الأصول الصحيحة ؛ لانه تكون لذاته صفات لا تؤثر لذاته في شيء من المخلوقات الا ما يوافق معناها ، فهو يستعين بتلك الصفة القائمة بذاته ، وكل هذا باطل في توحيده ـ تعالى ـ ، بل ذاته هي الفاعلة ، وصفات ذاته هي صفاتها .

رجـــع الى شرحه ؛ [والحياة وهي صفة أزلية توجب صحة العلم والقوة ، وهي بمعنى القدرة ، قوله : والسمع صفة تتعلق بالمسموعات ، والبصر يتعلق بالمبصرات ، فيدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخييل والتوهم ، ولا على طريق تأثير حاسة ، ووصول هواء ولا يلزم من قدمها قدم المسموعات والمبصرات ، كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة ، اي السمع ، والبصر ، والعلم والحياة ، والقدرة ، صفات قديمة تحدث لها تعلقات] .

قال المؤلف : لا يجوز في توحيد الله ، أن يقال في صفات الله ؛ انها تحدث لها تعلقات بالحوادث ، وان كانت الحوادث حادثة بايجاد الله ـ تعالى ـ ، فان علمه بايجادها غير حادث ، فلا يحدث له شيء ـ تعالى الله ـ عن ذلك .

رجـــع الى شرحه قوله : [والارادة والمشيئة ، وهما عبارتان عن صفة في الحي ، توجب تخصيص احد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة على الكل ، وكون تعلق تابعا للوقوع] .

قال المؤلف : لا يجوز في توحيد الله ان يقال : عبارة عن صفة الحي ؛ لأن في توهم معناها غالبا للظرف ، وليس ذات الله ـ تعالى ـ محلا لشيء من صفاته ، وانما يجوز أن يقال : عبارة عن صفة للحي ، وليس المعنى باللام [لام تمليك] بل [لام تؤدي الى أن ذاته صفتها] كذلك .

رجـــع الى شرحه :[وهما ذكر تنبيه على الرد على من زعم ان المشيئة قديمة ، والارادة حادثة قائمة بذات الله ـ تعالى ـ ، وعلى الرد على من زعم ان ارادة الله ـ تعالى ـ فعله انه ليس بمكره ولا مغلوب ، ومعنى ارادته فعل غيره انه امر به كيف ، وقد أمر كل مكلف بالايمان ، وسائر الواجبات ، ولو شاء لوقع قوله والفعل والتخليق ، وهما عبارتان عن صفة ازلية تسمى التكوين ، وسيجيء تحقيقه وعدل عن لفظ الخلق ليسوغ استعماله في المخلوق قوله : والترزيق هو تكوين مخصوص ، صرح به اشارة الى انه مثل التخليق والتصوير ، والاحياء والاماتة ، وغير ذلك مما اسند الى الله ـ تعالى ـ كل منها راجع الى حقيقة ازلية قائمة بالذات ، وهي التكوين ، لا كما زعم الأشعري من انها اضافات وصفات للأفعال] .

قال المؤلف ناصر بن الشيخ ابي نبهان : والأحسن أن لا يقال مما أسند الى الله ، بل يقال مما هو من صفات الله ـ تعالى ـ .

رجـــع الى شرحه ؛ [والكلام وهو صفة ازلية عبر عنها بالنظم المسمى بالقرآن المتركب من الحروف ، وذلك ان كل من يأمر وينهي ، ويخبر بحد عن نفسه معنى ، ثم يدل عليه بالعبارة والكتابة أو الاشارة ، وهو غير العلم اذ قد يخبر الانسان عما لا يعلمه ، بل لا يعلم خلافه ، وغير الارادة لانه ربما قد يأمر الانسان بما لا يريده كمن أمر عبده قصد الى اظهار عصيانه ، وعدم امتثاله ، ويسمى هذا كلاما نفسيا ، وكثيرا مما يقول الانسان في نفسي كلام أريد أن أذكره لك ، والدليل على ثبوت صفة الكلام انه متكلم اجماع الأمة ، وتواتر النقل عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ان الله ـ تعالى ـ متكلم مع القطع

باستحالة التكلم من غير صفة الكلام ، فثبت ان لله تعالى ثماني صفات : وهي العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والارادة ، والتكوين ، والكلام .

قال المؤلف : وفي بعض العقائد التي يأتيها ليس فيها ذكر التكوين ، بل فيهن البقاء والقدم ، وكذلك في بعضهن ليس فيها ذكر العلم ، وقلت في ذلك شعرا :

حياة وقدم ثم سمع ارادة   كلام وعلم قدرة بصر بقا

وبيت آخر :

سميع بصير قادر متكلم   عليم مريد حي باق وأول

وليس من أسمائه ـ تعالى ـ المتكلم ، ولكنه من صفاته ، وكذلك القديم ليس من أسمائه ـ تعالى ـ .

وبعض علماء أصحابنا يتوقف أن يسمي الله قديما ؛ لأن القديم الذي يمر عليه الزمان الطويل ، والله تعالى لا يمر عليه الزمان ، وبعضهم تساهل بذلك في نظمه .

ومعي ، انه يجوز التساهل بذلك على معنى انه أول بلا بداية فاعرف ذلك .

فصل ؛ من كتاب (لأهل المغرب) ، في قوله تعالى : **﴿ولله المثل الأعلى﴾** [1] ، وهو فيما وجدت في كتاب محمد بن عيسى العماني يقول : هذا عندنا على ما ذكر ان الله تعالى أوحى الى يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ بخمس كلمات ، أن يأمر الناس بهن قال : (واضرب لهن من كل خصلة

١ - الآية ـ ٦٠ ـ من سورة النحل

مثلا) ، وقال في حديث فيه طول : (يا بني اسرائيل اياكم والشرك فان مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله) الى [تمام الحديث] ، فضرب المثل انه لم يرض من عبده بذلك فله المثل الأعلى .

ووجه آخر في قوله تعالى : ﴿ولله المثل الأعلى﴾ ، ان من أسدى اليك يدا فلم ترض له الا بالمكافأة ، فالله الكريم بجوده اشكر واجزل ثوابا لمن اطاعه ، فلما كان من أسدى اليك يدا ، أي [نعمة] مستحقا منك الاجابة وحسن الثناء ، فالله تعالى أحق وأولى بجميع الفضائل ، والمنن والنعم واحق بالطاعة والشكر ، فتكون له الأمثال الحسنى على عباده بالتعظيم والهيبة .

وكذلك كل من كان في القلب له جلاله ، فلله أعلى الصفات ، وافضل الأسماء ، وهذه الأمثال ليس فيها تشبيه ، وانما هي عطف على طاعة الله ـ عز وجل ـ ، واختيارا به يستحق من خلقه ما لا يستحق خلق من خلق .

وأما قوله : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [1] ، فالمثل يضرب على وجهين : ـ

أحدهما تشبيه الشيء بالشيء على جهة المدح ، كقول القائل : [فلان كالأسد في شجاعته] و [كالبحر في سخائه] و [وكالجبل في عظمه] و [كالشمس في حسنه] ؛ فهذا تشبيه الشيء بالشيء ، فلا تضربوا لله الأمثال ، فيقال كذا وكذا .

والثاني تشبيه الشيء بالشيء على جهة الذم ، كقوله تعالى ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث﴾ [2] ﴿ان هم الا كالأنعام﴾ [3] ،

---

١ - الآية ـ ٧٤ ـ من سورة النحل
٢ - الآية ـ ١٧٦ ـ الأعراف
٣ - الآية ـ ٤٤ ـ من سورة الفرقان

وقال : ﴿كمثل الحمار﴾ [1] ، ﴿كمثل صفوان﴾ [2] ، [الآية] ، فهذان المعنيان منفيان عن الله ـ عز وجل ـ .

(مسألة) : ومنه في قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[3] أي ليس هو كشيء من الأشياء ، والكاف زائدة ، ومعناه ليس مثله شيء . قال المتنبي :

كفاتك ودخول الكاف منقصة   كالشمس قلت وهل للشمس أمثال

معناه ؛ مثل فاتك ومثل الشمس ؟

وقال الزجاجي : وهذه الكاف مؤكدة ، والمعنى ليس مثله شيء ، فهذه الآية محكمة غير متشابهة ، نفى الله ـ تعالى ـ بها عن نفسه شبه الأشياء من جميع الوجوه ، ففي الآية دليل على تشابه الأشياء وتقاربها ، اذ مدح نفسه انه ليس كواحد منها فلم يستثن جليلا من لطيف ، ولا ضياء من ظلمة ، ولا حيا من ميت ، أشرك في قوله الملائكة والجن والانس ، والنور والظلمة ، والشمس والقمر ، وجميع المخلوقات فقضى عليها بأنها لا تشبهه ولا يشبهها في اسم ، ولا صفة ، ولا ذات ، ولا فعل ، فاطبق أهل التوحيد على ما ذكرنا في بدء الاسلام .

فذهبت المشبهة بعد ذلك الى تخصيصها ، فزعموا : انه ليس كمثله شيء في العلم ، والقدرة وسائرها من الصفات الالهية ، واما في الصور والهيئات زعموا فلا ، وقد اثبتنا نحن وهم للاله ـ عز وجل ـ وجودا وحياة وعلما وقدرة في سائرها ، مما وصف به نفسه في القرآن ، فنظرنا الى نفي هذه الصفات عن الله ـ عز وجل ـ بعد اثبات القرآن إياها محال ، وتشبيها الى

---

١ ـ الآية ـ ٥ ـ من سورة الجمعة

٢ ـ الآية ـ ٢٦٤ ـ من سورة البقرة

٣ ـ الآية ١١ من سورة الشورى

أنفسها محال ، وابطال فائدة قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾[1] والعقل من وراء ذلك شاهد عدل ، وحاكم فصل ، ولم يبق الا الايمان به ، وبصفاته ، والنفي عنه لجميع صفات مخلوقاته ، فقصرت أوهام المشبهة ان يصح عندهم وجود فاعل ليس بجسم ، اذ لم يشاهدوا الا ذلك فأوجبوا جميع الصفات الموجودة في القرآن جسمانية ـ تعالى الله ـ عما نحلوه علوا كبيرا .

فهؤلاء يقولون : ان كل ما خرج من أوهامهم فليس بموجود ، فهاهم لم يقدروا على تكييف أرواحهم وعقولهم ، وسائر الحواس المركبة فيهم ، فكيف بمن ليس كمثله شيء ـ جل ـ عن أن يشبهه شيء .

(مسألة) : ومنه فيقال لهم : زعمتم ان الله ـ تعالى ـ جسم ، فان قالوا : لانه فاعل ، والفاعل لا يكون الا جسما ، قلنا انما صار الجسم لعلة التأليف ، فيلزمكم على قياد قولكم ان تجعلوا كل فاعل جسما حتى تطرد علتكم فنحن نجد أجساما كثيرة ليست بفاعلة .

فان قالوا : لا نجد هاهنا فيما بيننا ، ولا نعقل فاعلا الا جسما ، قلنا ؛ فان كان على المفعول اثبتموه جسما ، فهلا أثبتموه جسما بجميع أوصاف الجسم من الأكل ، والشرب ، والنوم ، والجوع والعطش ، والقلة والذلة ، في سائر أوصاف الأجسام ، على انكم لو رجعتم بصفة معبودكم الى المعقول ؛ لأبطلتم عنه التسمية بالجسم ، والا فارونا جسما مخترعا يخترع سماء وارضا ، وما بينهما من رفع وخفض ، ويعلم السر والمكنون ، وما كان قبل أن يكون ، ويصور في الأرحام اصنافا من الأجسام ، فان زعموا انه يجدونه ، أتوا بالمحال واللغو من المقال ، وليس بعد المباهلة مجادلة ، ولا بعد المجادلة مكالمة ، قاتلهم الله واخزاهم واسحقهم ، اي ابعدهم وارداهم ، وعافانا مما ابتلاهم .

(مسألة) : ومنه في قوله [ولا شيء] ، يريد ليس كمثل الله شي ، ولا يشابهه شيء من الأشياء .

---

١ - الآية - ١١ - من سورة الشورى

فان قال : ما معنى شيء ؟ قيل له : ما كان مخبرا عنه موصوف ، فشيء عند أهل اللغة اخبار عن كل شيء كائن ، كما أن العدم ما ليس بشيء كائن '، وقد يقول الرجل لصاحبه : ما كلامك بشيء يريد انه فاسد محال .

قال جهم بن صفوان فيما بلغنا ، لا أقول : الله شيء ، ولا غير شيء احترازا من التشبيه فيما زعم بين شيء وشيء ، لانه فيما زعم اذا قال : الله شيء والانسان شيء ، فقد اوقع التشبيه بينهما .

وقالت المشبهة ان الله جسم لما كان شيئا ، فذهب كل الفريقين عن سواء السبيل .

وانما اتوا جميعا من فساد العلة والبنيان على غير الصحة ، وذلك انهم عمدوا الى علتين متباينتين ، فجعلوها علة واحدة فغلطوا كما ترون .

ولو انهم فرقوا بين شيء وجسم ، كما فرقت اللغة العربية بينهما ، لأن شيئا في لغتهم ما كان مخبرا عنه موهوما موصوفا يكون من الأشياء ما كان بعد الا يكون عدما معدوما ، ألا ترى الى الرجل ينظر في البعد فيقول لصاحبه : رأيت شيئا ، فيقول : ما ذلك ؟ فيقول : امرأة فكيف ترى انهم سموا امرأة شيئا ؟

وأما الجسم فهو ما كان متجزئا محتملا للانقسام ، مؤتلف الأجزاء ، ذا هيئة من الهيئات ، موصوفا بالجهات ، فاعم الأشياء [عندنا] وعند [المعتزلة] شيء ، وأما [الأشعرية] فاعم الأشياء عندهم معلوم ومذكور ، ولا يجعلون المعدوم شيئا ، وعند الأولين هو شيء معدوم .

فالعدم [عندنا] و [عندهم] في الحقيقة ليس بشيء .

والدليل على أن الله شيء قوله تعالى : ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ [1] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿لقد جئتم شيئا ادًّا﴾ [2] ، يعني فعلهم وقولهم ، وقوله تعالى : ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل﴾ [3] ، واخبر انهم ليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا ما أمرهم به ان يقيموه ، فسمى ما ليس بجسم شيئا ، والتشبيه لا يقع بين الشيئية والشيئية ، لأن الشيئية اثبات للأشياء ، لا وصف فيها بشيء من الصفات ، لانك اذا قلت : شيء اثبت ، واذا قلت : لا شيء ابطلت .

وليس في شيء صفة ، كما انه ليس في العدم صفة ، وانما يقع التشبيه في معاني الأشياء دون أسمائها ، ألا ترى ان الله يقال له : موجود والانسان موجود ، وحي والانسان حي ، وموصوف وعالم في سائر الأسماء فيلزمه جهما على قياد قوله : الا يقول الله موجود ، اذا كان الانسان موجودا ، والله أعلـم .

فصـــل : وقوله : ولا شيء يشابه في الكون ، [والكون] كما قدمنا مصدر [كان] والأمر فيه [كن] قال الله تعالى: ﴿ انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [4] .

فان قال قائل : هذه مخاطبة أو غير مخاطبة ؟ قيل له : هذه مخاطبة فعل لا مخاطبة قول ، كقوله تعالى : ﴿كونوا قـردة خاسئين﴾ [5] ، أي [مبعدين] .

وقيل : لا يتكلمون يعني [كوّناهم] ، وكقوله تعالى : ﴿يا نار كوني بردا وسلاما﴾ [6] ، فالنار لا تصير نفسها بردا وسلاما ، وظاهـر الكلام

---

١ - الآية ـ ١٩ ـ من سورة الانعام
٢ - الآية ـ ٨٩ ـ من سورة مريم
٣ - الآية ـ ٦٨ ـ من سورة المائدة
٤ - الآية ـ ٤٠ ـ من سورة النحل
٥ - الآية ـ ١٦٦ ـ من سورة الأعراف
٦ - الآية ـ ٦٩ ـ من سورة الأنبياء

مخاطبة ؛ لانه جائز في اللغة غير الكلام قولا ، كقول القائل قال : [بيده فلطمه] ، وقال : [برأسه فنطحه] وقال : [الحائط فوقع] لانه لو كان قول الله تعالى [كن] أمرا ومخاطبة ، لكان لا يعدو أن يخاطب موجودا أو معدوما .

فان قلت : فكيف يخاطب الموجود [بكن] وقد [كان] ، فهذا هذيان ، فان كان يخاطب معدوما فمخاطبة المعدوم محال من المقال ، وأيضا فلو كان قوله [كن] أمرا لكان محتاجا الى آخر [يكون به] امرا ، فيتصل ذلك الى ما لا غاية له ؟ ووجدت عن سليمان بن حفص انه قال : انما ذلك دلالة السرعة ، لانه لا شيء أسرع من [كن] وذلك ان المشركين استعظموا أمر البعث ، فقالوا : خلقنا في بطون امهاتنا أشهرا بعد أشهر ، فكيف نبعث في ساعة واحدة ؟ فانزل الله ـ تعالى ـ : **﴿وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب﴾** [1] ، وقال : **﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه﴾** [2]، وقوله : **﴿انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [3] .

ولذلك ذهب بعض العلماء الى أن ذلك اخبار عن انقياد الأشياء ومطاوعتها له ، وقالوا : ان ذلك بمنزلة قوله تعالى : **﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها﴾** [4] ، وليس ذلك على معنى القول والكلام منهما لانهما موات .

وقالوا : وكذلك ، **﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾** [5] ، انما هو اخبار عن سعتها ، قالوا : وهذا مجاز على كلام العرب في الاخبار عن مخاطبة الديار ، واستشهدوا على ذلك مما قالت الشعراء ، وتكلمت به الخطباء الفصحاء ، كقول الفضل بن عيسى الرقاشي ، في بعض

---

١ - الآية ـ ٧٧ ـ من سورة النحل
٢ - الآية ـ ٧٨ ـ من سورة يس
٣ - الآية ـ ٤٠ ـ سورة النحل
٤ - الآية ـ ١١ ـ من سورة فصلت
٥ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة «ق»

مواعظه : [سل الأرض من شق انهارك ، وغرس اشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا] ، وكقول زهير بن ابي سلمى : -

فلما عرفت الدار قلت لربعها الا عم صباحا أيها الربع واسلم

وكما قال الراجز :

فقلت لها يا دار اين احبتي وأين الذي كانوا بربعك نزال
فجاوبني الطير الموكل بالعرى ألا أيها الباكي على الطلل الخالي

وليس هنالك ايقاع سؤال الحقيقة ، ولكنهم جعلوا ذلك دلالة على النفجع بها ، والتحسر على سكانها ، والله أعلم .

ومثل هذا في اشعارهم كثير .

وذهب آخرون الى غير هذا المذهب فقالوا : ان الله ـ عز وجل ـ يحدث هذا القول عند خلق ما يخلق من الأشياء ، لأن فيه عبرة بمن سمعه من الملائكة ، ودلالة لهم على امور سيحدثون بالمعرفة بها ؛ لانهم اذا سمعوا ذلك علموا ان الله خلق خلقا ، أو سيخلقه في غيب قوله ، أو في الوقت الذي قال له [كن فيه] كأنه اذا سمعوا قول الله تعالى لمن عدا في السبت : **﴿كونوا قردة خاسئين﴾** (1) ، علموا ان الله قد مسخهم قردة ، فلما سمعوا قوله : **﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي﴾** (2) ، علموا بذلك انقطاع المطر وغيض الماء ، والصواب لا يخرج من هذين الوجهين ، والله اعلم ، واحكم بالصواب ، غير اني كتبت ما وجدت في كتب الأولين ، وأما تكوين مخاطبة وفرض كقوله تعالى : **﴿كونوا قوامين بالقسط﴾** (3) ، وما أشبه ما ذكرنا من الأوامر .

---

١ - الآية ـ ١٦٦ ـ من سورة الاعراف
٢ - الآية ـ ٤٤ ـ من سورة هود
٣ - الآية ـ ١٣٥ ـ من سورة النساء

فصــل : ومنه ؛ فان قال قائل ؛ ما معنى قوله : ﴿يدبر الأمر من السماء الى الأرض﴾ [1] ، وقوله : ﴿اليه يصعد الكلم الطيب﴾ [2] ، وقوله : ﴿أأمنتم من في السماء﴾ [3] ، وقول الحواريين لعيسى ـ عليه السلام ـ : ﴿هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء﴾ [4] ، [الآية] .

قيل له : ان الله ـ جل جلاله ـ بكل مكان ، وفي كل مكان بلا حواية ولا اجتنان ، فليس مكان احق ان يدبر منه الأمر اولى من مكان ، لأن الأماكن كلها له ، فيدبر ما شاء ، من حيث شاء ، لا لعجز يلحقه من بعضها دون بعض فانزل الوحي ، وارسل الرسل ، وارزق الارزاق ، وانزل الامطار وسائر ما ذكرنا من الآيات ، وفجر الارض ، واخرج منها أصناف المعاش من النبات ، وسائر المعاش ، ولو كان تدبير الأمر من السماء يوجب انه هنالك ؛ لكان اخراجه النبات من الارض يدل انه فيها دون السماء .

ومعنى قوله : ﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [5] ؛ أي يصعد الى المكان الذي لا يتولى الحكم الا الله ـ سبحانه ـ فيرفعه أي [يقبله] ؛ لأن الله ـ تعالى ـ جعل السماء موضعا لديوان أعمال العباد ، فجعل ما ينتهي من طيب كلام العباد الى ذلك الموضع صعودا اليه ، ورفعا له ، وعلى أن الرفع ايضا قد يكون على غير معنى الصعود من سفل الى علو ، ألا ترى الى قولهم ، ارتفع الى القاضي الخصمان ، ورفع الجاني الى السلطان ، فلصعود العمل الى الله ـ تعالى ـ ، ورفعه اليه وجه مثله وخلافه ، فكل ذلك لا يوجب تشبيها ، ولا يدل ان الله حال في شيء من الأماكن ، وقد قال ابراهيم ـ عليه

---

١ - الآية ـ ٥ ـ من سورة السجدة
٢ - الآية ـ ١٠ ـ من سورة فاطر
٣ - الآية ـ ١٧ ـ من سورة الملك
٤ - الآية ـ ١١٢ ـ من سورة المائدة
٥ - الآية ـ ١٠ ـ من سورة فاطر

السلام ـ : ﴿اني مهاجر الى ربي﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله﴾ (٢) ، ويقال للحجاج : زوار الله ، وهم وفد الله ، ويقال للميت اذا مات : صار الى الله ، ولقي الله .

وقال تعالى : ﴿حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده﴾ (٣) ، محاسبا له ومجازيا على عمله ، وقال : ﴿أأمنتم من في السماء﴾ (٤)؛ أي أمره في السماء فليس المراد انه ساكن في السماء ، ولا كائن في مكان دون مكان ، فلو حمل جميع ما ذكرنا على ظاهره لتناقض القرآن ، واختل البيان ، ولكن الله ـ تعالى ـ لما جعل السماء مسكن ملائكته ، ومهبط وحيه ، ومكان عرشه ، ومن جهتها تسمع الملائكة الوحي ، اجاز ان يصف نفسه انه في السماء على معنى التدبير والاقتدار ، لا ان على معنى السكنى والقرار ، فكانت مسألة الحواريين انزال المائدة من السماء ؛ لان ذلك ادل للخلق ، واوضح في الاجابة ، ولان ذلك معنى لا يقدر الخلق ان يدعوه ، لا ساحر ، ولا كاهن ، فالانزال من السماء كما ان الاخراج من الارض ، فهذا بحمد الله واضح لمن تأمله ، فلا يخفى الا على جاهل غبي ، او معاند غوي ؛ وبالله التوفيق .

(مسألة) : من كتاب [الارشاد] ان قال قائل : الله تعالى شيء موجود ؟ قيل له : نعم ؛ هو اعظم الأشياء لا عظم جثة ولا شخص ، لأن ذلك مخلوق ، ولكن الله ـ تعالى ـ عظيم الشان والمنزلة والمقدار .

فان قال : ما هو من شيء ؟ قيل له : ان اردت [أي الأجناس هو] ؟ فالله ـ تعالى ـ ليس بجنس ، ولا يشبه الأجناس ، وهو الخالق للأجناس ، والأشياء كلها ، لا تشبهه ولا يشبهها ، وان اردت [بما هو تسمية ووصفا] ؛ فهو الله ، ـ تعالى ـ الواحد الخالق القادر ، الذي ليس كمثله شيء ، وهو

---

١ - الآية ـ ٢٦ ـ من سورة العنكبوت
٢ - الآية ـ ١٠٠ ـ من سورة النساء
٣ - الآية ـ ٣٩ ـ من سورة النور
٤ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة الملك

السميع البصير ، وان اردت [بما هو الدلالة عليه] ؛ فالسماوات والارض وما بينهما من آثار صنعته وتدبيره ، واختلاف الليل والنهار وما فيهما من الأشياء كلها دالة عليه انه الواحد القهار ، الذي لا يشبهه شيئا ، لأن الصانع لا يشبهه صنعه ، فالله تعالى ليس كالأشياء ، ولا اشباه له فيها .

فان قال : أفجسم هو ؟ قيل له : تعالى ان يشبه بالأجسام ؛ لأن الأجسام محدثة مخلوقة ، مؤلفة محتاجة الى القرار ، والمكان ، تجري عليها الزيادة والنقصان ، والله ـ تعالى ـ ليس بمحدث ، ولا يشبه بالأشياء تعالى وجل .

فان قال : فعرض هو ؟ قيل له : تعالى ربنا ان يشبه الاعراض والأجسام والأبعاض ؛ لأن العرض لا يقوم بنفسه وانما يقوم بغيره ، تعالى الله عن هذه الصفة ، وعن كل صفة ناقصة لا تليق بصفاته .

فان قال : فمعنى هو ؟ قيل له ؛ لا يقال ذلك لأن المعنى هو قصد قلوبنا الى ما نعنيه بقلوبنا ، ونقصده بكلامنا ، وقصد القلب غير المقصود اليه ، فاذا قصدنا بالقول ، الهنا وعنيناه ، فالاله هو المعنى المقصود بالقول ، لا يجوز أن يقال هو معنى تعالى الله ـ عز وجل ـ عن جميع الأوصاف القبيحة علوا كبيرا .

فان قال : هو في السماء ؟ قيل له [نعم] .

فان قال : كيف يكون فيها ، وليس بحال فيها ؟ قيل له : هو على غير شبه الخلق ، اذ ليس هو بحال في السماء ، ولا حالة فيه ، ولا هو تعالى بمحل ـ سبحانه وتعالى ـ .

فان قال : واذا كان هو في السماء والارض فهو محدود ؟ قيل له : ليس هو بمحدود .

فان قال : كيف يكون من المحدود في محدود ؟ قيل له : لا كيف الخالق ، ذلك لأن الكيف خلق من خلقه .

فان قال : افداخل في الأشياء ، أم خارج منها ؟ قيل له : لا يوصف بذلك ، لأن الخارج خلق ، والداخل خلق ، وهو ـ تعالى ـ محيط بكل شيء من جميع ما دبر .

فان قال : فخارج من السماوات والارض وما دبر ؟ قيل له : ليس غير ما دبر فيقال خارج لأن الخارج مكان ، والداخل مكان ، وكل مكان بتدبيره ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ فان قال قائل : ما معنى قوله ـ عز وجل ـ : **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾** [1] ، قيل له : اراد ـ تعالى ـ بذلك (أأمنتم من في السماء) نقمه وسطواته ؛ لانه تعالى جعلَ موضع الآيات والقوارع ، والنقمات السماء ، فكان من السماء ينزل هلاك من يريد هلاكه من عباده ، فخوفهم من عذابه الذي في السماء ما انزل بغيرهم .

فان قال : فلم زعمتم هذا التأويل ؟ قيل له : لأن السماء لا تكون مكانا لله ـ تعالى ـ ، ولا محلا له ، لانه ليس بجسم فيحتاج الى الأماكن ، وقد كان موجودا قبل ان يخلق السماء ، وهو غني عن السماء ، كما ينزل غنيا عنها ، فلما لم يجز أن تكون السماء مكانا له ، صح انها هي مكان لعذابه الذي خوف به عباده ، فكان هذا القول لا يصح معناه في اللغة الا على هذين الوجهين .

فان قال : لِمَ رفعت الايدي الى السماء لولا انه تعالى في السماء دون الارض ؟ قيل له : هذا تعبد من الله ـ تعالى ـ ، وذلك انه جعل السماء معدن الرسالة ، وبعث منها الرسل من الملائكة ، وانزل منها المطر ، وارسل منها الصواعق ، وغير ذلك ، فتعبد الخلق اذا اصابتهم شدة ان يدعوا الله تعالى برفع ايديهم ، ويلتجئوا اليه من حيث انزل اليهم الملائكة والقطر ، وان كان الله ـ تعالى ـ في كل مكان ، الا ترى انه تعبدهم بالصلاة الى مكة ، ولم

---

١ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة الملك

يتعبدهم بالصلاة نحو السماء ، ولو كان على ما زعمتم انهم اذا رفعوا ايديهم نحو السماء انه في السماء دون الارض ، لكان اذا امرهم بالصلاة الى مكة انه في مكة دون غيرها ، وهذا جهل من قائله ، وكذلك يجب اذا تعبدهم بالسجود والركوع انه في الارض دون غيرها ، لانهم يركعون ويسجدون نحو الارض ، وكذلك تعبدهم ان يسلموا على ايمانهم في ذلك الوقت ؛ على ايمانهم دون شمائلهم ، وهذا غفلة من قائله .

والله ـ تعالى ـ تعبد الخلق بفنون من العبادات ، وان كان لا يخلو منه مكان ، الا وهو به ، عالم وعليه قادر ، نافذ فيه امره لا انه في الاماكن على التنقل ، والمكث ـ جل الله ـ عما قال الملحدون علوا كبيرا .

فان قال : افتقولون : ان الله مع كل داخل وخارج ؟ قيل له : نعم ؛ على انه مع كل شيء حافظ وقادر ، وعالم ومدبر ، لا انه داخل في الشيء على انه محل له ، ولا خارج منه على حد الابانة منه ، ولا على جهة المماسة له ، ولا على الالتزاق ـ تعالى الله ـ عن ذلك .

فان قال : افتقولون : انه في المواضع القذرة النجسة لأن قولكم هو في كل شيء ، ومع كل شيء ؟ قيل له : ان تلك المواضع هي مواضع تدبيره ، فلا يقال هو تعالى في المواضع القذرة ، ولا النجس ولا الطاهر ، بمعنى الحلول فيه ، وايضا فان هذا القول مجانب للتعظيم ، وهو ـ سبحانه ـ لا يوصف الا بالتعظيم ، والاجلال ، والتنزيه له في جميع الامور والصفات تعالى الله علوا كبيرا .

(مسـألة) : من كتاب (الارشـاد) ؛ والادلة على وجود الله تعالى فيكفي في ذلك ما ارشد اليه القرآن ، وليس بعد بيان الله بيان ، قال الله تعالى : ﴿**الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا**﴾[1] الى قوله : ﴿**وجنات الفافا**﴾

---

١ - الآيات : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ - من سورة النبأ

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار﴾ [1] (الآية) ، وقال تعالى : ﴿الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ [2] الى قوله : ﴿ويخرجكم اخراجا﴾ وقال : ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون﴾ [3] .

فليس يخفى على من له ادنى عقل وتمييز ، اذا تأمل بفكره مضمون هذه الآيات ، واستدل بنظره على عجائب الارض والسموات ، واصناف الحيوان ، والجماد ، والنبات ، ان هذا الأمر العجيب الذي احكم غاية الاحكام ، ورتب هذا الترتيب ، لا بد له من صانع يدبره ، وفاعل يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخير ومصرفة بمقتضى تدبير ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض﴾ [4] وقال تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [5]

فاذا فطرة الانسان ، وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة برهان ، ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار ، نقول في انطباق فطرة العقول ، ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن محدث يحدثه ، فالعالم بأسره حادث ؛ لأن كل حادث لا بد له ان يكون مختصا بوقت يجوز في تقدير تقدمه ، وتأخره ، واختصاصه بوقت معلوم يفتقر بالضرورة لمخصص .

واما قولنا ان العالم حادث فبرهانه ؛ ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون ، وهما حادثان لاجل اتفاقهما ، ووجود البعض منها عقيب الآخر ، وذلك مشاهد في جميع الاجسام ، فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته ، وما متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه ، فالطارىء منهما حادث

---

١ - الآية ـ ١٩٠ ـ من سورة آل عمران
٢ - الآيات : ـ ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ـ من سورة نوح
٣ - الآية ـ ٥٨ ـ من سورة الواقعة
٤ - الآية ـ ١٠ ـ من سورة ابراهيم
٥ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة الروم

لطروئه ، والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ، فلما ثبت ان الاجسام لا تخلو من الاعراض ، وانما تتعاقب على الاجسام فهي حادثة ، وما لم يسبق الحادث فهو حادث مثله ، فاذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات الضرورية ، والله اعلم .

فصل : ومن كتاب (جواهر الآثار) ؛ فان قال لك قائل : بما تعرف الله ؟ فقل بما دلت عليه الانبياء من الآيات والعلامات ، وخلق الارض والسموات ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم المسخرات ، وما خلق الله من شيء ، وهذا دليل على ان لهذه الاشياء مدبرا ولا تشبهه الاشياء .

وكذلك قالت الانبياء : قال نوح : ﴿ **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** ﴾ [1] وقال ابراهيم : ﴿ **ربي الذي يحيي ويميت** ﴾ [2] وقال : ﴿**فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**﴾[3]

وقالت الرسل الذين لا يعلمهم الا الله : ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والارض**﴾ [4] وقال موسى : ﴿**ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾ [5] ، وقال لفرعون : ﴿**ربنا رب السموات والارض**﴾ [6] وكذلك قال اصحاب الكهف وقال لنبيه : ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء**﴾ [7] وقال : ﴿**أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج**﴾ [8] ، وامثال هذا كثير

---

١ - الآيتان : - ١٥ ، ١٦ - من سورة نوح
٢ - الآية - ٢٥٨ - البقرة
٣ - الآية - ٢٥٨ - من سورة البقرة
٤ - الآية - ١٠ - من سورة ابراهيم
٥ - الآية - ٥٠ - من سورة طه
٦ - الآية - ١٤ - من سورة الكهف
٧ - الآية - ١٨٥ - من سورة الاعراف
٨ - الآية - ٦ - من سورة «ق»

في القرآن مما يطول وصفه في الحجج ، وكله يدل على الله وعلى ان ليس كمثله شيء ، من هذه الاشياء وان هذه الاشياء لها خالق ومدبر ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

ومن (الضياء) بصنع الله يستدل عليه ، وبالفطرة ثبتت حجته ، وبالعقول تعتقد معرفته ، خلق الخلق على ارادته فيما بينه اياهم دليل على ان لا ابتداء له وخلقه ادواتهم دليل على ان الاداة له ، (انتهى) .

(مسـألة) : عن الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي ، ما تقول في الجاهل بالعلم اذا علم ان الله ربه ، وخالقه ، ورازقه ، ومحييه ومميته ، وباعثه ، ومحاسبه وراحمه ، ومعذبه ولم يعرف حقيقة التوحيد لله ـ عز وجل ـ ولا ينفي الاشباه عنه ، ولم يشبهه الا ان في اعتقاده وظنه في قلبه ، ان الله يتكلم وان كلامه القرآن وامثاله من الوحي ، وفي قلبه ان الله في السماء حالّ فيها ، ولم يتكلم بلسانه ، ولم يفت احدا بذلك ، ولم يبلغه احد فساد ذلك ، وكان ذلك ظنه ، ولو علم ان هذا لا يجوز لرجع عنه وتاب عند الموت مما خالف فيه الحق مجملا ، اتراه سالما ام هالكا ، أو كان يشبه الله في قلبه كأنه يراه صورة ولم يلفظ بلسانه فما حاله على هذه الصفة ؟

الجـواب : والله يهدينا واياك الى سبيل الرشاد ؛ ان على الانسان حين يبلغ الحلم ، وكان صحيح القلب سالما من الآفات ، ان يعرف ان له خالقا خلقه ، وانه لا يشبهه شيء في حال من الاحوال ، وغير منفس له عند بلوغه الى ان يسأل وتقوم عليه الحجة في هذا من عقله ، فاذا عرف الله انه واحد ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، وان محمدا ﷺ عبده ورسوله ، وان ما جاء به من عند الله فهو الحق المبين ، فهذا يكفيه ما لم يمتحن بشيء ينقض جملته هذه ، فان خطر بقلبه ان الله يشبه شيئا او لا يشبهه شيء ، أو انه حال في مكان ، أو غير حال ، فعليه ان يعلم انه غير حال في الامكنة ، وانه ليس له شبه ، ولا يسعه جهل ذلك ، وتقوم حجة هذا عليه من طريق العقل ، لأن

المعاني في التوحيد تقوم بها عليه الحجة من قبل عقله اذا خطر بباله ، وانما يعذر الانسان بجهله في الاسماء ؛ لانها لا تقوم بها الحجة الا من طريق السماع الا ان تقوم عليه الحجة باسم من طريق المعنى ، مثل ان يعرف ان الذي يخلق الاشياء يسمى خالقا ، ويسمى الها ، فعليه ان يعلم ذلك ، وتقوم عليه الحجة في هذا من عقله ، وما جهل نفي تشبيه الخالق بخلقه فلا يسع اذا خطر بقلب الانسان اذا كان بالغا صحيح العقل ، ولا يسعه الا ان يعتقد انه لا شبيه له من خلقه في حال من الاحوال ، ولا في معنى من المعاني والله اعلم بالصواب .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ ما تقول في الضعيف اذا لم يعرف حقيقة التوحيد لله ـ عز وجل ـ ولم ينف الاشباه عنه ، ولم يشبهه الا ان في قلبه وظنه ان الله يتكلم ، وان كلامه القرآن وامثاله من الوحي في قلبه ، ان الله في السماء فيها ، ولم يتكلم بلسانه ولم يفت احدا ، ولو علم ان هذا لا يجوز لرجع عنه وتاب عند الموت مما خالف فيه الحق مجملا ، أتراه سالما ام هالكا اهدني طريق الرشاد ؟

الجـواب : ان كل من خطر بباله شيء من معرفة الله ـ تعالى ـ ، وعرف معناه ، لزمه ان يصف الله بحقه في نفي أو اثبات على الحق فيهما ، ولا يجوز له الشك ولا ينفعه اعتقاد السؤال مع الشك فيه .

وقولك : (لم يعرف حقيقة التوحيد) ؛ فان كان لم يدر انه يلزمه اكثر من ذلك ، وان ذلك هو حقيقة التوحيد فلا بأس اذا ادى الواجب فيه ؛ لأن حقيقته ان يصف الله بما هو موصوف به متى خطر بباله ، وعرف معناه وان ينفي عنه ما يخالف صفته مما نزلت به عليه بلية التعبد ومعرفته ان الله ـ تعالى ـ كذلك كافية له عن التلفظ به بلسانه ، متى خطر بباله ما لم ينف عن الله صفة هو موصوف بها بلسانه فيجب عليه التلفظ في وصف الله تعالى بلسانه ، مما يخالف ذلك الباطل .

وقولك : (ولم ينف عنه الاشباه) ؛ فمتى خطر بباله تشبيه الله بشيء ،

فلا يجوز له الا اعتقاد النفي ، فان المراد بقولك فيما لم يخطر بباله ذلك في الله ، فهو سالم ؛ وان كان مرادك (ولو خطر بباله ذلك ، وعرف المعنى فلم ينف) ؛ فذلك هالك ولا ينفعه اعتقاد السؤال مع الشك ، ولا مع ترك نفي الاشباه عن الله تعالى .

واما قولك : (ان في قلبه ان الله حال في السماء) ، فان كانت نفسه كذلك ترى وهو كاره لذلك وينفي عن الله ذلك ، ولكن لم يستطع ان يزيل ذلك من نفسه فهو معذور ، وان كان كذلك في اعتقاده أو شك انه كذلك ام لا فهو هالك ، ولا ينفعه اعتقاد السؤال مع شكه في ذلك ، أو مع اعتقاده اذ قد فهم معنى الحلول .

وان كان شكه في [معنى الحلول] لا في [الله] انه [حال] ام [لا] بل لم يدر معنى الحلول ، ولم يصف الله فجهله بمعنى جائز ، ولا ينفعه اعتقاده انه لو علم ان الله لا يجوز ان يكون حالا لرجع وهو يصف الله في نفسه انه حال لا تنفعه نيته هذه ؛ لأن جميع توحيد الله ـ تعالى ـ الذي علمته العقول ، وتعبد الله به عباده بمعرفته ، تقوم به الحجة من العقل اذا عرف معناه ، اي تقوم الحجة من العقل بمعرفة الحق فيه ، والباطل متى فهم المعنى .

واما ان الله لم يزل متكلما فهو حق ، واما ان يخطر بباله ان كلام الله هل يشبه كلام المخلوقين ، بالحروف والكلمات المؤلفة المنظومة فان شك في ذلك فهو هالك ، أو مشبهه في ذلك بخلقه فهو هالك ، واما ان قال : القرآن هو كلام الله فهو صحيح ، وقد اطلنا القول في هذه المسألة في جواب لنا سميناه الحق اليقين .

واختلف العلماء في القرآن من قومنا ومن اصحابنا ، واكثر فحول العلماء من اصحابنا ، واكثر اهل المغرب من اصحابنا يقولون : انه مخلوق وان ما سوى الله مخلوق ، وانه منسوب الى الله ؛ لأنه خلقه بغير واسطة لسان احد من خلقه ، فهو كلام الله اي كلام الله كما ان عيسى كلمة الله ، وروح الله اي

روح الله تعالى . وكما يقال شمس الله ، وسماء الله ، وارض الله .

وقال بعضهم : انه غير مخلوق ، وليس المعنى معهم حروفه ولا كلماته ، وانما الحروف والكلمات موصلة الى معرفة النطق به ، ولا يلزم الناس معرفة هذه المسألة انه مخلوق ام لا اذا قال انه كلام الله ، وان كلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، وان الله لا يتكلم بالحروف ، ولا بلغة المخلوقين ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) اختلف علماء السلف في حقيقة التوحيد .

فقال بعضهم : هو ان يعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاج ، وصنعه لها بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه تعالى ، ومهما تصور شيء في وهمك ، فان الله ـ تعالى ـ بخلافه .

وقال بعضهم : التوحيد هو افراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بانه الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ينفي الأضداد والانداد ، بلا تكييف ولا تشبيه ، ولا تصوير ولا تمثيل ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وقال بعضهم : التوحيد تلاشي الخلائق عند ظهور الحقائق .

وقال بعض العلماء : اشرف كلمة في التوحيد ، ما قال ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته ، الا بالعجز عن معرفته .

فقال : ليس يريد الصديق ـ رضي الله عنه ـ انه لا يعرف ، قال فالعارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه ؛ لأن عند هؤلاء المعرفة ضرورية .

وهذا كما قال بعضهم : ما عرف الله بالحقيقة سوى الله سبحانه .

واما اقسام التوحيد ، فقد ذكر بعض العلماء انها على ثلاثة اقسام .

فقال : ان الله تعالى اوحى الى داود ـ عليه السلام ـ (يا داود تعلم العلم النافع) ، قال ؛ الهي وما العلم النافع ؟ ، قال : (ان تعرف جلالي ، وعظمتي ، وكبريائي ، وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا هو الذي يقربك الي) .

قال الغزالي : فالتفسير جوهر نفيس ، وله قشران : احدهما ابعد عن اللب من الآخر ، قال : وخص اسم التوحيد للقشر الأول ، وبصيغة الحراسة للقشر الثاني ، اراد بذلك صيغة الكلام ، واهملوا اللب بالكلية .

قال : فالقشر الأول هو ان تقول بلسانك : لا اله الا الله ، فهذا اسم توحيد مناقضا للتثليث الذي تصرح به النصارى من قولهم (ان الله ثالث ثلاثة) .

قال : ولكن هذا التوحيد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره ، وهذا هو الزنديق .

والقشر الثاني : هو لا يكون في القلب انكار ولا مخالفة لمفهوم قول القائل : لا اله الا الله ، فيشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به ، قال : وهو توحيد عوام الخلق من المسلمين المتكلمين الذين هم خواص هذا القشر الذي توحيدهم ، أو توحيد عامة الموحدين ، يحرسونه عن تشويش المبتدعة ، اراد ينقضون عليهم بدعتهم ، وخلافهم في التوحيد بالكلام الذي صنعتهم .

والثالث : لباب الجوهر الذي هو التوحيد ، قال : وذلك لا يفهمه اكثر المتكلمين ؛ فان فهموه لم يتصفوا به ، وهو ان يرى الانسان الامور كلها من الله ـ تعالى ـ رؤ ية تقطع التفاته عن الوسائط والاسباب ، فلا يرى الخير والشر الا من الله ـ جل جلاله ـ وان يعبده عبادة يفرده بها ، ولا يعبد معه غيره ، وهذا مقام شريف احد ثمراته التوكل .

قال المؤلف : مما يرفع عن الغزالي ؛ انه وصف من عرف حقيقة

التوحيد ان يرى الخير والشر من الله ـ عز وجل ـ ولا يوصف الا بالصفة الحسنة ، ولا ينبغي ان يقال : منه الشر على الاطلاق ، وانما يقال هو خالق الشر والخير ، خلق افعال الخير من اهلها ، وخلق افعال الشر من اهلها ، وامر بالاعمال الصالحة ونهى عن الاعمال القبيحة ، فلذلك لا يضاف اليه انه امرض المرضى ؛ لأن هذه صفة غير حسنة لقوله تعالى يحكي عن نبيه وخليله ابراهيم صلوات الله عليه : ﴿**وهو الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين**﴾ [1] ، فاضاف الاطعام والسقاية والشفاء الى الله ـ جل جلاله ـ ، واضاف المرض الى نفسه ، ولو كان المرض قضاه الله على المريض لانها صفة غير حسنة .

وكذلك ما يشبه هذا المعنى قول الناس : افسد زرعنا المطر ، وخربت شجرنا الريح ، ونزهوا الله عن هذه الصفة ، والريح والمطر لا يقدران على شيء ، وانما سخرهما الله ـ عز وجل ـ والله اعلم .

رجع الى (الكتاب) : ومن ثمراته ايضا ترك الشكاية الى الخلق ، وترك النصب عليهم ، والتسليم لحكم الله ـ جل جلاله ـ ، وكان احد ثمراته ، قول ابي الدرداء ، لما قيل في مرضه نطلب لك طبيبا ، قال : الطبيب امرضني ، وقول ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب ؟ فقال : قال لي : (فعال لما اريد) .

قال : ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبودا ، قال الله تعالى : ﴿ **أرأيت من اتخذ الهه هواه**﴾ [2] وقال عليه السلام : « ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى» ، قال : وعلى التحقيق من تأمل عرف عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس الى المألوف احد المعاني التي يعبر عنها الهوى .

---

١ - الآيتان ـ ٧٩ ، ٨٠ ـ من سورة الشعراء
٢ - الآية ـ ٤٣ ـ من سورة الفرقان

قال : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق ، والالتفات اليهم ، فان من يرى الكل من الله ـ عز وجل ـ كيف يسخط على غيره ؟ فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام ، وهو من مقامات الصديقين ، فانظر الى ما تقول وبأي قشر قنع ؟ وكيف اخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر ، بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق المدح الحقيقي ؟ قال : وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ، ويقول : **﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا﴾** [1] وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله ـ عز وجل ـ على الخصوص ، فانه اراد بالوجه وجه ظاهر بدنه فما وجهه الا الكعبة ، وما صرفه الا عن سائر الجهات .

والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها الى الله تعالى ـ عز وجل ـ ان تحده الجهات والاقطار ، وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد منه ، فكيف تصدق قول من قلبه متردد بين أوطاره وحاجاته الدنيوية ، ومتوجه بالكلية اليها ؟ فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض حنيفا ، وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد ، فالموحد الحقيقي هو الذي لا يرى الا الواحد الخالق ـ جل وعلا ـ ، ولا يوجه وجهه الا اليه ، وهو امتثال قوله تعالى : **﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾** [2] .

وليس المراد به القول باللسان ، وانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى ، وانما موقع نظر الله ـ تعالى ـ المترجم عنه ، فهو القلب ، فهو معدن التوحيد ومقره ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن كتاب (جواهر الآثار) ، فصل من كتاب ينسب الى (الشافعي) في التوحيد ، وغيبة الموحد ، قال الله تعالى : **﴿انني انا الله لا اله الا انا﴾** [3] وقال سهل بن عبدالله : ان كلمة (لا اله الا الله) لازمة للخلق

---

١ - الآية ـ ٧٩ ـ من سورة الانعام

٢ - الآية ـ ٩١ ـ من سورة الانعام

٣ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة طه

الاعتقاد بها قلبا ، والاعتراف بها نطقا ، والوفاء بها فعلا ، وقال الله عز وجل : ﴿فاعلم انه لا اله الا الله﴾[1] ، وقال النبي ﷺ : «كفي بالتوحيد عبادة ، وكفى بالجنة ثوابا» .

وسئل ذو النون عن التوحيد ، فقال : هو ان تعلم ان قدرة الله ـ تعالى ـ في الاشياء بلا مزاج ، وصنعة الاشياء بلا علاج ، وعلم كل شيء صنعه ، ولا علة لصنعه ، وليس في السموات العلى ، وفي الارضين السفلى مدبر غير الله ـ عز وجل ـ ومهما تصور في وهمك شيء فالله ـ تعالى ـ بخلاف ذلك .

وقال الواسطي : جملة التوحيد ان كل ما يتسع به اللسان ، أو يشير اليه بنان ، من تعظيم ، أو تجريد وتفريد ، فهو معلول والحقيقة وراء ذلك .

وقال الشبلي : وكل ما ميزتموه بأوهامكم ، وادركتموه بقولكم في اتم معانيكم فهو مصروف مردود اليكم محدث منوع مثلكم ، وقال الشبلي لرجل : تدري لم لا يصح لك التوحيد ، قال : لا ؛ قال : لانك تطلبه باياك ، وقال رويم : التوحيد محو آثار البشرية ، وتجريد الألوهية .

وقال بعض المشايخ : التوحيد هو الذي يعمي البصر ، ويحير العاقل ، ويدهش الثابت .

وقال ابو علي الرودتأدي : التوحيد في كلمة واحدة كل ما صورت الاوهام ، والفكر ، والعقول فالله تعالى بخلاف ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾[2].

وسئل سهل بن عبدالله عن التوحيد ، فقال : قريب من الظنون ، بعيد من الحقائق .

---

١ - الآية ـ ١٩ ـ من سورة محمد
٢ - الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى

وقال الحسين بن منصور : من اسكرته انوار التوحيد حجبته عن عبادة التجريد ، بل من اسكرته انوار التوحيد نطق عن حقائق التجريد ، لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ان قال قائل : ما التوحيد عندك ؟ قيل له : هو القول ان الله واحد ليس كمثله شيء ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير ، وانه ليس بجسم ولا بجوهر ، ولا يوصف بالاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون ، ولا يحل في شيء ، ولا تحويه الاقطار ، ولا يتصور في الأوهام ، انه يعرف بأفعاله ودلائله ، التي نصبها لخلقه ليستدلوا بها عليه ، ولا يعلم بحس ولا اشارة .

فان قال : فما أول ما انعم الله به عليك ؟ قيل له : خلقه اياي حيا .

فان قال : فما أول ما افترض الله عليك ؟ قيل له : معرفته .

فان قال : فما المعرفة ؟ قيل له : هو القول : بأن الله واحد ليس كمثله شيء .

فان قال : فيم عرفته ؟ قيل له : بنفسي ، وما اشاهده ، لأني وجدت نفسي محدودا مؤلفا ، ما آكل به غير ما اشم به ، وما اشم به غير ما اسمع به ، وكذلك النظر وما اشبه ذلك .

فان قال : ما الدليل على ان خالقك لا يشبهك ؟ قيل له : لو اشبهني لجرى عليه ما يجري علي من الضعف والحاجة ، ولم يكن هو بالقدم اولى مني ، ولا انا بالحدث اولى منه ، فعلمت انه لا يشبهني ـ عز وجل ـ عن ذلك .

فان قال : فما الدليل على ان خالقك واحد ليس باثنين ؟ قيل له : لو كان اثنين لكان لا يخلو ان يقدر كل واحد منهما على منع صاحبه ، أو لا يقدر ، فان كان يقدر فصاحبه عاجز ، وان كان لا يقدر فهو عاجز ، فقد لحقهما العجز جميعا ، وايضا لو كان اثنين لكان لا يخلو كل واحد منهما ان يستتر بسر دون

صاحبه ، أو لا يقدر على ذلك أو يقدر ، فان كان يقدر بصاحبه عاجز ، وان كان لا يقدر فهو عاجز ايضا ، فعلمنا ان خالق الاشياء واحد ليس باثنين - تعالى الله - عما يقول الملحدون علوا كبيرا ، والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب (الجهالات) تأليف أهل (المغرب) ، فان قال : لأي علة كان التوحيد توحيدا ، لعلة القول ، أو لعلة الارادة ، ام لعلة القول والارادة ؟

الجواب في ذلك : ان التوحيد كلمة تنفي كل اله دون الله ، قال الشيخ جاعد بن خميس الخروصي : ان العلة من الاكوان والكائنات كائنة كلها محدثة بعد ان لم تكن ، والمحدث لها كان ، ولا زمان ، ولا مكان ، وهو على ما عليه الآن كان لا يدرك بعين ، ولا يطالب بأين ، عز عن ان تحويه الامكنة ، وجل عن ان يجوز التكليف عليه في ازمنة ، أول لا أول لأوليته ، وآخر لا آخر لآخريته ، قد استحال الى حال المحال ، ان يقال لاي علة كان المتعال ، لم يزل في الازل ، منفردا بالالوهية الازلية ، واجبة له صفة الوحدانية السرمدية ، لغير علة كانا له ؛ لأن وجوده كان قبل كون وجودها ، الا هو الملك الحق ، له الامر والخلق ، يحيي ويميت ، وهو حي دائم لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

خالق كل شيء ومالكه فهو المحدث لما سواه ، وما سواه محدث له احدثه بعد ان لم يكن فاخرجه من العدم الى الوجود ، بجوده فخرج باخراجه اياه من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، وكان بعد ان لم يكن كما شاءه واراده ، وكذلك ما يكون من المكنونات ، فتكوينه في الكون يكون في وقته من جميع ما هو كائن في علمه ان سيكون في وقت ما يكون ، من الكائنات ، جل عن الضد والمشابهة ، والند والمقايسة ، والحد والمماثلة ، والكيف والاين والمعادلة ، ﴿ذلكم الله ربكم لا اله الا هو﴾[1] ﴿هل تعلم له سميا﴾[2] كلا ،

---

١ - الآية - ١٠٢ - سورة الأنعام

٢ - الآية - ٦٥ - من سورة مريم

ان كان أو يكون ﴿فاهجرني مليا﴾[1].

له الأمر من قبل ومن بعد ، لا يجوز عليه العد والحد ، ولا المعارضة له بالضد والرد ، خلق المكلفين من الخلق للعبادة ، وجميع الكائنات للدلالة والشهادة ، فكانت الكائنات كلها من العرش الى الفرش سبلا متصلة الى معرفته ، وصارت بالضرورة ناطقة بوحدانيته ، شاهدة بألوهيته ، لظهور الافتقار الى الواحد القهار .

ومن جوده اظهر في الوجود فنون توحيده ، لاولى التعبد من عبيده ، وأوضح لعباده سبيل العبادة ، والزمهم كلمة الشهادة ، وقد سبق في سابق الارادة ايمان من يؤمن به ويعبده ، وكفران من يكفر به ويجحده ، ولا يكون الا ما كان في علمه انه كائن ، ولكنه اراد بقيام الحجة وايضاح المحجة ؛ ان يهلك بالمعصية من هلك عن بينة ، ويحيا بالطاعة من حي عن بينة ، ولو شاء غير هذا لكان ، ولا يكون ما شاءه الا عدلا كما لم يكن هذا منه الا فضلا ، ولكنه من فضله ومحض تفضله ، وخالص كرمه اراد ان لا يعذب الا بعد الحجة ، كما لا يثيب الا بحجة فانزل الكتب تتلى ، وارسل الرسل تترى ، وجعل في كل امة بشيرا نذيرا ، ولكل قوم هاد ، خبيرا بصيرا .

وانار بنوره منار سبل توحيده ، لمريد الوصول الى حقيقة تفريده ، حجة واضحة منه لمريده ، وعلى من ذهب به الجهل الى تنديده ، والى الالحاد فيه وتحديده ، فانكشف قناع الوهم لأهل الارادة ، وظهر الحق لاهل الصدق من ذوي العبادة ، وعميت حقيقة المنهج الأهدى ، على اهل الجهل والعمى ، بعد البيان ، وقيام البرهان ، ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم اجمعين ، ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾[2] لا يسأل عما يفعل وفعله كله عدل ، واحسانه

---

١ - الآية - ٤٦ - سورة مريم

٢ - الآية - ١٧ - سورة الكهف

كله فضل ، فمن عذبه فبعدله ، ومن رحمه فمن فضله ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ، ولا يعذب الا من عصاه واتبع هواه ، كما لا يثيب الا من اطاعه واتقاه .

وهو الخبير الحكيم العليم ، شديد العقاب والعذاب الغفور الرحيم ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ليس له والد ولا ولد ، ولم يكن له كفوا احد .

ابدع الاشياء كما شاء ، ولما شاء ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، خلق الانسان والملائكة والجان ، ليبتلي اولي الالباب العاقلة بالعلم والعمل ، لينظر كيف يعملون وهو العليم بما عملوا ، أو ما يعملون وسيعملون ، فسبحان من جعل الشقاوة والسعادة مركزة تحت دائرة العبادة ، ثم انه كلف المكلفين من هؤلاء المتعبدين ، لم يتركهم والتكليف ، بل بين لهم ما يأتون ويذرون .

وضرب لهم الصوى في منهج التقى ، واضاءه بسناء انوار الهدى للذين يهدون بالحق وبه يعدلون في الورى ، ويطلبون منه منازل الرضى من الخواص المخصوصين بمعرفته ومعرفة دينه ، وألهمهم كلمة التقوى ، وكانوا احق بها واهلها ، فصاروا هم الحجة في بلاده لمن اتبع ، وعلى من امتنع من عباده ، وابى ان يأتمر بما به امر من الأوامر ، ويتزجر عما عنه زجر من الزواجر ، وما كان لهم من العلم والديانة والحلم ، أو كان أو يكون من المعاملات من جميع انواع العبادات من الايمان ، والدرجات الاحسان كائنا منها ما كان من العمل بالاركان ، والقول باللسان ، والاعتقاد بالجنان ، من الوسائل واللوازم والفضائل ، والحركات ، والسكون ، والخواطر والظنون ، والحواس والمحسوسات ، والعقول والمعقولات ، وما احدثه فانزله من التنزيل ، أو اظهره من عباده لعباده ، أو يظهره من التأويل ، والدلالة والاستدلال ، والدليل ما خلاه ، والمستدل به والمستدل عليه ، الا هو والمدلول والعلة ،

والمستعل والمعلول وجميع ما اشتمل عليه الجوهر والعرض ، واحتوته السماء والارض ، وما فوقهما وما تحت الثرى ما كان في عالم الملك والملكوت ، أو يكون من الاكوان في الآتي من الازمان ، وبعد فناء الزمان والمكان .

وكل ما سواه فكله منه ، وصادر في الحقيقة عنه ، قل كل من عند الله كائنا ما كان كله ، انما امره لشيء اذا اراده ان يقول له كن فيكون ، فجميع ما كان أو سيكون ، مما هو كائن في علمه انه يكون ، من بعد ان لم يكن في وقت ما يكون ، كما اراد متى اراد ، لما اراد وفي وقت ما اراد ، ان لا يكون فلا يكون .

واذا اراد كون ما اراد كونه واخراجه في وقته بارادته من عالم غيبه ، أو عدمه الى عالم اشهاده ، أو ايجاده قال له قول اراده ، كن فيكون كما شاءه واراده ، لا على ما تعقله العامة من القول ، وعلى هذا فان اطلق في علة الكون القول على القول على ارادة الارادة بالقول ، أو على الارادة أو القول او الارادة في التسمية على هذا مع اصابة المعنى الحق في القول ، والارادة أو السلامة من الباطل في الاعتقاد فيهما كان كله صوابا ؛ لأن القول نفس الارادة لا ان له قولا كقول من يقول من القائلين تعالى عن التشبيه ، والامثال في شيء من الصفات ، أو شيء من الافعال ، أو في شيء من الاقوال ، او في حال من الحال .

وجل عن ان يشبه شيئا أو يشبهه شيء ، لانه شيء لا من شيء ، ولا كشيء ، وليس كمثله شيء ، تعالى العلي الاعلى عن ذلك كله وعن قول من يقول من اولي الجهل والعمى في الارادة ، انها هي غيره ، يريد بها من يريده ، فانه مريد بنفسه ، لا بارادة له على غيرة ، كما قاله اهل الافك من الوصف بها له فيه ، فان ذلك ما لا وجه له عند من صفا ذهنه ، وانفتحت بصيرته ، لأن في اثبات ما قالوه هنا ابطالا لقدم الفردية ، وتعطيل الواحدانية ، واثبات الجبار ، محلا للاغيار .

﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾[1]، ﴿ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا﴾[2]، يقولون في الله غير الحق جهلا ، ويعتقدونه دينا ولدينهم اصلا ، أولئك قوم نظروا الى المولى ، بعين حولاء ، نظر المغشي عليه من الموت فعميت عليهم الحقيقة فحادوا يسار الطريقة ، ودخلوا في التشبيه من حيث ارادوا الفرار منه بالتنزيه ، والحمد لله على ما بصرنا وهدانا له من هداية دينه ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

(مسألة) : ومن كتاب (النور) في الرد على من قال : الله خلق خلقه لعلة الدليل على بطلان ذلك ، ان العلة انما تتصور فيمن يروم دفع مضرة ، أو استجلاب منفعة والله - عز وجل - منزه عن ذلك ، فلا ضرر يلحقه ، ولا نفع يجيله ، فلا تتصور في افعاله علل ، والواحد منا يفعل كما يفعله ، اما يستجلب به منفعة الى نفعه أو يروم به دفع مضرة بخلاف اوصاف الباري - عز وجل - ، والدليل على ان العالم المصنوع ليس بمعلول ؛ ان المصنوع لو كان معلولا لعلة لولاها لم يكن مصنوعا ، لجاز ان تعدم العلة فيكون مع عدم العلة غير مصنوع كما ان المتحرك اذا كان متحركا لعلة لولاها لم يكن متحركا ، فهو مع عدم العلة غير متحرك ، لكن الباري - عز وجل - خلق خلقه على ما يشاء ولا علة لفعله .

وسأل اهل الدهر فقالوا : أوجدنا لعلة ؟ حدثونا عن محدث الاشياء احدثها لغنية أم لعلة ؟ قيل لهم : بل احدثها لغنية لا لعلة ، هي غير الفعل بل الفعل هي العلة التي لها كان فاعلا .

قال بشير : أول معرفة الله خلق من الله - عز وجل - وهو اضطرار ، ولا بد ان يخلق لهم من المعرفة التي بها يكتسبون ما يلزمهم من معرفة الله - تعالى - ودينه فالمعرفة الاولى خلق ، والثانية اكتساب .

---

١ - الآية - ٧٨ - سورة النساء

٢ - الآية - ٤٤ - سورة الفرقان

وقال ابن مسعود : ما عرف الله من شبهه بخلقه والله اعلم .

(مسـألة) : قال علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب : أن أول عبادة الله معرفته ، ومعرفة توحيده ، وتوحيده نفي صفات التشبيه عنه بشهادة العقول ؛ لأن كل مشبه موصوف بالاشباه مخلوق ، وشهادة كل مخلوق ان له خالقا لا يشبهه ، ولا يوصف بصفاته أو شهادة كل حدث بالامتناع من الازل فلا ديانة الا بعد معرفة ، ولا معرفة الا بعد اقرار ، ولا اقرار الا بعد اخلاص ، ولا اخلاص الا بعد توحيد ، اذ الاقرار يعصم من الانكار ، ولا ينال الاخلاص بشيء دون التوحيد ، والله اعلم .

(مسـألة) : من كتاب (النور) ، اختلف الناس في معرفة الله ـ تعالى ـ تقع اضطرارا أو اكتسابا .

فذهب ذاهبون الى ان معرفة الله ـ تعالى ـ اضطرارية : جبلت في قلب الأنسان ، معلقة بالعقل لا تنفصل لاستحالة انفصالها عن العقل ، وانه يستحيل انفصالها عن عقله كاستحالة زوال بعض اعضائه .

وذهب ذاهبون الى ان معرفة الله ـ تعالى ـ معزفتان : اولها اضطرارية وهي غريزة ، والثانية اكتسابية .

وقال من قال : ان معرفة الله ـ تعالى ـ اكتسابية ومنهم ، الشيخ ابوالحسن البسياني .

ودليل من قال ان معرفة الله ـ تعالى ـ اكتسابية ان الله تعالى لما نصب عليها الدلائل ، وامر بالنظر العلمي والفكري في تلك الدلائل المنصوبة . واعد الثواب لمن امتثل ذلك ، والعقاب على المفرط الراد التارك لما امر به من ذلك دل على انها اكتسابية ، لأن الاضطراريات لا يعد الله عليها ثوابا ، ولا يتوعد عليها عقابا ، كما لا يعدنا على ما خلق فينا من الجوارح الثواب ، أو يتوعدنا عليها بالعقاب فدل عند هؤلاء ان معرفة الله ـ تعالى ـ اكتسابية لا اضطرارية .

ومن قال : اولها اضطرار خلق من الله ، والثانية اكتساب من اصحابنا بشير ، ومما يستدل بالشاهد على الغائب ، قال المؤلف : وذلك ان العاقل اذا رأى نارا علم ان كل نار كذلك حكمها ، كما رأى تلك النار في الشاهد ، وكذلك اذا رأى الحيوان لا يقع الا على التناسل ، حكم بذلك لعلة على ما غاب عنه من جنس الحيوان انه واقع على التناسل ، ويستدل بالبناء على الباني ، والكتاب على الكاتب ، وبالأثر على المؤثر ، وامثال هذا مما يستدل بالشاهد على الغائب وبالله التوفيق .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) ؛ روي ان رجلا خرج سائحا لله تعالى حتى دخل بيت المقدس ، فوجد رجلا يصلي في المسجد ، فلما فرغ قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فرد فقال : السلام على اهل اليقين ، والتسليم والاسلام ، اجلس ، فلما جلس واطمأن ، قال له أعبد انت أم حر ؟ فقال : بل حر ، فقال له : من اعتقك ؟ فاطرق المسئول مليا فتفكر في جوابه ، ثم قال : لا ؛ بل عبد .

فقال : من استعبدك ؟ فقال له المسئول : الله استعبدني ، وهو معبودي والعبادة طاعة لله ـ عز وجل ـ .

فقال له : اخبرني عن الله الذي استعبدك ، اسم هو أم صفة أم فعل أم معنى ؟ قال : اسم . قال : اسم لمن ؟ قال : لله تعالى ، قال : فأي الالهين تعبد الاسم أم المسمى ، فانقطع المسئول وتحير في جوابه .

فقال له المصلي : يا هذا ؛ انما يعبد الله من يعلم ما الله ، فاما من لم يعرف الله فانما يعبد غير الله ، ومن عبد غير الله فقد اشرك بالله ، ثم قال له : لا يدرك بعقد ضمير ، ولا احاطة تفكير .

وقال من عبد الله بتوهم القلب فهو مشرك ، ومن عبد الأسم دون المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك ، ومن عبد الاسم دون

الصفة الا بالادراك فقد احال على غائب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فقد اصاب وهو مؤمن حقا ، والله اعلم .

(مسـألة) : ان سأل سائل ؛ هل لله ذات تعرفها ؟ قيل له : نعم ؛ ذاته هو ، وقدرته ومشيئته ، وغير ذلك مما لا يعرفه الا هو ، ويقال له ذات غير محدودة ، ولا موصوفة ، كما قال تعالى : ﴿تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك﴾[1] ولا تحد النفس ولا توصف ـ تبارك وتعالى ـ ، فان قال : هل يقدر الله ان يخلق مثله ؟ قيل له : لا مثل لله ، وهذا سؤال فاسد مستحيل ، اذ لا يشبه الخالق بالمخلوق ، والله تعالى لم يزل ، ثم احدث الاشياء وهو الخالق لكل مخلوق ، وكان هذا السائل قال : يقدر ان يخلق من لم يزل ، وهذا محال لأن الله تعالى لم يزل ، والذي يكون مخلوقا محدثا فلا يشبه المحدث بمن لم يزل ، ولا المخلوق بالخالق ، وهذا سؤال ظاهر فساده ، ولا يجوز لقائله لفساده واستحالته والله اعلم .

(مسـألة) : ويجب على العبد اذا بلغ وصح عقله وزالت عنه الآفات في احوال التكليف ، ان يعرف خالقه انه واحد ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، ودليله على ذلك ما يرى في نفسه من عجائب خلقه ، ولطيف صنعته ، وغير نفسه من خلق السموات والارض والليل والنهار ، وما يشاهده من اختلاف احواله ، والآيات ، والدلائل على وحدانية الله ـ تعالى ـ والله اعلم .

(مسـألة) : من كتاب (الارشاد) أول ما افترض الله على عباده المعرفة به ، وأول ما انعم الله به على العبد الحياة ؛ لأن بها تدرك الاعمال ، وافضل ما انعم الله به على العبد العقل ؛ لأن به يعرف الحسن من القبيح ، وبه يجب الحمد والذم ، ويلزم التكليف .

واحسن ما خلق الله في العبد العلم ، واقبح ما خلق الله فيه الجهل ،

---

١ - الآية ـ ١١٦ ـ من سورة المائدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمام النعمة على العبد الدخول في دين الاسلام ، الذي انعم الله به على من يشاء من عباده ، ورضيه لهم دينا ، وحق الله على عباده ان يعرفوه ، ويوحدوه ، ويعبدوه ، ويشكروه ، ولا يكفروه ، ويتقوه حق تقاته ، وقال النبي ﷺ : « حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا » .

وأول ما تعبد الله به عباده طاعته ، واتباع امره ، وأول الحجة على العبد العقل ، وبه عرف العبد ربه ، وما يشاهده من خلق السموات والارض ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، وما يرى من آثار التدبير ، وخاصة من تركيب الجوارح ، وآلات النظر ، والسمع والشم والذوق والكلام والبطش ، والمشي وغير ذلك ، فاذا عرف العبد ربه ، وان الله تعالى هو خالقه ورازقه ، واليه مصيره ، فعليه ان يعلم انه لا بد للمولى ان يأمر عبده بطاعته ، وينهاه عن معصيته ، فاذا فهم هذا ؛ فعليه ان يتعلم ما تعبده الله به وافترضه عليه .

واصل معرفة ذلك مما أنزله ـ تعالى ـ في كتابه على لسان نبيه ، وأمر به رسوله من سنته التي أمر بها العباد ، ونهاهم عنها ، وكل ذلك صلاح لهم ، ويرجع الى معرفة ذلك بالتعليم ممن حمل علم ذلك من أهل الفقه ، والثقة والورع ، قال الله تعالى : **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** [1] .

(مسألة) : الدليل على أن الله ـ تعالى ـ واحد ، وانه لا إلٰه غيره ، وانه لا شريك له في الملك ، قوله تعالى : **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه اذاً لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾** [2] ، فلا إلٰه غيره ، ولا خالق سواه .

والدليل على ان الله خالق الأشياء ومحدثها لو أن نطفة وضعت بين أيدي

---

١ - الآية ـ ٤٣ ـ من سورة النحل
٢ - الآية ـ ٩١ ـ من سورة المؤمنون

الخلق جميعا يرونها ، ويمسونها ، لم يقدروا ان يخلقوا لها عظما ولا لحما ، ولا شعرا ولا بشرا ، ولا حياة ولا قدرة ، فكيف اذا كانت في ظلمة الرحم وبينها وبينهم الحجب الكثيرة ؟ فهم عن صنعها أعجز ، وعن تدبيرها أبعد ، فعلمنا ان من جعل النطفة خلقا هو الله الواحد ، الذي ليس كمثله شيء ، والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب شرح قصيدة ابي نصر فتح بن نوح المغربي النفوسي ؛ والله حق أي وجوده حق ، لا كما زعم المبطلون من أهل الالحاد ، وهم كل من انكر الله - عز وجل - وجحده ، أو شبهه فأبطله ، وذلك أن اهل التكذيب والالحاد من الدهرية والسمنية ، والزنادقة والتثوبة ، من المتانية والدنية ، والمرقونية ، والكيفانية ، والفلاسفة ، وعبدة النجوم السبعة ، وأصحاب الاثنى عشرية ، من المجوس مطبقون على أشياء انها قديمة غير محدوثة ، ولكنها متنقلة من حال الى حال ، فانكروا بقولهم ذلك القديم جل جلاله ، واختلفوا بعد اجماعهم على انها قديمة في كيفية انتقالها .

فقالت الدهرية والصيامية والسمنية والمجوس ، ان الأشياء كلها واحدة ، وتكونت من واحد .

وقالت المنانية : ان الأشياء تكونت من أصلين قديمين ، نور وظلمة .

وقالت الديصانية : ان الأشياء تكونت من أصلين قديمين ، على مثل مقالة المنانية ، لأن المنانية زعموا : انهما جميعا النور والظلمة ، حيان فعالان ، دراكان حسابان .

وزعمت الديصانية : ان النور حي والظلمة موات .

فزعمت المنانية : ان كل ما يحدث في العالم من خير وبر ونور وعلم ؛ فهو من الأصل النوري ، وكل ما أحدث من جهل وظلمة وفجور فهو من الأصل الظلمي ، ومن غيره ؛ وقد قال الشاعر فيهم :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبـر ان المانـوية تكـذب

رجــع ؛ وقال المرقونية : لم يزل النور في العلو وسموه (الله) ، تعالى الله عن ذلك ولم تزل الظلمة في السفل ، وسموه (الشيطان وخلطوا بين ذلك في الوسط من خير وشر ، لم يزل وسموه [الانسان] ثم زعموا : ان الشيطان بغى على الانسان فقهره فبعث الله روحا منه اسمه المسيح ، لينقذ الانسان من الشيطان ، فعلم به الشيطان ، فقتله فأخذ الله الشيطان ؛ زعموا بدم ابنه ، فصالحه الشيطان على أن يدعو الانسان ابن الله ، تعالى عن ذلك ، فمن تبعه زعموا الحق به فصار منه ، ومن تبع الشيطان لحق به وصار منه .

وقال : انما في الدنيا من التدبير كله عمل الشيطان ، فزعموا ان الأشياء كلها ثلاثة ، ومن الثلاثة الله ؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقال بعض الدهرية : كان بدء الأشياء من حبة ، فانفلقت تلك الحبة عن جميع ما يرى في الدنيا ، والحبة كانت أصل الأشياء ، وجميع ما يرى اليوم فروع من ذلك الأصل ، وزعموا ان الأشياء كلها واحد ومن واحد .

وقالت السمنية من أهل الدهر : لم تزل الدنيا هكذا منقلة كتنقل النطفة انسانا ، ثم يصير الانسان نطفة ، وكالبيضة والطير والحبة والشجرة ، وكذلك جميع ما يرى في الدنيا ، فزعموا ؛ انِ جميع ذلك واحد ومن واحد .

وقالت الصيامية : ان النور قديم لم يزل ، وزعموا انه الله ، وانه خلق الظلمة ، ثم زعموا ، ان تلك الظلمة هي الشيطان ، وان الشيطان هو كلمة الله لانه من خلقه ، ثم زعموا ان الظلمة بغت على النور ، فاقتتلا وامتزجا ، فهما شيئان مختلطان ما كان منهما من خير فمن الله ومن عمله ، وما كان من شر فمن الشيطان ومن عمله ، فزعموا ان الأشياء كلها واحد ومن واحد .

وقالت المجوس في بدء وصفها : مثل مقالة الصيامية ؛ لكنهم زعموا ، ان النور تفرد بخلق كل حسن جميل طيب ، وان الظلمة تفردت بخلق كل

شيء قبيح رذيل .

وقال بعضهم : بل الظلمة تفردت بخلق جميع ما في الدنيا ، فزعموا ؛ ان الأشياء كلها واحد من واحد .

وقالت الكيفانية : لم ترَ الأرض والريح والماء ، والنار والحر والبرد ، والندوة والتيبس ، وانه لا شيء غير ذلك ، فزعموا ان الأشياء أربعة ، ومن اربعة .

وقالت الفلاسفة : مثل مقالة هؤلاء ، الا انهم الحقوا خامسا غير الأربعة ، زعموا ؛ انه هو العلم الذي يلي التدبير كله ، فزعموا ؛ ان الأشياء خمسة ، ومن خمسة .

وقال عبدة النجوم : الآلهة سبعة : الشمس والقمر ، وخمسة انجم ، فزعموا ؛ ان البروج الاثنى عشر ملائكة ، وزعموا ؛ ان تلك السبعة هي التي تلي تدبير العالم كله ، وهم أصحاب السبعة ، والاثنى عشر من المجوس .

وزعم أفلاطون وغيره ؛ ان الأشياء قديمة لم تزل ، وان مدبرها قديم معها لم يزل ، وهو ملابس لها ، ينقلها من حال الى حال ، في هذيان كثير من أقوال الملحدين ، وأهل الأباطيل تركته مخافة التطويل .

فهذا ما اختلف فيه المنكرون لله ـ عز وجل ـ من ادعائهم ان الأشياء قديمة متنقلة ، واما من زعم من أهل الالحاد انهم اقروا بالله فكالبراهية ، وهم قوم يزعمون انهم ؛ على دين آدم ـ عليه السلام ـ ، وانكروا نبوة سائر الرسل ، وفي بعض الأثر ؛ انهم انكروا جميع الرسل ، واليهود ايضا من يدعي الاقرار بالرسل الا السائرة منهم ، فانها قالت بنبوة موسى وهارون ويوشع بن النون ـ عليهم السلام ـ ، وانكرت نبوة سائر الأنبياء كداود وسليمان ، وغيرهما من المرسلين ، ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

وأما الاصبهانية ، منهم أصحاب ابي عيسى الاصبهاني ، فانهم قالوا :

ان عيسى ومحمدا ـ عليهما السلام ـ قد بعث كل واحد منهما الى قومه ، ولم يبعث الى غيرهما .

وأما العنانية منهم ؛ فانها قالت ؛ نسخ الشرائع من جهة العقل محال .

وقالت السمعانية : نسخ الشرائع من جهة العقل جائز ، ولكن موسى ـ عليه السلام ـ قد وافقنا بقوله : ان هذه الشريعة لازمة لكم مؤ بدة عليكم ما دامت السماوات والارض ، لا ناسخ لها ولا مبدل لها ، على انها لا تنسخ ، وزعم قوم منهم فيما بلغنا ؛ أن الأرواح تتناسخ ، وزعموا انهم وجدوا في كتاب (دانيال) ـ عليه السلام ـ ، ان الله تعالى نسخ بخت نصر في سبع صور من الدواب ، والسباع ، والنصارى ايضا ـ لعنهم الله ـ ممن يدعي الاقرار بالرسل ، وهم المشركون بالله ـ عز وجل ـ ، المشبهون له ، أصل افتراقهم ثلاثة :

منها فرقة يقال لها : النسطورية .

وفرقة يقال لها : اليعقوبية .

وفرقة يقال لها : الملكية .

افترقوا في المسيح ـ صلوات الله عليه ـ فحكى الله ـ عز وجل ـ ذلك في كتابه ، فقال : **﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم﴾** (١) ، وقال في موضع آخر : **﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾** (٢) ، فلم اجترىء على تفضيل اقانيمها ، تعالى الله عما وصفه به الملحدون ، علوا كبيرا .

وأما من أقر بالله ـ عز وجل ـ من أهل التوحيد ، ثم شبهه فأبطله ، فرق كثيرة ؛ كالهشامية ، واليونسية من الرافضة ، والكرامية مشبهة فيما حكي عنهم أيضا ، والزرارية ، والشيطانية ، وغير ذلك من فرق المشبهة ، فهم

---

١ ـ الآية ـ ٧٢ ـ من سورة المائدة

٢ ـ الآية ـ ٣٠ ـ من سورة التوبة

بالجملة ثلاثة أصناف .

أحدها ؛ الذين قالوا بالتشبيه على حقيقة التشبيه ، وبالتجسيم على حقيقته ، فهؤلاء هم يزعمون ان معبودهم على ما يعقلونه من أنفسهم ، وبجميع معاني التجسيم ، من الجوارح وغيرها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والصنف الثاني ؛ مقالة القائلين بمجرد التجسيم دون معاني الاجسام ، وزعموا انه جسم لا كالأجسام ، ونور لا كالأنوار ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والصنف الثالث ؛ هم الغالطون في متشابه القرآن ، المحرفون لكلام الله ـ عز وجل ـ ، المتعلقون ، وهؤلاء مع ما فيه من التشبيه ؛ فانهم حائدون عن التسمية بالجسم بزعمهم ، وهذا الصنف هم الذين يسمون الحشوية ، وأصحاب الحديث .

وكل هذه الفرق فيما بلغنا يزعمون ان الله يرى يوم القيامة ؛ على ما سيأتي بعد ـ ان شاء الله ـ ، وانه حالّ على العرش عندهم ، تعالى الله عما وصفوه به علوا كبيرا .

وهذا الذي كتبت هاهنا مما وجدت في كتب الأوائل ، والله اعلم بهذا كله ، وقد ذكرت بعض أقاويل الملحدين لكي تقفوا عليها ، وتعرفوا تفاصيلها ؛ لأن هذا قد اندرس من أكثر كتب الأوائل بعدما دونوه وكتبوه ، وأوضحوا الرد عليهم بالاحتجاج الصحيح من الدلائل العقلية ، والبراهين النيرة ، وذكرت بعض ما امكنني ذكره ، واعرضت عن الاحتجاج عليهم مخافة التطويل ، فلا فائدة فيه ولا تحصيل ، ولا سيما كفينا مؤونتهم من قديم الزمان ، دون غيرهم من مذاهب أهل التوحيد .

وقال اهل التوحيد وجميع من أثبت الصانع ـ جل جلاله ـ : ان الأشياء

كلها جوهرها وعرضها ما يرى منها ، وما لا يرى محدثة كائنة بعد ان لم تكن مخلوقة مصنوعة ، فان لها محدثا أحدثها ، وخالقا خلقها ، وهو الله ـ عز وجل ـ الأول القديم الذي لم يزل ، ولا يزال ولا يزول ، فشبهه ـ عز وجل ـ أصناف منهم بعد ذلك ، ووصفوه بما لا يليق به بعد اجماعهم على انه ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وقال المسلمون وجميع من نفى عنه التشبيه عن الله ـ عز وجل ـ ان القديم ـ عز وجل ـ لا يشبهه شيء ، ولا يشبه شيئا من الأشياء ، ولا ينبغي له أن يشبهه في اسم ولا صفة ولا ذات ولا فعل ، ﴿هو الحي لا إلٰه إلا هو فادعوه مخلصين ، له الدين ، الحمد لله رب العالمين﴾ .

(مسألة) : ومنه ؛ فان سأل سائل عن التوحيد ، أهو فعل العبد ام فعل الله ؟ قيل له : فعل العبد من جهة الكسب ، وفعل الله من جهة الخلق .

فان قال : اكتساب هو أم اضطرار ؟ فقل : اكتساب ليس باضطرار ، واعلم ان دين الله ـ عز وجل ـ كله اكتساب ، وليس منا من ادعى علم الديانة بغير تعليم ، وانما يعلم الله ـ عز وجل ـ بالاكتساب والاستدلال .

فان قال : ما يفعل التوحيد من الانسان القلب ام اللسان ؟ فقل : هو فعل القلب من جهة الضمير ، وفعل اللسان من جهة النطق .

فان قال : هل يصح الضمير دون النطق أو بالنطق دون الضمير ؟ قيل له : لا ؟ ومن زعم انه يصح بالضمير دون النطق فقد كفر ، وهو قول جهم ابن صفوان ، زعم ان الايمان معرفة دون الاقرار ، وكذلك من زعم انه يصح بالنطق دون الضمير فهو كافر ايضا ، وهو قول مروان بن غيلان ، زعم ان الايمان اقرار دون معرفة .

فان قال : بماذا كان النطق بالتوحيد توحيدا لمعناه أو لمعنى غيره ؟ فقل : بمعنى اشتراكه مع خصال التوحيد كلها ، والتوحيد يكون فرضا ، ويكون

نفلا ، فكلما رأيت خلقا فاقررت ان الله خلقه ، فذلك منك توحيد ، وخصال التوحيد محدودة ، ولا يزداد ولا ينقص ، واما الايمان فهو يزداد وينقص .

قال غيره : ان الايمان مع اهل الحق يزداد ولا ينقص ، لانه اذا نقص بعضه بطل كله والله اعلم .

والنطق بالتوحيد علم وذلك العلم حال في القلب على الحقيقة ، والنطق باللسان حال في اللسان على المجاز ، ودرك الحواس علم حال في القلب على الحقيقة ، والدرك حال في الحواس على المجاز .



الباب الثاني

في أسماء الله الذاتية والفعلية ، وما يجوز أن يوصف بها في الأزل وما لا يجوز

من كتاب (بيان الشرع) :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن أبي المؤثر ؛ ومن صفة الله ـ عز وجل ـ ان يقال : لم يزل الله عالما ، ولم يزل قويا ، ولم يزل عزيزا ، ولم يزل حكيما سميعا ، ولم يزل بصيرا ، ولم يزل ملكا ، ولم يزل ماجدا ، ولم يزل قديرا ، ولم يزل حليما .

قال غير المؤلف والمضيف : قوله [لم يزل حليما] بمعنى [عليما] لا بمعنى [حليم] عن العصاة ، فاذا أريد به حليما عن العصاة ، لم يجز ان يقال لم يزل حليما .

وكذلك ما ذكره في الأزل بقوله : [لم يزل حكيما] فالقول فيهما واحد ، اذا كان المراد به صفة الذات قيل : لم يزل حكيما ولم يزل حليما ، بمعنى [عليما] واذا اريد به الفعل لم يجز أن يقال : لم يزل [حكيما] ولا يقال : لم يزل [حليما] .

رجـــع ؛ ويقال : لم يزل الله ربا لمربوب سيكون ، ولم يزل الها لمألوه سيكون ، ويقال : لم يزل الله وهو الخالق ، ولم يزل وهو الرزاق ، ولا يقال : لم يزل خالقا ولا رازقا .

يقال في صفة الله ـ عز وجل ـ : رب كل مربوب ، والله مولى كل مولى ، والله سيد كل سيد ، والله مالك كل ملك ، والله ـ لعله أراد ـ والله مالك كل مالك ، والله لعله اراد بإلٰه كل إلٰه ، لانه لا إلٰه إلا هـو .

قال المضيف : لعله اراد ، ولا يقال : إلٰه كل إلٰه .

قال غير المؤلف والمضيف : لا يقال : اله كل اله ، ولا يقال اله الآلهة ؛ لانه لا اله الا الله وحده لا إله غيره .

(مسألة) : ومنه ؛ ومن كلام ابي عبدالله محمد بن محبوب ؛ ان الله واحد لم يزل ولا يزال ، الى غير غاية ولا نهاية ، وانه صانع الأشياء وفاطرها ، ومنشئها كما شاء ، فهو الاله والخلق به مؤلهون وليس لهُ شريك في صنعه ، ولا ضد له في ملكه ، ولا شبيه له ولا ند ، ولا صاحبة ولا ولد ، وانه محيط بالأشياء وناظر اليها ، ومطلع عليها ، لا تحيط به اقطارها ، ولا تدركه أبصارها ، في الدنيا والآخرة ، وليس هو الى شيء بأقرب منه الى شيء ، لا يستعين بساطع الضياء ، على الاحاطة بالأشياء ، ولا تحجبه ظلم الدجى ، عن درك ما تحت الثرى ، يدرك الأصوات وان كثرت بلا اصغاء منه اليها ، ولا استماع منه لها ، ويرى الأشياء بلا لحظ منه لها ، ولحاج منه اليها .

سبحانه عن ذلك وعن أن يقع عليه التوهم ، وان يدركه التوسم ، تصفه كما وصف به نفسه في كتابه ، ولا تجاوز ذلك ولا تعدوه بتحديد ولا تبعيض ، ولا تقدير ولا تصوير ، وقد قال قائلون : ان الله تدركه الأبصار في الآخرة ، وذلك ما هم فيه على الله كاذبون ، والحجة عليهم في ذلك عن الله قوية من المسلمين بحمد الله ، وذلك انه يقال لهم : اخبرونا عن الله هل نفى ـ عز وجل ـ عن ان تدركه الأبصار في الدنيا ؟ فلا بد لهم من مجامعتنا على قول نعم ؛ فنقول ان عزة الله وجلاله دائمة غير زائلة في الدنيا والآخرة ، وان زعمتم ان العزة تذهب عن الله في الآخرة فلهذا لا تجهله القلوب ، ومن قبل هذه الحجة فسد عليهم قولهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(مسألة) : ومنه ؛ لابي عبدالله يوسف بن محمد بن شهروابي ، عيسى ابن موسى بن اسحق ومن قبلهما ، من الاخوان من أخيهم أزهر بن محمد ، ومن كتب من أهل عمان سلام عليكم فأنا أحمد اليكم الله الذي لا إلهٰ إلا هو الملك العلي ، الماجد الولي ، القديم الأزلي ، العزيز المقيت ، الجبار الذي يحيي ويميت ، ويفعل ما يريد ، وباقي بلا تأميد ، وتعالى عن التضديد ، والتنديد والتجسيد ، والتحديد والحيثوثية ، والكينونية ، والاينونية ، الواحد المتعال لم يزل ولا يزال الى غير غاية ولا نهاية ، وليس بمحدود في الأفكار ، ولا محجوب بالاستار ، ولا مرئي بالأبصار ، سبحانه من عظيم جل عن تقدير أوهام المتوهمين ، ولطيف لطف عن لطيف بحث المتوسمين ، ابتدع الأشياء بلا مشير ! وكونها بلا تفكير ، وقدرها على غير مثال احسن التقدير ، لم يستعن على شيء بأعوان ، وانما قال له : كن فيكون .

(مسألة) : ومنه ؛ قال ابو سعيد : معي ؛ انه يجوز ان يقال : لم يزل الله قديرا . قال ابو سعيد : يقال : صفات الذات وصفات الفعل ، وأسماء الذات وأسماء الأفعال ، فصفات الذات ما لم تزل ، وصفات الفعل ما تحدث ، وأسماء الذات ما لم تزل ، وأسماء الفعل ما تحدث ، وسألته عن أسماء الله مثل ؛ رحيم وسميع وعليم ، أهي من أسماء الذات أم الفعل ؟ قال : معي ؛ انها هي من أسماء الذات .

(مسألة) : ومن كتاب (لأهل المغرب) في أسماء الله ـ عز وجل ـ الحسنى وصفاته العلى ؛ فأسماؤه ـ عز وجل ـ الرحمن ، الرحيم ، الحي ، القديم ، القادر ، العليم ، السميع ، البصير ، المريد ، المتكلم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الحكيم ، الساخط ، الراضي ، القابض ، الباسط ، المبدي ، المعيد ، المثيب ، المعاقب ؛ في سائر أسمائه ـ عز وجل ـ .

فصـــل : ومنه ؛ يقال : الله ـ عز وجل ـ قديم لم يزل ، وحي وعالم ، وقد علم ، وقادر وقد قدر ، ومريد وقد اراد ، وسميع وقد سمع ، وبصير وقد

ابصر ، ومتكلم وعظيم ، وكبير وعلي ، واول وآخر ، وظاهر وباطن ، وحكيم ، في أمثالها من الأسماء ، وصفات الذات التي لم يزل موصوفا بها في الأزل وبعد الأزل ، ولا يزال موصوفا بها جل وعلا .

فصـــل : ومنه ؛ وكذلك عندنا لم يزل خالقا ورازقا ، وساخطا وراضيا ، وآمرا وناهيا ، مثيبا معاقبا ، قابضا باسطا ، غفورا رحيما ، مبدئا معيدا ، مواليا معاديا ، باعثا وارثا ، في أمثالها من الأسماء التي تدل على الأفعال ، يسمى بهذه الاسماء في الأزل وبعده ؛ لأن الأسماء لا تقتضي الأوقات والأزمنة ، واسم الفاعل لما يأتي ولما مضى ولما انت عليه ؛ لانك تقول : هذا رجل [حاج] ، يريد الحج ، و[حاج] ، ملبس مناسك الحج ، و[حاج] ، على انه سيحج ؛ الدليل عليه قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿هو سماكم المسلمين﴾ (1) ، فسماهم [مسلمين] قبل ان يكونوا ، وقبل ان يفعلوا الاسلام .

ونظير هذا في لغة العرب ؛ يقول القائل : [هذا سيف قاطع] و[فرس سابق] ، وان لم يقطع القطع من السيف ، ولا السبق من الفرس ، اذا كانا في انفسهما كذلك ، والمعنى لو قطع بالسيف لقطع ، ولو سبق بالفرس لسبق .

فصـــل : وكذلك يقال : الله ـ عز وجل ـ في الأزل لم يزل خالقا على ان سيخلق ، ورازقا قادرا على الرزق ، وساخطا على ان سيسخط على الكفار ، وراضيا على ان سيرضى عن المسلمين ، في أمثالها مما يطول ذكره ، لم يزل موصوفا بالقدرة على تكوين هذه الأفعال من الخلق والرزق ، والأمر والنهي ، وسائر الأفعال قبل وجودها .

فصـــل : ومنه ؛ ولا يقال : خلق في الأزل ، ولا أمر ولا نهى ، ولا رزق ولا رضي ، ولا سخط ولا أثاب ، ولا عاقب ولا احب ، ولا أبغض ، في أمثال ما ذكرنا من الأفعال ؛ لانه لو جاز لكان في الأزل معه قدماء كثيرة من الخلق والرزق ، والأمر والنهي ، والحب والبغض ، والسخط والرضى ؛ في

---

١ - الأية ـ ٧٨ ـ من سورة الحج

أمثالها من الأفعال ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، لأن حب الله ورضاه وثوابه ، وجنته وسخطه ، وغضبه عقوبته وناره .

فصــل : ومنه ؛ وذهبت الأشعرية ؛ فيما بلغنا الى ان الله أمر ونهى لم يزل فمنع ذلك المسلمون .

وذهبت القدرية الى أن الله لا يجـوز عليه آمـرٌ ناه في الأزل ، فجوزه المسلمون .

وذهبت شيوخ أهل المغرب ، من أصحابنا فيما وجدت عنهم ، الى أن الله تعالى أحب وأبغض ، وسخط ورضى ، لم يزل ، فمنعه شيوخ الجبل فيما وجدت عنهم ـ رحمهم الله ـ .

وذهب بعضهم واظنه بعض فرق الأباضية من الحسنية والنكاث أو غيرهم ، الى انه لا يجوز على الله خالق رازق في الأزل .

وذهب أصحابنا ـ كما تقدم ـ فيما وجدت في آثارهم ؛ الى جواز القول : بانه آمرٌ ناه ، ساخط راض ، خالق رازق لم يزل ، وبطلوا [أمر ونهي وسخط ورضى وخلق ورزق] في الأزل وما شاكلها من الأفعال ، والله اعلم وأحكم .

ومن كتاب القناطرة :

(مسألة) : معرفة صفات الذات وادلتها انه تعالى يوصف بها ، ولا يوصف بضدها، وصفات الفعل يوصف بها ، ويوصف بضدها ، وصفات الذات لم يزل موصوفا بها ؛ نحو قولك : لم يزل عالما وقديرا ، وسميعا وبصيرا ، وحيا وقاهرا ، وصفات الذات لا يجوز ان يوصف بضدها ، ألا ترى انك تقول لم يزل عالما ، ولا يجوز أن تقول : وقد كان غير عالم ثم علم ، وكذلك نقول : قادرا ولا نقول قد كان غير قادر ثم قدر ، فما كان من صفات ذاته لا يجوز ان تصفه بها ويوصف بضدها ، وصفات الفعل يوصف بها ويوصف بضدها ، ألا ترى انك تقول : يخلق ولم يخلق ، وتقول : خالق وقد

كان غير خالق ، ثم خلق ولم يخلق ، وتقول : رزق وقد كان غير رازق ، واعطى ولم يعط ، واطعم ولم يطعم ، وانما لم يجب له الوصف بهذا ، وما كان مثله من صفات الفعل بعد الفعل ، ولا يوصف بشيء من ذلك قبل ان يفعله ، وصفات الذات هي ما يوصف بها ، ولا يوصف بضدها ، وصفات الفعل ما يوصف بها ويوصف بضدها ، فافهم الفرق بينهما ، واحذر الوقوع فيما لا يجوز منها بعينها .

(مسألة) : ومن كتاب (الارشاد) ؛ كل صفة ذات فجائز ان يقال فيها : لم يزل مثل قولك لم يزل عالما وقادرا ، وسميعا وبصيرا ، وحيا وقاهرا ، وكل صفة فعل فغير جائز ان يقال فيها لم يزل ؛ مثل قولك : لم يزل خالقا وبارئا ومصورا ورازقا ؛ لأن هذه صفات فعلية ، فاذا وصف بها فقد وجب قدم الفعل ، والله تعالى لم يزل واحدا ثم أحدث للأشياء فهي محدثة فلذلك لم يجز أن يقال : لم يزل موصوفا بها ، اذا كانت توجب في المعنى قدم المحدث ، والله تعالى لم يزل ولا شيء ، ثم خلق الأشياء ؛ فلا يجوز أن يقال : لم يزل خالقا مع القول : بأنه قد كان تعالى غير خالق ثم خلق فتتنافى الصفتان ، والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ وصفات الله ـ عز وجل ـ يجوز ان تتبع الأسماء في اعرابها ، ويجوز أن ينصبها باضمار [أعنيْ] ويرفعها باضمار [هو] والمدح والذم كثيران في لغة العرب شائعان .

فهذا يجوز ان يقول : الرحمن الرحيم فيتبع اعراب الاسم الذي قبله وهي القراءة ، ويجوز في العربية رفعها ونصبها ، فالرفع باضمار [هو] والنصب باضمار [اعني] ، ورفعها على المدح جائز كثير ولا يقرأ به ، لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، والله اعلم .

(مسألة) : ومنه ؛ بعض الأسماء أعظم من بعض ، وبعض الصفات أرجح من بعض ، ولا يقال : بعض الكلام أحسن من بعض ، ولا اقبح ،

وكذلك الأمر في الأسماء والصفات .

ومن حدّ صفات الله فهو كمن حدّ الله ، ويقال : اسم الأعظم لا من قبل أن له أسما صغيرا ، وذلك ان لله أسماء كثيرة ، فبعضها محصورة ، وبعضها ليست بمحصورة ، فما ليست بمحصورة ؛ فمؤمن وجبار وواحد وحي ، والمحصور ؛ الله والرحمن الرحيم ، ولا تصغر الأسماء التي حصرت ؛ لانه ليس لله اسم صغير ، لأن من كان صغيرا ففيه تضعيف ، ولا يكون اسمه الأعظم الا وهو محصور ، لا يجوز الخلق ان يتسمى به ، وانما ذكرنا ما ذكرنا ، لانه قد انكر قوم اسم الله الأعظم ، هكذا وجدت في بعض الكتب ، والله اعلم .

(مسألة) : ويقال : الله - عز وجل - موصوف ومعلوم ومتسم وموجود وشيء ، هذا كله مَعَنا اثبات ، ويقال : الله خالق .

وأما أسماؤه ؛ خالقه أو رازقه ، فلا يجوز ، ولا يقال : أسماؤه أعجمية ولا عربية ، ولا مذكرة ولا مؤنثة ، فلا يجوز هذا الا عند من يجعلها لغة ، وليس هو بقولنا .

ويقال : الله تعالى وحد نفسه ، وافرد نفسه ، ونزه نفسه ، وبرأ نفسه من العيوب ، هذا كله معنى واحد ، ولا يقال : سبح نفسه ؛ لأن التسبيح معناه العبادة ، ويقال : عظم نفسه وقدسها ، وعظمناه وقدسناه ؛ وبالله التوفيق .

فصـــل : فان قال قائل : حدثونا عن الله - عز وجل - ذكره حين وصفتموه بما ذكرتموه من الصفات ، أذلك شيء وصف به نفسه في كتابه ، على لسان نبيه ، ام شيء وصفتموه من ذات أنفسكم ؟ قيل : بل هو شيء وصف نفسه في جملة كتابه ، ودل على تأويله بآثار صنعته في خلقه ؛ الدليل على ذلك قول الله - عز وجل - في محكم تنزيله : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** [1] ، وقوله : **﴿لا تدركه الأبصار﴾** [2] (الآية) ، وقوله : **﴿ولم**

---

١ - الأية - ١١ - من سورة الشورى
٢ - الأية - ١٠٣ - من سورة الانعام

يكن له كفوا أحد﴾ [1] ، وقوله : ﴿هل تعلم له سمياً﴾ [2] ، وقوله : ﴿هو الأول والآخر﴾ [3] (الآية) ، وغير ذلك في كتابه عز وجل .

فان قال : فما معنى هذا الذي ذكرتم في هذه الآي ؟ قيل له : لما قال عز وجل : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، وقوله : ﴿هل تعلم له سميا﴾ ، وقوله : ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ ؛ فانما وصف نفسه لعباده ليعلموا انه على ما قال ، فلا تخلو هذه من أن تكون تامة او ناقصة ، فان كانت ناقصة فهي صفة ضعف وذلك عن الله منفي ، وان كانت تامة فهو كما قال : ﴿ليس كمثله شيء﴾ في اسم ولا صفة ، ولا ذات ولا فعل ، فاذا كان الأمر على ما ذكرنا ، وجب على كل مكلف ان ينفي عن الله شبه الخلق من جميع الوجوه ، وان اتفقت الأسماء في اللفظة ، فليعلم ان معاني تلك الأشياء مختلفة ، نظير ذلك ان الله قديم لم يزل ، وعالم لا يجهل ، فيقال لبعض الخلق : قديم وعالم ، ولا يقال : لم يزل ، ولا يجهل لعلة ، ولا لا يجهل ، فيتفق اللفظان ، ويختلف المعنيان لأن تأويل قول القائل ؛ الله قديم أي من غير بدء ولا أول لوجوده ، والانسان قديم انما يعني بعدد السنين والاوقات وقد كان له بدء وأول .

وكذلك قوله : فلان عالم ؛ انما أخبر عن علم استفاده بعد جهل ، وهو مع العلم جاهل بأكثر الأشياء ، فالفضل بين معاني هذه الأسماء بانك تقول ، في الله ، قديم لم يزل ، ولا يزال ، ولا يجوز ذلك في غيره ، وتقول عالم لا يجهل ، قادر لا يعجز ، ولا يجوز ذلك في الخلق ، هكذا سائر الأسماء والصفات التي تستوي في اللفظ ، وتختلف في المعنى ؛ والله أعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ وهل يجوز أن يوصف الله ـ تعالى ـ بانه آمر وناه في الأزل ، واحب وابغض في الأزل ؟ الجواب ؛ اما انه لم يزل [آمر وناهٍ] ؛ بمعنى انه عليم بنفسه انه ليخلق خلقا يأمرهم وينهاهم ، فهو في علمه آمر ناهٍ ، كذلك لم يزل خالقا ؛ بمعنى انه عليم بنفسه انه سيخلق خلقا فهو خالق ، ولم يزل هو متصفا بهذا الاسم ، وما

---

١ - الآية ـ ٤ ـ من سورة الاخلاص

٢ - الآية ٦٥ من سورة مريم

٣- الآية ـ ٣ ـ من سورة الحديد

اشبه ذلك من أسماء الأفعال ، فلم يستحق الباري ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الأسماء بعدما فعل ذلك وقبل ذلك ، لا يستحق أن يوصف بهذه الأسماء ، بل هذه أسماء وصفات هي له لم يزل كذلك وصفه ، واما انه لم يزل يأمر وينهي ، ويخلق ، فلا يقال كذلك ، فافهم الفرق بين ذلك ؛ وبالله التوفيق .

(مسألة) : عن الشيخ الفقيه صالح بن سعيد الزاملي ؛ وفي أسماء الله ـ عز وجل ـ الذاتية والفعلية ، يلزم البحث عنها حتى يحكم ذلك أم لا يلزم ؟ الجواب ؛ والله الموفق للصواب ، اذا اعتقد الانسان ان الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فلا يلزمه البحث عن تفسير اسماء الله كلها الا أن يمتحن بشيء في مخصوص من الامور ، وما لم يمتحن بشيء من تفسير التوحيد ، فالجملة تكفيه ؛ والله أعلم .

وقال الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي : لا يلزم احدا أن يعرف الفرق بين ذلك ولا يلزمه معرفة اسماء الله ـ تعالى ـ الا ما يؤدي به فرضا لا يصح الا به ، ولكنه لو أدى به فرضا لا يصح الا به ، ولكنه لو أدى به فرضا ولم يعرف ان ذلك من أسماء الله ، اذ لم يفهم معناه ؛ مثل الزنجي اذا علم الصلاة ، ولا يعرف معنى [الله أكبر] انه من اسمائه ، وعرف ان المراد بذلك هو الله في لغته صح ذلك ، لأداء ما عليه اذا لم يفهم ان ذلك اسمٌ من أسماء الله . وانما يلزمه ان يصفه متى خطر بباله ذكر شيء من صفاته ، وعرف معناه أن يصفه بالحق في ذلك ، ولو لم يعلم ان لذلك المعنى اسم الله تعالى يسمى به ما لم تقم الحجة بالسماع ، فيلزمه بقيام الحجة ؛ لأن معرفة اسماء الله ـ تعالى ـ لا تعرف الا بالسماع ، وانما تقوم الحجة من العقل على من خطر بباله وصف الله ـ تعالى ـ بصفة يوصف بها ذاته ، وعرف معنى ذلك ان يصفه بصفته الحق ، فاعرف ذلك وبالله التوفيق .

(مسألة) : من كتاب (الكشف والبيان) ؛ جائز ان يقال : لم يزل الله ـ تعالى ـ سميعا وهي صفة ذات ، وجائز لم يزل بصيرا ، وهي صفة ذات ؛ والمعنى ؛ بانه عالم لأن العالم بالشيء بصير به ، وقد يكون معنى ذلك ؛ ان

المبصرات اذا وجدت كان مبصرا لها ، كما عنينا بوصفنا له بانه عالم لم يزل سميعا ؛ ان المسموعات اذا كانت سامعا لها .

والوصف له - تعالى - بانه رأى قد يتصرف على وجهين :

فأحدهما ؛ ان يوصف بذلك ويعنى به انه عالم ، فعلى هذا المعنى جائز ان يقال لم يزل رائيا ، على معنى لم يزل عالما ، اذ كانت الرؤية في اللغة علما .

والوجه الآخر ؛ ان يعني به انه مبصرٌ للمبصرات ، فلا يجوز من هذا الوجه أن يقال : لم يزل رائيا ، كما لم يجز أن يقال : لم يزل مبصرا ، لأن المرئي المدرك لا يكون مرئيا الا وهو موجود ، وجائز ان يوصف بانه لم يزل قاهرا ، ولم يزل قاهر الأشياء قبل ان يخلقها ؛ لانه لم يزل مقتدرا عليها ، فاقتداره على ما لم يوجد فهو قهره بذلك .

وجائز ان يوصف ، بأنه لم يزل باقيا ، ومعناه باق انه كائن ، بغير حدوث ، وكل كائن بغير حدوث فواجب ان يوصف بانه باق ؛ فلما كان الله - تعالى - لم يزل موجودا بغير موجود ، وجب انه لم يزل باقيا .

وجائز لم يزل فردا منفردا .

وجائز ان يوصف بانه قريب من الخلق ، والوصف له - تعالى - بذلك على جهة التوسع والمراد به انه عالم بنا ، وبأعمالنا وانه سامع لقول الخلق وراء لأعمالهم ، وانه لا ستر بينه وبينهم ، ولا حجاب ولا مسافة ؛ فلما كان على ذلك قيل في سعة اللغة انه قريب منا ، اذا كان لا يشاهد أعمالنا أحد من المخلوقين الا من كان قريبا .

الباب الثالث

في تفسير أسماء الله تعالى

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) في ضروب الأسماء ووجوهها ، من كتاب عن [الاشعرية] فيما وجدت .

اعلموا - وفقكم الله - ان أسماء الله - تعالى - على ثلاثة أضرب : -

أحدها ؛ اسم هو المسمى ، وهو كل ما استحقه لنفسه نحو القديم والذات ، والموجود .

والثاني ؛ اسم لا يقال له المسمى ولا غيره ، وذلك كل ما استحقه لمعنى لا يقال انه هو ، ولا غيره ، كقوله القديم - سبحانه - حي عالم قادر ؛ لانه يعود الى الحياة والعلم والقدرة ، وهذه صفات ازلية ، ولا يقال : انها غيره ، وهو المعنى الذي ذكرناه قبل .

قال غيره لأن من قوله ان الله حي بحياة ، وقادر بقدرة ، وعالم بعلم ، ومريد بارادة ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر ، ومتكلم بكلام ، وباق ببقاء ، قال المصنف أصحابنا لا يقولون بذلك ؛ والله أعلم .

رجع ؛ والثالث اسم هو غيره ، وذلك كل ما استحقه بمعنى غيره ، كقولنا : القديم - سبحانه - خالق ورازق ، ومنعم ، ونحو ذلك لا يعود الا الى الخلق والرزق والانعام وذلك حوادث .

ثم اعلموا ان أسماء الله لا توجد الا توقيفا ، والتوقيف انما يكون بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، فكل ما سمى الله ـ تعالى ـ به نفسه في كتابه ، أو يسمى به رسول الله ﷺ ؛ أو أجمع المسلمون عليه ، فيجوز أن يسمى الله ـ تعالى ـ به ، وما كان غير ذلك فلا يجوز ان يسمى به ، والدليل على ذلك هو أن أسماء الله ـ تعالى ـ لا تخلو اما ان توجد قياسا ، أو توقيفا ، وباطل ذلك ان يكون قياسا ؛ لأن القياس هو الجمع بين المتفقين ، والفرق بين المختلفين ، وقد وجدنا اسماء الباري ـ سبحانه ـ بخلاف ذلك ، وذلك انا وجدنا ما اتفق معناه لا يجوز اطلاقه ؛ كنحو عالم وعارف ، وفقيه وطبيب ، وموقف ، وهم واحد في المعنى ، بل يقال للباري ـ سبحانه ـ عالم ، ولا يقال : عارف .

قال المضيف وقد قيل : يجوز صفة الله انه عارف ، واحسبه في سيرة هلال بن عطية ، قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه : وقد وجدت ذكر جواز ذلك في جامع ابي جابر محمد بن جعفر ، فرد ذلك أبو سعيد فقال : لم نعلم فيها وطئنا في آثار أصحابنا ، ان يوصف الله بانه لم يزل عارفا ، وانما يقال : لم يزل عالما .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه : وجدت في كتاب [الضياء] وجائز ان يوصف الله انه عارف ؛ لأن العارف بمعنى العالم ، والله أعلم .

رجـــع : ولا فقيه ولاطبيب ولا فهم ، وكذلك معنى قادر ومستطيع واحد ، ثم لا يقال له مستطيع ، وان وصف بانه قادر ، والقياس يوجب التسوية عند اتفاق المعنى ، فعلم بذلك انه لا طريق للقياس في الأسماء ، فاذا بطل هذا ثبت ان طريقها التوقيف ؛ وبالله التوفيق .

اعلموا ان التسميات الواردة في الخبر تسعة وتسعون اسما ، روى ابو هريرة ، ان النبي ﷺ ، قال : «ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها ، دخل الجنة» ، معناه من عرفها بشرائطها والدليل على أن [الاحصاء] بمعنى [العلم] قوله تعالى : ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾ [1] ، أي علم عدد كل

---

١ - الآية ـ ٢٨ ـ من سورة الجن

شيء ، وهذا المعنى ظاهر عند أهل اللغة ، فاذا ثبت هذا ، فهذه الأسماء المروية عن النبي ﷺ ، على ثلاثة أقسام منها : -

ثمانية وعشرون للذات وذلك : الله الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز الجبار ، المتكبر ، العلي ، العظيم ، الكبير ، الجليل الحميد ، المجيد الحق ، المتين ، الواحد ، الماجد ، الصمد ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، المتعالي ، الغني ، النور ، الوارث ، ذو الجلال ، فكل ذلك يدل على الذات والفعل من كل واحد صفة زائدة ، ويمكن حمل هذه العبارات على صفات الفعل ، لكن الظاهر انها للذات .

ومنها خمسة للقدرة ، وذلك هو ؛ القهار ، القاهر ، القوي ، القادر ، المقتدر .

ومنها خمسة للعلم ؛ وذلك هو : العليم ، الخبير ، الحكيم ، الشهيد ، المحصي .

ومنها عشرة للارادة وذلك هو : الرحمن ، الرحيم ، الغفار ، الودود ، العفو ، الرؤوف ، الصبور .

قال المصنف : عرفت ان الله - تعالى - لا يوصف انه صبور ، لأن ذلك انما يوصف من يناله الأذى .

رجــع ؛ الحكيم ، الكريم ، البر ، ومنها واحد يرجع الى السمع ، وآخر الى البصر ، وآخر الى الحياة ، وآخر الى البقاء ، وآخر الى الكلام ، وذلك هو الشكور ، والسميع ، والبصير ، والحي ، والباقي ، فهذه كلها صفات الذاتية .

ومنها خمسة واربعون للفعل ، وذلك هو : الخالق ، الباري ، المصور ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، والمذل ، الحليم ، العدل ، اللطيف ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب .

الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الباعث ، الـوكيل ، المبـدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواحد ، المقدم ، المؤخر ، الولي ، التواب ، المنتقم ، المقسط ، الجامع ، المغني ، المانع ، الضار ؛ [لا يجوز] .

قال غيره : في قول من قال : الضار لا يجوز (نظر) ، اذ قد اجاز المسلمون ان يوصف الله ـ تعالى ـ انه ضار للكافرين بعقابه اياهم ، هكذا وجدت في آثار المسلمين الصحيحة ، والله اعلم .

رجـع ؛ النافع ، الهادي ، البديع ، الرشيد ، مالك الملك ، ومعاني هذه الألفاظ مختلفة ، وابين معنى كل واحد منها على الايجاز ان شاء الله عز وجل .

وانما رتب اصحابنا هذه الاسماء على ثلاثة اقسام ، ردا على أهل البدعة ، حيث الزموا اهل الحق القول بتسعة وتسعين اسما قديما ؛ لأن ما يرجع الى الذات من العبارات فهي ذات واحدة ، وما يرجع الى صفات الذات كالقدرة والعلم وغيرهما ، فهي صفات الباريء ، ـ سبحانه ـ ، وما يرجع الى الفعل ، فذلك محدث فبطل الزامهم لا محالة ، وبالله التوفيق .

من كتاب (لطائف المنن في احكام السنن) اختصرت منه هذا : لانه في تصحيح الاحاديث ، وقد رفع من حديث النبي ﷺ خمسة احاديث في اسماء الله ـ تعالى ـ ، يطول بذكرها الكتاب ، وآخرها : «ان لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » ، فقال في آخرها الشيخ ناصر بن ابي نبهان : اما الحديث الأول والاخير فلم يذكر فيهما شيئا من الاسماء ، واما الثلاثة فقد ذكر ، ونظرنا هل في احد الثلاثة زيادة على الآخرين ، فوجدنا في كل حديث اسماء زائدة عما في غيره ، وفي كل حديث انها تسعة وتسعون اسما ، فتصير اذا اضيف الى ما في كل حديث ليس ذلك زائدا على تسعة وتسعين ، فاما ان يكون المراد باصولها دون الزيادة ، ولكن اتم عدد الاصول في كل حديث ، فصارت كلها اصولا ، واما ان يكون النبي ﷺ ذكر ان لله تسعة وتسعين اسما ، ورسمهن في الكتاب المؤلف وبينهن الراوي ، أو زيدت بعد ان ألف

الكتاب والاقرب ؛ ان ذكرها ليس عنه ﷺ ، ولو كان عنه لم يختلف .

اما ما ذكره انه من الاسماء لله تعالى قوله في الحديث الأول : «الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الحكم ، العدل ، الجليل ، المحصي ، الماجد ، الواحد ، المقدم ، المؤخر ، الولي ، المقسط ، الجامع ، المغني ، المانع ، النافع ، الضار ، النور ، الرشيد ، الصبور» .

بيـان : وفي الحديث الثاني : مما فيه من غير هذه : الحنان ، البادي ، المنيب ، الجميل ، العلام ، الاكرم ، المدبر ، الرفيع ، ذو المعارج ، ذو الفضل .

بيـان ؛ وفي الحديث الثالث : البرهان ، القائم ، السامع ، المعطي ، الأبد ، العالم ، التام ، المتين ، القديم .

بيـان ؛ أما (الجليل) فمختلف فيه فقيل ، ليس هو من اسماء الله ، وان جاز ادخاله في النظم نحو انه (ملك عظيم جليل) ، وقيل : يجوز ان يكون من الاسماء ، والاصح انه ليس من الاسماء ؛ لأن اسماء الله ـ تعالى ـ بالنقل ، ولم تكن بالقياس مع علماء التوحيد .

بيـان ؛ وكذلك (القديم) وانما ترخص اهل التوحيد ، وصفه به ـ تعالى ـ لحضور المعنى ، والا فهو ليس من الاسماء جزما .

بيـان ؛ واما (العلام) فليس من الاسماء ، وانما يستعمل في صفات الله ، بالاضافة نحو (علام الغيوب) ويحسن باضافته ان يكون مع الاسماء لا منها ، نحو يا علام الغيوب .

وأما (عالم) فليس من الاسماء ، وانما يستعمل في صفات الله بالاضافة نحو عالم الغيب والشهادة ، ولا يحسن مع الاسماء ، لانه يتوجه على كل شيء عالم بحالي ، عالم بمالي ، عالم بكذا ، فليس لاضافته قانون يختص به .

بيـان ؛ وكذلك (النور) ليس من اسماء الله ـ تعالى ـ ، ويستعمل

بالاضافة نور السموات والارض ، ولا يحسن مع الاسماء ؛ لجواز اطلاق الاضافة في كثير ، واما (ذو المعارج) ، فليس باسم ، ولا يحسن مع الاسماء وانما هو صفة .

بيـان ؛ وكذلك ذو الفضل هو من صفات الله لا من اسمائه تعالى .

بيـان ؛ (والمغني والمعطي) ليسا باسمين من اسمائه تعالى ، وان جاز ادخالهما مع الصفات في النظم لاقامة الوزن .

بيـان ؛ والصحيح منها هذه كما تراها مرتبة على حروف الهجاء .

بيـان ؛

لحرف الالف (٥)

الله ، الاحد ، الآخر ، الاله ، الأول

لحرف الباء (٨)

الباسط ، الباري ، الباطن ، الباعث ، الباقي ، البديع ، البر ، البصير .

لحرف التاء (واحد) تواب

وليس لحرف الثاء اسم

ولحرف الجيم اسمان :

احدهما ؛ بالنقل عن النبي ﷺ ، "ان الله جواد يحب كل جواد - بالتخفيف - .

والثاني : جبار

ولحرف الحاء (٧)

الحسيب ، الحفيظ ، الحق ، الحكيم ، الحليم ، الحميد ، الحي .

ولحرف الخاء (٣)

الخالق ، الخبير ، الخلاق

ولحرف الدال (٢)

دائم ، ديان .

ولحرف الذال (٣)

ذو الجلال ، والاكرام ، وذو الطول ، بفتح الطاء ، وذو القوة .

والأول اصله من الصفات لا اسم ؛ لأنه كلام مركب من اكثر من كلمتين كالآخرين ، وكذلك الحقيقة (ذو الطول) و(ذو القوة) صفات ؛ ولكن الحقت هذه الثلاثة بالاسماء اتفاقا .

ولحرف الراء (٧)

الرؤوف ، الرب ، الرحمن ، الرحيم ، الرزاق ، الرقيب .

وليس لحرف الزاي اسم .

ولحرف السين (٣)

السريع ، السلام ، السميع

ولحرف الشين (٤)

الشاكر ، الشديد ، الشكور ، الشهيد

ولحرف الصاد (٢)

الصادق ، الصمد

ولا شيء لحرف الضاد ولا لحرف الطاء المهمل .

ولحرف الظاء (واحد) ، الظاهر .

ولحرف العين (٥)

العزيز ، العظيم ، العفو ، علام الغيوب ، العليم .

ولحرف الغين (٤)

الغافر ، الغفار ، الغفور ، الغني .

والحرف الفاء (٤)

الفاطر ، الفتاح ، الفرد ، الفعال لما يريد ، اصله ليس من الاسماء ، ولكن حسن ان يكون معها .

ولحرف القاف (٧)

القاهر ، القدوس ، القدير ، القريب ، القوي ، القهار ، القيوم .

ولحرف الكاف (٤)

الكافي ، الكبير ، الكريم ، الكفيل .

والحرف اللام (١) وهو اللطيف .

ولحرف الميم (٢٢)

المالك ، المبدي ، المبيد ، المبين ، المتعال ، المتكبر ، المتين ، المجيب ، المجيد ، المحيط ، المحيي ، المصور ، المعيد ، المقتدر ، المقيت ، الملك ، المليك ، المميت ، المنان ، المولى ، المؤمن ، المهيمن .

ولحرف النون اسم (النصير)

ولحرف الواو (٦)

الواحد ، الوارث ، الوتر ، الودود ، الولي ، الوكيل . والوتر من السنة .

ولحرف الهاء اسم (الهادي)

وليس لحرف الياء اسم .

بيـان ؛ فاذا اراد ان الحروف التي ليس لها اسم اعطى كل حرف اسما آخره ذلك ، مثل الثاء ، (الباعث والوارث) والزاء ، (العزيز) والضاد ، (القابض) والطاء (الباسط) والياء ، (المحيي الولي) .

بيـان ؛ الألف ٥ ، الباء ٨ ، التاء ١ ، الجيم ٤ ، الحاء ٧ ، الخاء ٣ ، الدال ٢ ، الذال ٣ ، الراء ٧ ، السين ٣ ، الشين ٤ ، الصاد ٢ ، الظاء ١ ، العين ٥ ، الغين ٤ ، الفاء ٤ ، القاف ٧ ، الكاف ٤ ، اللام ١ ، الميم ٢٢ ، الواو ٧ .

بيـان ؛ فالجملة مائة وسبعة اسماء ، زادت ثمانية اسماء عن التسعة والتسعين اسما ، وهي التي ليست باسماء ، وحسن ان يكون معها نحو (الفعال لما يريد) ، (ذو الجلال والاكرام) ، و(علام الغيوب) ، ومثل ما جاء في السنة (الوتر والفرد والجواد وذو الطول وذو القوة) ، والحقت بالاسماء فصارت الجملة كذلك ، والزيادة على هذه فيها اختلاف مما ذكرنا كما ذكرنا ، واما صفات الله فلا تحصى ، كما يقال : انه محدث الاشياء ، وواجب الوجود الى غير ذلك فاعرفه .

روي عن النبي ﷺ ، انه قال : « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه » ، وقال ـ عليه السلام : «اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين : **﴿والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم﴾**[1] ، وفاتحة آل عمران : **﴿الم الله لا اله الا هو الحي**

---

١ ـ الآية ـ ١٦٣ ـ من سورة البقرة

القيوم﴾[1]. وقال ﷺ : اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب في هذه الآية ﴿قل اللهم مالك الملك﴾[2] (الآية) .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : اما الاسم الاعظم فهو اسم الذات الذي تضاف اليه جميع الاسماء ، وهو اسمه ـ تعالى الله ـ ، واما للدعاء فلا بد من المناسبة للمطلوب ، فان من اراد الشفاء يدعو باسمه تعالى : (يا لطيف) ومتى دعي الله باسم فلا بد من ان يكون اسمه ـ تعالى ـ حاضرا قلبه مع حضوره اليه بذلك الاسم ، فصح انه هو الاسم الاعظم والمدعي واحد باي اسم كان ، ولا يدعوه في الشفاء باسمه (المستقيم) وانظر الى الانبياء كان كلٌ دعا ربه باسم يناسب مطلوبه ، واما انه اذا سئل به اعطي فليس بشيء من الاسماء كذلك الا بوجهين :

احدهما : بالتصوف ، وابتغاء القرب الى الله بطلب سرعة الاجابة متى اراد حاجة نه في ذلك .

والوجه الثاني : الرياضة بشروطها حتى يبلغ اسراره ، أو يكثر تلاوته دائما ، وكل اسم سره اعظم احتاج الى مدة اكثر ، وابلغها رتبة اسم الذات ، وبه تتفجر العلوم لمن يتعلم الشريعة ، وواظب عليه ليلا ونهارا ، وان جاء به على طريق الرياضة احتاج الى اربعين يوما لا ينام الا عن غلبة ، ولا يأكل الا قليلا ولا يلتفت قلبه الى ذكر غيره ، وهو الحجاب الاعظم المانع عن نيل اسراره ، فاذا بلغ اربعين يوما اعطاه الله التصريف في الوجود والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب (الارشاد) في معرفة اسماء الله تعالى ومعانيها فأولها :

الله ؛ وهو الاسم الذي اختص به ـ تعالى ـ فلا يجوز ان يتسمى به المخلوق ، واختلف المفسرون في تأويل (الله) .

فقال قوم : مشتق من (اله) باله ووله يؤله ، وهو تعلق النفس بالرغبة

---

١ ـ الآيتان : ـ ١ ، ٢ ـ من سورة آل عمران

٢ـ الآية ـ ٢٦ ـ من سورة آل عمران

اليه ، وانتظار الفرج من عنده ، ويقال : فلان يتأله اذا تنسك وتعبد ، المتأله الذي ظهرت اليه عبادته لله ، أو هو مشبه بالعباد .

ومن غيره من كتاب (مفتاح الشريعة) عن ابن عباس انه قال : الله ذو الألوهية ، وهو الذي يأله الخلق اليه اجمعون ، اي (يعبدونه) وقرىء (ويذرك وآلهتك) يريد (وعبادتك) ، وقيل : كان فرعون يُعبَد ولايَعبُد ، وكذلك روي عن عيسى بن عمر انه قال : (الله اله الآلهة) ومن هذا تقول العرب : فلان يتأله لفلان ؛ اي (تعبد له) وفي ذلك يقول روبة :

لله در الغـانيات المـدة   بسجن واسترجعن من تأله

المدة ؛ مدح في نعت الجمال والهيبة ، وفي كل شيء عام ، وقوله : تألهي اي (تعبدي) ، فعلى هذا القول : (أله الله الخلق) اي (تعبدهم) .

وذهب قوم الى ان الله (لاله) واشتقاق اسمه من (الولهان) وهذا خطأ من قائله .

رجـع ؛ وقيل : ان الاصل في (اله) باله ، وهو اذا تحير العبد عند التفكر في عظمة الله فلا يعلم احد كيف هو ـ جل وعلا ـ ان يدركه المخلوق .

واما التشديد على اسم الله فانه لتواتر الفعل ، والعرب تفعل ذلك لتواتر الفعل وتكريره .

وقال بعضهم : الألف واللام للتعريف واللام الآخر لام اضافة ، والهاء كناية يشار بها الى غائب ، لأن الله تعالى شاهد غائب ، فاذا اجتمع لام اضافة ولام تعريف فاشتبه بحرفين من جنس واحد ، فادغمت العرب بالتشديد احدى اللامين في الاخرى ؛ والله اعلم .

(مسـألة) : اختلف في تسمية الله ـ عز وجل ـ (الله) و(اله) .

فقال قوم : هو مأخوذ من النور .

وقال قوم : مأخوذ من الولهان ، لأن القلوب تأله اليه عند الفزع

والكرب والخوف ، فيجوز ان تسميه (الها) كما قالوا للمؤتم اماما .

وقال قوم : (الاله) هو الذي تحق له العبادة .

وقال قوم : هو اسم سمى به نفسه على سبيل الاختصاص ، كما قال : ﴿هل تعلم له سميا﴾[1] وعند القائل بهذا القول : لا يجوز ان يقال : (اله الآلهة) ؛ لأن الاله الذي تحق له العبادة ، لا تحق العبادة الا لله ـ سبحانه تعالى ـ .

والاله عندنا هو الذي تجب له العبادة وتحق له ، وهو الله الذي لا اله الا هو سبحانه ، والله اعلم .

قال غيره : ووجدت في كتاب من كتب اهل المغرب ؛ وقيل : اسم تبنى عليه الصفات .

وقال قوم : هو اسم مشتق من قول العرب : (تألهت الشمس) اذا علت ، فمعناه العلو في الصفة .

واحسب بعضهم قال : الاله المحتجب عن العيون ، قال :

لاهت فما عرفت يوما بخارجة ... يا ليتها خرجت حتى رأيناها

وقال آخرون : هو مشتق من التأله وهو التعبد ، فالله المقصود اليه بالعبادة ، والصحيح ما قدمناه اولا ، وهو غير مشتق ، واصله (اله) فزيدت فيه اللام تعظيما فقيل : (الاله) فادغموا الهمزة المتخللة ، وادغموا اللام التي للتعظيم في التي تليها ، انقضى .

وقال الشيخ جاعد بن خميس ، في تفسيره لفاتحة الكتاب : والله من حقت له العبادة ، وثبت له محض السيادة ، وهو الذي بفرط الاحتياج اليه ، تأله كل المألوهات اليه بحالها ايجادا من العدم ، وامدادا بالنعم ، وحده لا شريك له ، ولما كان هو الاله ، وما عداه مألوها لم يجز ان يطلق على غيره ؛

---

١ ـ الآية ـ ٦٥ ـ من سورة مريم .

(نعم) ؛ ولذلك كاد ان لا يستأهل غيره ان يحمد فضلا ان يعبد ، واني لأميل الى ان هذا هو الاسم الاعظم لذاته ، لانه كالجامع لكل الصفات العليا ، واليه تنضاف جميع الاسماء الحسنى ، حتى انه يمكن بالفهم اخراج جميع التوحيد من مفهومات معانيه .

وقد قيل في اشتقاقه اقوال اكثرها اولى ان تترك لانحطاطها عن رتبة الصحيح ، لعلل تشعر فيها بخلل .

وفي قول الخليل بن احمد وجماعة : انه اسم علم لا اشتقاق له .

وعن ابن عباس ـ رحمه الله ـ ان الله ذو الالوهية ، وهو الذي تأله الخلق اليه ، وتفخيم لامه الثاني سنة ، وحذف الفه ومدها ، وتزيد الواو في هائه ، واشباع الضمة بحيث انها تصير واوا ، كل واحد منهما لحن في الاحرام تفسد به الصلاة ؛ انقضى .

فصل : وفي كتاب (الشفاف) والله اسم تفرد به الباري ـ سبحانه ـ واصله (الاله) فحذفت الهمزة ، وعوض منها حرف التعريف ، و(الاله) اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق ، واما الله فمختص بالمعبود بالحق ، لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة ؛ انقضى .

وفي القاموس ؛ واختلف في لفظ الجلالة على عشرين قولا .

رجع الى كتاب (الارشاد)

(مسألة) : وقيل : ان ابن عباس كان يقرأ **﴿وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله﴾**[1] ، ويقول : **﴿هل تعلم له سميا﴾**[2] .

وقيل : معنى الله الذي تأله اليه القلوب في حوائجها ، وهو اصل الاسماء ، ومنه خرج جميع الاسماء .

---

١ ـ الآية ـ ٨٤ ـ من سورة الزخرف
٢ ـ الآية ـ ٦٥ ـ من سورة مريم

وقيل : ان اسم الله الاعظم هو الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له ، وقوله تعالى : ﴿هل تعلم له سميا﴾ اي هل تعرف له في السهل والجبل والبر والبحر والمشرق والمغرب احدا اسمه الله غير الله عز وجل ؟ والله اعلم .

(مسألة) : وقيل : ان اسم الله الاعظم ؛ يا ذا الجلال والاكرام ، وقيل : يا حي يا قيوم .

وقال ابي بن كعب : جميع اسماء الله بمعنى ربوبيته ، واسمه الذي هو اسمه الله .

وقال جابر بن زيد : اسم الله الاعظم ، هو (الله) الا ترى انه يبتدأ به في جميع الاشياء .

واذا قلت (الله) بالالف واللام فالاسم تام ، فاذا حذفت الالف ، قلت (لله) بقي الاسم تاما ، واذا حذفت اللام الاولى قلت : (له) بقي الاسم تاما ، واذا حذفت اللام الاخيرة قلت : (لاه) وبقيت الهاء فيها الاسم تام ؛ والله اعلم .

الرحمن الرحيم ، قال بعض المفسرين معنى (الرحمن) بجميع خلقه ، و(الرحيم) بالمؤمنين .

وقال ابن عباس : ان (الرحمن) رحمن الدينا والاخرة ، و(الرحيم) رحيم الآخرة ، معناه ، ان نعمه وفواضله تعم الخلق في الدنيا من مؤمن وكافر ، وفي الآخرة تخص نعمه وفواضله وعطاؤه المؤمنين .

وقيل : (الرحمن) العاطف بالبر والفاجر ، و(الرحيم) بالمؤمنين .

وقيل : معناهما اسمان لوجود الرحمة منه .

ويقال : اسمان لطيفان من اسماء الله ـ عز وجل ـ .

وقيل : اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر .

قال غيره ، وقيل : رفيعان بالعين هكذا وجدت .

رجع ؛ وقيل : كان اسم الله الرحمن فاضيف اليه الرحيم ليكونا له دون كل احد ، فلما سمي مسيلمة الكذاب نفسه (الرحمن) اضيف اليه الرحيم ، ليكون (الرحمن الرحيم) لا يجتمعان الا له ـ عز وجل ـ لا لغيره .

وقيل : في تكريرهما ان (الرحمن) اشد مبالغة من وجهين :

احدهما ان (فعلان) من ابنية المبالغة كقولك (غضبان) ، الممتلىء غضبا ، و(سكران) للمنزوف سكرا ، وما اشبه ذلك .

ووجه آخر ان (اسماء الفاعلين) اذا جرت على افعالهم ، لم يكن فيها معنى المبالغة فضم التكرير مبالغة ، ولا يجوز للمخلوق ان يسمى بالرحمن ، وكانت العرب تقول : (الرحمن) كما قال الله : ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن**﴾[1] ، قال الشاعر :

عجلتم علينا اذ عجلنا عليكم ... وما شاءه الرحمن لا بد واقع

وقدم (الرحمن) على الرحيم ؛ لان (الرحمن) ، اسم خاص ، والرحيم اسم مشترك ، ويقال : (رجل رحيم) ، ولا يقال : (رحمن) ، فقدم الخاص على العام .

قال ابو عبيدة : (الرحمن) ، مجازه (ذو الرحمة) و(الرحيم) مجازه (الراحم) ، كما قيل : ندمان) و(نديم) ، وقد يجيء اللفظان مختلفين ومعناهما واحد .

ومن غيره ؛ وانشد :

فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ... ولا تسقني بالاصغر المتثلم

وقال آخر :

فزرنا ابا حرب ولا حي مثله ... وكان ابو حرب اخي ونديمي

---

١ ـ الآية ـ ١١٠ ـ من سورة الاسراء

وقد انكر على ابي عبيدة قوله : (مجازه ذو الرحمة) ، ومعناه ان الرحمة لازمة له لا تفارقه ، ولا تغيره ، ولا اذا قال الرحيم فمجازه (الراحم) ، واسم الفاعل من رحم ، وقد يكون ماضيا ، وحالا ، ومستقبلا ، فهذا القول منه يوجب الفرق بينهما ، ثم قال : بعدهما بمنزلة (نديم وندمان) ، فجمعهما بمعنى واحد بعدما جعلهما لمعنيين ، وهذا لعمري ؛ يوجب الرد على قائله ، وعن ابن عباس انه قال : (الرحمن الرحيم) ، القريب ممن احب ، البعيد ممن عانده .

رجـع : والامة مجتمعة ان (الرحمن الرحيم) من القرآن (آية) ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، وموضعها من الاعراب الجر لانهما صفتان لله تعالى ، والصفة تتبع الموصوف ، وصفات الله ـ عز وجل ـ يجوز ان تتبع الاسماء واعرابها ، ويجوز ان تنصبها باضمار (اعني) وترفعهما باضمار (هو) ، ويجوز ان تقول (الرحمن الرحيمُ) فيتبع اعراب الاسم الذي قبله وهو القراءة ويجوز في العربية رفعهما ونصبهما على ما تقدم الرفع باضمار (هو) والنصب باضمار (اعني) على المدح ، وهو جائز ، ولا يقرأ به ؛ لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول .

واما جوازه فيجوز على ما في العربية .

وقيل : (رحمن) بالعبرانية فاعرب ، ثم اضيف اليه (الرحيم) وهو اسم عربي ، فاجتمع مع الاسم العبراني اسم عربي ، فصار كالاسم الواحد ، وانشد جرير :

لن تدركوا المجد او تسروا عيالكم بالحوض او تجعلوا الينبوب ضمرانا
او تتركون الى الدير بن هجرتكم ومسحكم وجهكم رحمان قربـانا

فاتى به على اصله ؛ و(الينبوب) شجر الخشخاش و(الضمران) من ادق الشجر والضميران (لغة) ، وهو نوع من الريحان ، وهذا الشعر لجرير تعريض بالاخطل ، في مهاجاته لأن الاخطل كان نصرانيا ، والذي ذكره جرير هو من فعل النصارى ، والله اعلم .

قال غيره : واما ما يوجد في تفسيرهما من كتاب (الشفاف) هو هذا انهما صفتان لله معناهما (ذو الرحمة) ولا فرق بينهما مثل ندمان ونديم .

قال ـ رضي الله عنه ـ في (الرحمن) من المبالغة ما ليس في الرحيم وكذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا .

ويقولون : زيادة في البناء لزيادة المعنى ، وهو صفة غالبة لم تستعمل في غير الله عز وجل ، ومعنى وصف الله ـ عز وجل ـ بالرحمة ، وهي العطف والحنو مجاز عن انعامه على عباده ؛ لأن الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه ، كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه ، وقدم (الرحمن) على (الرحيم) ؛ لأنه لما قال : (الرحمن) فتناول جلائل النعم وعظائمها ، اردفه (الرحيم) لتناول ما دق منها ولطف ؛ انقضى .

والذي يوجد في تفسيرهما عن الشيخ جاعد بن خميس الخروصي هو هذا : (الرحمن الرحيم) من اسماء ذاته ، قيل فيهما انهما بمعنى ، والفرق اسوغ ، وانه لأقرب الاسماء الى اسم الله لقوله تعالى : **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾**[1] وكذلك في البسملة ترى أو لا ترى ، انه يطلق الرحمن الرحيم على الغير ، ولا يسمى بالرحمن غيره في الاشهر .

وقيل : جائز والأول اكثر ، فكأنه فيه لزيادة الثناء مبالغة عن الرحيم في العبارة عن متسع الرحمة ، وفسيح الكرامة ، كما روي عن ابن عباس ـ رحمه الله ـ انه قال : (رحمن الدنيا والآخرة) و(رحيم الآخرة) .

وقيل : (الرحمن) بالبر والفاجر في الدنيا ، و(الرحيم) بالمؤمنين في الآخرة .

وقال قوم (الرحمن) بجميع الخلق ، و(الرحيم) بالمؤمنين ، وهذا في

---

١ ـ الآية ـ ١١٠ ـ من سورة الاسراء

المتعبدين ممكن ، من حيث الاقتصار في النظر على المعاني الظاهرة من النعم ان يكون فيضان الرحمة شاملا للكل بعماده وهو كذلك ، لكن في المجاوزة لها الى ما وراءها من اللباب باعتبار الحقيقة في المرجع .

فالرحمة الالهية في الدنيا والآخرة خصوصية ، لكونها مناطة بالايمان ، كائنة حيثما كان ؛ لان البلايا في حق المؤمن عطايا ، والنعم في حق من لم يشكرها نقم ، بلى ، وكأنه فيهما اكبر اشارة الى ايجاب قرع باب الرحمة باستدامة شكر النعمة ، في مقامات الخدمة ، والتعلق به في المهمات كلها فانه رحمن ، والرجوع اليه بالتوبات والاقبال اليه بكلية الهمة في سبيل الطاعات ، فانه رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات لا محالة ، واياكم والاياس يعرف هذا بدليل المعنى ، البارز من مفهوم الفحوى .

رجـع ؛ الى كتاب (الارشاد) ؛ الرب ينقسم على معان كثيرة .

فالرب المالك ، كقولهم (رب الدار) و(رب المال) و(رب الدابة) .

والرب (السيد) لقوله تعالى : ﴿فيسقي ربه خمرا﴾[1] ولا يقال للمخلوق (الرب) معرفا بالألف واللام كما يقال الله ـ عز وجل ـ بل يقال : بالاضافة (رب الدار) و(رب المال) ، والانسان يكون ربا على الحقيقة لما يملكه ، كما روي عن النبي ﷺ انه قال لرجل : « ارب ابل انت ام رب غنم ؟» فقال : من كل هذا اتاني الله واكثر يعني مالكها .

ومن غيره ؛ وقال ابو عبيدة في قوله تعالى : ﴿اذكرني عند ربك﴾[2] ، اي عند سيدك من بني آدم اي مولاك ، وانشد النابغة الذبياني :

فـان يـك رب اذواد بجسمي ... اصـابوا من لقـائك مـا اصابـوا

وجسما (بالكسر) ؛ ارض بالبادية بها جبال شواهق لا يكاد الغبار يفارقها .

---

١ ـ الآية ـ ٤١ ـ من سورة يوسف

٢ ـ الآية ـ ٤٢ ـ من سورة يوسف

رجـع ؛ ويجوز ان يقال : الله رب الارباب ويقال في الدعاء يا رب بحذف الالف واللام .

ويقال في النداء : (رب) وفي القرآن : ﴿رب ارني انظر اليك﴾[1] ، ﴿رب انهن اضللن كثيرا من الناس﴾[2] وقد يجيء (بالياء) في النداء كقوله تعالى : ﴿يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا﴾[3] .

قال ابوعبيدة : وبنو تميم يقولون : يا رب .

وقيل : هذا الاسم خاص ، لم يسم به غيره ، فلزمه الألف واللام ، لأن الألف واللام انما أسقطتا من الاسم الذي يكون في حال المخصوص ، كما جاء في صفة الله ـ تعالى ـ انه الرب اي هو رب كل شيء ، وجائز ان يقال : لم يزل الله ربا للاشياء ، وسيدا والها ، ويجوز ان يقال : لم يزل الله مالكا للاشياء كما انه لم يزل قادرا عليها ، والمراد اثبات الملك والقدرة على الاشياء ، ـ سبحانه وتعالى ـ وهو على كل شيء قدير ، والله اعلم .

قال غيره : وان ترد ما جاء في تفسيره عن بعض اهل المغرب ، فهو هذا : والرب هو الذي له الخلق هو المالك لما سواه ، والرب معناه المصلح .

ومن غيره كما قال الفرزدق :

كـانوا كسـالية جمعـا اذا حقنت اسـلائها في اديم غـير مـربـوب

رجـع ؛ والرب (السيد) ، وقوله تعالى : ﴿ارجع الى ربك﴾[4] اي الى (سيدك) الواحد عن العرب لغات كثيرة ، يقال : واحدٌ وأحد ، ووحد ووحيد ، ووحاد وموحد واحاد .

فاما الواحد والأحد ، فصفتان معروفتان قد نطق بهما القرآن في صفات

---

١ ـ الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة الاعراف
٢ ـ الآية ـ ٣٦ ـ من سورة ابراهيم
٣ ـ الآية ـ ٣٠ ـ من سورة الفرقان
٤ـ الآية ـ ٥٠ ـ من سورة يوسف

الله ـ عز وجل ـ .

قال الراعي اسمه حصين بن عمرو :

يهدي الادلاء فيها كوكب وحد

يعني بالكوكب ها هنا الجدي ، لانه منفرد .

قال صخر الغي في الاحاد :

منت لـك ان تلاقيني المنـايـا   احـاد احاد في شهـر خـلال

وقال آخـر :

ولكنـها اهـلي بـواد انيسـة   ذئاب تبغي الناس مثنى وموحدا

وقال طـرفة :

تمنى رجـال ان اموت وان امت   فتلك سبيـل لست فيها بـأوحد

قال اهل اللغة : يعني لست فيها بواحد ، ومثله في الأذان (الله اكبر) ، اي كبير ، ومثله (وهو اهون عليه) اي هين عليه ، لأن افعل في معنى فاعل ،
قال امعن بن اوس :

لعمـرك مـا ادري واني لأوجـل   عـلى اينـا تـأتي المنيـة أول

معناه ؛ (اني لوجل) ، قال الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا   بيتـا دعـائمـه اعـز وأطـول

اي (عزيزة طويلة) ، وجمع الواحد وحدان .

وقال الشاعر :

وقد بلوتكم مثنى ووحدانا

وقال الكميت ، وجعله على هجائين :

وضم قـواصي الاحيـاء منهم   فقـد رجعـوا كقـوم واحـدينـا

قال الاصمعي : هذا مما يعاب به على الكميت ان جمع الواحد (واحدين) ، وانما يجمع الواحد بغير لفظه يقال : (اثنان وثلاثة) ولا يقال : (واحدين) .

قال غيره : انما جمع (الواحدين) بمكان الحي لانه يرجع .

رجـع ؛ **والأحد** ؛ اسم اكبر من الواحد ، الا ترى لو انت قلت : فلان لا يقوم له واحد ، لجاز في المعنى ان يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهم .

واذا قلت : لا يقوم له احد ، فقد اخبرت انه لا يقوم له احد ، وفي الاحد خصوصة ليست في الواحد ، تقول : ليس في الدار واحد ، يجوز ان يكون ليس في الدار واحد اي ليس فيها واحد من الدواب ، والطيور ، فكان الواحد للناس ، ولغير الناس .

واذا قلت : ليس في الدار احد فهو مخصوص في الآدميين دون غيرهم .

ولا احد ممتنع في الحساب ، تقول : واحد واثنان وثلاثة ، فهو داخل في العدد ، والاحد ممتنع من هذا ، لا يقال : أحد واثنان وثلاثة ، ولا يقال : احد في أحد كما يقال : واحد في واحد .

والواحد وان لم يتجزأ من الأحد فهو يتجزء من الاثنين والثلاثة فما فوقهما ، يقول جزء وجزءان فما فوقهما .

والاحد يجيء في الكلام بمعنى الواحد ، وكانت العرب تسمى الاحد الأول ، ومنه قولهم يوم الاحد اي اليوم الأول ، والاثنين دليل على اليوم الثاني ، وفي التوارة ان اول ما خلق الله من الايام يوم الاحد ، وضد الواحد اثنان ، كما ضد الأول الآخر ، قال الله عز وجل : ﴿**قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا**﴾[1] .

والاحد اذا لم يكن بمعنى الأول ، جاز في الخبر والجحد ، تقول : ما

---

١ - الآية - ٣٦ - من سورة يوسف

جاءني احد ، قال الله تعالى : ﴿أيحسب ان لن يقدر عليه احد﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿أيحسب ان لم يره احد﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿قل هو الله احد﴾ [3] فهو خبر .

وربما جاء واحد بمعنى الشيء ، يقال : فلان لا احد ، اي لا شيء ، اذا خلا من الفهم والعقل ، والخبر كان بمنزلة لا شيء .

واحد يكون بمعنى الجميع ؛ تقول العرب : يبيت احدنا الايام لا يأكل ، فاحتمل بمعنى الواحد والجميع قال النابغة الذبياني :

وقفت فيها اصيلا كي اسائلها   اعيت جوابا وما بالربع من احد

ويروى (اصلانا) ويروى (اصيلا) ؛ قال جرير :

لو كنت من واحد يهجي هجوتكم   يا ابن الرقاع ولكن لست من احد

والواحد يجمع آحاد على القياس ، ويروى ان رجلا من اليهود يقال له : عامر بن الطفيل سأل النبي ﷺ ، فقال له : يا محمد ؛ انسب لنا ربك ، أمن ذهب ، أو من فضة ، أو من مسك ؟ فانزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿قل هو الله احد﴾ الى تمام السورة اي ليس له عدد ، ولا آخر ولا ابعاض .

فقال لهم : وانا احد ، فانزل الله صاعقة ، فأهلكته في مكانه ، وفيه انزل الله : ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ [4] .

واجمع القراء على تنوين (احد) الانصر بن عاصم والدؤلي ، فانهما قرآها (احد) الله الصمد ، غير منونة ، والله اعلم .

الصـمد : قال عكرمة ومجاهد : الصمد ، (الذي لا جوف له) .

---

١ - الاية ـ ٥ ـ من سورة البلد
٢ - الآية ـ ٧ ـ من سورة البلد
٣ - الآية ـ ١ ـ من سورة الاخلاص
٤ - الآية ـ ١٣ ـ من سورة الرعد

وقال ابن عباس وسفيان : الصمد (السيد الذي لا سيد فوقه) . قال الاسدي :

لقد بكر الناعي بخبر بني أسـد   بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال عمرو بن الاسلم في قتله حذيفة بن بدر :

علوتـه بحسـامي ثم قلت لـه   خذها حذيف وانت السيد الصمد

وقال الحسن وسعيد بن جبير : الصمد ؛ الذي يصمد اليه في الحوائج .

وقال عامر : الصمد الذي لا يأكل الطعام ، ولا يموت ، فان قال قائل : اتزعمون انه لم يزل صمدا ؟ قيل له : نعم ؛ لأن الصمد في اللغة يصمدون اليه في حوائجهم ، فمن هذا الوجه لا يجوز ان يقال : لم يزل صمدا ، فالصمد على هذين الوجهين :

احدهما : هو من صفاته لذاته .

والآخر : من صفاته لحدوث القصد اليه من العباد .

فصفة ذاته جائز ان يقال : لم يزل صمدا ، وصفة حدوث القصد اليه لا يجوز ان يقال : لم يزل صمدا ، والله اعلم .

الفـرد ؛ الواحد وافردته جعلته واحدا ، والله جل ثناؤه هو الفرد ، وقد تفرد بالامر دون خلقه .

والفرد يكون معناه لم يزل كائنا وحده ، ولا يجوز ان يوصف بانه وحيد وفريد ، كما يوصف انه واحد وفرد ؛ لأن معنى ذلك التوحيد .

وقيل : سمي فردا ، لانه تعالى لا يمازج الاشياء ، بل هو مستغن عنها متفرد بغناه عنها ، والاشياء مختلط بعضها ببعض ؛ والله اعلم .

الوتـر ؛ فيه لغتان : وتر ووتر بفتح الواو وكسرها ، فالكسر لغة (بني تميم) وعليه عامة الناس ، واكثر القراء ، وقرأ قوم بالفتح ومنهم ابو عامر ، وابن المعلى وغيرهم ، فالوتر بمعنى الفرد ، والشفع بمعنى الزوج .

وقال المفسرون في قوله ـ عز وجل ـ ﴿**والشـــفع والوتـر**﴾ [1] فالوتر هو الله ـ تعالى ـ ، والشفع هو الخلق ، فالله تعالى لا شفعَ له ، اي لا زوج له من شكل ، أو ضد ، والاشكال والاضداد هي شفع لبعضها بعض ، والله تعالى فرد وتر لا بمعنى عدد كما يقال للواحد فرد ، وللاثنين زوج ، وللثلاثة فرد ، وللأربعة زوج ، فقيل لله فرد بمعنى الفردية ، وليس هي متوجهة كتوجه الواحد بالوحدانية ، فأجمعت في الواحد بمعنى الوحدية والفردية ؛ لأن الواحد اسم لا يلزم الا الواحد ، والفرد اسم يلزم الواحد ، والثلاثة ، والخمسة ، فهذه افراد كلها اشتركت في اسم الفردية ، وتفرد الواحد بالفردانية ، واختص بها ، ولم يشركه في هذا الاسم شيء من الاعداد ؛ والله اعلم .

الأول والآخر ؛ قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**هـو الأول والآخر**﴾ [2] يقول الله : انا الأول فلم يكن لي سابق من خلقي ، وانا الآخر فليس لي غاية ولا نهاية .

وقال الحكيم قيل له : أول لأنه لم يزل قبل كل شيء ، وكانت الاشياء بعده محدثة ، ودل بأوليته على انه لا يزال ولا يزول ؛ لأن الذي لا اول له لا آخر له ، فلما ثبت ان الاشياء محدثة ، وان المبتدع لها لم يزل قبلها ، ولا يزال بعدها ، دل ان الذي ابتدعها لم يزل قبلها ولا يزال بعدها هو الأول الذي كان قبلها اوليا ، والآخر الذي يكون بعدها ابديا ، فقيل : هو الله الأول الآخر والله اعلم .

---

١ - الآية ـ ٣ ـ من سورة الفجر
٢ - الآية ـ ٣ ـ من سورة الحديد

الظاهر الباطن ؛ قال ابن عباس في قوله تعالى : **﴿و الظاهر والباطن﴾**[1] يقول الله : انا الظاهر ظهرت فوق الظاهـرين بقهري المتكبرين ، وانا الباطن فليس من دوني اله ولا لي قاهر ، فالظاهر بمعنى الغالب ، يقال : ظهر فلان على فلان اذا غلبه ، وفلان ظهير لفلان أي معين له ، ومنه قوله تعالى : **﴿وان تظاهرا عليه﴾**[2] اي (تعاونا عليه) ، قال تعالى : **﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾**[3] اي (معين مقو) . وقال الحكيم : انما قيل له : الظاهر لظهور صنعته الدالة على انه محدثها ومدبرها ، وكان ظهور الصنعة ظهورا لصانعها ومحدثها ، وقيل له : باطن لانه خفي من ان تدركه الخلائق بكيفية ، أو تحيط به اوهامهم ، أو تبلغه صفاتهم ، او تدركه عقولهم ، فلما كان هكذا قيل له ، هو الظاهر الباطن ، فكان لظهور صنعته ظاهرا ، ولامتناعه عن درك المخلوقين بذاته باطنا ، فهو الظاهر الباطن - عز وجل - .

ولا يقال : لم يزل ظاهرا بمعنى ان الاشياء لم تزل ، وانه ظاهر عليها ، قاهر لها ، وباطن لها عالم بها ؛ لانها لو كانت قديمة لم يكن هو ظاهرا عليها دون ان تكون هي ظاهرة عليه اذا استويا في الأزل ، والله اعلم .

قال غيره : وقيل في تفسيرهما من بعض كتب اهل المغرب : ان الظاهر الغالب العالي على كل شيء .

وقيل : هو العالم بما ظهر ، والباطن والعالم بكل شيء فلا احد اعلم منه .

وقيل : هو العالم بما يكون مما بطن علمه عن الخلق ، هذا معنى قول ابن عباس كما تقول : فلان يبطن امر فلان ، اي يعلم دخيلة امره .

---

١ - الآية - ٣ - من سورة الحديد
٢ - الآية - ٤ - من سورة التحريم
٣ - الآية - ٤ - من سورة التحريم

وفي اثر اصحابنا ـ رحمهم الله ـ ؛ الأول في اخريته الآخر في أوليته ، الظاهر في ابطانه ، الباطن في اظهاره ، والظاهر لخلقه بالدلائل ، والباطن عن الحواس .

وقال ابن عمر : الأول بالخلق ، والآخر بالرزق ، والظاهر بالاحياء ، والباطن بالاماتة . وقال مجاهد : اصل اول الأول ، وآخر الآخر ، واظهر الظاهر ، وأبطن الباطن .

وقال مقاتل : هو الأول القديم ، والآخر الرحيم ، والظاهر الحكيم ، والباطن العليم .

وقيل : الظاهر الغالب ، من قوله تعالى : ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ [1] .

وقيل : الظاهر هو العالم بما ظهر وما بطن ، والباطن القاهر لما ظهر وبطن .

وقيل : الظاهر فوق كل شيء فوقية عظمة واجلال ، والباطن كذا .

وقال محمد بن الفضل : الأول ببره والآخر بعفوه ، والظاهر باحسانه ، والباطن بستره .

وقال ابو بكر الوراق : هو الأول بالأزلية ، والآخر بالأبدية ، والظاهر بالأحدية ، والباطن بالصمدية .

وقال عبد العزيز بن يحيى : الواوات مفخمة ؛ أي هو الأول الآخر الظاهر الباطن ؛ لأن من كان من الخلق أولا لا يكون آخراً ، ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا .

قال حسين بن المفضل : هو الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ،

---

١ - الآية - ١٤ - من سورة الصف

والظاهر بلا اقتران ، والباطن بلا احتجاب .

وقيل : الأول السابق الى فعل الخير ، والمتقدم على كل محسن الى فعل الاحسان ، والآخر الباقي بعد فناء الخلق ، الظاهر الغالب القاهر لكل احد ، ومن غلب على شيء فهو ظهر عليه ، والباطن الذي يعلم الظواهر ، ويطلع على السرائر ، والظاهر ايضا الذي للعقول بالاعلام ، والأرواح باليقين ، وان خفي عن أعين الناظرين ، والباطن الذي عرف المغيبات ، وظهر على المستترات .

وقال السدي : هو الأول الذي بمجده ان عرفك توحيده ، والآخر بوجوده ان عرفك التوبة على ما جنيت ، والظاهر بتوفيقه ان عرفك السجود له ، الباطن بستره اذا عصيته يستر عليك .

وقال ابن عطاء : الأول يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها ، والآخر يكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكوا فيها ، والظاهر على قلوب أوليائه حتى عرفوه ، والباطن على قلوب اعدائه حتى انكروه .

وقيل : الأول قبل كل معلوم ، والآخر بعد كل محتوم ، والظاهر فوق كل شيء موهوم ، والباطن باحاطته بكل مكتوم .

وقيل : الأول باحاطة علمه بذنوبنا قبل وجود ذنوبنا ، والآخر بستره علينا في أعقابنا ، والظاهر بحفظه ايانا في دنيانا ، والباطن بتصفية اسرارنا وبتيقظ اذكارنا .

وقيل : الأول بالتكوين بيانه : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [1] ، والآخر بالتثبيت بيانه : ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ [2] ، والظاهر بالتبيين بيانه : ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [3] ، والباطن بالتزين بيانه :

---

١ - الآية ـ ١١٠ ـ من سورة آل عمران
٢ - الآية ـ ٢٧ ـ من سورة ابراهيم
٣ - الآية ـ ٢٦ ـ من سورة النساء

﴿وزينهُ في قلوبكم﴾[1] .

وقال الترمذي : الأول بالتأليف ، والآخر بالتكليف ، والظاهر بالتصريف ، والباطن بالتعريف .

وقال الجنيد : هو الأول بشرح القلوب ، والآخر بغفران الذنوب ، والظاهر بكشف الكروب ، والباطن بعلم الغيوب .

وسأل عمر - رضي الله عنه - كعبا عن هذه [الآية] فقال : ان علمه بالأول كعلمه بالآخر ، وعلمه بالباطن كعلمه بالظاهر .

وقيل : هو الأول بالهيبة والسلطان ، والآخر بالرحمة والاحسان ، والظاهر بالحجة والبرهان ، والباطن بالعصمة والامتنان .

وقيل : هو الأول بالعطاء ، والآخر بالجزاء ، والظاهر بالثناء ، والباطن بالوفاء .

وقيل : هو الأول بالبر والكرم ، والآخر بتحلة القسم ، والظاهر باسباغ النعم ، والباطن بدفع النقم ، وقيل : هو الأول بالهداية ، والآخر بالكفاية ، والظاهر بالولاية ، والباطن بالرعاية .

وقيل : هو الأول بالانعام ، والآخر بالاتمام ، والظاهر بالاكرام ، والباطن بالالهام .

وقيل : هو الأول بتسمية الاسماء ، والآخر بتكملة النعماء ، والظاهر بتسوية الأعضاء ، والباطن بدفع الداء .

وقيل : هو الأول بانشاء الخلائق ، والآخر بافناء الطرائق ، والظاهر باظهار الحقائق ، والباطن بعلم الدقائق .

---

١ - الآية - ٧ - من سورة الحجرات

وقال سري السقطي : لم يترك للخلق بعد ان اخبر عن نفسه انه الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن .

وقال الشبلي : في هذه الآية الأشياء بساقطة فاني أول آخر ظاهر باطن ، والله أعلم بتأويل كتابه ، ومعاني خطابه .

رجـــع الى كتاب الارشاد

الدائم ؛ قال الحكيم : انما قيل له : دائم ؛ لانه لم يزل ، ولم يختلف احد اذ كان كل من اقر به يقر انه لم يزل ، ومن انكر يقر أن العالم لم يزل فاثبت الصفة للعالم بالأزلية ، ولم ينكروا الأزلية ، ولما كانت الأزلية ثابتة بلا مخالف ، كانت عندنا لله ـ عز وجل ـ وانزلناها عن العالم اذا كان هو الأولى بها ، فلما ثبتت الأزلية والابتداع للعالم ، وثبت انه لم يزل ، ثبت انه لا يزال ، فاذا ثبت انه لم يزل ولا يزال ، فهو الواحد الخالق للزيادة والنقصان ، والزوال والانتقال ، والفناء ، لا زيادة فيه ولا نقصان ، ولا قبل ولا انتقال ، وهو الدائم الخالق ، والله اعلم .

الخالـق القـادر ؛ الله تعالى الخالق والخلاق ، فالخالق معناه انه ابتداء الخلق أول مرة ، والخلاق ؛ لأن من شأنه أن يخلق كل يوم خلقا بعد خلق ، والخالق على وزن [فاعل] انه خالق في الابتداء ، كما تقول : [قاتل وجازر] لمن يقتل نفسا ويجزر بدنه .

وخلّاق على وزن فعّال كما تقول : [قتال وجزار] لمن يكون من عادته انه يقتل ويجزر ، و[الخلق] ، المصدر قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿هذا خلق الله﴾ (1) ، ومعنى الخلق واشتقاقه [التقدير] يقال : خلق [اذا قدر] .

وانما سمى نفسه ـ عز وجل ـ خالقا ؛ لانه قدر الأشياء كلها ، ثم

---

1 - الآية ـ 11 ـ من سورة لقمان

امضاها فهو الخالق في ابتدائه الخلق ، والخلاق في تتميمه إياه الى آخر الدهر بعلم وحكمة ، وخلقه تام مصلح لا فساد فيه ، والخالق هو المقدر بعلم . يقال : خلق اذا [قدر] بعلم وحكمة وتدبير ومعرفة ، والله أعلم .

البـاري ؛ قال اهل اللغة : يقال : بـرأ الله الخلق ، والباري [الخالق] ، قال الله ـ عز وجل ـ ﴿**الخالق البارىء المصور**﴾[1]؛ ففرق العلماء بين الصفتين .

قال بعض العلماء : لانه خلق الخلق فقدره ثم برأه أي [سواه] وعدله .

وقال المفضل : الباري الخالق فاتبع النعت لمثله لاختلاف اللفظتين كما يقال ، عاقل لبيب ، واللب هو العقل ، وهذا موجود في لغة العرب كثير قال كعب بن سعد العنوي : ـ

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عِنـد اللقــاء. هـيــوب

والورع والهيوب معناهما واحد ، وكررهما لاختلاف اللفظين ، والبري في اللغة معناه [التسوية] يقال بري القلم اذا [سواه] وبري القوس اذا نحتها وفي المثل : [اعط القوس باريها] قال الشاعر :

يا باري القوس بريا ليس تحسنه لا تظلم القوس واعط القوس باريها

أي من نحتها بعلم ومعرفة وحكمة والله اعلم .

المصـور ؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**وهو الخالق البارىء**﴾[2] ، فابتدأ بالخالق ، ثم الباري ، ثم المصور ؛ لانه خلق الخلق ثم برى لهم النسمات ، ثم اظهر صورها ، فقامت تامة بتدبيره ، فالحال الأول خلق ، والثانية بري ، والثالثة تصوير .

---

١ ـ الآية ـ ٢٤ ـ من سورة الحشر
٢ ـ الآية ـ ٢٤ ـ من سورة الحشر

والصورة اشتقاقها من [صار يصير] ومعناه التمام والغاية ؛ ومنه قولهم : الام صار أمرك ؟ أي أين منتهاه وما غايته ؟

وتكون الصورة معناها [المثال] ومنه قيل : للتماثيل [تصاوير] ؛ لانها مثلت على تلك الصورة ، فسمى الله ـ عز وجل ـ نفسه مصورا لانه ابتدأ ، تقدير الخلائق في الدنيا ، وهو يتمها حتى تصير الى غايتها التي خلقت في الآخرة ، فهو المصور ـ جل وعلا ـ لا صورة له ؛ لانه خالق الصور ، ولانه لا غاية له ، ولا مثال له ، بل هو تعالى ينشىء الصور ، والأمثلة في غاياتها ـ تبارك الله المصور ـ .

ومن غيره قال بعض : الخالق الباري المصور قد يظن ان الثلاثة مترادفة ؛ لانها بمعنى الايجاد والانشاء فذكرها للتأكيد ، وليس كذلك بل هي امور متخالفة ، ألا ترى ان البنيان يحتاج في تقدير في الطول والعرض ، والى ايجاد وضع الاحجار ، والاخشاب على نهج خاص والى تزيين نقش وتصوير ، فهذه امور ثلاثة مترادفة تصدر عنه ـ جل شأنه ـ في ايجاد الخلائق من كتم العدم ، فله ـ سبحانه ـ باعتبار كل منها اسم على ذلك الترتيب .

رجــع ؛ ـ والله اعلم ـ ومن غيره ؛ [المصور] الممثل ، وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ [الباري المصور] ـ بفتح الواو ونصب الراء ـ الذي يبرأ المصور ، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات .

رجــع ؛ ومن غيره [السلام] ؛ أي ذو السلامة من الآفـات والنقائص ، أو في اعطائه السلامة .

رجــع ؛ [السلام] اسم من أسمائه ـ عز وجل ـ ومنه ، سمي الرجل عبدالسلام ، كما قيل ؛ عبدالله .

وزعم أهل اللغة : ان السلام بمعنى السلامة ، كما قالوا : الرضاع والرضاعة ، واللداد واللدادة فسمى نفسه ـ عز وجل ـ سلاما بالسلامة مما

يلحق من المخلوقين من العيب ، والنقصان ، والفناء ، والموت والزوال ، والتغيير .

ومن غيره [السلام] ؛ أي ذو السلامة من الآفات والنقائص ، أو في اعطائه السلامة .

رجـــع ؛ وقال أبو الحسن ـ رحمه الله ـ [السلام] ذكره سلامة على من ذكره ، وهو الذي يسلم الناس من جوره .

وقال المفضل : [السلام] الذي يسلم من اطاعه من عذابه .

وقال الحسن : [السلام] الذي يسلم الخلق من ظلمه وكل ما أمر به فهو سلام ، وهذا معنى السلام عليكم أي أمان لكم مما تخافون ، والسلام والسلامة واحدة .

قال ـ عز وجل ـ : ﴿**فسلام لك من أصحاب اليمين**﴾[1] ، أي فسلامة لك منهم ؛ أي يحيونك عنهم بالسلامة ، وهو معنى قول المفسرين : ﴿**واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾[2] ، قالوا [صوابا من القول] ؛ لانه قد سلم من الكذب والعيب والاثم ، والله اعلم .

ومن غيره [السلام] مصدر وصف به للمبالغة ، والمراد [السالم] من النقائص بأسرها ، وسميت الجنة [دار السلام] لأن سكانها سالمون من كل آفة ؛ ولانها داره ـ جل شأنه ـ .

رجـــع ؛ [المؤمن] ؛ الذي أمِنَ من اطاعه من عذابه ، والمؤمن الذي لا يخاف ظلمه .

قال غيره : لانه آمن عباده ان يظلمهم ؛ أي أعطى عباده الأمان على ذلك ، والعباد آمنون ، والله ـ تعالى ـ مؤمنهم .

---

١ - الآية ـ ٩١ ـ من سورة الواقعة

٢ - الآية ـ ٦٣ ـ من سورة الفرقان

وقيل : [المؤمن] الأمين على الأشياء .

وقيل : المؤمن المصدق ؛ لأن الله ـ تعالى ـ يصدق عباده المؤمنين ، والعبد ايضا مؤمن ؛ لانه يصدق الله ـ تعالى ـ بوعده ووعيده ، والمؤمن الذي آمن عباده من ظلمه .

وقيل : اذا كان ذلك يوم القيامة ، سأل الله الأمم على تبليغ الرسل ، فيقولون : ربنا ما جاءنا رسول ولا نذير ، فيكذبون أنبياءهم ، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيسألون عن ذلك فيصدقون نبيهم والأنبياء الماضين ، فيصدقهم الله عند ذلك ، ويصدقهم النبي ﷺ ، فذلك قوله تعالى : ﴿**فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**﴾ [1] .

فالمؤمن المصدق لعباده ، قال الله تعالى : ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾[2] ، معناه ؛ يصدق الله ، ويصدق المؤمنين ، ومعنى قوله : [المؤمن] يحتمل أن يكون من الايمان الذي هو التصديق ، فيكون معناه انه مصدق لأنبيائه ، فيعود الى خبره عن صدقهم وخبر كلامه ، وهو من صفات ذاته ، ويحتمل ان يكون من المعنى الذي يرجع الى الأمان ، فيكون هو المجير للمؤمنين من العقوبة بالمثوبة ، وذلك من صفات الفعل ، والله أعلم .

قال غيره وقيل في تفسيره من بعض كتب أهل المغرب ؛ [المؤمن] ؛ المصدق لرسله وأخباره بالاعلام والشواهد ، والمصدق لوعده ووعيده بالانجاز ، والمصدق بكل صدق يأتي من عنده بالحجة الظاهرة .

وقال ابن عباس ومقاتل : هو الذي أجار الناس ، أَمِنَ من آمن به من عذابه ، مأخوذ من [الأمان] الذي هو ضد الخوف كما قال تعالى : ﴿**وآمنهم من خوف**﴾[3] ، فهو مؤمن قال النابغة الذبياني :

---

١ - الآية ـ ٤١ ـ من سورة النساء
٢ - الآية ـ ٦١ ـ من سورة التوبة
٣ - الآية ـ ٤ ـ من سورة قريش

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

يقول : أمن الطير في الحرم أن يصاد .

وقال : ابن زيد : هو الذي يصدق المؤمنين اذا وحدوه .

وقال الحسن بن الفضل ؛ هو الداعي الى الايمان الموجب لهم اسمه .

وقال القرطبي : هو المجير ، كما قال تعالى : ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾[1] ، وقال مجاهد : هو الذي وحد نفسه بقوله : ﴿شهد الله﴾[2] (الآية) .

وقال احمد بن يحيى : [المؤمن] المصدق لعباده .

وقيل : هو الذي آمن أولياءه من أعدائه ؛ والله اعلم وأحكم .

رجـع : المهيمن ؛ قال بعض المفسرين : هو الشاهد من قوله تعالى : ﴿ومهيمنا عليه﴾[3] ، أي شاهدا عليه ، وروي ذلك عن ابن عباس ، ورواية أخرى عنه في قوله تعالى : ﴿ومهيمناً عليه﴾ ، قال : [مؤمن عليه] .

قال الحسن : ﴿مهيمنا عليه﴾ : مصدقا لهذه الكتب ، وأمينا عليها .

وقال الكسائي : [المهيمن] الشهيد ، وقال المفضل : [المهيمن] ؛ الشاهد [والمهيمن] ايضا ، الأمين المتبع .

وقال قوم من أهل اللغة : [مهيمن] ؛ اسم مبني من أمين ومؤتمن ، قال وهو الأصل [مؤتمن] ، فقلبت [الهمزة هاء] لقوة القرب من مخرجها ، كما

---

١ - الآية - ٨٨ - من سورة المؤمنون
٢ - الآية - ١٨ - من سورة آل عمران
٣ - الآية - ٤٨ - من سورة المائدة

نقلت في ارقت الماء وأهرقته ، وهيات وايهات ، واياك وهياك ، فأبدلوا من [الهمزة هاءه] فسمى نفسه ـ عز وجل ـ مهيمنا ؟ لانه الشهيد على كل نفس ، مطلع على ضمائرها ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وهو الحافظ عليهم ، والدافع عنهم ، الأمين الذي لا ينقصهم من حسناتهم ، ولا يلتهم من أعمالهم شيئا ، ـ تبارك الله ـ [المهيمن] .

ومن غيره [المهيمن] ؛ من صفات الأفعال والأسماء ، والحقيقة هي المحكمة ، وهو الرقيب على كل شيء الحافظ له .

رجـع ـ والله اعلم ـ : **العزيـز** ؛ العزيز يكون على وجوه : يقال : [عز] أي [امتنع] فلم يقدر على شيء منه ، فلزمه هذا الاسم على الحقيقة اذ لم يقدر على كيفيته ، ولم تخلص هذه الصفة الا لله ـ عز وجل ـ ، اذا كان كل عزيز من الأشياء يوجد على حال ما هو ، وهو ـ عز وجل ـ ممتنع من أن تدركه الأوهام والصفات والخطرات .

والوجه الآخر ؛ فالغلبة والقهر ، يقال : [عز] اذا غلب وقهر ، وفي المثل [من عزّ بزّ] ؛ أي من غلب سلب ، وقال الله ـ عز وجل ـ : **﴿وعزني في الخطاب﴾**[1] ، أي غلبني ، ويقال استعز العليل اذا غلب على عقله .

والوجه الثالث [العز] ، المنعة ممن يناوئه ويكيده ، والاحتراز منه ، ويقال : فلان في [عز] أيْ في منعة ، وقوله تعالى : **﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾**[2] ؛ قيل : معناه الأنفة والحمية ، ومثله ؛ **﴿واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم﴾**[3] يعني [الحمية والأنفة] .

فالعزة من العبد الحمية والأنفة ، وهي مذمومة ، ومن الله ـ عز وجل ـ مدحه وثناؤه ، قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿من كان يريد العزة فلله العزة**

---

١ ـ الآية ـ ٢٣ ـ من سورة «ص»
٢ ـ الآية ـ ٢ ـ من سورة «ص»
٣ ـ الآية ـ ٢٠٦ ـ من سورة البقرة

جميعا﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ (٢) ، وفي الحديث يقول : «انا الله الذي لا إلٰه إلا أنا ، الكبرياء ردائي ، والعظمة ازاري ، فالعزة لي لا لغيري ، فمن نازعني في شيء منهما ادخلته جهنم خالدا مخلدا مهانا» .

وعن ابن عباس في قوله : [عزيز حكيم] ، قال : [عزيز] في نعمته ، [حكيم] في أمره ؛ ومعنى الوصف لله ـ تعالى ـ بانه [عزيز] ، هو ان لا يلحقه ذلة ، ولا يقهره أحد ، ولا يغلبه شيء .

ويقال : لم يزل [عزيزا] وهذا الوصف وجب له لذاته ؛ لانه ـ عز وجل ـ نفى الذلة عنه في الأزل ، فهو[العزيز] على الحقيقة ، الممتنع فلا يغلب ، فعز الخلق كله بالقهر والغلبة ـ تبارك الله ـ العزيز ؛ والله اعلم .

الجبــار : [الجبار] ؛ هو الممتنع من أن يناله أحد ، أو يدركه بصفة وحدّ ، وهو الجبار على الحقيقة ـ سبحانه ـ ، جبر الخلائق ويفنيهم أجمعين ، ويجوز أن يقال لم يزل الله جبارا ، اذا كان عزيزا لا يناله أحد ، ولا يقهره غيره ، ويجوز أن يقال ، هو جبار الجبابرة .

وقيل : [الجبار] هو المصلح لامور خلقه من قولهم ، جبرت العظم فجبر اذا كان مكسورا ؛ كأنه اقام القلوب واثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والاقرار به .

ومن غيره ؛ وفي عبارة غيره ؛ [الجبار] ؛ القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد من أمره ، يقال : [جبره] بمعنى [أجبره] .

وفي عبارة غيره ايضا [الجبار] الذي يجبر الخلق ويقهرهم على بعض

---

١ ـ الآية ـ ١٠ ـ من سورة فاطر
٢ ـ الآية ـ ١٨٠ ـ من سورة الصافات

الامور التي ليس لهم فيها اختيار ، ولا على تغييرها قدرة ، أو يجبر حالهم ويصلحه .

رجع : و [الجبار] الذي عجز الخلق عن ادراكه بخواطر الأوهام . و [الجبار] من الخلق المتعظم في نفسه ، المتكبر على عباد الله .

وقال بعض : [الجبار] ؛ اشتق من [جبرت فلانا على الأمر] ؛ أي أدخلته فيه كرها .

و [الجبار] ؛ الملك في قوله تعالى : ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾(١) .

وقيل : ان [الجبار] القهار .

وقيل : [الجبار] المسلط ، قال الله تعالى : ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾. ، وقال : ﴿**ولم يجعلني جبارا شقيا**﴾ (٢) ، أي متكبرا عن عبادته .

وقيل : [الجبار] القتال في قوله تعالى : ﴿**واذا بطشتم بطشتم جبارين**﴾(٣) ، أي قتالين ، وقيل : [الجبار] كامل القدرة ، نافذ الارادة والمشيئة لا يعارضه معارض ، ولا ينازعه منازع .

وقال المفضل : [الجبار] ؛ العالي فلا يقدر عليه ، والجبار الممتنع على معنى العزيز .

ولا يجوز أن يقال : [متعزز ولا متجبر] وجائز أن يقال : جبار الجبابرة .

ومن غيره ؛ و [الجبار] الممتنع ومنه ؛ سمي [النخل] الذي قد طال وفات اليد [جبار] الواحدة جبارة .

---

١ - الآية ـ ٤٥ ـ من سورة «ق»
٢ - الآية ـ ٣٢ ـ من سورة مريم
٣ - الآية ـ ١٣٠ ـ من سورة الشعراء

ويقال : [ناقة جبارة] اذا عظمت وسمنت ويجمع جبابير .

ويقال للملك اذا تكبر ، ولم يكلم ، ولم يوصل اليه في كلامه ، ولم يقدر على الانصاف منه [جبار] .

رجـــع ـ والله اعلم ـ [المتكبر] ؛ [التكبر] التعظم ، يقال : تكبر الرجل فاستكبر ، كما يقال : تيقن واستيقن ، وثبت واستثبت ، و [تكبر] تعظم وهو من الكبر ، و [الكبر] ، العظمة .

ويقال لمعظم الشيء [كبر] ـ بكسر الكاف ـ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿والذي تولى كبره منهم﴾[1] ، قال ابو عبيدة : يعني معظمه ، وهو معنى الكبر من الأمر .

وقال المفضل [المتكبر] المتعظم ، والكبرياء العظمة ، و [متكبر] صفة وجبت له لذاته ، وكذلك [متكبر] و [كبير] المتعظم ، بمعنى مثل متقدم وقديم ، وكذلك متوحد وواحد ، بمعنى واحد .

وقيل : انه كبير الشأن والعظمة والله أعلم .

قال غيره : وقيل في تفسيره من بعض كتب اهل المغرب : معناه المتعظم عن صفات الخلق ، ومعاني النقص ، واصل [الكبر والكبرياء] الامتناع وقلة الانقياد ، قال حميد بن ثور يصف ناقة :

عفت مثل ما يعفو الطليح فأصبحت ... بها كبرياء الصعب فهي ركوب

الطليح المهزول (وعفا) اذا اضمر ، والصعب ضد الذلول .

وقيل : (المتكبر) عن ظلم عباده ، وفيما يروى عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله ـ سبحانه ـ قال : (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني

---

١ ـ الآية ـ ١١ ـ من سورة النور

واحدة منها القيته في ناري) ، والصفات المتقدمة من الالوهية ، والملك ، والربوبية ، والعزة ، والجبروت ، صفات ذات لم يزل ربنا بها مالكا ، مهيمنا صادقا عزيزا جبارا ، والصادق قد يخرج على الخبر ، اي يخبر بالصدق .

رجع : ومن غيره ؛ قال بعض : (المتكبر) أي البليغ الكبرياء والعظمة .

وقال بعض : (المتكبر) عن ظلم عباده ، وعما لا يليق به .

وفي عبارة بعض : (المتكبر) ذو الكبرياء عن الحاجة والنقص .

رجع : القديم ؛ ومن صفاته ـ عز وجل ـ انه قديم بنفسه ، ووجب له هذا الوصف لتقدمه ، وكل متقدم من الاشياء فواجب له هذا الاسم اذا بولغ له في الوصف بالتقدمة ، غير ان سائر الاشياء اذا سميت بهذا الاسم ، فانما يعني به انه قديم الى نهاية وغاية وأول ؛ فانه ـ سبحانه وتعالى ـ قديم لا الى اول ، ولا الى غاية ، ولا الى نهاية ، فمن ذلك قوله تعالى : **﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾**[1] يعني انه المتقدم ، ومنه ؛ قوله تعالى : **﴿فسيقولون هذا افك قديم﴾**[2] ، ومنه قول اهل اللغة : هذا بناء قديم ، وملك فلان لهذه الدار ملك قديم ، انما ارادوا بذلك تقدم البناء وتقدم الملك ، فلما ارادوا المبالغة في الوصف بالتقدم ، قالوا : قديم وردوا ذلك كله الى اول وغاية ؛ لأنهم كانوا يعلمون مع وصفهم له بذلك انه في الاصل محدث ، والله ـ سبحانه ـ قديم لا الى غاية ولا الى اول .

وقولنا : (الله قديم) ؛ هو صفة له لذاته ، وليس نثبت معه معنى يسمى قديما فنقول : انه وصف أو غير وصف ، مع ان الوصف لا يكون الا كلاما ، فكل من عني بالصفة والوصف غير القول ، والكلام فهو مخطىء ولسنا نقول

---

١ ـ الآية ـ ٣٩ ـ من سورة يس
٢ ـ الآية ـ ١١ ـ من سورة الأحقاف

ان القديم صفة ، لأن القديم هو الموصوف ، وانما قولنا : هو قديم صفة وجبت لله لذاته .

فمعنى قولنا : صفات الذات عنينا به الصفات التي وجبت له لذاته وهو كقولنا (الله قديم) و(الله عالم وقادر) .

ومعنى قولنا : صفات الفعل ؛ انما اردنا به الصفات التي وجبت لله لافعاله ، ونحو قولنا : انه خالق ورازق وصانع ومنعم ، والصفة والوصف شيء واحد ، وهو قول الواصف لما يصفه وليس بين اهل اللغة في ذلك خلاف ؛ لانهم جميعا يخبرون ان الوعد والعدة عندهم واحد ، وان الوصف والصفة شيء واحد ، وكذلك الوزن والزنة والوجه والجهة .

وفي موضع عن غيره ، وجائز ان يقال : (قديم ازلي) ؛ لان القديم ازلي ، والمتقدم للاشياء والازلي لم يزل قبل الاشياء . رجع : والله اعلم .

سبوح ؛ (سبوح) وهو اسم مبني على (فعول) ، من قولك سبحان الله .

قال ثعلب : (سبوح قدوس) مضموم الأول وقد يفتح اوله ، وكل اسم على وزن (فعول) فأوله مفتوح الا هذين الاسمين ، فانه يضم اولهما .

وقال ابوعبيدة : (سبحان الله) مجاز موضع التنزيه والتعظيم ، والموحد اذا وحد الله ـ تعالى ـ فقد نزهه وبرأه من الشرك ، والمشرك غير المسبح ؛ لانه غير موحد ، فهو يشرك به ، وهو ـ عز وجل ـ مبرأ من شركه ، منزه ، سبوح ، سبحانه عما يشركون ؛ والله اعلم .

القدوس ؛ هو مبني ايضا على (فعول) مثل (سبوح) والتقديس قريب من التسبيح في المعنى ، فمن قدس الله ـ تعالى ـ فقد نزهه واخلص له الوحدانية ، قال الله ـ عز وجل ـ حكاية عن الملائكة ـ عليهم السلام ـ :

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[1] اي نطهر لك ، و(التقديس) التطهير .

قال غيره : ويعجبني ما قيل : ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ ، اي نبعدك من السوء ، ونقول : سبحان الله وبحمدك ونقدس لك ، اي ننزهك عما لا يليق بك .

رجـع ؛ وقيل في قوله ـ عز وجل ـ : ﴿الارض المقدسة﴾[2] اي المطهرة ، ونقدس لك ونقدسك بمعنى .

وسمي جبريل (روح القدس) ؛ لأنه يتنزل على كل شيء طاهر ، ويطهر كل من ينزل عليه ؛ فهو الطاهر عن الاشباه والامثال ، تعالى ربنا علوا كبيرا ، والله اعلم .

ومن غيره (القدوس) ؛ البليغ في النزاهة عما يستقبح ، الطاهر عما لا يليق به .

وفي موضع (القدوس) البالغ في النزاهة عما يوجب النقص .

رجـع : الحي ؛ مشتق من (الحياة) وهو الدائم الذي لا يفنى ، ولا يزال حيا ، وهو الذي يحيي ويميت وهو الحي الذي لا يموت ، وهو الحي بنفسه ؛ لانه عالم وقادر ، فلا يكون العالم بالاشياء ، والقادر عليها الا حيا ، فلما كانت افعاله دالة على علمه بها ، وقدرته عليها ، كانت دالة عليه على انه حي ، وحياته اثبات ذاته : في قولنا : انه حي لم نثبت بهذا القول غير الله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ ولم نثبت معه معنى يسمى حياة بل هو الحي بنفسه .

فان قال قائل : ما معنى وصفكم له بانه حي ، ان كنتم لا تثبتون له بهذا

---

١ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة البقرة
٢ - الآية ـ ٢١ ـ من سورة المائدة

القول حياة ؟ قيل له : معنى ذلك انا اثبتناه حيا بنفسه ؛ لانه عالم قادر وذلك انه لا يجوز ان يعلم الا حي ، ولا يجوز ان يقدر على الاشياء الا حي ، فلما كانت افعاله دالة على انه عالم بها وقادر عليها ، كانت ايضا دالة على انه حي .

فان قال فاذا وصفتموه بانه حي ، ووصفتم غيره بانه حي على الحقيقة ، فما انكرتم ان تكونوا قد شبهتم الله ـ تعالى ـ بغيره ؟ قيل له ان معنى وصفنا الله ـ تعالى ـ بانه حي هو اثبات له وحده وليس هو باثبات لمعنى معه يسمى حياة ، ووصفنا لغيره بانه حي ليس هو اثباتا له وحده ، ولكنه اثبات لمعنى آخر معه هو غيره يسمى حياة ، فلما كان الوصفان مختلفين ، وكان احدهما اثباتا لموصوف ، والآخر اثباتا لمعنى هو غير الموصوف ، لم يوجبا مع اختلافهما تشبيها لله تعالى بغيره .

ولكن لو وصف واصف غير الله بانه حي بنفسه ، كما وصف الله ـ تعالى ـ بذلك ؛ لكان يجب ان يكون قد شبه الله ـ تعالى ـ بغيره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ؛ والله اعلم .

القيوم ؛ قال ابوعبيدة ، (القيوم) القائم وهو الدائم الذي لا يزول ، فهو (فعول) .

وعن ابن عباس في قوله عز وجل :﴿**الحي القيوم**﴾[1] فمعنى الحي قبل كل شيء الذي لا يموت ، ولا تفنيه الدهور ، ولا تغيره انقلابها ، ومعنى (القيوم) انه القائم على العباد باعمالهم وارزاقهم وآجالهم .

والقيوم فيه لغتان : (قيوم وقيام) ، وقد قرىء بهما جميعا ، وعن عمر انه قرأ (القيام) وفي الدعاء (اللهم قيام السموات والارض) ، اي عمادها ، ومثله في التقدير لا فيها (ديار ولا ديور) اي ليس فيها ساكن دار .

وعن مجاهد (القيوم) ؛ القائم على كل شيء ، فهو عز وجل (القيوم)

---

١ - الآية ـ ٢ ـ سورة آل عمران

على كل نفس الى انقضاء مدتها ، ويتولى مجازاتها بما كسبت ، تبارك الحي القيوم .

وعن ابن عباس ايضا انه قال : (القيوم) الأول الذي لم يكن قبله شيء وهو بالعبرانية شراهيا ، وذلك ان موسى ـ عليه السلام ـ لما بعثه الله الى بني اسرائيل ، قال : يا رب اذا سألت عنك فقيل لي : من الذي ارسلك يا موسى ؛ فما الذي اقول لهم ؟ فاوحى الله ـ عز وجل ـ اليه ان قل لهم : (ارسلني اليكم هيا شراهيا) يقول : بعثني الأول الذي لا بدء له وهو (القيوم) .

قال غيره : وقد حفظت ان معنى (شراهيا) معناها الازلي الذي لا يزول .

رجع ؛ وقيل : (القيوم) القائم على خلقه بما فيه رشدهم وصلاحهم ، لقوله تعالى : ﴿**افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾[1] والله اعلم .

الغفور ؛ يقال : غفور وغافر وغفار (ثلاث لغات) وهو من المغفرة وهو الستر ؛ كأنه مستر ذنوب العباد ؛ لانه بفضله يستر العيوب ويغفر الذنوب . و(الغفار) ؛ الذي يغفر ذنبا بعد ذنب ، واما الغفار فهو بالاضافة يقال : غافر الذنوب ، وقابل التوب ، ـ سبحانه وتعالى ـ لا غافر غيره . و(الغفور) ؛ على وزن فعول يعني من شأنه انه يغفر الذنوب ، ويقال في الدعاء : (اللهم تغمدني بمغفرتك) ، اي تستر ذنوبي ، واصله من (غفرت الشيء) اذا غطيته .

ومن غيره وتقول تغمده الله برحمته اي اغمده فيها ويقال : غفرا غفرا ومنه ، (اللهم غفرا) كما قال الشاعر :

---

١ - الآية ـ ٣٣ ـ من سورة الرعد

ويقال : جمة الرأس (مغفرة) ؛ لانها تغطي الرأس وتستره ؛ والله اعلم .

الملك ؛ (ملك ومالك ومليك) ، قد جاء بهذا كله القرآن ، وهي كلها مشتقة من (الملك) والملك يوصف به المخلوق ، ويقال للرجل : (ملك ومالك ومليك) ويقال : (ملك) بسكون اللام ولم تج هذه اللغة في القرآن ، ولا روي ان احدا قرأها ، قال السجستاني لو قرأها اعرابي لجاز ؛ نسخه لو قرىء بها لجاز ، وهي لغة مشهورة معروفة ، قال النابغة الذبياني :

الـم تـر ان الله اعطـاك ســورة تـرى كـل ملك دونهـا يتذبذب

ويقال : رجُل ورجْل ونَجدٌ ونُجْدٌ وطرَف وطَرفٌ وعلَم وعلْمٌ وهو في كلام العرب كثير .

ويقال : مالك كل شيء ، ولا يقال : ملك كل شيء فمالك اوسع واجمع .

قال ابوعبيدة : وقوله تعالى : ﴿**فتعالى الله الملك الحق**﴾[1] هو الذي لا يموت ولا يسلب ملكه ، وكل ملك سواه فقد جعله ملكا ، وهو يسلبه ملكه بموت أو غيره ، فلما امات الله ـ تعالى ـ الملوك وسلبهم ملكهم ، قال : ﴿**لمن الملك اليوم**﴾[2] فاجاب نفسه اذ لم يكن احد يجيبه ﴿**لله الواحد القهار**﴾ .

قال ابوعبيدة : (المالك) يكون ملكا وغير ملك ، ولا يكون الملك الا مالكا وهذا في الدنيا للمخلوقين ، والله ـ عز وجل ـ ملك ومالك .

ان قال قائل : اتزعمون انه لم يزل مالكا للاشياء ، كما انه لم يزل قادرا

١- الآية ـ ١١٤ ـ من سورة طه
٢- الآية ـ ١٦ ـ من سورة غافر

عليها ؟ قيل له : (نعم) .

فان قال : ما معنى ملكه لما لم يوجد ؟ قيل له : هو قدرته عليه ، فلما كان قادرا على ما لم يوجد ، كان مالكا له ، وقد بين ـ تعالى ـ ذلك في كتابه ، فقال ـ عز وجل ـ : ﴿مالك يوم الدين﴾[1] ويوم الدين لم يوجد ، وقد اخبر ـ عز وجل ـ انه مالك له اذا كان قادرا عليه .

فان قال : اتزعمون انه لم يزل مالكا ؟ قيل له : نعم ؛ ومعناهما واحد ، وانما يراد به اثبات الملك والقدرة على الاشياء .

فان قال : ان الله تعالى ملك الدنيا والآخرة فلمَ قال : مالك يوم الدين ؟ قيل له : ان الدنيا قد ملكها الله تعالى اقواما فنسب الملك اليهم ، فلما كانت الدنيا يملكها الله ـ تعالى ـ ، ويملكها غيره بالنسبة لا على الحقيقة ، والآخرة لا يملكها الا هو ـ عز وجل ـ ؛ ولا ملك في ذلك اليوم لغيره ، خص بذلك .

ومن غيره ؛ وقيل : ان الدنيا ملكها اربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين . والكافران نمرود بن كنعان ، وبخت نصر ، والله اعلم .

قال غيره : وقيل : في تفسيره من بعض كتب اهل المغرب : (الملك) من له الجند والرعية ، ومعناه ذو الملك اي القدرة ، والمالك هو القادر على الايجاد والاختراع ، فلا ملك ولا مالك على الحقيقة الا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وغيره مملوك ، والمالك بالالف اي يملك خلقه ، ويحكم عليهم وفيهم ، وقال تعالى : ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾[2] وقيل : (الملك) الخلق (والمالك) الخالق وقرىء (مالك يوم الدين) وفسروه ، (خالق يوم الدين) ، ومن قرأه (ملك) معناه الذي يلي الجزاء على الخلق ؛ انقضى .

---

١ ـ الآية ـ ٤ ـ من سورة الفاتحة
٢ ـ الآية ـ ١٩ ـ من سورة الانفطار

وقيل عن الشيخ ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ، في تفسيره لفاتحة الكتاب ، في تفسير (ملك يوم الدين) ؛ اي (يوم القضاء والحساب للجزاء) ، وما قيل : انه (يوم الطاعة ويوم القهر) ، فداخل فيه (جار ومجرور) باضافة اسم الفاعل اليه تنزيلا له منزلة المفعول به ، قرأ عاصم ، ويعقوب ، ومالك ، والكسائي (مالك) بالالف بعد الميم .

وقد قيل : انه قرىء كذلك ، (بالرفع مضافا ومنونا) على انه خبر لمبتدأ محذوف ، و(بالنصب على الحال أو المدح منونا) ، وقرىء (ملك) من غير الف بالجر ، والرفع ، والنصب ، وبتسكين لامه مخففا ، وبلفظ الفعل الماضي .

واختلف الناس في معناهما فقيل : واحد وقيل (مالك) اجمع ؛ لأن كل مالك لشيء ملكه ، وليس كل ملك لشيء مالكه .

وقيل (ملك) أوسع ؛ لأن كل ملك مالك ، وليس كل مالك ملك ؛ وكأنه ارجح لما فيه من المزيد على المالك واحتوائه عليه ؛ لان (الملك) من له الامر والنهي في الرعية النافذ فيهم حكمه كيف اراد ؛ لانه لهم (مالك) لكونهم تحت ملكه ، فكان عاما ، و(المالك) خاصا ؛ نحو من معناه الا ترى ان اسم (المالك) يطلق على من كان له ادنى ملك لشيء من الاعيان المملوكة على ارادة ذلك في المعنى ، وان كان ليس (بملك) بعد ولذلك سمي القلب سلطان الجوارح ؛ لأنه كالملك القاهر لها ، وهي كالرعية يتصرف فيها بقدرة الالهية تصرف المالك كيف شاء فيما شاء ، وعلى ما شاء ، فهي له منقادة ، لا تطيق عناده ؛ لانها مجبولة على طاعته .

ولله الملك من قبل ومن بعد ، وهو المالك لما كان في الوجود من شيء او يكون لا تصادف حكمه ولا قدره وقضاه غير ملكه ، كلا بل تجري الامور في الخلق من الملك الحق ، على عنان المقادير بازمة التدابير ، على مقتضى الحكمة ، ووفق المشيئة في الدارين ، الآخرة والاولى .

وانما جرى التخصيص ليوم الدين ، لكشف الغطاء حين النداء ﴿لمن

الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[1] مقالا بالصدق واعترافا بالحق ، لظهور العيان ، المستغني عن البرهان ، على سلب الاعيان ، ورجوع العواري من الملك المجازي ، الى الملك الحقيقي ، ذي الملك السرمدي ، والتنصيص لنفس اليوم اكتفاء به عن ذكر ما فيه ؛ لانه كالمستلزم له في اشتماله في صرفه عليه على ما جرت به العادة في عرف اللغة ، وذلك نوع تنزيه على الاعمال الصالحة ، واجتناب الطالحة ، لأن باختصاص التسمية له بالدين من بين سائر ما يسمى ، دلالة على انك كما تدين تدان ، فانظر في ذلك يا ذا الغفلة لنفسك ايام المهلة ، وكأنه في هذه الجملة ابلغ تنبيها على حقارة الدنيا ، واشد تحذيرا ، منها وتزهيدا فيها ، لكونها مطلوبة ، وفي الاخرى مسلوبة ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فالباقيات الاعمال والنيات والاقوال الصالحات ، لا غير فارعوها حق رعايتها ان كنتم موقنين ، وانظروا فيها والى هذه الخمسة الاشياء العظيمة ، والصفات البالغة الجسيمة ، فان تحت كل اسم وصفة بحرا من المعاني لا ساحل له ، ومن كان كذلك حاله في اوصافه ، فكيف لا يكون لمحض الحمد اهلا ، كلا ؛ انه لواجب الحمد ، وبذلك على هدايته فاحمدوه حمد من يستوجب لاخلاصه في حمده الحمد والزلفة بحمده .

واعلم ان الحمد في اللسان لا جدوى له ، حتى يكون نتيجة قلب شاكر الاركان .

رجل سرى من الملك الادنى ، الى الملكوت الاعلى ، على جواد الاجتهاد حتى وصل ؛ فناخ على الرضى بفناء حضرة الربوبية ؛ فينزل منزل العبودية ، فغاب عن الاغيار ، بشهود الملك الجبار ، وطفق ما قدر على الالتفات لما حضر لمولاه العظيم ، وربه الكريم ، قد اقبل بسر سره اليه ، لما نظر بعين اليقين اليه ، يقول عن خالص باله بلسان حاله أو صدق مقاله .

رجع : الحكيم ؛ صفة ذات وصفة فعل ، فالذاتي هو العليم ،

---

١ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة غافر

والفعلي الذي توجد افعاله محكمة (والحكيم) هو معنى العليم ، والحكمة هي العلم .

فان قال قائل : ان الله لم يزل حكيما قيل له : نعم ؛ قد نقول ذلك على معنى انه لم يزل عالما ، لان (الحكيم) قد يستحق هذه الصفة لعلمه بالاشياء ، وقد يستحق ذلك ايضا لفعله الافعال المحكمة المتقنة التي لا تفاوت فيها ، فقد وجب بان يوصف انه لم يزل حكيما ؛ فمعنى لم يزل عالما ، ولا يجوز بان يوصف انه لم يزل حكيما على انه فعل افعالا محكمة متقنة ، لان هذا هو من صفاته لفعله .

فان قال : لم زعمتم ان العلم حكمة ؟ قيل له : هذا في اللغة مشهور ، والعالم عند جميع اهل اللغة يسمى حكيما ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا﴾[1] وقال - جل وعلا - : ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾[2] يعني العلم والكتاب ، وانما سمي الكتاب حكمة ؛ لأن العباد يعلمون به ، والدليل على انه حكيم هو وضعه الاشياء مواضعها ، واحكامه لها على حسب مصلحتها ، اذ لا يضع الشيء في موضعه ويحكم له لمصلحته الا عالم حكيم ؛ لانه لو لم يكن حكيما كان عابثا ، والعابث لا يخلق عالما ، والحكمة حكمتان .

حكمة في الذات اذ لو لم يكن حكيما لم تبن من أحكام المحكمات .

وحكمة هي الفعل والتقدير ، اذ ليس في حكمته تفاوت ولا تغيير ؛ والله اعلم .

قال غيره : وقيل في تفسيره من بعض كتب أهل المغرب : و[الحكيم] قيل : معناه العليم .

---

١ - الآية - ٢٦٩ - من سورة البقرة

٢ - الآية ٢٥١ من سورة البقرة

وقيل : معناه الحاكم ، وقيل معناه المحكم المتقن ، وقيل : الحاكم والحكيم يرجعان الى معنى المنع ، ومن ذلك سميت حكمة اللجام حكمة ؛ لانها تمنع الدابة من الجماح ، وسميت العلوم حكما ؛ لانها تزع الموصوفين بها عن سيم الجاهلين .

رجـع : **الواسـع** ؛ الغني يقال : أعطي من سعة أي من غنى ، قال الله - عز وجل - : ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾[1] ، أي ذو غني من غناه ، وقال تعالى : ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة**﴾[2] ؛ يعني أولي الغنى ، قال ابو عبيدة في قولـه -عز وجـل- : ﴿**ان الله واسع عليم**﴾[3] ، أي جواد يسع ما يسأل .

ويقال : وسع الله على فلان أي أغناه .

وقال المفضل : [واسع] أي ذو سعة [وواسع] أي ذو قدر وفضل ، فالوسع القدرة والفضل .

وفي بعض الكتب ان معنى [الواسع] انه واسع الرحمة ، وواسع المغفرة واسع الرزق ، فاجرى هذه الصفة على نفسه وهو يعني به ما وصفنا من الرحمة والمغفرة على التوسع في اللغة .

وقال الأشعري : فيه وجهان .

احدهما ؛ انه بافضاله واسع على خلقه ، معنى انه جواد مأخوذ ذلك من بذل العرف فلا يمنع ما يسأل منه ؛ أي لا يبخل بشيء ولا يفوته ، وانشد ابن الانباري لابن زيد الطائي :

حمـال اثقـال اهـل الـود آونـة اعطيهم الجهد مني بله ما أسع

---

١ - الآية - ٧ - من سورة الطلاق

٢ - الآية - ٢٢ - من سورة النور

٣ - الآية - ٧٣ - من سورة آل عمران

بله ، بمعنى [دع] وبمعنى [سوى] وكيف واجد معناه اعطيهم جهدي لا أدع ما أقدر عليه .

والوجه الآخر : انه يسع علمه كل شيء ؛ فلا يخفى عليه من أفعال عباده فعل ، ولا يغيب عليه منها اثر شيء .

وقيل : لانه وسع على عباده ، وجعل الاختيار اليهم ، فما ارادوا ان يفعلوا ولم يمنعهم بالجبر عن أفعالهم ، لكن بين لهم طريق الثواب والعقاب فيجازيهم على ما يظهر منهم .

وقيل : واسع ؛ لانه وسع على عباده في دينه ، ولم يضطرهم الى ما يعجزون عن أدائه ، والله اعلم .

العليم ؛ يقال : الله ـ تعالى ـ [عليم وعالم وعلام] ، كله بمعنى العلم ، وفي الحديث «إني عليم أحب كل عليم» ، وجائز ان يقال : هو فوق عباده بالعلم والقدرة ، كما قال عز وجل :﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾[1] ؛ يعني نفسه ـ عز وجل ـ وهو أيضا على التوسع والمجاز ، الدليل على انه ـ تعالى ـ [عالم] ان كل صنعة محكمة لا تقع الا من عالم بها ؛ لأن في الشاهد أنّ الفاعل متى فعل فعلا حكيما كنسج الديباج ، وصناعة الأكاليل ، وما أشبه ذلك ، لا يصح وقوع هذه الأفاعيل منه الا ان يكون عالما بها ، لتعذر ذلك ممن ليس بعالم .

وغير الله ـ تعالى ـ يوصف بالحقيقة بانه عالم ، ولا يكون ذلك تشبيها لله ـ تعالى ـ بخلقه ؛ لان الله ـ تعالى ـ عالم بنفسه ، فلا يثبت معه معنى غيره يسمى علما صار به عالما .

وقيل : لغير الله عالم ؛ انما هو عالم بعلم هو غيره صار به عالما .

---

١ - الآية ـ ٧٦ ـ سورة يوسف

فان قال قائل : أتزعمون ان العلم من صفات الذات ؟ قيل له : ليس كذلك ، نقول : وليس نثبت مع الله معنى يسمى علما فيجوز ان يقال من صفات الذات ، ولكن قولنا : الله عالم هو صفة لله ـ تعالى ـ وجبت لذاته .

وقال ابو الحسن : [العليم] صفة ذات ، فلم يزل الله ـ تعالى ـ عالما بما يكون وما لا يكون .

فان قال قائل : فلم قلت انه لم يزل عالما ؟ قيل له : لما كانت افعاله تقع منتظمة متسقة غير مختلفة ولا متفاوتة ، علمنا انه عالم بها ، قبل كونها وقادر عليها .

فان قال : أتزعمون ان غير الله يوصف أيضا على الحقيقة بانه عالم قيل له : نعم .

فان قال : فلم لا يكون هذا الوصف منكم تشبيها لله ـ تعالى ـ بخلقه ؟ قيل له : قولنا : ان الله عالم عنينا به انه عالم بنفسه ، وان ذاته ذات عالمه من غير ان نثبت معه معنى هو غيره يسمى علما صار الله به عالما .

وقولنا لغير الله انه [عالم] ؛ انما اثبتنا معه معنى هو غيره يسمى علما صار الانسان عندنا به يسمى عالما ، فلما اختلف معنى القولين والصفتين ، في الله ـ تعالى ـ وفي غيره ، لم توجب هاتان الصفتان تشبيها لما بينا من اختلاف معانيهما ، ولكن لو قال قائل لغير الله : انه عالم بنفسه كما وصف الله ـ تعالى ـ ، لوجب أن يكون قد شبه الله ـ تعالى ـ بغيره ، أو كان معنى صفته معنى واحدا ، اذا كان ما اثبته بأحد الصفتين هو مثل ما اثبته بالصفة الأخرى ؛ والله أعلم .

ومن غيره ؛ [عالم الغيب والشهادة] الغيب المعدوم ، و[الشهادة] الموجود المدرك ، كأنه شاهده ، وقيل : الغيب ؛ ما غاب عن العباد ، والشهادة ما شاهدوه .

وقيل : [السر والعلانية] ، وقيل : [الدنيا والآخرة] .

رجــع : **الغنــي** ؛ معناه [الغني] عن الأشياء فلا يصير اليه ـ تعالى ـ منها نفع ولا ضر فهو الغني عنها كلها ، وقد قال عز وجل : ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد**﴾[1] ، وهو تعالى غني كما وصف نفسه ، وجميع خلقه فقراء اليه .

فان قال قائل : فتسمون غير الله غنيا ؟ قيل له : نعم ؛ وقد جاء في القرآن : ﴿**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**﴾[2] ، فقـد سماهم الله أغنياء .

والفرق بين التسميتين ؛ ان غنى الغني متاع مستفاد ، وليس يطلق عليه الوصف بالغنى ، كما يوصف ـ تعالى ـ بانه الغني الحميد ، والله ـ عز وجل ـ لا يشبه بخلقه ، وان اشتبه اللفظ لأن غنى الخلق غنى حادث بعد ان لم يكن ، وقد يزول ، وهو بعد أن كان ، فلا يشبه بصفة الغني الذي لا يزول ولا يزال ، وهو الله الغني الحميد ، والله أعلم .

الحميـد ؛ قال ابو عبيدة : معناه المحمود ، وحمد الله ـ تعالى ـ هو الثناء عليه ، وحميد معناه محمود على نعمه ، وحسن تدبيره .

فان قال : أتزعمون انه حمد نفسه بقوله : الحمد لله ؟ قيل له : نعم ؛ وانما قوله ـ تعالى ـ الحمد لله بيان للعباد كيف يحمدونه ليحمدوه كذلك .

فان قال : أتزعمون ان الحمد هو الشكر ؟ قيل له : لا ؛ لأن الحمد هو ضد الذم ، والشكر هو الاعتراف بالنعمة ، وضده الكفر ، وهما مختلفان . وكذلك مدح نفسه بصفات ذاته بحسن نظر لعباده ، واراد أن يبين بذلك للعباد صفاته ومدحه ، ليمدحوه بمثل ما مدح نفسه ؛ والله اعلم .

---

١ ـ الآية ـ ١٥ ـ من سورة فاطر
٢ ـ الآية ـ ٢٧٣ ـ من سورة البقرة

الشكـور ؛ وصف الله ـ سبحانه ـ نفسه بذلك على جهة التوسع والمجاز دون الحقيقة فنحن نصفه بذلك كما وصف نفسه .

فان قال قائل : لم زعمتم أن ذلك هو مجاز ؟ قيل له : انما الشكر ؛ انما هو شكر النعمة التي كانت للمشكور على الشاكر ، فلما لم يكن للعباد على الله نعمة لم يجز أن يكون شاكرا لهم في الحقيقة ، ولكن لما كان مجازيا للمطيعين على طاعتهم ، جعل مجازاته إياهم على هذه الطاعات شكرا منه لهم على المجاز ، كما ان مكافأة المنعم فيما بيننا قد يقال : انه شكر على التوسع ، وان كان الشكر على الحقيقة هو الاعتراف بالنعمة .

و [الشكور] من الناس الذي يرضى بالقليل من العطاء ؛ ولذلك يقال لمن قدر عليه الرزق أشكر الله أي أقنع بالقليل .

ويقال : دابة شكور ، اذا كانت تسمن على القليل من العلف ؛ قال الشاعر :

ولا بـــد من غـزوة في المصيف وحـرب بكل الـوقاح الشكـورا

فكأن الله ـ عز وجل ـ سمى نفسه شكورا ؛ لانه يرضى من عباده بالقليل من العبادة ؛ والله اعلم .

قال غيره : وفي بعض كتب أهل المغرب ؛ [الشكور] ؛ الذي يعطي الجزيل على العمل القليل ، و[الشكور] من الخيل ؛ الذي يسمن بأدنى علف ، وقيل : المثني على المطيعين من العباد ، وقيل : الذي يجازي العباد من قبل شكرهم اياه .

رجـــع : [الكريم] ؛ قال اهل اللغة : [الكريم] المرتفع من كل شيء ، يقال : فلان أكرم قومه ، اي ارفعهم منزلة وقدرا ، وكذلك كل شيء ارتفع عن منزلة نظرائه ، يقال : فرس كريم ، اذا كان أشهر الأفراس فراهة ، وشجرة كريمة ، أي ناعمة حسنة الثمر .

قال الله عز وجل ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿اني القي الي كتاب كريم﴾[2] ، أي شريف .

وقيل مختوم لأن شرف الكتاب ختمه .

وقيل : [كريم] ،أي فاضل ،و ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم﴾[3] ، أي فاضل .

وقال : ﴿أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾[4] ، يعني فضلته عليّ ورفعته فوقي ، وقال : ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[5] ، شرفناهم وفضلناهم على سائر الخلق .

وكل شيء وصف بالكرم ، فانما يراد به الارتفاع والشرف والفضل .

ويقال : [الكريم] الذي لا يمن اذا اعطى فيكدر العطية بالمن .

وقيل : [الكريم] الصفوح .

وقال ابو محمد ـ رحمه الله ـ : [الكريم] ؛ صفة ذات ، وصفة فعل ، فالذاتية بمعنى العزيز الممتنع ، والفعلية بمعنى المتفضل بالاعطاء ، فيجوز ان يقال : لم يزل كريما على المعنى الأول ، ولا يجوز على المعنى الثاني .

فان قال قائل : لم زعمتم انه يجوز ان يقال ؛ انه كريم ، على معنى انه عزيز ؟ قيل له : ذلك موجود في اللغة ؛ لانه يقال : فلان أكرم عليّ من فلان ؛ يراد به انه أعز من فلان ، وليس هذا من معنى [الكريم] الذي هو الجود والافضال في الشيء .

---

١ - الآية ـ ٧ ـ من سورة «ق»
٢ - الآية ـ ٢٩ ـ من سورة النمل
٣ - الآية ـ ٧٤ ـ من سورة الانفال
٤ - الآية ـ ٦٢ ـ من سورة الاسراء
٥ - الآية ـ ٧٠ ـ من سورة الاسراء

فان قال : ما الدليل على انه كريم ؟ قيل له : اعطاؤه خلقه ابتداء ، ولا يريد على ذلك مكافأة ولا جزاء .

و [الكريم] على وجهين ؛ ذات ، وفعل ؛ فكرم ذات هو المتنزه عن صفات المحدثين ، والمتقدس عن أفعال المربوبين ، وكرم الفعل هو البذل والعطاء ، وجميع ما تفضل به عليهم في الآخرة والدنيا ، والحجة على كرم الذات ، وقوله - تبارك وتعالى - : **﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام﴾**[1] ، والحجة على كرم الفعل ، قوله تعالى : **﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾**[2]

و [الكريم] ؛ الصفوح .

وقوله - تعالى - : ﴿فإن ربي غني كريم﴾[3] ، أي صفوح ؛ والله اعلم .

[الجواد] ؛ في لغة العرب ، هو الذي يتفضل على من لا يستحق ، ويعطي من لا يستوجب الذي لا تحصى عطاياه .

فان قال قائل : أليس يقال : فرس جواد على غير معنى الافضال ؟ قيل له : قد يقال : فرس جواد ، وهم يريدون انه [سريع العدو] ، ولا يجوز أن يوصف الله - تعالى - من هذا المعنى بانه جواد ؛ لأن العدو والحركات لا يجوز عليه ، ولا يجوز أن يوصف بالسرعة - تعالى - ، وانما يوصف بانه جواد كما يوصف ذو البذل والسخاء منا بأنه جواد ويراد به انعامه وافضاله وجوده وكرمه ، فلما وصف - سبحانه وتعالى - نفسه بانه جواد كريم ، وصفناه بها ولو لم نصفه بذلك لكنا قد وصفناه بضده ، فلما نفينا عنه الاضداد وصفناه - تعالى - بانه الجواد الكريم .

---

١ - الآية ٧٨ - من سورة الرحمن
٢ - الآية - ٧٤ - من سورة الأنفال
٣ - الآية - ٤٠ - من سورة النمل

فان قال : فيجوز أن يقال : لم يزل جوادا ؟ قيل له لا ؛ لأن الجود منه ، هو انعامه وافضاله على عباده ، وذلك فعل منه ، فلا يجوز أن يكون لم يزل موصوفا بذلك .

فان قال : أتزعمون انه سخي ؟ قيل له [لا] .

فان قال : فما الفرق بين وصفكم بانه جواد ، وبين امتناعكم من وصفكم بانه سخي ؟ قيل له : ان السخاء في اصل اللغة ؛ انما هو اللين ومنه ؛ يقال : أرض سخاوية اذا كانت لينة ، ويقال : قرطاس سخاوي اذا كان لينا .

قال الشاعر :

أتـاني وعيـدٌ والتنـائف بيننـا سخـاويها والغـائط المتصـوب

انما قيل للجواد من المخلوقين ، سخي للينه عند الحوائج اذا طلبت منه ، وكذلك يوصف الجواد منهم ، بانه لين الاخدعين يراد به لينه واجابته الى ما يسأل .

فلما كان اللين لا يجوز على الله ـ تعالى ـ لم يجز ان يوصف بانه سخي ، ووجب ان يوصف بانه جواد ، مفضال منعم ، والله اعلم .

اللطيف ؛ قيل : سمي ـ تعالى ـ لطيفا لانه لطيف في صنعه برأفته ورحمته ، فلم يدع شيئا من لطيف صنع الا خلقه بلطفه وحكمته .

و [اللطيف] في معنى الرفيق العالم بالشيء ، فالله ـ عز وجل ـ لطيف للخلائق كلهم ، حتى وصلوا الى بغيتهم بعلم ورحمة وحكمة .

وقال المفضل : اللطيف الواسع العليم ، والوصف له ـ تعالى ـ بأنه لطيف بمعنى انه منعم ، والمعنى انه لطيف التدبير ، والصنع ؛ لأن تدبيره لطيف .

ومن غيره ؛ أي لطف علمه حتى يرى أثر النملة على الصفا تحت الارض .

رجـــع ؛ والنعمة تسمى في اللغة [لطفا] ؛ فيقال فلان : هو ببعض أولاده ألطف منه بغيره ، يريدون أن نعمه عليه أكثر ، والله اعلم .

قال غيره : [وفي بيان الشرع] ؛ [اللطيف] ، هو العالم الذي لا تخفى عليه خافية ، وهو الرحيم بعباده ، و[اللطيف] من العباد ، الرفيق النظر ، العالم بغوامض الامور ، لقول العرب : لطف به أي رفق به .

رجـــع : الخبيـر ؛ العالم بالشيء ، يقال : فلان يخبر عن هذا الأمر أي يعلمه ، وهو خبير به ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**فاسأل به خبيرا**﴾[1] ، أي عليما به ، والله اعلم .

الجليل ؛ العلي العظيم ، كل هذه الاسماء بمعنى واحد ، وهو انه سيد ومالك للأشياء ، قاهر وانه على الأشياء كلها مقتدر ، لأن سيد القوم هو كبيرهم وعظيمهم وجليلهم ، والعلي يكون بمعنى الغالب والقاهر في اللغة ؛ نحو قوله ـ عز وجل ـ : ﴿**ولعلا بعضهم على بعض**﴾[2] ، يعني بذلك لغلب بعضهم بعضا وقهر ، ومثله قوله تعالى : ﴿**ان فرعون علا في الارض**﴾[3] ، يعني قهر اهلها واستولى عليهم . فان قال قائل : أتزعمون انه لم يزل عليا ؟ قيل له نعم ؛ لانه لما كان ـ تعالى ـ لم يزل قاهرا مقتدرا على الأشياء كلها كما قلنا : وجب ان يقال : [عليا ومتعاليا] .

وقد يوصف بانه متعال على جهة انه منزه جليل ؛ نحو قوله ـ عز وجل ـ ﴿**تعالى عما يشركون**﴾[4] ، ونحو قول المسلمين : تعالى الله عن وصف

---

١ ـ الآية ـ ٥٩ ـ من سورة الفرقان
٢ ـ الآية ـ ٩١ ـ من سورة المؤمنون
٣ ـ الآية ـ ٤ ـ من سورة القصص
٤ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة النحل

الجاهلين ، لأن معنى ذلك ان الله ـ تعالى ـ يجل عن ذلك ، وانه منزه عنه .

فان قال : أتزعمون انه رفيع وانه شريف كما زعمتم انه علي ؟ قيل له : ان أصل الارتفاع في اللغة والشرف هو ؛ ما يعقل من ارتفاع مكان الشيء واشرافه ، فلما لم يجز على الله ان يوصف بارتفاع المكان ، ولا بالاشراف لم يجز أن يقال : انه شريف رفيع .

فان قال : أفليس يقال : فلان رفيع وانما يعنون به سؤدده وعظم قدره ، وليس يعنون بذلك ارتفاع مكانه ؟ قيل له : بلى ، ولكن اصل ذلك هو من الارتفاع والشرف المعقولين اللذين وصفناهما ، فوصفوا بذلك السيد من هذا المعنى توسعا ، وارادوا به انه ارفع من غيره واشرف ، فلما كان هذا المعنى لا يجوز على الله لم يجب ان يوصف به ، ولو وجدنا في صفاته شيئا من هذا ؛ لحمل على المجاز دون الحقيقة .

فان قال : أفليس قد قال رفيع الدرجات ذو العرش ؟ قيل له : بلى ؛ وقوله رفيع انما هو للدرجات ، والدرجات هي غير الله ـ تعالى ـ فدرجات الله رفيعة ، ولا يوصف الله بانه رفيع ، ولو وجدنا ذلك في صفاته لما كان معنى ذلك الا المجاز دون الحقيقة ؛ والله اعلم .

المجيد والماجد ؛ هما على وزن [فعيل وفاعل] ؛ وهو مأخوذ من [المجد] والمجد ؛ الجلالة والعظمة .

وقد يوصف الانسان بالمجد فيقال : ماجد ولا يقال [مجيد] ، والماجد هو الفاعل للمجد بالاكتساب ، والمجيد هو معدن المجد ، ومثله [حكيم وحاكم] فالحاكم ؛ الذي يفعل بالحكمة ، والحكيم معدن الحكمة .

وقال ابو عبيدة : المجيد معناه الماجد .

وقال غيره : معنى [ماجد] أي كريم عزيز وقوله : ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ [1] ، معناه كريم وعزيز ، وماجد ومجيد من صفاته لذاته .

---

١ - الآية ـ ٢١ ـ من سورة البروج

والماجد الفعال الذي يستحق صاحبه به الثناء الجميل ، تقول : مجد يمجد مجدا فهو ماجد ، ومجيد من الجود ، تقول : جاد يجود جودا وهو جواد .

والماجد الواسع في العطاء والرحمة ؛ والله اعلم .

ومن غيره ؛ وعن بعض اهل المغرب : المجيد الشريف الكريم .

وقال الزجاج : معناه الحسن الفعال ، واصله من قول العرب (مجدت الماشية) اذا اصابت روضة خصبة ، وامجدها الراعي ، ومنه ، قول العرب : [في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار] ؛ وهما شجرتان تقدح بهما العرب النار ؛ [استمجد] معناه ؛ اشتمل على حظ كثير ، فالمجيد على هذا المعنى يقرب من الجواد ، والجواد يمكن حمله على المقتدر على الجود والانعام ، ويمكن حمل المجيد على الكريم ، فان المجد شائع بمعنى الكرم .

رجـــع : **الباعث** ؛ في كلام العرب : المثير المنهض يقال بعثت البعير اثرته وانهضته من مكانه ، وكذلك بعثت الرجل ؛ اثرته من مكانه الذي تمكن فيه واضطجع ، قال الأعشى :ـ

فلا تبعث الأفعى يداك تثيرها ودعها اذا ما غيبتها سفاتها

أي ؛ لا تثير الأفعى من الموضع الذي رقدت فيه ، و[سفاتها] ؛ يريد ما دخلت فيه ، وهو التراب ، وقال ايضا :

مهلا بنيّ فان المرء يبعثه همٌ اذا خالط الحيزوم والضلعا

يعني ؛ اذا كان في صدره آثار ذلك الأمر الذي يهتم به فقيل لله ـ عز وجل ـ : باعث ؛ لانه ـ تعالى ـ يبعث الخلائق بعد الموت ؛ أي يثيرهم من القبور ، وينهضهم من مضاجعهم ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾[1]

---

١ - الآية ـ ٥٢ ـ من سورة يس

وقيل ليوم القيامة ، يوم البعث ، لأن الخلائق يثارون فيه من قبورهم ، ويكون الباعث مأخوذا من بعث الأنبياء والرسل الى الناس ، وآثارهم من بين القبائل والشعوب ، والمعنيان صحيحان جائزان في صفة الله ـ عز وجل ـ ؛ لانه باعث الأنبياء والرسل ، لا باعث غيره ـ تبارك الله ـ الباعث ، وقيل لكل تخريج وانزعاج بعث ؛ والله اعلم .

الـوارث ؛ قيل لله ـ تعالى ـ : [الوارث] ، لانه يبقى بعد فناء الخلق كلهم ، فلا يكون [مالك غيره] ، وهو الوارث كما قال ـ عز وجل ـ : **﴿انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون﴾**[1] ، والله اعلم .

الديــان ؛ مشتق من الدين وهو الطاعة ؛ لأن الخلق كله دان له فلم يفته شيء من خلقه ، ويقال : دان له أي أطاعه .

وقيل في صفة الله ـ تعالى ـ : ديان يوم الدين ؛ أي اليه حساب الخلائق يوم الحساب ، وفي المثل : [كما تدين تدان] ؛ أي كما تفعل تجازى به ، من خير وشر . وقال ورقة بن نوفل : ـ

فـاعلم وايقن ان ملكك زائـل   واعلم بـأن كـما تـدين تـدان

والديان الذي يلي المجازاة وهو قادر عليها فيجازي كلا على استحقاقه ، وهو ديان يوم الدين ؛ لانه يجازيهم بأعمالهم ، والله اعلم .

المنــان ؛ معناه المعطي يقال : مَنّ فلان على فلان بكذا ؛ أي أعطاه إياه ، وقال الله ـ عز وجل ـ : **﴿ولا تمنن تستكثر﴾**[2] .

---

١ - الآية ـ ٤٠ ـ من سورة مريم
٢ - الآية ـ ٦ ـ من سورة المدثر

قال المفسرون : أي لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المكافأة في الدنيا ، وقال تعالى : ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾[1] ، أي يعطيهم من فضله .

والمنان على وزن [فعال] ، وكل ما جاء على هذا الوزن فمعناه من شأنه أن يفعل ذلك .

والمنان من شأنه المنّ بالاعطاء تبارك الله المنان .

وقيل : [المنان] ؛ هو المنعم على عباده ؛ لأن المنة من الله - تعالى - هي النعمة ، والمنة من الخلق هي الامتنان .

يقال : امتن عليه بالعطية وَمن عليه ايضا منةً ومننا ، قال الله تعالى : ﴿لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم﴾[2] ، فهو من العباد مذموم ، ومن الله - تعالى - محمود ، وقيل : المنان كثير الاحسان .

قال الشاعر :

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن　　ليس الكريم اذا اسدى بمنان

والله اعلم .

الحنان ؛ لا يجوز عندنا هذا الاسم لله - تعالى - ، فان كان قد قال به قوم ، فلسنا نقول به ؛ لانه لا يصح معناه معنا ، وقد روي عن ابن عباس انه قال : والله ما أدري ما الحنان ؛ فاذا كان ابن عباس ، بحر العلم والقدوة ، يقسم بالله ما يدريه فكيف يجوز لغيره القول فيه ؟

---

١ - الآية - ١١ - من سورة ابراهيم
٢ - الآية - ١٧ - من سورة الحجرات

فان قال قائل : أتزعمون ان الله حنان ؟ قيل له : ليس لوصفه بهذا الاسم معنى ؛ لأن الحنين هو حنين القلب الى الشيء ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ، لا يجوز أن يوصف بأن له قلبا فيوصف بالحنين ، ولو سمعنا ذلك في بعض صفات الله ، لكان يجب أن يحمل ذلك على المجاز ، وكان لا يجوز معناه على الله ـ عز وجل ـ على جهة الحقيقة .

فان قال : أفليس قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وحنانا من لدنا وزكاة﴾ (١) ، قيل له : قد قال ـ جل وعلا ـ ذلك ؛ وعنى به ان يحيى ـ عليه السلام ـ كان حنانا ، وأراد به انه كان رحمة من الله ـ تعالى على عباده .

وقيل و [حنانا من لدنا] ؛ أي رحمة لأبويه ، وزكاة أي تصدق به على أبويه ، فحنان عندنا لا يجوز ؛ لانه مأخوذ من الرقة كما يقال : حنّت الناقة الى ولدها ، وحنين الناقة على معنيين ، حنينها ؛ صوتها اذا اشتاقت الى ولدها ، وحنينها ؛ نزاعها الى ولدها من غير صوت . قال رؤبة :

حنت قلوصي أمس بالاردنى حني فما ظلمت أن تحني

وهذا لا يجوز على الله .

قال المؤلف : اما قومنا يقولون : الحنان المتعطف بالرحمة ، والله اعلم .

الرؤوف ؛ قال ابن الانباري : قال أهل اللغة : [الرؤوف] معناه في كلامهم الشديد الرحمة .

وقال ابو عبيدة في قوله : ﴿ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ (٢) ، في

---

١ - الآية ـ ١٣ ـ من سورة مريم
٢ - الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة البقرة

معنى [الآية] تقديم وتأخير ، قال والمعنى ان الله بالناس لرحيم رؤوف أي لرحيم شديد الرحمة .

وقيل : الرؤوف ـ بضم الهمزة من غير اثبات واو .

وقيل : رأف بتسكين الهمزة .

وقال الكسائي والفراء : يقال : الله رئف بكسر الهمزة .

وقال ابو عبيدة : رؤوف [فعول] من الرأفة وهي أشد الرحمة ، فالله ـ عز وجل ـ هو الرؤوف ؛ لانه المتناهي عنه في الرحمة بعباده لا راحم أرحم منه ، ولا غاية وراء رحمته ، تبارك الله الرؤوف الرحيم ، والله أعلم .

الفتـــاح ؛ قال ابن الانباري : [الفتاح] في كلامهم ، [الحاكم] ومنه ؛ قوله : **﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** ؛ معناه ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

وقال قوم : معنى قوله : **﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾**[1] ؛ ان تستنصروا فقد جاءكم النصر .

وقال المفضل في قوله ـ تعالى ـ : **﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق﴾**[2] ، أي يحكم .

وقال الفراء : اهل عمان يسمون القاضي [الفتاح] .

وقيل : ان أبا جهل ـ لعنه الله ـ قال يوم بدر : اللهم انصر افضل الدينين عندك وارضاهما لديك ، فانزل الله **﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** أي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر ، وكان النبي ﷺ يستفتح

---

١ ـ الآية ـ ١٩ ـ من سورة الانفال
٢ ـ الآية ـ ٢٦ ـ من سورة سبأ

بصعاليك المهاجرين ، فالصعاليك عند العرب الفقراء ، والصعلوك الفقير . والله أعلم .

الحليم ؛ قال ابن الانباري : الحليم معناه في كلامهم الذي لا يعجل بالعقوبة ، يقال : حلمت عن الرجل احلم حلما اذا لم أعجل عليه ؛ قال جرير الخطفي : ـ

حلمت عن الاراقم فاستجاشوا فلا برحت قدورهم تفور

وقدورهم ، صدورهم ولعل حلم ـ بالكسر ـ يحلَم ـ بالفتح ـ من الحلم في النوم ، وهو حلم وحلم .

وقيل تقول : ـ حلمت احلم ـ بفتح اللام ـ في الماضي ، والمستقبل من الحلم في المنام ، قال الشاعر : ـ

حلمت بكم في نومتي فعصيتم ولا ذنب لي ان كنت في يوم احلم

أو حلمت أحلم ـ بضم اللام ـ في الماضي والمستقبل من الحلم ؛ قال معاوية شعرا :

اذا لم أجد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم ؟!

والحليم صفة ذات وصفة فعل ، فالحليم في معنى العليم صفة ذات ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وبشرناه بغلام حليم﴾ [1] ؛ يعني عليما .

و [الحليم] من تأخير العقوبة صفة الفعل ، فلا يقال في الحليم بمعنى تأخير العقوبة ، لم يزل حليما حتى يقال : لم يزل حليما عن العباد مذ عصره فيرد ذلك الى غاية وأول .

---

١ - الآية ـ ١٠١ ـ من سورة الصافات

فان قال : أفليس لا تثبتون ترك الله الانتقام فعلا منه اذا كان الترك من الله ليس بمعنى فعل عندكم ، واذا كان الله عندكم لا يترك على الحقيقة فما الحلم الذي تسمونه فعلا لله على الحقيقة اذ لم يكن منه ترك الانتقام ؟ قيل له : حلم الله ـ تعالى ـ عن العصاة هو ما يفعله بهم من النعم والعافية التي يضاد كونها كون الانتقام ؛ لانه ـ تعالى ـ لو انتقم لم يجز ان ينعم عليهم مع الانتقام بهذه النعم ؛ فلما كانت هذه النعم منافية للانتقام كانت حلما من الله اذ حدثت منه بدلا للانتقام ، كما كان ترك الانتقام منا حلما اذ حدث منا بدلا من الانتقام .

فان قال : افتزعمون انه لو لم يحلم عن أهل المعاصي ، لم يكن حليما ؟ قيل له : كذلك نقول ؛ ولكن اذا كان عالما بأن استصلاح عباده اذ خلقهم وكلفهم طاعته بأن يحلم عنهم ، وان لا يعاجلهم بالانتقام في أول ما يستحقون ذلك ، فلا يجوز أن يحلم عنهم ، وان يمهلهم ليتوب عنهم من يعلم انه سيتوب بعد ذلك من ذنوبه ، والله أعلم .

المقيت ؛ قال ابن الانباري : [المقيت] فيه قولان :

قال بعض : المقيت [الحفيظ] .

وقال ابن عباس : المقيت [المقتدر] ؛ واحتج بقول الشاعر :

وذي ظغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا

معناه [مقتدرا] وعلى هذا اهل اللغة

وقال بعض فصحاء العرب : ـ

ثم بعد الممات ينشرني من هو للنشر يا بني مقيت

معناه : من هو مقتدر .

وقال ابو عبيدة : المقيت ايضا عند العرب الموقوف على الشيء وانشد : ـ

ليت شعري واشعرنّ اذا ما قربوها مطوية ودعيت
الى الفضل أم عليّ اذا حو سبت اني على الحساب مقيت

أي على الحساب موقوف .

و [المقيت] ، الخالق للأقوات ، وجائز ان يقال : يا مقيت ؛ لأن الله قد وصف نفسه بذلك فقال : ﴿وكان الله على كل شيء مقيتا﴾[1] ، وحسيب وحفيظ ، والله أعلم ؛ .

آمين : ان قال قائل : أتزعمون ان [آمين] اسم من أسماء الله تعالى ؟ قيل له : ان قصد بقول امين يؤمن منه الجور ، فعسى أن يجوز ، وان كان قد قال به قوم : فلسنا نقدم عليه اذ لم يصح معناه عندنا .

وفي كتب قومنا ان [آمين] اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ؛ وفي تفسير قوله : ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾[2] ، يعني قاصدين البيت الحرام .

وقال : ومعنى [آمين] أي افعل ، وقيل : اللهم استجب . وقيل : [آمين] ، راجين منك رحمة واجابه دعوة .

وقيل [آمين] راضين بما قضيت لنا وعلينا .

وقال ابو علي : اي افعل بنا كما سألناك .

وفي [آمين] لغتان ، آمين بالمد ، وأمين بالقصر ، والنون في [آمين] مفتوحة لسكونها ، وسكون الياء قبلها ؛ والله اعلم .

السميع ؛ السميع البصير من صفات الذات ، يقال : لم يزل

---

١ ـ الآية ـ ٨٥ ـ من سورة النساء
٢ ـ الآية ـ ٢ ـ من سورة المائدة

سميعا ، ولم يزل بصيرا ، والدليل على انه سميع ؛ انه لو لم يكن سميعا ، لكان مأووفا ، والآفة هي التي تنفي الالوهية عن الباري - تعالى - .

وقيل له - تعالى - سميع ، لانه عليم وسمعه علمه ، وعلمه ذاته ، ولو لم يوصف بانه سميع بصير ، وصف بضد ذلك ، ولا يجوز ان يقال : لم يزل الله سامعا ، ولا لم يزل مبصرا ، فالباري [سميع] لا تخفى عليه الاصوات ، وليس [سميع] يتعدى الى مفعول ، وانما يتعدى الى مفعول [سامع] ، والسمع والبصر والحياة صفات لله - سبحانه - لم يزل موصوفا بها .

و [السميع] ؛ في صفاته - سبحانه - يكون معناه العالم ، ويكون معناه ايضا الذي لا تخفى عليه الأصوات بعد وجودها ؛ فعلى المعنى الأول ، تقول : لم يزل سميعا بلا صلة ، كما تقول لم يزل حيا ولم يزل قادرا ، وعلى المعنى الثاني لا تقول : لم يزل الا بصلة ، فتقول : لم يزل سميعا لمسموع سيكون او سيوجد .

وان لم تذكر الصلة فكأنك أثبت المسموع في الأزل ، والدليل على انه - سبحانه - يسمع الأصوات ، ولا يخفى عليه خلقه اياها مختلفة ، فيها جهر ، وفيها همس خفي ، فكيف يخالف بينها هكذا من خفيت عليه ويدركها ؟

ويجوز أن يقال : لم يزل الله سميعا ، وهي صفة ذات ، ولم يزل بصيرا ، وهي صفة ذات ، والمعنى بذلك العلم لأن العالم بالشيء سميع به بصير به .

وقد يكون معنى ذلك ان المبصرات اذا وجدت كان مبصرا لها ، وكذلك المسموعات اذا وجدت كان سامعا لها .

ويجوز عند أصحابنا ؛ يسمع الألوان ، ويبصر الأصوات ومعنى ذلك العلم بها ، قال الله - سبحانه - : ﴿والله بصير بما يعملون﴾[1] ، أي عليم بأعمالهم ، لأن الأعمال اعراض ، والاعراض لا تبصر ولا تسمع ؛ فمن هاهنا جوزوا ؛ لم يزل يسمع اصوات اهل النار أي يعلمها ، والله اعلم .

---

١ - الآية - ٩٦ - من سورة البقرة

البصيـــر ؛ قيل له ـ تعالى ـ : سميع بصير ، بمعنى العليم ؛ لأن السمع والبصر الذي وصف به الباري هو العلم ، لا انه سميع بأصمخة ولا بصير بحدقة ، تعالى الله عن ذلك ، انما ذلك كله العلم فلذلك قيل له : لم يزل سميعا ، ولم يزل بصيرا .

وقيل : [البصير] صفة ذات لم يزل الله بصيرا كما وصف نفسه انه السميع البصير ، فمعنى [البصير] ؛ لا تخفى عليه المبصرات والمرئيات ، ولا تغيب عنه المقدورات ، ولا تفوته ، ولا يجوز ان يقال : لم يزل مبصرا ؛ لانه لا بد ان يكون معديا الى المبصر ، فلما لم يجز أن يكون المبصر الا هو موجود لم يجز ان يوصف الله ـ تعالى ـ بانه مبصر له ، لانه لا يكون مبصرا الا وهو موجود .

والوصف لله ـ تعالى ـ بانه لم يزل رائيا ، يتصرف على وجهين : ـ

احدهما ؛ ان يوصف الله بذلك ، ويعنى به [عالم] ، فجائز أن يقال : لم يزل الله رائيا على انه لم يزل عالما ، اذا كانت الرؤ ية في اللغة علما .

ووجه آخر بان يوصف بانه راء ، ويعني مبصرا للمبصرات ، ومدركا للمدركات ، فلا يجوز من هذا الوجه ان يقال : لم يزل رائيا ، كما لم يجز أن يقال : لم يزل الله مبصرا ؛ لأن المرئي المدرك ولا يكون مرئيا مدركا الا وهو موجود ، كما لا يكون مبصرا الا وهو موجود ، والله اعلم .

العظيـم ؛ معنى قولنا : الله ـ تعالى ـ عظيم انه عظيم الشان والمنزلة ، وقد سمى الله ـ تعالى ـ نفسه بأنه عظيم ، فقال : ﴿**وهو العلي العظيم**﴾[1] .

فالعظيم على وجهين :

عظيم على الحقيقة ، وهو عظيم القدر والشأن وعظمته ذاته ، وهو الله تعالى .

---

١ - الآية ـ ٢٥٥ ـ من سورة البقرة

وعظيم من خلقه ، عظيم على ما يجوز ، ويحكيه قول الله ـ تعالى ـ : ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ [1] ، وقوله لرسول الله ﷺ : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ [2] ، وقال : ﴿وذلك يوم عظيم﴾ [3] .

فان قال قائل : ما الدليل على انه ـ تعالى ـ عظيم ؟ قيل له : علوّه على الأشياء ، وقهره للأرض ، والسماء ، وما يليهما من جميع الأشياء ، دليل على عظمة الله ـ تعالى ـ العلي الأعلى .

قال ابو محمد : [العظيم] ؛ هو المستحق ان يعظم ، وكذلك الكبير ، والجليل ، وهو العظيم الشأن ، وكل شيء دونه صغير فقير ؛ والله اعلم .

القـادر ؛ يقال لله ـ تعالى ـ : «قادر وقدير» بمعنى ، و[القادر] ؛ هو الذي يصح أن يفعل وان لا يفعل ان لم يكن ممنوعا ، والله ـ سبحانه ـ فعل فعل العالم وكان يصح أن لا يفعل ، فصح انه قادر .

وقولنا : ان يفعل وأن لا يفعل احترازا من النار ، لأن النار يقع منها احتراق فلا يجوز أن لا تحرق ، فلذلك قلنا : ان النار ليست بقادرة ، الدليل على ان الله ـ تعالى ـ قادر موجود ، أفعاله التي صح انها باختيار ، وقد ثبت في العقل ، وقام في النفس ان الفعل الذي هو كذلك لا يقع الا من قادر ، كما ثبت أن الفعل المتقن المحكم لا يقع الا من عالم ، والله ـ تعالى ـ لم يزل قادرا ، وانه قادر بنفسه لا بقدرة هي غيره .

ويوصف ـ تعالى ـ بانه مقتدر كما وصف نفسه فقال : ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [4] ، والدليل على انه قادر ايجاده للأشياء من غير شيء ، واماتته لكل حي دليل على انه قادر على كل شيء .

ان قال : أتزعمون ان الله قادر؟ قيل له : [نعم] .

---

١ ـ الآية ـ ٦٣ ـ من سورة الشعراء
٢ ـ الآية ـ ٤ ـ من سورة القلم
٣ ـ الآية ـ ١٨٩ ـ من سورة الشعراء
٤ ـ الآية ـ ٥٥ ـ من سورة القمر

فان قال : أفليس [قادر] من صفات الذات ؟ قيل له : ان القادر هو الموصوف ، وليس هو الصفة ، وانما الصفة قولنا : الله قادر ولكن وجب له هذا الوصف لذاته ـ سبحانه ـ ؛ لأن ذاته ذات قادرة ، ولم تكن قادرة بقدرة هي غيره .

فان قال : أتزعمون ان غير الله يكون قادرا على الحقيقة ؟ قيل له : نعم ؛ لأن غير الله لو لم يكن قادرا على الحقيقة لم يجز ان يصير فاعلا على الحقيقة ؛ لأن الأفعال لا توجد الا من قدر عليها ؛ والفرق بين وصفنا الله قادر ، ووصفنا غيره بانه قادر بقدرة هي غيره لولاها لم يكن قادرا وليسه قادرا بنفسه ، هذا الفرق بين القادرين ؛ والله اعلم .

القاهــر ؛ يقال : الله تعالى [قاهر وقهار] ، ومعنى القاهر انه المالك للأشياء ، مقتدر عليها ، وانها لا تطيق الامتناع منه مما يريد انفاذه فيها .

فان قال قائل : أتزعمون ان الله ـ تعالى ـ لم يزل قاهرا ، وان هذا الوصف وجب لله لذاته ؟ قيل له : [نعم] .

فان قال : أتزعمون ان الله ـ تعالى ـ لم يزل قاهرا للأشياء ، قبل ان يخلقها ؟ قيل له : نعم ؛ لانه لم يزل مقتدرا عليها ، فاقتداره على ما لم يوجد هو قهره لذلك ،والله اعلم .

البـار القوي ؛ ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه بار لعباده ؛ لأن بره وفضله قد عمهم ، ولا يقال : ما أبره لخلقه ! وجائز ان يوصف الله بأنه قوي على الحقيقة ، كما يقال : انه قادر على الحقيقة ؛ والله أعلم .

العفـو المجيـب ؛ [العفو] كبير العفو والعفو ترك عقوبة المستحق ومحو ذنوبه ، و[المجيب] الذي يجيب من دعاه وقوله تعالى : ﴿**أدعوني أستجب لكم**﴾[1] ،يقول : اعبدوني موحدين لأستجيب لكم بما وعدتكم من

١ - الآية ـ ٦٠ ـ من سورة غافر

الجنة ؛ والله أعلم .

الوكيـل ؛ قيل:[الوكيل] : الكافي ، وقيل الوكيل الكفيل ، من قول الله ـ تعالى ـ : ﴿**وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾(١) ، أي الكفيل بأرزاقنا .

وقيل : [الكفيل] الرب ومنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿**الا تتخذوا من دوني وكيلا**﴾ (٢) ، أي ربـا .

ويقال لله ـ تعالى ـ بانه وكيل علينا ، بمعنى انه الالٰه المتولي لامورنا ، والقائم بحفظنا ، وتصريفنا فيما يريد . ولا يجوز ان يقال لله ـ تعالى ـ : وكيل لنا كما يقال : وكيل علينا ، لأن معنى وكيل علينا قد بيناه ، ومعنى كيل لنا ، أي من كان وكيلا على شيء فانما كان وكيلا لنا لاقامتنا إياه في ذلك ؛ ولانه قام بأمرنا ، فلما لم يجز أن يكون الله ـ تعالى ـ وكيلا بأمر خلقه ، لم يجز أن يقال : انه وكيل لهم ، وانما يصح أن يقال وكيل عليهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿**وكان الله على كل شيء وكيلا**﴾

ولا يقال : ان الخلق وكلاء على الله ، كما يكونون متوكلين عليه ؛ لأن الوكيل ليس معناه التوكل ؛ لأن مصدر الوكيل [الوكالة] بمنزلة الولاية ، والوكيل خلاف ذلك المعنى ، فنحن نتوكل على الله ، ونعتمد عليه ، ومعنى ذلك واحد ، وليس ذلك من معنى الوكالة في شيء ، فلهذا لا يجوز أن يوصف الله ـ تعالى ـ بانه متوكل علينا ، وصح له الوصف بانه وكيل علينا ، والقول بأنا نعتمد عليه ، ونركن اليه ، هو توسع لأن أصل الاعتماد هو اعتماد الرجل على ما يعتمد عليه من شيء اذا مشى أو قام ، فجعلوا هذا المعنى في معنى التوكل ، توسعا ، ولهذا سموا بعض الخلفاء بالمعتمد على الله .

وكذلك الركون اصله من الاعتماد ، ويستعملان في الله مجازا على ما

---

١ ـ الآية ـ ١٧٣ ـ من سورة آل عمران

٢ ـ الآية ـ ٢ ـ من سورة الاسراء

بينا ؛ والله أعلم .

الكفيل ؛ يقال : الله - تعالى - الكفيل ؛ لانه تكفل بأرزاق العباد ، ولمن وحده بالجنة في الآخرة .

فيقال : الله - تعالى - كفيل معناه ؛ انه كفيل لعباده انه يثبتهم على طاعتهم ، ومعناه انه كفيل بذلك انه ضمنه ، والكفالة هي الضمان ؛ والله اعلم .

السند ؛ - بالسين المهملة والنون المعجمة - في جوازها اختلاف ، فالذي يجيز ذلك يقول : السند ظهير الخلق وملجأهم ؟ لأن الخلق يسندون اليه ويعتمدون عليه ، والله اعلم .

فالق الحب ؛ فالق الحب هو مشققة ليخرج نباته ، يقال : فلق الصبح اذا اسفر عن سواد الليل ، ولا يقال لله - تعالى - : يا فالق ؛ حتى يقال : يا فالق الحب والنوى ، والله اعلم .

ذو الطول ؛ [ذو الطول] ذو الفضل والعظمة ، والطول [الفضل والاحسان] والعظمة من قوله تعالى : ﴿**فمن لم يستطع منكم طولا**﴾ [1] ، أي ما يعطى من المال ، ولا يقال لله - تعالى - : ذو الطول - بضم الطاء - ؛ لانه ضد العرض فلا يجوز ذلك بل يقال - بفتح الطاء - ؛ والله اعلم .

الوهاب ؛ قال الله - تعالى - ﴿**العزيز الوهاب**﴾ [2] ، ومن صفاته - عز وجل - (الوهاب والواهب) ؛ فالواهب الذي لم يبخل على خلقه ، فيهب لكل ما يحتاج اليه ، فهو الوهاب ؛ لأن من شأنه الهبة ، فخلق الخلق كله ، ووهب بعضهم لبعض ، ولم يبخل بشيء منه فيحبسه لنفسه ؛ لانه غني عنه ، غير محتاج اليه ، فيجود على من يسأله ، ويعطي من لا يستوجب ، فهو يهب بلا مقدار لغناه عنها ، فهو [الواهب] الذي لا يبخل على خلقه ،

١ - الآية - ٢٥ - من سورة النساء
٢ - الآية - ٩ - من سورة ص

[الوهاب] ؛ الذي يهب الكثير ، [الجواد] الذي لا يخفي عطاياه ، الغني عن الأشياء كلها ـ تبارك الله وتعالى ـ ، والله اعلم .

الرزاق ؛ ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه [الرازق] ، ولا يجوز ان يقال : لم يزل رزاقا ولا رازقا ، والدليل على انه تعالى [رازق] ؛ تركه لخلقه معتدلين ، وجعله لهم الى ذلك محتاجين ، كما قال ـ جل وعلا ـ : **﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾**(1) ، والله اعلـم .

الحق المبين ؛ ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه الحق المبين ، قال الله تعالى : **﴿ذلك بأن الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل﴾**(2) ، فوصف نفسه بانه الحق على المجاز ؛ لأن الحق مصدر في أصل اللغة فأراد ـ عز وجل ـ بذلك ، ان عبادة الله هي الحق وان عبادة غير الله هي الباطل ، وقد يجوز أيضا ان يعني بقوله : ان الله هو الحق ، اي ان الله هو الباقي المحيي المميت والمعاقب ، وان ما تدعون من دونه هو الباطل ، اراد به يبطل ويذهب ؛ وانه لا يملك احد ثوابا ولا عقابا .

فان قال : فالحق هو العدل ؟ قيل له : نعم ؛ الحق هو العدل ، والعدل هو الحق ، والعدل هو نفي الجور عنه في الأزل .

فان قال : فيقال : انه عدل ؟ قيل له : نعم ؛ ولا يقال : انه عادل ؛ لأن العادل هو الجائر كما قال الله تعـالى : **﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾** (3) ، ولكن يقال ؛ انه الحق العدل لانه ليس بجائر ، ولا يجور تعالى عن ذلك ، والله اعلم .

الصادق ؛ ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه الصادق الوعيد ، والصدق من صفات الذات ، ومعنى الصدق ان يكون مخبره على ما اخبر ، وضده ان يكون مخبره على خلاف ما اخبر ، والدليل على انه [صادق] هو علمه بقبيح الكذب ، واستغناؤه عنه ، والكذب من صفات المحدثين ؛ يتعالى الله عنه .

---

١ ـ الآية ـ ٨ ـ من سورة الانبياء
٢ ـ الآية ـ ٦٢ ـ من سورة الحج
٣ ـ الآية ١ ـ من سورة الأنعام

والحجة على انه صادق قول الله تعالى : ﴿ومن اصدق من الله قيلا﴾[1] .

فان قال : الله ـ تعالى ـ ان يقول الكذب ؟ قيل له : يستحيل ذلك عليه ، لأن الصدق قد دلت الدلالة على انه من صفات ذاته ، ومن كان الصدق من صفات ذاته ، لم يجز أن يوصف بالكذب ، ولا بالقدرة عليه ، كما ان من كان العلم من صفات ذاته ، لم يجز ان يوصف بالجهل ، ولا بالقدرة عليه ، والله اعلم .

الكبير ؛ يوصف الله ـ تعالى ـ بانه كبير وعظيم وجليل ، كله بمعنى واحد ، وهو انه سيد مالك الاشياء كلها ، لأن سيد القوم كبيرهم ، وعظيمهم وجليلهم ، وقد يعظم هذا الوصف لقدرته على الاشياء كلها ، ولعلمه بها ، ولانه لا مثل لهُ ولا نظير ، وبهذا كان الواصف له معظما ومكبرا له ، ويجوز الوصف له بانه لم يزل كبيرا ، لا كبير جثة ، ولا شخص ، تعالى الله عن ذلك ؛ والله اعلم .

السيد ؛ (المالك) وسيد الجارية ، مالكها ، والله سيد كل سيد ، والانسان لا يسمى سيدا على الحقيقة ، وانما سمي سيدا باضافة فيقال سيد كذا مجازا ، لا يطلق فيقال : لكل من سمي (رب) كل شيء (سيده) .

فأما سيد الحقيقة ؛ فهو الله فيجوز ان يقال لكل سيد (رب) اذا اريد به الاضافة ، ولا يسمى بها مطلقا الا الله ، وجائز ان يقال : الله تعالى لم يزل ربا للاشياء ، وسيدا لها والها ، وجائز لم يزل مالكا للأشياء ، كما لم يزل قادرا عليها ، وجائز ان يقال لم يزل الله سيدا ، ومعنى ذلك انه رب مالك ؛ لأن المالك للعبد سيده ؛ ولهذا قيل لاكبر القبائل : سادة ، ارادوا بذلك انهم مالكون لهم ، ينفذ فيهم امرهم .

وعن ابي محمد ؛ ان السيد هو الشريف ؛ لأنه غاية السؤدد ومعناهما واحد ؛ والله اعلم .

---

١ - الآية ـ ١٢٢ ـ سورة النساء

قال غيره : وسئل الشيخ عدي بن سليمان الذهلي ؛ يجوز ان يوصف الله بانه السيد ، وان جاز ذلك هل يجوز ايضا ان يقال : سيد خلقه بالاضافة ، وان جاز ذلك ، هل يجوز ان يقال ، سيدنا ام لا ؟

الجـواب : فقد وجدت يا ولدي جواز ذلك في آثار المسلمين من اصحابنا ـ رحمهم الله ـ ، ووجدت ايضا انه جائز للداعي ان يقول في دعائه يا سيد كل سيد ، على مجاز اللغة ، والله اعلم .

وقال الشيخ ناصر بن خميس ، في جوابها : انا لا نعلم اجازة ما ذكرته ؛ والله اعلم .

وقال الشيخ سعيد بن بشير الصبحي في جوابها : ان جميع ما في هذا جائز ، وقد وصف به المسلمون ربهم ، وقال : السيد هو الرب ، والرب السيد ، والله اعلم .

البـاقي ؛ فان قال قائل : اتزعمون ان الله لم يزل باقيا ؟ قيل له (نعم) .

فان قال : فما معنى وصفكم له بانه باق ؟ قيل له معنى ذلك بانه كائن بلا حدوث ، فواجب ان يوصف بانه باق ، فلما كان الله لم يزل موجودا بغير حدوث ، وجب ان يكون لم يزل باقيا ، والله اعلم .

القريب ؛ يوصف الله تعالى بانه قريب على الخلق من جهة التوسع ، والمراد بذلك انه عالم بهم واعمالهم ، وانه سامع لقول الخلق ، وراءٍ لأعمالهم ، لا ستر بينه وبينهم ولا حجاب ولا مسافة ، فلما كان على ما وصفنا ؛ قيل في سعة اللغة : انه قريب منا اذا كان لا يشاهد اعمالنا من المخلوقين الا من كان منا قريبا .

وكذلك تقرب العباد الى الله بالطاعات هو توسع ومجاز ، ومعناه طلب المحبة والكرامة منه .

وقيل لذلك تقرب ، لأنا في الشاهد اذا احببنا شيئا قربناه منا ، واذا أبغضناه ابعدناه منا ، فلهذا قيل لذلك : تقرب الى الله على المجاز ، والله اعلم .

المقسط ؛ معناه في كلامهم ، (العادل) فقال : قسط الرجل بقسط فهو مقسط اذا عدل ، قال الله تعالى : ﴿**ان الله يحب المقسطين**﴾[1] اي العادلين .

ويقال : قد قسط الرجل فهو قاسط ، اذا جار ، قال الله تعالى : ﴿**واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾[2] اي الجائرون ، والله اعلم .

الطالب المدرك ؛ وجائز ان يوصف الله تعالى بانه طالب ومدرك ، ومعنى الطالب ان يطلب من الظالم حق المظلوم ؛ لانه لا يضيع عنده لمظلوم حق ، ومعنى المدرك انه لا يفوته شيء طلبه ، ولا يعجزه احد ولا يمتنع عليه شيء .

وليس الوصف له بانه مدرك ، مثل الوصف بانه غالب ؛ لان هذا الادراك انما هو فعل منه هو انصافه المظلوم من الظالم ، وصفته تعالى بانه هو غالب ؛ انما هو من صفات الذات ، لان معناه انه هو قاهر للاشياء ، مقتدر عليها .

فان قال قائل : أفليست الاشياء كلها في قبضته وسلطانه ، وليس هو بها جميعا عالم ؟ قيل له : (بلى) .

فان قال : فكيف يجوز منه الطلب لما هو عارف لمكانه ومقتدر عليه ؟ قيل له : وان كان هو عالما بكل شيء ، مقتدرا على كل شيء ، فقد سمي اخذه للظالم بحق المظلوم طلبا ؛ لأن هذا يسمى في اللغة منا طلبا ، وان كنا غير مقتدرين على ما نطالبه بذلك ، والله اعلم .

المفضل ؛ ويوصف الله تعالى بانه مفضل بما فضل به غيره ، ومن فعل الفضل سمي مفضلا ، ولا يوصف بانه فاضل بما تفضل من الفعل على غيره

---

١ - الآية - ٤٢ - من سورة المائدة
٢ - الآية - ١٥ - من سورة الجن

ولا يجوز ان يفضل هو بذلك ؛ لانه مستغن عن الافعال ان يفضل بها ، والله اعلم .

الولي والمولى ؛ المولى الولي والمولى المعتق والمولى ابن العم قال الله تعالى : ﴿**يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا**﴾[1] والموالي بنوا العم ، والمولى الأولى ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**مأواكم النار هي مولاكم**﴾[2] يعني هي اولى بكم .

والمولى الحليف ، والمولى الولي ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿**ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم**﴾[3] معناه الاولى لهم والمولى المالك ، والله اعلم .

النصير ؛ والناصر واحد ، ويقال ان الله ناصر المؤمنين ، ومعنى ذلك دفع المكاره والشدائد والهوان عنهم ، ليعزهم بذلك ويكرمهم ، وهذا هو النصرة المعقولة بيننا في الشاهد ، والله اعلم .

المتين ؛ ولا يجوز ان يقال : الله ـ تعالى ـ متين ، لأن المتين في حقيقة اللغة الثخين والله ـ تعالى ـ لا يوصف بالثخن ،وإنما قال ـ تعالى ـ أنه :﴿**ذو القوة المتين**﴾[4] توسعا ومبالغة في وصف نفسه بالقوة ، والله اعلم .

الهادي ؛ هو المبين لطريق الخير وقوله ـ عز وجل ـ في القرآن انه : ﴿**هدى للمتقين**﴾[5] اي بيانا لهم ، والله اعلم .

شديد العقاب ؛ ولا يوصف الله ـ تعالى ـ بانه شديد على الحقيقة ، لان الشدة بمعنى الصلابة ، والله لا يوصف بالصلابة ، وان وجدنا في صفاته

---

١ - الآية ـ ٤١ ـ من سورة الدخان
٢ - الآية ـ ١٥ ـ من سورة الحديد
٣ - الآية ـ ١١ ـ من سورة محمد
٤ ـ الآية ـ ٥٨ ـ من سورة الذاريات
٥ ـ الآية ـ ٢ من سورة البقرة

في القرآن أو غيره بانه ـ تعالى ـ شديد العقاب فهو مجاز ، لكثرة استعمالهم في (القوة منا) هذا القول على التوسع ، ولكن يجوز ان يوصف بانه شديد العقاب ، وما اشبه ذلك من صفات الافعال ، لان (شديدا) في صفات الافعال ، انما هي للافعال والشدة في هذه الصفة هي لها لا لله عز وجل .

فان قال قائل : افليس قد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة﴾[1] ؟ قيل له : ذلك على التوسع والمجاز في اللغة .

فان قال : فلم قلتم : انه مجاز ؟ قيل له : لو لم يكن مجازا ، لوجب ان تكون قوة شديدة ، وان تكون قوية اقوى منا ، ولو لم يكن مجازا لأدى معناه الى الاحالة ، فصح بهذا انما ذكر هذا القول توسعا في اللغة ، وارادته اقوى منهم ، واقدر ، والله اعلم .

العـدل ؛ يقال : الله ـ تعالى ـ (عدل) ولا يقال : (عادل) شيء ؛ لأن العادل بالله هو الجائر ، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾[2] والله ـ تعالى ـ (عدل) وعدله على وجهين :

عدل في ذاته .

وعدل في فعله وهو مساويته بين خلقه فيما يجب فيه المخالفة .

والدليل على انه (عدل) العلم والغناء دليل على العدل في كل معنى .

ودليل ثان علمه يقبح الجور ، واستغناؤه عنه في جميع الامور ، لانه لا يدخل في الجور الا من احتاج اليه ، أو جهل قبحه فقدم عليه ، فلما كان الله تعالى عالما غنيا كان عن الجور والظلم متعاليا ، يقال : لله ـ تعالى ـ ، عدل كريم ، فالوصف له بانه عدل ، هو توسع ومجاز ؛ لأن العدل في الحقيقة هو المصدر ، والله ـ تعالى ـ لا يشبه العدل ، ولا شيئا من المصادر .

---

١ ـ الآية ـ ١٥ ـ من سورة فصلت

٢ ـ الآية ـ ١٥٠ ـ من سورة الانعام

ولكن قالوا : هو (عدل) ، وارادوا انه (العادل) ، فتوسعوا في هذا القول اذا كان يعقل عندهم ما ارادوا به من وصفه بانه عادل .

وان قال قائل : ما معنى العدل ؛ قيل له : اما في اللغة فهو الحكم بالعدل ، والحق ، يقولون : هو يعدل في حكمه .

واما قول الفقهاء ، فهو فعل ما له ان يفعله في الحكمة ، واعطاؤه المستحق ما يجب له .

والجور ضد العدل ، ومنع المستحق ما يجب له فلما نفينا عنه الاضداد ، وصفناه بانه عادل ، قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ان الله لا يظلم مثقال ذرة﴾**[1] و**﴿لا يظلم الناس شيئا﴾** **﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾** ، ومثل هذا في القرآن كثير ، فلا يجوز على الله ـ تعالى ـ العادل الكريم الرؤوف الرحيم ، الا ما وصف به نفسه ، ولو لم نصفه بالعدل لكان موصوفا بضده فلما نفينا عنه الجور وصفناه بالعدل ، واجاز الشيخ ابو الحسن البسياني ان يوصف الله بانه عادل ، والله اعلم .

---

١ ـ الآية ـ ٤٠ ـ من سورة النساء



الباب الرابع

فيما يجوز ان يوصف الله به من الاسماء والصفات

لا يجوز ان يوصف الموصوف بصفة الا بعد ان يعرف معناها ، وما يريد ان يصفه بها ، الا ترى انه لا يجوز ان يوصف زيد انه طويل الا بعد ان يعرف معنى الطول ما هو؟ ويعرف زيد.

(مسألة) : عن ابي محمد ؛ فان قال قائل : هل له صفة يعرف بها ؟ فقل : نعم ؛ من صفته - عز وجل - التي يعرف بها انه واحد قادر ، عالم سميع بصير فاعل ، لم يزل موجودا ، ليس كمثله شيء ، فهذه صفته - تبارك وتعالى - .

واما ان قال هل له هيئة ، أو حد ، أو صورة ؟ فهذا فاسد ولا يجوز ان يوصف الله بذلك .

(مسألة) : قال الشيخ ابوالحسن البسياني : جائز ان يوصف الله بما وصف به نفسه ، وان لم يعرف معنى ذلك ولا تفسيره ، واجاز الوصف لله - تعالى - بانه حسيب وحفيظ ، وعلى كل شيء وكيل ، بما ذكره الله - تعالى - .

(مسألة) : وجائز ان يوصف الله - تعالى - بانه عارف بالاشياء ، كما يقال : انه عالم بها ؛ لأن العلم هو المعرفة ، والعالم بالشيء في الشاهد ، هو العارف به .

قال ابوسعيد محمد بن سعيد : لم نعلم انه في كتاب الله - تبارك

وتعالى ـ ، ولا فيما وطينا من الآثار الصحيحة ، يوصف الله ـ تبارك وتعالى ـ انه عارف وانما صفته انه عالم ـ تبارك وتعالى ـ .

وكذلك نحب ان يقال : لم يزل الله عالما ، ولا نحب ان يقال : لم يزل الله عارفا .

(مسألة) : ولا يوصف الله ـ تعالى ـ بانه موقن ، لأن اليقين هو العلم الذي يستدركه العالم بعد الشك والارتياب ، أو بعد ان يعلم فيكون قد ايقن بعد ان كان فيه شاكا ، فلما لم يجز ان يكون الله يعلم من بعد شك ، لم يجز ان يقال : انه موقن ؛ ولا يقال انه مستبصر ؛ لأن المستبصر في الشيء هو من استبصر فيه من بعد شك ، فلما لم يجز الشك على الله لم يجز ان يقال : انه مستبصر ، ولا يقال : انه متحقق ؛ لانه في معنى مستبصر وموقن ، وهذا لا يوصف به احد منا في الشاهد ، الا من بعد ما كان شاكا فيما تحققه ، واستبصر فيه .

وكذلك لا يوصف انه يشعر بالاشياء ولا يفطن ؛ لان من يشعر ويفطن بالاشياء هو الذي لم يكن علمها قبل ذلك ، والله ـ تعالى ـ لم يزل عالما بالاشياء ، فلا تجوز عليه هذه الصفة .

ولا يوصف بانه يحس بالاشياء ؛ لان الاحساس بالاشياء ، انما هو اول ما يدرك من العلم بها ، فلما لم يجز على الله استدراك العلم شيئا بعد شيء اذ كان لم يزل عالما لم يجز عليه ـ تعالى ـ هذا الوصف .

وكذلك لا يوصف بانه يعقل الاشياء كما يوصف بانه يعلمها ؛ لأن علمنا انما سمي عقلا على التوسع تشبيها بالعقل الذي هو الشد والمنع ؛ لأن علمنا بحسن الحسن ، وقبح القبيح ، هو منع لنا من ركوب القبيح وترك الحسن ، فسمي العلم عقلا من هذا الوجه توسعا .

وعلم الله لا يجوز ان يكون منعا له عن الشيء ؛ لأنه لا يجوز عليه

المنع ، كما لا يجوز ان يكون مخلا ؛ لان التخلية والمنع ، انما يجوز على من تتوق نفسه الى الاشياء فيمتنع من ذلك ، ويكف عنه مثل ما وصفنا ، وهذا غير جائز كائن على الله ـ تعالى ـ فلم يجز ان يقال : ـ تعالى ـ انه عاقل ، ولا يوصف ـ عز وجل ـ بانه يفهم الاشياء كما يوصف بانه يعلمها ، الا ان الفهم هو العلم ، بمعنى الكلام الذي يسمعه حتى يكون اذا سمعته لم يخف عليك معناه .

وكذلك الفقه انما هو يفقه الكلام ، ولهذا الامر لم يوصف بالفهم الا للكلام وحده ، نسخه بالفهم للكلام وحده ، كما قال ـ سبحانه ـ : **﴿وجد من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولا﴾**[1] .

فلما كان الباري ـ تعالى ـ لم يزل عالما بالاشياء كلها ومعانيها ، لم يجز ان يوصف بانه يعرف معنى الكلام اذا سمعه كما نوصف نحن بذلك ، ولانه يفهمه ولا انه يفقهه ، ولا انه فهم ولا فقيه .

ولا يوصف بانه يشم ويذوق ؛ لأن الشم هو استنشاق الجسم المشموم ، ودخوله في الخياشيم ومماسة الخياشيم به ، والذوق هو مماسة الجسم المذوق باللسان واللهوات ، فلما لم يجز على الله مماسة الاجسام ولا مداخلتها اياه ، لم يجز عليه الشم والذوق .

ولا يوصف ـ تعالى ـ بانه صبور ، كما يوصف بانه حليم ؛ لأن الصبور هو الذي يصبر على الذي يؤلمه ويغمه ، وهذا معناه عندنا في الشاهد ، ولهذا كان ثواب الصبر عندنا من اعظم الثواب لانه احتمال المكاره والصبر عليها ، فلما كان الله ـ تعالى ـ لا تصل اليه المكاره لم يجز ان يوصف بالصبر .

وكذلك لا يوصف بانه وقور كما يوصف بانه حليم ، لأن الوقور منا الثقيل والرزين ، وانما وصف بهذه الصفات للزومه مكانه الذي هو فيه عند الغضب ، وان غضبه لم يحمله على الحركة ، فلذلك لم يجز ان يوصف الله بانه

١ـ الآية ـ ٩٣ ـ من سورة الكهف

وقور ولا ثقيل ولا رزين ، كما وصف نفسه بانه حليم .

ولا يوصف بانه يجرد ويقنط ؛ لأن القنط من الغيظ ، والغيظ والجرد عرضان يحلان في الانسان ، ولا يوصف بانه يغتاظ كما يوصف بانه يغضب ، لانه ليس معنى الغيظ معنى الغضب ، لأنه قد نغتاظ في الشاهد من افعالنا ، ولا نغتضب في الشاهد منها ، والغيظ انما هو بمنزلة الحسرة التي تلحقنا عند كون ما نكرهه ، وليس الغضب كذلك لأنا قد نغضب على العصاة لله ـ تعالى ـ ، وان لم نكن عليهم مغتاظين في وقت غضبنا ، فلما ان كان الله تعالى ـ سبحانه ـ لا تجوز عليه الحسرة ، ولا تغمه معاصي العباد ، لم يجز ان يغتاظ على عباده ، وان كان قد يغضب عليهم لمعاصيهم .

قوله تعالى : ﴿**يا حسرة على العباد**﴾[1] (الآية) اراد ان كفر العباد وتكذيبهم الرسل يكون عليهم حسرة يوم القيامة ، وقوله : ﴿**فلما آسفونا**﴾[2] يعني اسفوا رسلنا ، ويجوز ان يكون اغضبونا فذكر الاسف وهو يريد الغضب توسعا .

واما (الاسف) حقيقة فلا يجوز على الله ، ولا يوصف بانه يشتهي الاشياء كما يوصف بانه يحبها ، لان الشهوة منا ليست من جنس المحبة ، لان الشهوة توقان النفس الى ما تتوق اليه ، كتوقان نفس العطشان الى شرب الماء ، والجائع الى اكل الطعام ، ومحبة العطشان الى شرب الماء هي ارادة لشرب الماء ، وذلك غير توقان نفسه الى الشراب الى انه قد تتوق نفسه الى ذلك ، وهو صائم ، فلا يريد شربه ، بل يكرهه لاجل صومه ، فصح ان الشهوة ليس من جنس المحبة ، فلم تجز على الله الشهوة ، كما جازت عليه المحبة ، والارادة ؛ اذ كانت الشهوة توقان النفس الى ما تشتهيه ، وتوقان النفس على الله لا يجوز .

ولا يوصف بانه عاشق ، ووامق ، كما يوصف بالمحبة ؛ لأن المحبة هي الارادة ، والعشق ليسه كالارادة للشيء ، انما هو كالقلق الذي يصيب

---

١ - الاية ـ ٣٠ ـ من سورة يس
٢ - الآية ـ ٥٥ ـ من سورة الزخرف

الانسان ، أو يتعلق القلب بما يعشقه ، والوامق ايضا كالعاشق ، وهذان لا يجوزان على الله .

ولا تجوز على الله الرقة ، لأن الرقة انما هي رقة الاجسام ، وهي التي تكون في القلب بدلا من الغلظة والفظاظة ، وهذان لا يجوزان على الله ، لان الله تعالى لا تحله الرقة ، ولا الكثافة ولا الفظاظة ولا القسوة .

ولا يوصف بانه شفيق ولا انه يشفق على عباده ، كما يوصف بانه يرحم عباده ، لان الاشفاق الحذر والمشفق منا من الشيء هو الحذر منه ، والحذر عليه ، فلما كان الحذر على الله لا يجوز كما لا يجوز عليه الخوف ، لم يجز عليه الاشفاق .

ولا يوصف بانه رفيق ؛ لأن الرفق في الامور هو الاحتيال لاصلاحها واتمامها ؛ والباري لا يحتاج الى احتيال يتم به افعاله ومراده ، فلم يجز ان يوصف بالرفق ، ولا الترفق .

ولا يوصف بانه فاضل ، ولكنه مفضل بما يفعل من الفضل على غيره ، ولا يجوز ان يفضل هو بذلك ، لانه مستغن عن الافعال ان يفضل بها .

ولا يوصف بانه ـ تعالى ـ كامل ؛ لان الكامل رفيق ، ولا يوصف بانه شجاع ، لان الشجاعة انما هي من الجرأة على المكاره ، والامور المخوفة ، والله ـ تعالى ـ لا يجوز ان يخاف شيئا ولا يحذره ، فلم يوصف بالشجاعة ولا الجرأة .

ولا يوصف بانه وزير ، ولا مساعد لاحد من خلقه ، ولا انهم وزراء له ؛ لأن تأويل الوزير هو انه وازر صاحبه ، ومعنى المؤازرة ، هو ان كل واحد منهما قد شد ازاره مع صاحبه ليعينه على ما هو فيه ، ومن شد الازار اشتق له اسم المؤازرة ؛ لأن العرب كانت اذا تأزرت فعلت هذا الفعل وشدت على انفسها الازار فلم يجز ان يكون الله ـ تعالى ـ وزيرا لاحد من خلقه ، ولا يكون له وزير منهم .

وكذلك المساعدة انما تأويله في اللغة ان يجعل ساعده ويده في الامر الذي جعل فيه صاحبه ساعده ، فقالوا لمن تابعه صاحبه على الأمر : ساعده ، فلا يجوز ذلك على الله ، فكل اسم وصفة لم يكن من جهة الحقائق وكان من جهة المجاز لم نجد اهل اللغة قد سموه ـ تعالى ـ بهما لم يجز ان يسميه بهما اذا كانتا لم يجوزا من جهة الحقيقة ، ولا يسمى بهما ـ تعالى ـ في اللغة .

ولا يقال : انه يجرب عباده كما يمتحن عباده ، اذا كان معنى الامتحان في اللغة هو معنى التجربة ؛ لأن القول بانه يمتحن توسعا لوجود ذلك في اللغة والتجربة ، لم يجز القول بها وفي نسخة ؛ ولولا جوازه في اللغة ، لم يجز القول ، فكيف يجوز ان يقال انه يجرب ، ولم يجد ذلك في اللغة حقيقة ولا مجازا ؟ والمجاز ان لا يجوز ان يقاس عليها في صفاته ، وانما تكلم بها في الموضع الذي يجدها مستعملة فيه فقط .

ولا يوصف بالسكوت ولا الترك على الحقيقة ؛ لأن الترك هو كف النفس عن الفعل الذي يتركه ، وضبط النفس عن ذلك ، فلما كان الله ـ تعالى ـ لا تحل افعاله فيه ، لم يجز ان يكف نفسه عنها ، ولم يجز ان يكون تاركا لها .

(مسألة) : ولا يوصف بانه (نبيل) ؛ لأن النبل عند اهل اللغة ؛ انما هو الحسن والجمال مع صيانة النفس وتكامل الخصال المحمودة ، فلما كان الله ـ سبحانه ـ لا تجوز عليه الاحوال ، لم يجز ان يوصف (نبيل بافعاله) ، ولا بتكامل الخصال كما ينبل النبيل منا .

ولا يوصف بانه (حاذق) ؛ لأن الحذق في اصل اللغة القطع ، يقال : سكين حاذق يراد به حاد . قال ابو ذؤيب :

يرى ناصحا فيما بدا فاذا خلا فذلك سكين على الحلق حاذق

وخلّ حاذق ، شديد الحموضة كأنه يقطع .

ولا يوصف بانه ذكي ؛ لأن الذكاء هو حدة القلب وسرعة تقلبه ، فلما لم

تجز على الله حدة القلب اذ كان ليس بذي قلب ولا جارحة ، لم يجز ان يوصف بالذكاء ، يقال : قلب ذكي ؛ اذا كان سريع الفطنة .

ولا يوصف (بالذرابة) ؛ لأن الذرابةَ هي خفة اللسان وسرعته في التحرك للكلام كما ان الذكاء هو حدة القلب ، وسرعة تلفته ، فلما لم يكن لله ـ تعالى ـ لسان ، لم يجز ان يوصف بالذرابة ، والذرب الحادِ من كل شيء ، يقال : لسان ذرب ، وسنان ذرب ، وسم ذرب ، وطعام مذروب .

ولا يوصف بانه يحفظ الاشياء على معنى انه يعلمها كوصفنا لانفسنا بالحفظ لما علمناه من القرآن وغيره ، ولئن وصفنا بذلك توسعا ومجازا ، ومرادنا بذلك انا اذا علمنا لم يذهب عنا ، فلما كان الوصف لنا بالحفظ من هذا المعنى مجازا ، لم يجز ان يوصف الله بانه حافظ للاشياء على معنى انه يعلمها ؛ وانما يوصف بانه يحفظ الاشياء على معنى الحفظ المعقول في الشاهد ، فان يصرف عنا الذهاب والضرر والفساد .

(مسألة) : على اثر ما عن الشيخ صالح بن سعيد ، في قول القائل : الحافظ الله ، والخالق الله ، اذا قدم الاسم على الصفة ، ايجوز ام لا ؟ قال : اذا قدمَ الاسم فهو احسن ، وان لم يفعل فلا بأس بذلك ، والله اعلم .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن خميس بن علي العقري ؛ وهل يجوز ان يقال الله المحافظ ؟

الجواب ؛ ـ وبالله التوفيق ـ ، وجدت وحفظت عن الشيخ الفقيه ، ذي الرأي الرشيد ، صالح بن سعيد ـ رحمه الله ـ ، يقول : لا يجوز ان يقول القائل : الله المحافظ ؛ لأن المحافظ هو الحاذق على الشيء ان لا يفوت ، ولكن يقال : ﴿فالله خير حافظاً﴾(١) والله اعلم .

(مسألة) : عن الشيخ الصبحي ، وهل يقال المحافظ الله ، والمسير الله ، من السير ، والمدبر الله واشباه هذا ؟ .

---

١ - الآية ـ ٦٤ ـ من سورة يوسف

الجـواب ؛ سمعت بعض المشايخ يقول : لا يجوز ان يقال : المحافظ الله ، واما المسير والمدبر فعندي ؛ انه جائز .

(مسـألة) : ومن غيره ، ولا يوصف الله ـ تعالى ـ بالفرح ؛ لأن الفرح انما يجوز على من يجوز عليه الغم ، ومن تصل اليه المنافع والمضار ، وهذا لا يجوز على الله .

وقول النبي ﷺ : «ان الله افرح بتوبة العبد من العبد اذا ضلت راحلته في ارض فلاة يوم قيظ وعليها زاده ومزاده» ، (الخبر) انما يوصف بذلك توسعا ، وارادوا به انه مريد لتوبة عبده كاره لاصراره على ذنوبه .

والفرح في كلام العرب على وجوه :

منها السرور ؛ ومنه قولـه تعالى : ﴿وفـرحوا بهـا جاءتهـا ريح عاصف﴾[1] اي سروا بها ، وذلك حفة يعتري الانسان ، وكل هذا ينفى عنه ـ جل جلاله ـ .

ومنه الفرح بمعنى (البـطر والاشر) ، ومنـه : ﴿ان الله لا يحب الفرحين﴾[2] .

ولا يقال : ان الله عجب من كذا ؛ لأن التعجب انما هو يحدث ممن لم يعلم ثم علم ، فعجب عند ذلك مما علم ، والله تعالى لم يزل عالما بالاشياء ، فلا يجوز ان يعلم منها ما لم يكن علمه فيعجب منه ، وقد رويت ، وقال الاشعري : انما عجبه بان عظم ذلك عنده ، ومنه قوله تعالى : ﴿بل عجبت ويسخرون﴾[3] اي بل عظم امرهم .

وقول : معنى (عجب) رضي واتاب فسماه عجبا ، وليس بعجب في الحقيقة كقوله تعالى : ﴿ويمكر الله﴾[4] وان كان المكر منفيا عن الله .

وقيل في قوله : (بل عجبت) اي جاز يتهم على عجبهم ؛ لانهم عجبوا

---

١ - الآية ـ ٢٢ ـ من سورة يونس
٢ - الآية ـ ٧٦ ـ من سورة القصص
٣ - الآية ـ ١٢ ـ ـ من سورة الصافات
٤ ـ الآية ـ ٣٠ ـ من سورة الانفال

من الحق ؛ فقيل : انما عجب . ـ بتشديد الجيم ـ عجب الله ملائكته كما قالوا : ضحك ربك ، اي ضحك ـ بالتشديد ـ ، اي ضحك ملائكته .

(مسألة) : ولا يقال : ان الله يهجر المعاصي كما يقال انه يكرهها ويسخطها ؛ لان هجراننا الشيء هو انقطاع عنه ، وترك الاتصال به ، وربما كان ذلك ترك الكلام لمن يهاجره وهذه المعاني لا تجوز على الله ان يفعلها بالمعاصي ، وانما قيل : افضل الهجرة ان يهجر ما كره الله ، فاذا كان اصله في الناس توسعا ، لم يجز ان يوصف الله بذلك ، الا بعد ان يجد الناس قد توسعوا في اللغة في صفته ـ تعالى ـ ، فاما اذا لم يجد من ذلك في صفاته ـ عز وجل ـ ، فلا يجوز استعماله اذا كان لا يجب من جهة الحقيقة .

(مسألة) : ولا يوصف الله ـ تعالى ـ بانه زكي ، لان الزكي معناه انه بلغ حدا لم يكن بلغه قبل ذلك ، (زكا الزرع) وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى ، وانما قيل للانسان : انه زكي ؛ لأنه بلغ مقدارا بعمله لم يكن بلغه قبل ذلك .

(مسألة) : ولا يوصف الله تعالى بانه نظيف ؛ لأن النظيف هو المنظف ، وهو المغسول ، وهذا لا يجوز على الله .

ولا يقال : انه يستطيع ان يفعل كذا ؛ لأن الطاقة معناها الجهد ، وذلك انه يقول القائل : طقت ذلك جهدي ، فلما ان كانت الطاقة استفراغ الجهد فيما يطيقه الانسان ، لم يجز ان يوصف الله بذلك ، وجاز ان يوصف بغيره الذي معناه انه قادر .

وقوله تعالى : ﴿هل يستطيع ربك﴾[1] ، قيل : هل يستطيع ربك بالتاء ونصب ربك ؛ من قبل هل تستطيع انت ربك ، وقيل هل تستطيع ان تسأل ربك .

(مسألة) : ولا يقال : انه تعالى يطمئن الى انبيائه وملائكته ، ويثق بهم

١ ـ الآية ـ ١١٢ ـ من سورة المائدة

ويركن اليهم ؛ لأن الأطمئنان الى الشيء والثقة به والركون اليه انما هو بمنزلة السكون اليه ، وهو ضد النفور عنه ، والتهمة له ، والله - تعالى - لا يجوز عليه النفور عن الاشياء ، ولا التهمة لها ؛ لأن هذا يجوز على من لم يعلم ما يكون ، ولا يحيط بالاشياء علما فصح ان ذلك لا يجوز على الله .

(مسألة) : ولا يقال لله - تعالى - : انه ذخر ، ولا انه سند ؛ لأن الذخر ما ذخره الانسان ، والسند ما يسند الانسان ظهره اليه ، والله يتعالى عن ذلك .

فان قال : هذا في صفاته فانما هو مجاز وليس معناه بحقيقة ، وهذا لا يجب له من جهة الحقيقة الا ان يكون قد استعمل في الناس ذلك مجازا فنستعمله معهم .

(مسألة) : ولا يقال : ان الله خير من كذا وكذا ، فهذه صفة ذات ، وان قيل : ان الله - تعالى - خير منك افعالا فحسن .

قال الحسن في قوله - تعالى - : ﴿والله خير وابقى﴾[1] ، اي خير منك يا فرعون ثوابا ، وابقى عقابا ، ولا يقال : كذا وكذا دون الله ، بمعنى التفاعل والخيار ؛ لأن الخيار لا يقع الا بين الاجناس ، الا ترى انه يقال : فلان احسن من فلان يراد به انه اصلح منه ، لانهم جنس واحد ، وهذا لا يجوز على الله ؛ لأنه ليس بذي جنس ، ولا هو من جنس غيره ، فلا يقع الخيار بينه وبين غيره .

وقوله تعالى : ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾[2] ؛ قال بعض : اتخذوا عبادة الاصنام ليغيروا بذلك وهي دون عبادة الله .

(مسألة) : وهل يجوز ان يقول الانسان : ان الله حكيم في علمه ، وحكيم في حكمه ، أو لطيف في قدرته ام لا ؟ فان هذا شبيه صفة الشيء فلا

١ - الآية - ٧٣ - من سورة طه
٢ - الآية - ٧٤ - من سورة يس

يجوز ذلك .

(مسألة) : من كتاب لبعض قومنا ، لأحمد في مسنده ، عن البخاري ، ومسلم ، عن ابن عباس ؛ قال النبي ﷺ : «نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور» ، وفي رواية اخرى ؛ عن محمد بن عمر عنه ـ عليه السلام ـ : « نصرت بالصبا وكانت عذابا على من كان قبلي » .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان في هذين الحديثين : نصرت ونصرت وهما معهم صحيحان ، بدليل هؤلاء الرافعين ، وفيهما على جواز ان يقول النار تحرق والماء يغرق ، وهذا الدواء ينفع من كذا وكذا ، من كان مذهبه ان الفاعل في الحقيقة هو الله ـ تعالى ـ انما هو على المجاز ، وليس عليه ان يقول في ذلك كل مرة باذن الله ، أو بقدرة الله .

فان قال : قال الله تعالى : **﴿واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرىء الاكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتى باذني﴾**(١) قلنا : لم يذكروا تخلق ، واذ تخلق باذن الله كهيئة الطير ولا تنفخ فيه باذن الله ، وانما ذكر انه ينفخ فيستجيب الله دعاه فيكون طيرا ، اصل كونه طيرا حيا ليس فيه تدبير مخلوق ، ولا اثر ، وكذلك احياء الموتى اجابة من الله ليس فيها مؤثر غيره كما فيما ذكرناه مؤثر في الظاهر ، كما قال : **﴿وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا﴾**(٢)

(مسألة) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ـ رحمه الله ـ ، فيما ارجو فمعي ؛ ان قول القائل : توكلت على الله جائز ، ولا اعلم فيه اختلافا ، واما اتكلت على الله فمعي ؛ ان هذه اللفظة تخرج من حكم المتشابه عندي ، فيخرج عندي في بعض القول انها لمعنى توكلت ، واستسلمت فاذا اتيت ذلك كذلك فيجوز عندي قول القائل : اتكلت على الله ، ومعي ؛ انه قد قيل ، بذلك في حكم الله ، ويخرج عندي في بعض القول : انه لا يجوز ان

---

١ ـ الآية ـ ١١٠ ـ من سورة المائدة
٢ ـ الآية ـ ٨٤ ـ من سورة الكهف

يكون بمعنى توكلت ؛ لأن الاتكال على الشيء هو الاعتماد عليه ، والاعتماد في عرف اللغة هو الاستناد على الشيء ، والتثبت عليه ، فعلى هذا المعنى لا يجوز ذلك على الحقيقة عندي ، اتكلت على الله ، ويخرج جواز ذلك على المجاز في جنب الله ، ولا يضيق ذلك ؛ لأن الخلق كلهم معتمدون على الله ، ومتوكلون عليه بمعنى استناد امورهم اليه في الحقيقة ، وان خرج اللفظ على حكم المجاز فعلى اي حكم أجرى المتكلم قصده وارادته من ذلك كان له حكم ما اراد وقصد ، والتوسع بالجائز مباح ، وما وسع فيه الاجازة فلا يجوز حجره بمعنى قاطع ، والله اعلم .

قال غيره : ما احسن ما معنى ما قاله في هذا واقومه فلله دره من فقيه ما افهمه !!

(مسألة) : ومن غيره ، ولا يجوز ان يقال : اتكلت على الله ، وانما يجوز توكلت على الله ، كما قال الله : ﴿وما لنا ان لا نتوكل على الله﴾ (١) .

فصل : من بعض كتب (اهل المغرب) ؛ ويقال : وقفت اليك بالله ، وقيل : ذلك بعرفه ، ويقال : التجأت اليك ، ويقال : اللهم افتح لنا (انظر الينا) ولا يجوز ابصر لنا ، ولا أرِ لنا ، ولا يجوز اتكلت على عملي لا على الله ، ولا على الله لا على عملي ، وانما يجوز توكلت على الله ان يثبني على عملي ، ولا يقال للمخلوق توكلت عليك ، فوضت امري اليك .

وزعم بعضهم انه انما يجوز اتكلت على المخلوق ، وفوضت امري اليه ، ولا يجوز على الله ادبر ولا انصرف .

ويقال : اقبل الى المؤمنين واعرض عن الكافرين ، وفي الحديث ، في النفر الثلاثة : «اما احدهم فآوى الى الله فآواه الله ، فأما الثاني فاعرض عن الله ، فاعرض الله عنه ، والثالث استحيا من الله فاستحيا الله منه» .

ولا يقال : اللهم اغننا عن جميع خلقك ؛ لأن المسلم لا يستغني عن

١- الآية - ١٢ - من سورة ابراهيم

المسلم ، ويقال : اللهم اغننا عن اشرار خلقك كما جاء في الحديث ، انتهى .

(مسـألة) : ومن غيره ، ولا يقال : هذا حرام في رأي الله ، ولا في اعتقاد الله ، كما يقال : هذا حرام في دين الله ، وفي علم الله ، ولا يجوز ان يقال : يعتقد كذا ، ويرى كذا ، ولا يقال له مذهب كما يقال له علم ، ولا يقال رأى الله ، كما قيل نظر الله له ، واختار له وكذلك في النفي ، لا يقال : لم ير الله كما قيل لم ينظر الله له ، والله اعلم .

(مسـألة) : ومن جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، وقول القائل : كل شيء له حد ، والى حد يجوز ام لا اذا عري من النية في المخلوقات جائز ، ومن صفات الله خارج ، وكذلك عن امر الآخرة من بقاء اهل الجنة ، وبقاء اهل النار ، وهما باقيان ببقاء الله .

(مسـألة) : عن الشيخ ناصر بن خميس وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ خلق فسوى﴾[1] هل يجوز ان يقال : هو المسوي ، والمسوي الله ، ام لا ؟

الجـواب ؛ وبالله التوفيق لم يبن لي حجر ذلك ، والله اعلم .

(مسـألة) : ومن قال : الله ـ تعالى ـ ذخر وسند بالتنوين ، فمجاز لا حقيقة ، ومن قال : يا خير الاصحاب يعني بذلك حافظا ومدبرا جاز ، ولا يجوز على غير هذا ، ولا يجوز يا صاحب المؤمنين على الحقيقة ، وانما يقال للانسان صحبك الله توسعا ، يراد : (سلمك الله) ، ويقال : يا سند كل سند ، ومولى كل مولى ، على المجاز ، ورب الارباب على المجاز ، ويجوز ان يقال : يا سند كل سند ومولى كل مولى على المجاز ، ورب الارباب ، على مجاز اللغة ؛ لأن من ملك شيئا سمي في اللغة ربا له ، والله ـ تعالى ـ هو المالك في الحقيقة .

(مسـألة) : ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه حافظ ، وراع ، وحارس ، وان كان استعماله قليلا ، والحراسة والرعاية حقيقتان ، فلهذا وصفناه بهما ،

١ـ الآية ـ ٢ ـ من سورة الاعلى

وكفيل وضامن صحيح يقال : تكفل الله بأرزاق العباد ، وضمن للمؤمن بالجنة .

(مسألة) : وجائز ان يقال : الله تعالى يدري الاشياء ، كما يقال : انه يعلمها ، وقيل : لا يجوز ذلك .

ويوصف الله بانه مطلع على العباد ، وعلى اعمالهم توسعا ويراد به انه عالم بهم وباعمالهم .

وقيل : له مطلع على المجاز ؛ لأن المطلع منا على الشيء من فوقه يكون أعلم به واولى بان لا يخفى عليه شيء منه ، فلما ان كان الله بالأشياء كلها عالما لا يخفى عليه شيء منها ، قيل له : انه مطلع عليها مجازا .

(مسألة) : وجائز أن يوصف الله بأنه يحب ويبغض ، ومعنى الوصف له بالمحبة هو معنى الوصف له بالارادة ، ومعنى الوصف له بالبغض هو معنى الوصف له بالكراهية ، وذلك ان كل ما كره الله كونه من العباد فهو مبغض كونه منهم .

وكل ما أراد الله كونه من العباد فقد أحب كونه منهم ، وكل من أراد الله اكرامه من عباده ، فهو له محب وارادته لاكرامه ولتعظيمه هي محبته لاكرامة ولتعظيمه وهي محبته له ، وكراهيته لاكرامه ولتعظيمه هي بغضه لاكرامه ، وتعظيمه ، وهي بغضه له ، لانه ليس معنى حب الله للعباد الا حبه لاكرامهم ولتعظيمهم ، وليس بغضه لهم الا ضد ذلك .

ويوصف الله بانه مصلح ، لأن فاعل الصلاح يسمى مصلحا .

ويوصف بانه مفضل بما فضل به غيره من العباد ، ومن فعل الفضل يسمى مفضلا .

ويوصف بانه خير لان فاعل الخير اذا كثر منه استحق ان يقال له [خير] ، فلما كان فعل الخير من الله موجودا ، وجب ان يسمى خيرا .

ويقال ان الله اصلح لنا من غيره ، وخير لنا من غيره ، وهذا القول ايضا توسعا ، والمراد به نعمه وخيره وفضله ، ويقال : ان الله ـ تعالى ـ خير فعال منك ، ويقال : ان الله قد فعل الشدائد والآلام وليست بشر على الحقيقة وقوله ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[1] وقوله : ﴿هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾[2] ، فهو شدائد ، ومصائب وليس بشر على الحقيقة ، وقوله [شر] مجازا وتوسعا ، واراد به انه ضرر وشدائد ؛ لأن الشر هو عيب وفساد ، وفاعله شرير اذا كثر ذلك منه ، وجمع فاعل الشر هم الاشرار ، والله تعالى يجل ان يكون شريرا أو يكون مع الأشرار ، فصح بهذا ان الله لا يفعل الشر على الحقيقة ، وسؤالهم عن عذاب جهنم خير أو شر فهو عدل وحكمة .

(مسألة) : عن الشيخ حبيب بن سالم امبو سعيدي ، وما معنى العزة ولا يقال الله عزيز ؟ الجواب ؛ ان العزة في السورة هي اسم للملائكة ، ومعنى رب العزة رب الملائكة ، ولا يجوز أن يقال : رب عزته اذا اضاف عزته اليه ، وهي العزة التي هي من صفات ذاته التي اتصف بها ، ومنها اسم العزيز ، وهو صفة لذاته ، واذا اضاف عزته اليه ، فقد جعل العزة غير الله وقد أشرك ، والله اعلم .

(مسألة) : ويوصف الله ـ تعالى ـ بانه مختار ، ومعناه انه مريد له اذا لم يكن ملجأ الى ما اراده ، ولا مضطرا اليه . والارادة هي الاختيار في اللغة في وصفنا له تعالى بذلك ، وفي وصفنا لغيره ، اذا كانت على ما وصفنا من زوال الالجاء والاضطرار اليها .

ويقال ان اختيار الله الذي اختاره غير المختار ، كما ان الارادة غير المراد من الله تعالى ومن العباد .

وقيل ان الله لا يوصف بانه يختار من وجه الجهل لجهله وقلة علمه بالأجود ، وفي القرآن ما يؤيد القول الأول ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ويختار ما

---

١ ـ الآية ـ ٣٥ ـ سورة الأنبياء

٢ ـ الآية ـ ٦٠ ـ من سورة المائدة

كان لهم الخيرة﴾ (١) ، ما كان لهم ان يختاروا هم ، واختيار الله الأنبياء هو اختياره لارسالهم الى العباد ، وذلك ارادته لارسالهم الى العباد ، فجعل ارادته لارسالهم الى العباد اختيارا في سعة اللغة ، فان قال : فاصطفاء الله الأنبياء هو اختياره لهم ، قيل له : اصطفاؤه إياهم هو اختصاصه إياهم بها ، فليس معنى الاصطفاء معنى الاختيار .

(مسألة) : ويقال : ان الانسان يكون خليلا لله ، ومعنى الخلة الاختصاص ، فمن اخصه الله برسالته ووحيه ، وافضى اليه ، من ذلك ما لم يفض به الى غيره من الناس ، كان لله خليلا ؛ لأن الله ـ تعالى ـ قد اختصه بما وصفنا ، ولهذا كان ابراهيم خليلا لله اذا كان قد اختصه بما لم يؤته غيره من الناس ، ولهذا كان الرجلان اذا اختص بعضهما بعضا ، وافضى كل واحد منهما الى صاحبه ما لم يفض به الى غيره ، سمي خليلا له في اللغة .

ولا يجوز أن يقال : ان الله خليل لأحد من أنبيائه ورسله ، وخلقه على الحقيقة ؛ لأن الخليل في اللغة ؛ انما هو خاصته الذي يفضي بأسراره وامره ، لأنهم لم يخصوا الله بشيء ، فيكون بذلك خليلا لهم كما كانوا اخلاؤه لما اختصهم به ، من الوحي والرسالة ، وجميع الأنبياء اخلاء الله لهذا المعنى .

ويقال للانسان : خليل على معنى [حبيب] في سعة اللغة ، وهذا هو مجاز لا حقيقة ؛ لانه لو كان الحبيب خليلا على الحقيقة ، لكان المؤمنون جميعا اخلاء الله ، كما انهم احباؤه ، وهذا صحيح لا سائغ في حقيقة اللغة .

ولا يجوز ان يتخذ الله صديقا من خلقه فيكون صديقا للمؤمنين ، والمؤمنون له اصدقاء ، والفرق بين الصديق والخليل ؛ ان الصديق في اللغة ان يصدق صاحبه بالود والمحبة ، وان يكون ضمير كل واحد منهما لصاحبه كعلانيته ، فلما لم يجز أن يوصف الله بأن سريرته للأنبياء كعلانيته ، وانما يضمر لهما كما يظهر اذا كان الضمير والظهيرة ، لا يجوز ان عليه لم يجز ان يكون صديقا لهم .

١ـ الآية ـ ٦٨ ـ من سورة القصص

(مسألة) : ويقال : ان الله ـ تعالى ـ ناصر المؤمنين ، ومعنى ذلك دفعه المكاره والشدائد والهوان عنهم ، ليعزهم بذلك ، ويكرمهم ، وهذا هو النصرة المعقولة بتنافي الشاهد .

ويقال : ان الله تعالى يخذل الكافرين ، والفساق ، ومعنى ذلك هو ضد النصرة ، وهو ان لا ينجيهم من الهوان ، والشدائد ، ولا يفعل بهم ما يقعون معه في الشدائد والهوان .

ويقال : انه يوفق المؤمنين ومعنى ذلك ؛ انه فعل بهم فعلا اتفق به لهم فعل الايمان ، والتوفيق في اللغة ان الشيء الذي يوفق هو متفق لصاحبه لا محالة ، وذلك انهم اذا قالوا وفق الله لنا لقاء فلان ، فلا يجوز في كلامهم ان يقول القائل وفق لنا لقاء فلان ، وهو لم يلقه ، ولا انه لم يوفق لقاءه ، وهو قد لقيه فصح بهذا أن صفة التوفيق على ما وصفنا ؛ لأن الفعل الذي هو توفيق له هو متفق لصاحبه .

ويقال : ان الله ـ تعالى ـ يأبى الأشياء كما انه يريدها ، والاباء في اللغة ؛ هو المنع والامتناع ، لأن معنى قولنا ابى فلان ان يفعل انه امتنع ان يفعل .

(مسألة) : من بعض كتب [اهل المغرب] يقال : سألت الله فأجاب لي ، واستجاب اليّ ؛ معناهما واحد ؛ لأن الله ـ تعالى ـ اخبر انه يجيب المضطر اذا دعاه ، ولا يقال : دعوته فأطاعني ، ولا امرته فأجابني ؛ لأن الأمر لمن هو دونك ، والسؤال والطلب لمن أنت دونه ، يقال : ناجيته وناديته ، ويقال : طلبته فأعطاني ، ويقال : استعنته فأعانني ، ويقال : حسبي الله ورضيت بالله وكل ما كان من الخلق من طلبه ، فهو شبه السؤال والمسألة ، وليس بأمر ، وما كان من الخلق الى الخلق فذلك الأمر ، وليس بمسألة الحاجة والرغبة .

ويقال : استوهبت الله فوهبني ، واستطعمته فأطعمني ، واسترزقته فرزقني ، واستنصرته فنصرني ، ولا يقال : استقرضته فأقرضني ، ولا يقال : استوهبنا الله فوهبناه كما يقال : استوهبناه فوهبنا ، ولا يقال : اعطيناه ولا

وهبناه ، ويقال : اعطينا غيره ووهبنا لغيره في الله ، كما يقال : اجبته في الله ، ولا يقال : الله يتصدق ؛ وانما يتصدق من يبغي الثواب ، وقيل يتصدق على المسافر بشكر صلاته .

(مسألة) : ومن غيره ، ويقال : ان الله ـ تعالى ـ ثابت كما يقال : ان المقر به مثبت ، الا ان هذا في صفاته ، ـ عز وجل ـ غير مستعمل ، ومعنى ثابت انه ـ تعالى ـ لم يزل موجودا ، ويقال : لله الملكوت والكبرياء ، ومعنى الملكوت انه المالك والكبرياء انه ـ عز وجل ـ كبير .

(مسألة) : اختلف في تسمية الله ـ عز وجل ـ بانه غيور ، والغيرة من الله ـ تعالى ـ هي الزجر ، فغيور بمعنى زجور ، يزجر عن الحرام ويحظره ، ويتوعد عليه اشد الوعيد ، ولم يجزه آخرون ، وقال آخرون . ان الصفة لله تعالى بذلك مجازا وتوسعا ، والمراد بذلك كراهيته للفجور ولاسبابه ؛ لأن الغيرة هي جزع الرجل والمرأة من أن يشارك احدهما ، وهذا المعنى لا يجوز على الله ـ تعالى ـ يقال : غار الرجل على اهله يغار غيرة .

(مسألة) : ويقال : ان الله ـ تعالى ـ اعرب كلامه ، ويقال : اغفل وطبع ، ويقال : اعوذ بالله ثم بك ، ولولا الله ثم فلان .

واختلفوا في صفة الله بالفراغ ؛ فقال به هلال بن عطية في سيرته ، ولم يجزه ابو الحسن .

(مسألة) : ويقال : رفع الله بيده عن كذا وكذا ، أو سلط الله قوما على قوم ، ويقال : نظره في الخلق نافذ ، وعلمه بهم محيط .

ويقال : يسمع ويرى ، ويقال : يا إلٰه كل مألوه ، والمألوه هو العبد .

ويقال : انه ـ تعالى ـ يسبب الأرزاق لعباده ، ويقال ان الله ـ تعالى ـ يعزم ثم يستثني ؛ ويقال : العزم لله والله المعزم لي على الخير ؛ ولا يجوز على الله العزم الذي هو المطلع على الشيء بعد الرؤ ية فيه ، وفي غيره ، كما لا تجوز عليه الرؤ ية والفكر .

وأما العزم الذي هو ايجاب فعل الشيء على غيرنا ؛ فهذا يوصف الله - تعالى - به ، ويستعمل في صفاته ؛ لانه يقال : ان الله يحب ان يؤخذ برخصه ، كما يحب ان يؤخذ بعزائمه .

ويقال : عزيمة من ربه ، يعني ما اوجب الله عليه ، ولم يرخص له في ذلك تركه والعزم غير الارادة ، قال ابو الحسن فيمن قال : عزم الله لنا بخير ، فقال : لا أراه جائزا .

(مسألة) : ويجوز أن يقال : كل بالله لاحق ، كما يقال : كل الى الله صائر ، ويقال ما أحسن هذا عند الله ؛ وما أقبح هذا عند الله !

والعند ؛ تأويله العلم ، والعند معنى غير العلم ، قال الله - تعالى - : **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** (1) .

قال غيره : يوجد ان [عند] لها مع اهل المعرفة وجوه : -

احدها تكون بمعنى [الحكم] ؛ تقول : زيد عندي افضل من عمر ؛ أي في [حكمي] .

وتكون بمعنى [الفضل والاحسان] كقوله - عز وجل - : **﴿فان اتممت عشرا فمن عندك﴾** (2) ، أي من [فضلك واحسانك] .

رجـــع ؛ ويقال : قاسمت الله - تعالى - مالي ، ويقال : جعلت هذا لله ، واعطيت هذا لله ، أي التماس الرضى . ومعنى ذلك ؛ لولا الله ما أعطيته ، ومعنى أعطيت الله ، وأعطيت لله يتقاربان .

(مسألة) : ويقال : الله - تعالى - يبغض ، ويمقت ، وينتظر ، ويمهل ، ويستدرج ويترقب ، قال الله - تعالى - : **﴿وانتظروا انا منتظرون﴾** (3) **﴿وارتقبوا اني معكم رقيب﴾** (4) ، ذلك غير استبعاد ، ولا يقال : شيء يبعد عليه .

---

١ - الآية - ٩٦ - من سورة النحل
٢ - الآية - ٢٧ - من سورة القصص
٣ - الآية - ١٢٢ - من سورة هود
٤ - الآية - ٩٣ - من سورة هود

(مسألة) : من بعض كتب [اهل المغرب] ؛ ويقال : الله ـ عز وجل ـ : معلم ومؤدب بأحسن الأدب ، ويقال : وفق ، وهو الموفق ، وسدد ، وهو المسدد ، وهدى وهو الهادي ، ويقال : الله عاصمي وناصري ، ويقال : جاء الله بالفرج والمطر والرحمة ؛ أي جاءت هذه الأشياء ، ويقال : جئت بالله ؛ أي [وجدته] ، وجاءني أي [خلقني] ويقال : ذهبت الى الله ، قال الله : ﴿اني ذاهب الى ربي﴾[1] ، أي [الموضع] الذي أمرني ربي .

ويقال : ذهب الله بكذا ؛ أي [أفناه] قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ذهب الله بنورهم﴾ [2] ، ولا يجوز حركني الله ، ولا سكن بي ، كما يجوز جاءني ، ومن غيره .

(مسألة) : ويقال : علم وأدب ، والله معلمنا ومؤدبنا ، وفقه ، ولا اعلمهم يقولون : الله المفقه ، وهذه أقرب من معلم ومؤدب ، ولا يجوز الله القائم لي ، ويقال : الله عاصمي ، والعاصم لي ، وناصري والناصر لي ، ويقال : الله تعالى جاء بي وذهب بي ، كما جاء الله بالمطر ، وجاء بالفرج ، وجاء بالسعد ، وجاء بالخصب ، ويقال : لا جاء الله به ، ويقال : اللهم جىء به ، وكذلك جاء الله بك ، وذهب بك .

ويقال : رفع الله نفسه عن الظلم ، والله ـ تعالى ـ يجل عن هذا الأمر على ما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا﴾[3]

ويقال : ولا يتعذر على تدبيره ، ولا اعلمهم يقولون : لا يعييه شيء وليس ببعيد ، وقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿أولم يروا ان الله الذي خلق السموٰات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾[4] ، [الآية] .

وقال : ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾[5]

---

١ ـ الآية ـ ٩٩ ـ من سورة الصافات
٢ ـ الآية ـ ١٧ ـ من سورة البقرة
٣ ـ الآية ـ ٩٢ ـ من سورة مريم
٤ ـ الآية ـ ٣٣ ـ من سورة الاحقاف
٥ ـ الآية ـ ١٥ ـ من سورة ق

وقال المفضل : كل ما يقدر عليه ، ولم يتوجه له ، فقد عيّ به ، ويقال : لا يفدحه ، على ما قال الله : ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ [1] ، يعني لا يثقل عليه ، والفادح [الثقيل] .

(مسألة) : عن نجاد بن موسى ؛ جائز أن يقال : بالله توفيقنا ، وعليه اعتمادنا ، وبه عصمتنا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، واقوى معين ، واهدى دليل ، وعنه : ان الله خبأ اربعا في اربع ، خبأ وليه في عباده ، وخبأ رضاه في طاعته ، وخبأ غضبه في معصيته ، وخبأ اجابته في دعائه .

(مسألة) : يجوز أن يقال : متفرد ومتوحد ، ولا يجوز أن يقال متفرد ، وقيل : لا يجوز ان يقال : المنفرد والمتوحد ، وليس هذا من أسماء الله .

(مسألة) : محمد بن محبوب : اعاذنا الله وإياكم من سخطه وعقوبته ، وله ايضا ، الحمد لله المستولي على حقائق الحمد وفضائل المجد ، المستغني عن اهل الارض واهل السماء .

(مسألة) : محمد بن الحسن ، وسألته عمن يقول بسم الله ، خير الأسماء ؛ قال : ان كان معنى قوله ان الله اسم هو غيره . فذلك لا يجوز .

(مسألة) : يجوز ان يقال : الله القاهر بعزته فوق العباد ، ويقال : ان شاء الله ؛ الخلق بحكمته ، وامضى الامور بمشيئته .

ويقال : المنفرد بالقدرة والملكوت ، والمتوحد بالعزة والجبروت ، ويقال : جعلك الله في حرزه وستره ، وعاد عليك بفضله ومنه .

ويقال لله : عدل في قضائه متفضل في عدله ، له احسن الأسماء واشرف المدح ، ويقال : الأمر لله ثم لك .

(مسألة) : ولا يجوز ان يقال : ان الله خلق ارزاق العباد قبل ان

١- الآية - ٢٥٥ - من سورة البقرة

يخلقهم ؛ وجائز أن يقال : علمها قبل ان يخلقهم ، ويوصف الله بأنه لم يزل متكلما ، وقيل : لا يجوز ، ولكن يقال : لم يزل الله وهو المتكلم ، ولا يجوز أن يقال : فوق كل شيء على الحقيقة ؛ لأن ما وصف انه فوق ، انما وصف انه في مكان مرتفع ، وهذا حقيقة هذه الصفة في اللغة ، فان وجدنا ذلك في صفة الله ؛ فانما هو مجاز ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾[1] ؛ اراد انه القادر المستولي على العباد والمستعلي عليهم ، فجعل قوله فوق بدل قوله [مستعل] في مجاز الكلام والتوسع .

ويجوز ان يقال : فوق عباده في العلم والقدرة ، ويراد به انه اعلم منهم واقدر ، كما قال الله : ﴿**وفوق كل ذي علم عليم**﴾[2] ، وهو يعني نفسه وهو ايضا على جهة التوسع والمجاز .

(مسألة) : عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، ووجدت مكتوبا ؛ لا يوصف الله انه متفرد ، ويوصف انه منفرد ، ولم اعرف ايها بالتاء بعد الميم وتشديد الراء ، وأيها بالنون واسكان الراء ، فبين لي ذلك وما عندك فيه ؟ قال : عندي ، ان الآخر بالتاء المثناة من فوق .

(مسألة) : ومنه ؛ وهل يوصف الله بالعادة والدأب ام لا ؟ الجواب ؛ اني لم احفظ في هذا شيئا ، وفي كتاب البيضاوي استعمال عادة الله في كلامه ووصفه كثير ، وسمعت الشيخ خلف بن سنان يقول : لا يضيق ان يقال : عادة الله ؛ قلت له : مثل سنة الله ؟ قال : عندي ، انه كذلك ، وكره دأب الله ، ولم احفظ فيه .

(مسألة) : ويجوز ان يوصف الله بالحضرة دون الغيبة ، والمراد بذلك علمه وتدبيره .

(مسألة) : من كتاب [الارشاد] ، ولا يجوز ان يقال : لو قدر الله على

---

١ ـ الآية ـ ١٨ ـ من سورة الانعام

٢ ـ الآية ـ ٧٦ ـ من سورة يوسف

كذا وكذا ، ولو ابصر الله كما قيل ، ولو علم الله ، ولو شاء الله ، ولا يقال : يتملك كما قيل : ملك ويملك ، ولا يقال يتعزز به ، ولا يتعظم ولا يتجبر ولا يتكرم ولا يتخلق ، وما كان فيه يتفعل فلا يجوز .

ولا يقال : رغب ؛ كما قيل كلف ، وامر ، فطلب منا الطاعة ، واختلف في طلب وسأل الطاعة ، وما اراد منهم فجائز ؛ لأن الرغبة انما تكون على الحاجة ، ألا ترى انه امر غير [رغب] ، وكذلك [طلب] و [استقرض] ؛ لانه من غير عدم استقرض فذلك لم يكن راغبا ؛ والاستقراض على وجهين : -

يكون مستقرضا لحاجة فذلك عن الله منفي .

والاستقراض لا لحاجة ، فهو ما ندب الله ـ تعالى ـ اليه ، وان يتقرب بذلك اليه والله اعلم .

(مسألة) : اختلف في القول : ان الله يتصدق علينا . فقال بعض الفقهاء : لا يقال : يتصدق علينا ، انما يتصدق من يطلب الثواب ، وجوز ذلك بعضهم .

ولا يقال : ان الله يحذر ولا يخاف ولا يخشى ، الا على معنى العلم ، وقد قال : ﴿**فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا**﴾[1] ، قالوا في ذلك : علمنا فلا يجوز الا على هذا التفسير ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يقال : [يظن] وان كان [الظن] قد يجيء في موضع [العلم] ، قال ـ عز وجل ـ : ﴿**الذين يظنون انهم ملاقو ربهم**﴾ [2] ، قال : [يعلمون] ، فالظن يكون [شكاً] ، ويكون [علما] ، فالشك لا يجوز على الله ـ تعالى ـ .

ولا يقال : انه يتقي ولا يرجو ، لأن الرجاء انما يكون على الخوف

---

١ - الآية ـ ٨٠ ـ من سورة الكهف

٢ - الآية ـ ٤٦ ـ من سورة البقرة

والطمع ، وذلك عن الله منفي .

ولا يقال : يتحنن على عباده ، ولا يتلطف ، ولا يتودد ، كما يقال : انه لطيف بهم ، ولا يقال اشفق عليهم ، ولا يقال : انه غليظ ، ولا عنيف على الكفار ، كما قيل : انه غضب عليهم ، ولا يقال : شيء اشد عليه ولا شيء اهون عليه من شيء ، ولا يوصف بالعجلة ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يجوز ان يقال [رأيت الله] حتى يصل ذلك بكلام ؛ فيقول رأيت الله ؛ اهلك عادا وثمود ، وكذلك ؛ [سمعت الله] ، حتى يقول : سمعت الله يقول ، ويقول : وجدت الله صنع كذا ، ولا يقول ادركت الله صنع كذا .

ولا يوصف الله بالغناء ، ولا بالنصح ، ولا يقال الزم نفسه ، ويقال اوجب ، وكتب على نفسه ، ولا يجوز تحرك بي ، وسكن بي ، كما يقال : جاء بي ، ولا يقال : قام الله بك ، وقعد بك ، وسكن بك ، وحرك بك ، وما كان مثله فعلى قياسه ، ولا يقال ما دعا الله الى كذا ، ولا ما حمله الى كذا ، ولا يقال : ما صيره الى هذا الفعل لامر لا يفعله ثم فعله ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن بعض كتب [اهل المغرب] ؛ ووجدت انه لا يوصف بالصبر على الأذى ؛ لأن الصبر انما يكون للنقص الداخل على الانسان ، والله - تعالى - لا تحل به الحوادث ، ويوصف بالحلم ؛ لأن الحليم معناه لا يعجل بالعقوبة ويعفو عن السيئات ، ويوصف بالرأفة والرحمة والطول واللطف ، قال الله - تعالى - : **﴿الله لطيف بعباده﴾**[1] ، ولا يوصف بالشفقة ؛ لأن الشفقة نظير الرقة ، والنصح غير جائز ، ألا ترى انهم لا يقولون : اللهم إنصحنا ، ويقال : **﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾**[2] ، ولا يقال : الزم ولا يقال : رأيت الله حتى يصل فعل كذا وكذا ، ويقال وجدت صنع كذا وكذا ، ولا يقال : ادركت .

---

١ - الآية - ١٩ - من سورة الشورى
٢ - الآية - ٥٤ - من سورة الانعام

فصـــل ؛ ولا يجوز أن يقال : يخشى الله مكروها ، ولا يخاف ولا يحذر ولا يتقي ولا يرجو ولا يتحقق ، ويقال : يغضب على الكفار ، ولا يقال : يغتاظ ولا عنف ولا يوصف بالعجلة ؛ لانه لا يخاف الفوت ، ويقال : ودود ولا يقال يتودد ، ولا يتلطف ، ويقال : انزل القرآن بعلمه اي عالم به ، وليس للباء هاهنا معنى ثان ، وكذلك فعل بقدرة وبارادة وبحكمة وبسلطان ، واما ما كان فيه للباء معنى ثان ؛ مثل قولك : عذبه بناره ، واقام بدنه برزقه ، وأمره بطاعته ، وزجره بكلامه ، وللباء هاهنا معنى ثان على غير استعانة ولا حاجة .

فصـــل ؛ وفي بعض الكتب يقال : الله مالك وقد ملك ، ولا يجوز يتملك ، ويقال : استغنى ولا يقال يستغني ، ويقال : عزيز ولا يقال يتعزز ، ويقال : عز وجهه اي عز الله ، ويقال : جل وتعالى علوا كبيرا ، ويقال : عظيم ؛ ولا يقال : يتعظم ولا يتكبر ولا يتجبر ولا يتكرم ، ولا يتخلق ، وما كان على وزن [فعل يفعل] لا يجوز على الله فيه [يتفعل] هكذا وجدت ، والله أعلم .

فصـــل ؛ في النفي ؛ ولا يجوز أن يقال : ليس الله بنور حتى يصل قوله ولا بظلمة ، ولا جسم حتى يقول ولا عرض . وقيل : يجوز ؛ لانه لا يتوهم انه ظلمة ولا عرض ، وكذلك ليس بذكر ولا انثى ، وليس بمتحرك حتى يقول ولا ساكن .

وأما الأشياء التي عبدت من دون الله ، كالشمس ، والقمر ، والشعرى والعجل ؛ فجائز أن يقال : ليس الله بشمس وما أشبه ذلك ، والأسماء الشنيعة التي ليست فيها مدحة مثل الذئب ، والنملة ، والبعوض ، والذرة ، والذباب ، والخنفساء ، ولا يجوز ان يقصد اليها فيقول : ليس الله بنملة ، وما أشبه ذلك ، ولو كان يجوز ذلك ، ولا يقال ايضا ليس بقصير ؛ لانه يوهم انه طويل ، ولا بمتخلل ؛ لانه يوهم انه مدح ، ولا ليس بثقيل ؛ لانه يوهم انه خفيف ، ولا بملاصق ؛ لانه يوهم انه منح ولا بقليل ؛ لانه يوهم انه كثير .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، ويوجد في قول القائل : استخير الله [بالخاء] ، انه جائز ما معنى ذلك ؟ الجواب ؛ لعله اسأله [الخيرة] ، وقول القائل استجير الله ، واستجير [بالجيم] فيهما جميعا ما الجائز منه ، وما الذي لا يجوز وما المعنى في ذلك ؟ الجواب ؛ عندي ان قوله :[استجير بالله] جائز ؛ لانه بمنزلة اعوذ بالله ولا احفظ في استخير شيئا .

(مسألة) : من كتاب [النور] ، وقوله : اللهم [اني استجيرك] فجائز ، ولا يجوز اللهم [اني استشيرك] ، والاستشارة على الله لا تجوز ؛ لانها من صفات المخلوقين .

غيره قال : اذا اردت ان تستخير الله ـ تعالى ـ بقول : [استخير الله] ـ تعالى ـ ، ثم استشير الناس ، قال المؤلف [بالخاء] لا بالجيم .

(مسألة) : من كتاب [الارشاد] ، ولا يقال : انه مشغول ؛ لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [1] ؛ لأن المشغول المانع له غيره ، والله تعالى لا يمنعه كثير مما دبر من اضعافه ، وتفسير [كل يوم هو في شأن] ، أي من شأنه ان يجيب سائلا ، ويشفي مريضا ، ويغني فقيرا وما يعرف من طوله وفضله .

ولا يقال : ان الله في صناعته ، ولا هذا صناعة الله يراد به صنعه ، ولا يقال : يمس شيئا او يمسه شيء ، ولا يحل فيه شيء ولا يقرب هو من شيء قرب المسافة ، ولا يقرب منه شيء ذلك القرب ، وكذلك القول ، في البعد على هذا المعنى ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن غيره ؛ من جواب الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، وفي قول الرجل ؛ [ابد الله] ؛ ان معناه ، يخرج [ابد الله] دهر الله ، وأيام الله ، وزمان الله ، والاصل في هذا ان الأبد والزمان ، هو [الله] ـ تبارك وتعالى ـ ؛ أيجوز القول بهذا أم لا ؟ الجواب ؛ ان تارك هذا أحب اليّ ،

١ـ الآية ـ ٢٩ ـ من سورة الرحمن

ويوجد في الاثر والتفاسير ما ذكرت ، ومن التبس عليه امر كان الوقوف أولى به ، والله اعلم .

رجـــع

(مسألة) : الله ـ تعالى ـ خالق كل شيء ، ولا يجوز لأحد ان يقول ؛ هذا ولد الله ، وهذه زوجة الله ولا هؤلاء بنوه وبناته ؛ لانه خالقهم ، كما يقال : سماؤه وارضه ، وخلقه وكتبه ورسله .

ولا يقال : هذا قميص الله ولا رداؤه ولا نعله ولا خفه وما أشبه هذا ، وان كان الله ـ تعالى ـ الخالق لذلك والمالك له ، وكذلك هو خالق جميع الجوارح ، فلا يقال : هذه عين الله ولا يده ، ولا رجله ، ولا ما أشبه هذا ، ولا يجوز اضافته اليه .

ولا يجوز عليه ما استقبح ، وان كان محتمل المعنى ؛ لان القول في هذا : انما هو تسليم وامور موضوعة لا على قياس ولا تشبيه ، فلا يجوز على الله الا ما اجازه العلماء ، وحسن من أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يوصف الله بالصعود ولا النزول ، ولا يقال : حواه مكان ، ولا خلا منه مكان ، ولا فارقه مكان ، ولا لازقه مكان ، سبحانه لم يزل قبل كان فاستغنى ربنا عن المكان ، ولا يوصف الله بالقعود ولا بالقيام ، ولا الكسل ولا التواني ، ولا الخلوة ولا الفترة ، ولا السهو ولا الغفلة ، ولا الشك ولا الجهل ، ولا الندم ولا النطق ، ولا السكوت .

ولا يقال : افسد اذا خلق الفساد ، بل خلقه لجميع ما خلق صلاح منه لا فساد ، وعدل منه لا جور .

ولا يقال : جار ولا اربى ، ولا أزنى ولا أسرق ، وهو ـ تعالى ـ خلق جميع ذلك ـ سبحانه ـ ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يوصف الله بفوق ولا أسفل ، ولا صعد ولا نزل ، ولا

قعد ولا قام ، ولا استيقظ ولا نام ، ولا سها ولا غفل ، ولا لها ولا ذهل ، ولا شك ولا جهل ، ولا هوى ولا عشق ، ولا جن ولا شفق ، ولا أسف ولا ندم ، ولا وجد بعد عدم ، ولا شعر بعد جهل .

ولا يقال : يعقل ولا يقال فقيه ولا خطيب ، ولا فصيح ولا أديب ، ولا بليغ ولا اريب ، ولا شجاع ولا سخي ، ولا كامل ولا ذكي ، ولا فاضل ولا زكي ، ولا حسن ولا جميل ، ولا فطن ولا نبيل ، ولا صديق ولا خليل ، ولا شريف ولا رفيع ، ولا فهم ، ولا وقور ، ولا محب ولا وامق ، ولا ساكت ولا ناطق ولا ضاحك ولا مغتاظ ، ولا يوصف ـ سبحانه ـ بالشهوة ولا الكسل ، ولا الخلوة ولا الفزع .

ولا يقال : ان الله اربى اذ خلق الربا ، ولا أزنى اذ خلق الزنا ، ولا يقال : عاقل اذ خلق العقل ؛ لأن العقل مأخوذ من عقال البعير .

ولا يقال : سخا لأن السخا من اللين ، يقال : ارض سخاوية وقرطاس سخاوي اي لين .

ولا يقال : عزم الله لي بالخير ، ولا يقاس ربنا بأحد من خلقه ، ولا يباهى بعدد ولا بغاية وامد .

ولا يوصف بالوجه ولا الكيف ، ولا الأين ولا اليدين ، ولا الكف ولا اليمين ، ولا يقال حواه مكان ، ولا خلا منه مكان ، ولا فارقه مكان ، ولا لازقه مكان ، كان ـ سبحانه ـ قبل المكان ، وهو مستغن عن المكان ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يوصف الله بالضجر ؛ لأن الضجر في اللغة [اغتمام] فيه كلام وتضجر ، ومنه ضجر الناقة ، وهو ان تكثر الرغاء ، ويقال : انها الضجور .

ولا يوصف بالملل ولا الملال ولا السامة ، وكله واحد ، ومعناه ان يمل

شيئا ويعرض عنه ، يقال : رجل ملول وامرأة كذلك ، فان قيل : بالخبر الذي روي عن النبي ﷺ ، انه قال : «تكلفوا من الأعمال ما تيطقون فان الله لا يمل حتى تملوا» ، فان صح الخبر فان معناه : -

ان لا يغضب عليكم ، ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله والرغبة اليه مللا ، وليس بملل على الحقيقة .

ووجه ثان ، ان الله لا يمل اذا مللتم ، ومثل هذا قولك في الكلام ؛ هذا الفرس لا يفتر حتى يفتر الخيل ، يريد بذلك لا يفتر اذا فترت الخيل .

ولو كان المراد هذا ما كان له فضل عليها اذا فترت ، والمراد بهذا لا تفتر اذا فترت ، وكذلك تقول للرجل البليغ : فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه ؛ يريد لا ينقطع اذا انقطعوا ولو اراد ينقطع اذا انقطعوا لم يكن له فضل على غيره ، وقد جاء مثل هذا في الشعر كثير ؛ كقول الشاعر :

لا يملوا الشر حتى يملوا

والله اعلم .

(**مسألة**) : قال النقاش : لا يدخل في أسماء الله الحسنى كثير مما وصف نفسه - تعالى - به ، وان كان الفعل مضافا اليه دون خلقه ، فليس يدعى زارعا ولا زراعا ، وان قال : ﴿**ام نحن الزارعون**﴾(١) ، ولا يدعى ماكرا ولا مكارا ، وان كان قال : ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾(٢) ، ولا يدعى خادعا ولا خداعا ، وان كان قال : ﴿**يخادعون الله وهو خادعهم**﴾(٣) ، ولا بانيا ولا بناء ، ولا فارشا ولا ماهدا ، وان كان تعالى ، قال : ﴿**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ، والارض فرشناها فنعم الماهدون**﴾(٤) ، ولا يدعى مستقرضا ولا مشتريا ، وان كان الله - تعالى - قال : ﴿**واقرضوا الله قرضا حسنا**﴾(٥) ، وقال : ﴿**ان الله اشترى من**

---

١ - الآية - ٦٤ - من سورة الواقعة
٢ - الآية - ٥٤ - من سورة آل عمران
٣ - الآية - ١٤٢ - من سورة النساء
٤ - الآية - ٤٧ - من سورة الذاريات
٥ - الآية - ٢٠ - من سورة المزمل

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (١) ، ونحو ذلك مما يكثر احصاؤه .

ولا يقال : يا جلد ، ولا يقال : بقي فلان بين الله والشمس ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يرقي الراقي بكلام لا يعرفه لانه لا تأمين له .

ولا يقول : اخذت بكذا الا ان يقول : اخذت بالله .

ولا يقال : المستعان بالله ، ولكن يقال الله المستعان .

ولا يجوز ان يقال : ليس وراء الله منتهى ، فليس لله وراء ولا قدام .

ويكره ان يقال : لا؛ والحمد لله ، ولكن يقال لها : لا ؛ ولله الحمد

ولا يقولن احدكم ، عبدي وعبدتي ، ولكن يقول فتاي وفتاتي .

ويكره ان يقال : قوس قزح وقزح اسم شيطان ولكن يقال قوس الله .

ولا يقال : كنت في جنازة فلان ، ولكن يقال : تبعت جنازة فلان .

ولا يجوز ان يقال : ما أجرأ فلانا على الله ؛ فان الله اعز من ان يجترأ عليه ، ولكن يقال : ما أعز فلانا بالله ! ولابأس من أن يقول الانسان : ان الله عزيز في ملكه ، والله اعلم .

(مسألة) : قال بعض متعلمي هذا الزمان : انه لا يجوز لأحد أن يقول : حتى يشاء الله ، أو متى يشاء الله ، واذا شاء الله كان كذا وكذا ، واما انا فأقول : على سبيل المذاكرة انه جائز لقول الله : ﴿وما تشاؤون الا ان يشاء الله﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

---

١ - الآية - ١١١ - من سورة التوبة
٢ - الآية - ٣٠ - من سورة الانسان

والصابرين﴾ [1] ، ولعل من لم يجز ذلك ذهب الى انها مشيئة محدثة ، وليس الأمر كما ذهب اليه ؛ والله اعلم .

(مسألة) : وسألته عمن نهى عن قول [لا إله إلا الله] ان يقال : عند الزجر والبناء ، وان لا يستدل بها على شيء من امور الدنيا برأي منه ، ولا يخطىء من يأمر بها ؟ قال : لا يجوز له ذلك ؛ لانه نهى عن المعروف ، وما احقه بالبراءة عندي ؛ ولا يجوز ان يقال : الرأي لله ثم لك ، وجائز ان يقال : يا من احتجب عن خلقه بعزته وقدرته ، لا يحجب - تعالى الله - عما يفعل الظالمون علوا كبيرا ، والله أعلم .

(مسألة) : ولا يجوز أن يقال : لله لم يزل ولا يزال حتى يوصل ذلك بصفة من صفات الله ؛ لأن هذا الكلام اذا لم يوصل كان مبتورا لا معنى له ، ولكن يقال : لم يزل الله عالما ، ولا يزال عالما ، ولم يزل قادرا حتى يصح الوصف له ويكون له معنى .

ولا يجوز ان يقال : ان الله غاب عن [العيون] وحل [مكنون] ؛ الا ان يقال : غابت العيون عن نظره ، ولا يجوز ان يقال : [مكنون] .

ولا يجوز يا عماد من لا عماد له ، ويا ظل من لا ظل له ، ويا كنز من لا كنز له ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ الفقيه ناصر بن السيد ابي نبهان الخروصي ؛ وهل يجوز أن يقال في صفة الله : [وكلّتِ الابصار عن درك رؤ يته] وعجزت العقول عن تصوير كيفيته ، وحارت الافكار عن بلوغ معرفة اينيته ، وحقيقة حق معرفته ، ام لا يجوز هذا ؟ وما معنى قولهم : العجز عن الادراك ادراك ؟ تفضل لخص لي معاني ذلك ، وما يجوز منه ، وما لا يجوز يرحمك الله .

الجواب ؛ اما القول في صفة الله - تعالى - بـ [كلت الأبصار] عن درك

1- الآية - ٣١ - من سورة محمد

رؤ يته ، فلا يحسن ذلك معي ؛ لان معنى [كلّت الأبصار عن رؤ ية الشيء] تستعمل فيما هو في الحقيقة مما يرى ، ولكن [عجزت الأبصار عن رؤ يته] لدقته ، او لخفائه ، او لشدة لطف جسمه ، او للطف روحانيته ، وان قصد بذلك مما هو حق في صفة الله ـ تعالى ـ ؛ فله قصده اذا اراد ان الابصار لا تراه فلا يضره مع قصده ذلك ، واما ان يؤثره في كتاب كذلك فعلى ظاهر اللفظ يعجبني ان ينزه الباري ـ تعالى ـ عن مثل هذا اللفظ .

وأما قولك : و [عجزت العقول عن تصوير كيفيته] ؛ فهذا باطل وكفر ؛ لانه اثبت ان له كيفية ، ولكن [عجزت] العقول عن تصويرها ، وكذلك قولك : و[حارت العقول عن بلوغ معرفة اينيته] ؛ فهذا باطل لا يجوز ؛ لانه اثبت ان له اينية ، وانما حارت العقول عن معرفتها في أي موضع هي ، وكذلك قولك ، وحقيقة معرفته ان العقول حارت عن معرفة حقيقة معرفته فلا يحسن ذلك ؛ لأن العقول عرفت الله ـ تعالى ـ بحقيقة معرفته .

واذا كانت العقول لم تعرف حقيقة معرفة الله ؛ دل على ان الله ـ تعالى ـ ليس هو كما هو ، كما وصفته العقول ، انه رب كريم عظيم ، وانه هو الاله ، وانه لا إله إلا هو ، وهكذا الى جميع صفاته التي وصفه بها الملائكة ، والرسل ، والأنبياء ، والأولياء ، ولم تقم الحجة من العقل بمعرفته متى عرف صفة من صفاته ، وهذا باطل الا اذا أراد بذلك معرفة ذاته ، ولكن اطلاق اللفظ يأتي على المعنيين ، فلذلك قلنا : انه لا يحسن ذلك في وصف الله تعالى .

وأما معنى قول النبي ﷺ : «العجز عن الادراك هو الادراك» ؛ فلذلك معان جمة يطول بشرح بيانها الجواب ومن معانيه :

ان المعرفة بانه لا يمكن ان يعرف ذات الله ـ تعالى ـ الا الله ـ جل وعلا ـ وانه هو شيء لا يرى ، ولا يمكن ان يكون شيء يراه ، كما لا يمكن ان يكون شيء مثله ، وانه كان بلا بداية ، ولا شيء غيره موجود قبل ان توجد

الموجودات ، لا زمان ولا وقت مضى عليه كذلك غير موجود غيره ؛ لان الوقت هو خلق من خلقه والتفكر في هذا يحير العقل ؛ لانه كان ولا زمان ولا مدة مضت عليه .

والاقرار بهذا في صفة الله ـ تعالى ـ هو الادراك ، اي هو المعرفة به وهو حقيقة المعرفة ليس حقيقة المعرفة به ان يوصف ان ذاته تدرك بالبصر ، وان يعرف ان الله كان موجودا قبل ان يخلق الخلائق ، فما يقال لذلك الوقت او الزمان الذي مضى عليه فليس الادراك في حقه ـ تعالى ـ معرفة ذلك ؛ لأن ذلك من الباطل في صفة الله ـ تعالى ـ ، فلا يوصف بوقت كان فيه ، ولا مضى عليه ، ولا يمضي عليه الزمان ايضا بعدما خلقه .

فصفات الله ـ تعالى ـ لا تختلف ، ولا يصح أن يكون الباطل معرفة وعلما وحقا ، وقد قال النبي ﷺ : «كان الله في عمى ولم يزل في عمى» ؛ أي عجزت العقول عن ادراك معرفة ذلك ، وصح ان الحق في معرفته وادراك معرفته ان ينزه عن ذلك ، اي انه شيء لا يرى ، وانه لا يمضي عليه زمان ، وانه ليس كمثله شيء الى غير ذلك من المعاني ، فلم تعجز العقول عن الادراك بهذه المعرفة ، اي لا يعرف ذات الله الا الله .

ولا يقال مع ذلك : ان العقول عجزت عن معرفته ؛ لأن العجز عن ادراك ذلك هو حقيقة معرفته ، فقد عرفت العقول بارئها بحقيقة المعرفة التي لا شك فيها انه هو كذلك كما عرفته ووصفته ؛ لان الله هو الذي علمهم بتوحيده ، وعلم الناس أنبياؤه ورسله ، وخلق العقول ، وخلق الخلائق ما تعرف العقول بها معرفة الله بحقيقة التوحيد ، فاعرف ذلك .

وقال في موضع آخر : ان في عزيمة [السباسب] ؛ وعجزت العقول عن تكييف كيفية ذاته ، فهذا وصف باطل انه اثبت ان له كيفية ، ولكن عجزت العقول عن معرفة تكييفها ، ولم ادر ان فيها أو لا :[وعجزت العقول عن معرفة صفاته] ، وهذا ايضا باطل ؛ لأن العقول عرفت صفاته حقيقة كما علمها الله ـ تعالى ـ بمعرفته ، ولو صح هذا لثبت ان جميع صفات الله التي

عرفناه بها ليس هو كذلك ، فيكون هو الكفر العظيم بالله ـ تعالى ـ .

وكذلك لو قال احد : و[عجزت العقول عن الاحاطة بجميع صفاته] هو باطل ؛ لأن كلمة [جميع] تأتي على الشيء الذي له نهاية ، ولا نهاية لصفات الله ـ تعالى ـ ، وان كانت صفات الله في العلم ، والسمع ، والبصر ، وغير ذلك ، بخلاف صفات المخلوقين ، وليس هي على ما يتصور في عقول العامة ، واما العلماء بالله فقد عرفت انه هو كذلك ، فوصفوه بالوصف الحقيقي ، والله اعلم .

(مسألة) : من كتاب [الارشاد] في [العلي الأعلى] ؛ قال : يريد بذلك رفع المقدار ، وارتفاع المنزلة ، لا يجوز انه يريد في مكان رفيع ، وانما يريد رفع المنزلة والشأن .

(مسألة) : ولا يجوز في صفة الله ـ سبحانه ـ قبل ولا بعد ، وهو قبل القبل بلا ابتداء ، وبعد البعد بلا انتهاء ، والقبل والبعد مخلوقان ، وقبل وبعد اذا قطعتا عن الاضافة بنينا على الضم ، وجعلتا غاية لتمام الكلام عندهما ، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾(١) ؛ فبنيتا على الضم ؛ لانها قطعتا عن الاضافة ، وتقدير الكلام ، [لله الأمر من قبل غلبة الروم وبعدها] .

فان سأل سائل عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ (٢) ، ونحن لا نجيز في حق الله ـ سبحانه ـ [قبل وبعد] ؟ قلنا له : انما معنى ذلك فبأي حديث بعد حديث الله ، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون﴾(٣) ، وهذا مما حذف فيه المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ، وهو في القرآن كثير ، والله اعلم .

فصـــل ؛ فيما يجوز أن يوصف الله من المباحث ، ولا يجوز أن يوصف

١- الآية ـ ٤ ـ من سورة الروم
٢- الآية ـ ٦ـ سورة الجاثية
٣- الآية ـ ٥٩ ـ من سورة النجم

الله بخمسة أشياء وهي : كيف ، وأين ، وحيث ، ولو ، ولم .

فمن وصفه وذكره [بكيف] ، فقد طلب له عيانا ، ومن وصفه أو ذكره [بأين] ، فقد طلب له مكانا ، ومن وصفه وذكره [بحيث] ، فقد اثبت له حلولا واستمكانا ، ومن وصفه [بلم] ، فقد سأله عن فعله ، وانه تعالى لا يجوز ان يسأل عن فعله ؛ لانه - تعالى - : ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ (١) ، والله اعلم .

فصـــل ؛ ولا يجوز على الله - سبحانه وتعالى - السؤال [بكيف] فيقال : كيف هو ؟ ولا كيف له ؟ والكيف عن حال ، ولا يوصف بحال ، ولا حال له ، وهو خالق الأحوال ، والأمكنة والأزمنة .

فاذا قلت كيف فلان ؟ فانما سألت عن حاله ، فيقال لك : ابيض أو أسود ، أو حي أو ميت ، أو صحيح أو مريض ، أو غني أو فقير .

وقد قالوا : ان السؤال كله عن سبعة أشياء :

أولها السؤال بهل ؛ هو لانك انما تسأل اولا عن عدم الشيء ووجوده ، وجوابه موجود ومعدوم ، فان قال : [معدوم] فقد بطل ، وان قال : [موجود] فحينئذ تسأل بما هو ؟ وانما يسأل بها عن الجنس خاصة ، فتقول ما هو ؟ تعني أي جنس هو ؟ فيقال : انه محدث ، جسم ، حيوان ، عرض ، عن حركة وسكون .

فاذا سأل بما هو ؛ فانما يسأل عن انسان خاصة ، فيقال له عربي ، تركي ، أب ، أخ ، ابن .

فاذا سأل [بأي] ؛ فانما سأل عن قصد واشارة ، فيقال له : هذا وذاك .

فاذا سأل عن [كم هو] ؛ فانما سأل عن عدد ، فيقال له : واحد ،

---

١ - الآية - ٢٣ - من سورة الانبياء

اثنان ، ثلاثة .

فاذا سأل [كيف] فانما سأل عن حال وصفة ، فيقال له ، حي أو ميت ، أبيض أسود ، حلو حامض .

فان سأل عن [أين] ؛ فانما سأل عن مكان ، فيقال له : كان في مكان كذا وكذا ، بالمشرق أو بالمغرب ، أو بمكة او بالمدينة .

فان سأل [لِمَ كان] ؛ فانما سأل عن علة ، فيقال له : كان لعلة كذا وكذا .

فاذا سأل [بمتى] ؛ فانما سأل عن زمان ماض ، أو مستقبل ، فيقال له : كان في الأمس ، يكون غدا ، وترتيبها : -

هـل ؛ سؤال عن معدوم أو موجود .

مـا ؛ سؤال عن جنس .

مـن ؛ سؤال عن نسب .

أي ؛ سؤال عن قصد واشارة .

كيف ؛ سؤال عن حال .

أيـن ؛ سؤال عن مكان .

متـى ؛ سؤال عن زمان .

كـم ؛ سؤال عن عدد .

لِـمَ ؛ سؤال عن علة .

ولكل واحدة من هذه الاسئلة جواب لا يشبه جواب صاحبه ، وكلها في حق الله ـ سبحانه ـ باطلة .

ومن قال كيف لله شبه ؟ وجوابه ان يقال له : لا كيف لله سبحانه ، والكيف عنده باطل ، وكذلك لا يجوز عليه حتام ؟ ومعناه ؛ [الى متى] .

وحتام ؛ سؤال عن غاية ونهاية ، ولا غاية لله سبحانه ولا نهاية وهو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، تقول في المخلوق حتام ؟ ، تسأل عن كذا وكذا ، وحتام؟ تذكر كذا وكذا ؛ ومعناه اين الغاية التي تنتهي اليها في سؤالك ؟ والله اعلم .

(مسألة) : ولا يجوز السؤال (بأين) الا فيمن كانت له غاية ونهاية ، وكان في مكان دون مكان ، فيقول (اين هو) ؟ تعني في الامكنة هو ؟ والمعلوم بالضرورة ان من كان في مكان دون مكان ، فهو ذو نهاية ومتحيز ، وله ست جهات ، امام ، وخلف ، وفوق ، وتحت ، ويمين ، وشمال ، وما والى منه المشرق فهو غير ما والى منه المغرب ، وما والى منه السماء غير ما والى الارض .

ومعلوم ان له مغيرا غيره ، ومجزئا جزأه وجعل منه الجزء غير هذا ، وجعل له غاية ينتهي اليها من جهة الفوق ، وغاية ينتهي اليها من جهة السفل ، واخرى من امامه ، واخرى من خلفه ، واخرى من يمينه ، واخرى من شماله ، والله ـ سبحانه ـ يتعالى عن هذه الصفات ، وهذه الجهات ، ولا يوصف بشيء منها ، وهي كلها جهات الجسم وخواصه ؛ لأن جهات الاجسام التحيز والتقدير ، والطول والعرض والتحيز لا ينفك عن الجهات الست ، ولا عن التربيع والتثليث ، والجهات الست لازمة لجميع الاجسام ، وقاضية بحدوث الاجسام اذ العقول كلها شاهدة بوجود الجهات قبل وجود الموجود المتحيز ، ولولا سبق الجهات لما فهم التحيز ، والله اعلم ، انقضى .

وقال الشيخ فتح بن نوح المغربي :

فتسع سؤالات عن الله فانفها	سأجمعها في البيت نظما على ضمن
فهل ما من اي اين كيف متى لم	وتاسعها كم فاحترز وتفطن
لكل سؤال صيغة غير اختها	وليس مرادي بالاطالة في الفن

فصل ؛ من تفسير هذه القصيدة ، فان قال قائل : ما هيئة السؤال ؟ قيل له الاستخبار كما ان هيئة الجواب مقابلة استحقاق السؤال ، وكيفية الاخبار والسؤال فيما زعموا ينقسم قسمين سؤال حجر وسؤال تعريض .

فسؤال حجر عندهم كمثل سؤال السائل عن العالم ، أمحدث هو أم قديم ؟ كأنه حجر على المجيب الا يجيب الا باحد الأمرين اما بقديم واما بمحدث ، وسؤاله عن الحركة ، اشيء هي أم غير شيء ؟

القسم الثاني ؛ اذا سأل عن الدليل على حدوث العالم ، فللمجيب ان يأتي بأي دليل شاء ، وليس للسائل ان يحصره على دليل مخصوص ، فكأنه فوض اليه الجواب .

وقسمه آخرون على خمسة فقالوا :

سؤال فائدة ، وسؤال تعنيت ، وسؤال استفهام ، وسؤال تقرير ، وسؤال الاجلال ، ومثل هذا من المعاني ، فكأنهم عبروا عن العلة التي لها سأل السائل ، اما ان يسأل ، أو ليستفهم ، أو ليعنت ، وليس هذا الوجه من اقسام السؤال ، وانما هو من اقسام العلة التي لها سأل السائل .

وقالوا في كل سؤال ساقط انما يسقط من خمسة اشياء من تناقض أو اضطراب أو اثبات أو جمع بين سؤالين ، أو دخول السؤال تحت المحال .

فالتناقض من السؤال ؛ ما ناقض اوله آخره وآخره اوله ، مثل : ان يثبت في اول السؤال ما ينفيه في آخره ، أو ينفي في اوله شيئا ثم يوجبه في آخره ، كمثل سؤال السائل ، اذا كانت الاشياء محدثة ، فما الدليل على قدمها ؟ أو يقول : اذا كان العرض غير باق ، فما الدليل على بقائه ؟ أو يقول : ما العلة في بقائه ؟ والاضطراب ان يقول : ما العلة التي لها صار المحدث جسما ؟ ويقول : صار العرض حركة فيدخل الاعم في الاخص .

والاثبات ان يسأل السائل عن كون الحركة والمسئول ممن لا يثبت رؤية

الحركة ، أو يسأل عن كل وجه لا يقر به المسئول فيطلب السائل فيه زيادة معنى ، والسائل يطلب الفرع ، والمسئول لا يقر بالاصل ، والجمع بين سؤالين ، ان يسأل عن الحركة والسكون دفعة واحدة ، فيطلب فيهما جوابا واحدا ودليلا واحدا ، في وجه افترقت الحركة مع السكون ، أو يقول : ما العلة التي لها صار الجسم والعرض جسما وعرضا ؟ فيطلب لها علة واحدة ، وهما في الحقيقة علتان ، ودخول السؤال تحت المحال ، فهو ان يقول السائل : هل يقدر الله ان يجعل الانسان حيا ، ميتا ، وناطقا صامتا ، في حال واحدة ؟ فزعموا ان السؤال المساقط كله من هذه الوجوه الخمسة .

فصل ؛ والسؤال فيما لا يسع الناس جهله ولا يسعهم تركه فرض لازم ، لقوله تعالى : **﴿فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾**[1] ، وقال رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل محتلم» ، وبلغنا ان خلف بن زياد البحراني لما نشأ فوجد الناس مختلفين ، قال : ان لله دينا تعبد به عباده ، لا يعذرهم بجهلهم ، ولا يشك فيه ، فخرج يطلب ما كلف ، فكلما لقي فقيها أو منسوبا اليه العلم سأله عن اعتقاده ، فاذا اخبره عن مذهبه قال : الحق غير هذا ، حتى لقي ابا عبيدة مسلم بن ابي كريمة ، فكلما سأله عن شيء اخبره ، وعرف ان الحق ما قال ابوعبيدة ، قال : هذا دين الله الذي تعبد به عباده .

والسؤال نصف العلم ، وقيل : العلم كله ، والمعنى في ذلك ان ؛ السؤال سبب العلم ومفتاحه ، وليس السؤال نفسه علما لأن الله تعالى قال : **﴿فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾** ، فقال : انهم لا يعلمون مع انهم سائلون .

فصل ؛ ولا يجوز السؤال عن الله ـ تعالى ـ بالاسئلة المذكورة ، انما يجري على المحدث المخلوق .

---

١ ـ الآية ـ ٤٣ ـ من سورة النحل

فمن قال : (اين) الله ؟ فقد حده ؛ لأن الأين هو المكان .

ومن قال : (الى متى) فقد ناهاه ؛ اي جعل له نهاية .

ومن قال : كيف الله ؟ فقد شبهه .

ومن قال : متى ؟ فقد وقته ؛ لأن (متى) سؤال عن زمان الانقضاء .

ومن قال : (كم) فقد عده ، تعالى الله عن الانعداد والانقسام .

ومن قال : [لم] ؛ فقد أعله .

ومن قال : (حتام) فقد جزأه ، ومن جزأه فقد بعضه ، ومن بعضه ، فقد الحد فيه ، ومن الحد فيه فقد اشرك به .

وعن ابي علي انه قال : من شبه الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد ناهاه ، ومن ناهاه ، فقد ابطله ، ومن ابطله فقد حيثه ، ومن حيثه فقد كيفه ؛ تعالى الله رب العالمين ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

فصل ؛ ولا يجوز (متى) ولا (الى متى) في شيء من صفاته ولا اسمائه ، ولا يجوز (متى علم) ولا (متى قدر) ولا (متى) كان عالما ، أو قادرا ، اومريدا ، ويجوز ذلك على الافعال ، متى خلق ، ومتى رزق ، ومتى فعل ، وكذلك الى متى ؛ لأن الخلق له نهاية في الحدوث والانقضاء .

واما ان يقال : الله ـ عز وجل ـ متى كان خالقا ، ومتى كان رازقا وفاعلا ، او محييا أو مميتا ، فغير جائز ؛ لأنه عنده اسماؤه على ما سيأتي في موضعه ان شاء الله . انقضى الذي من تفسير القصيدة .

(مسألة) : ولا يجوز في شيء من صفات الذات (لم كان) لا يجوز ان يقال : (لم علم الله) و(متى علم الله) وكذلك (لو) قدر الله و(متى) قدر الله ، وكذلك (لم اراد الله هذا) غير جائز في صفات الذات اجمع .

واما في الافعال فجائز ان يقال : لم امر الله ، ولم نهى الله ، ولم اثاب

الله ، ولم عاقب ، فيقال : لمصالح العباد ، ولم يجز ذلك محمد بن محبوب ، والله اعلم بالأصح .

قال المؤلف : لم في الافعال جائز اذا طلب السائل بذلك الهداية والبيان ، واذا كان على وجه الانكار لم يجز ذلك ، والله اعلم .

(مسألة) : ولا يقال : ان الله حيث كان ، لان (حيث) في مكان معلوم ، ولكنه يقال : بكل مكان تدبيره ، ولا يقال كان الله ولا شيء ، ولكنه يقال : لم يزل الله ولا شيء .

ولا يقال (لم) فعل ربنا كذا وكذا لانه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فلا يجوز فيه كان ، ولا ما ، ولا اين ، ولا حيث ؛ لأن كل ما يجوز فيه الأين فهو مكان والمكان اقوى منه ، لان المكان يحمله ، والحامل اقوى من المحمول .

(مسألة) : من كتاب من كتب بعض قومنا ، فيه رد عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان ، قال : والمكون حادث بحدوث التعلق ، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها ، لكون تعلقاتها حادثة .

قوله : (هو غير المكون) عندنا ؛ لأن الفعل يغاير المفعول بالضرورة كالاكل مع المأكول ، والضرب مع المضروب ، قال الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي ، اراد ان التكوين غير المكون ؛ لأن التكوين هو الفعل(٤٧) والمكون هو المفعول ، والخلاف بين المتكلمين ان التكوين هو من صفات الله القديمة ، أو هو صفة حادثة حين كون .

فقال بعضهم : لا يصدق القول : ان الله ـ تعالى ـ لم يزل مكونا قبل ان يكون شيئا ، وانما يصدق هذه الصفة التي هي صفة التكوين حين كون وقاسه ؛ (يضرب زيد محمدا) فلا يصدق هذه الصفة ان (زيدا ضرب محمدا) الا بعد ان يضربه .

وقال بعضهم : هذا باطل في صفات الله تعالى ؛ لأن الله لا يريد ذاته وصفا بمخلوقاته ، وان التكوين لا يقاس بالضرب ، بل يصح ان يقاس مثلا فيمن عزم على نظم قصيدة في النحو ، واقام اياما قبل شروعه في النظم تفكر في ترتيب ابواب النحو وما يحسن ان يقدم من ابوابه ، وما يؤخر ، فقال : هذا ينظم في النحو ، وهذا ناظم في النحو ، والمعنى قاصد ان ينظم فيه وقادر على أما اراده ، والمعنى ؛ انه قاصد نظمه وعارف بالنظم وبالنحو ، ومستطيع على ما اراده وعلمه بما سيكونه ، وقدرته على ذلك من صفات ذاته ، والفعل من صفات افعال ذاته ، واذا جاز وثبت هذا في مخلوق ، يمكن كون ما قصده ، ويمكن ان لا يكون ، فكيف لا يوصف الله تعالى بصفة افعاله التي سيفعلها لا محالة ، فاعرف ذلك .

(مسألة) : ومن كتاب [البحر الزخار] ؛ وهو قادر على ما يعلم انه لا يكون ، النظام وبعض المجبرة ؛ لا ، قلنا من جنس المقدور ، ومن قدر على جنس ، قدر على جنس ضده .

فرع ؛ لو قدرنا وجود ما علم الله انه لا يوجد ، هل يكشف عن الجهل البهشمية ؟ احيل السؤال فلا يجاب (بلا ولا بنعم) ، اذ بأيهما أجيب نقض اصلا قد تقرر ، فيقال : لا يتعذر البغدادية ، بل يتبع التقدير ، تقدير انه علم انه سيوجد ، قلنا : الفرض .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : لا شيء لا يكون في علم الله الا ما اراده هو انه لا يكون ، ولو قال : ما علم انه مستحيل كونه مثلا : ان يخلق الله مثله ، فهو من المستحيل ، وان يخلق الله خلقا يمكن ان يراه فهو من المستحيل ، ولا يكون الله يوصفه عزا بذلك ؛ لانه متوحد بالتوحيد ، فلو امكن ذلك لكان يشبه خلقه ، اذ كل مخلوق يمكن ان يخلق مثله .

وقال في موضع آخر . كل صفة لله متى خطرت على قلب عاقل وفهم معناها قامت عليه الحجة من عقله ان يصف الله ـ تعالى ـ بها ، وكل مستحيل ان ينزه الله عنه ، وحقيقة معرفة الله بالاستدلال والدليل قائم ، والاستدلال

به واضح ، ومعرفة الله تقع ضروريا .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ ويصح ان يعلم الله على وجه ، ويجهل من وجه الا عن الصالحي ؛ وفي صحة علم قادر به مع جهل كونه حيا خلاف ؛ الأصح يصح لاحتياجه الى تأمل .

قال غيره : ان صفات الله متى خطر منها شيء على بال العاقل ، وعرف معناها ، لم يصح أنه يمكن ان لا يعرف الحق في ذلك ؛ لأن صفاته مما تقوم الحجة بمعرفتها من العقل ، فكيف يصح الامكان فيها بان تجهل ؟ ولو امكن لم تكن جميع صفاته مما تقوم الحجة بمعرفتها من العقل مهما خطر شيء منها ببال المرء وعرف ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : الوصف والصفة ؛ عبارة عن قول الواصف ، وعن بعضهم : بل الصفة لمعنى في الموصوف .

قلنا اجماع اهل اللغة ان الوصف والصفة واحد كالوعد والعدة والوصف قول .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : الوصف هو وصف الواصف ، والصفة قد تطلق على صفة الواصف والموصوف ، بتلك الصفة : هي حالة فيه قد تطلق عليها اسم الصفة ولو لم يصفه احد ؛ لأنه متى قام ولم يصف احد قيامه فصفة القيام فيه ، وهذا مما يجوز جهل علمه ، والغلط فيه غير آثم ، والاختلاف فيه لا بأس به .

رجـع ؛ وقال في موضع آخر : لا يقال : قبل ان يخلق الله الخلق وقت او زمان مضى لم يخلق خلقا ، لانه هو الذي خلق الزمان والوقت والمدة كان الله ولا زمان معه ، ولا وقت ولا مدة ، والتفكر في هذا منهي عنه ؛ قوله ﷺ

«تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله» .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ ويوصف بانه اول وسابق ، واسبق في الازل لا لاقضائه الاشراك كأفضل من عمرو ، قلت : وهو قوي .

قال الشيخ ناصر بن جاعد : يوصف الله بانه اول ، وآخر ، ووصفه بانه قديم فيه اختلاف ، وترخص بعضهم في شرح التوحيد لاجل فهمه ، واما انه من اسمائه فلا ، واما سابق واسبق ، فلا يسمى كذلك ، واما ان يوصف بذلك باضافة على الوجه الجائز فجائز ، وأما بغير اضافة نحو ان يقال : ان الله هو السابق ، وهو الاسبق فلا .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ، وكونه سميعا بصيرا فمعناه حي لا آفة به .

قال غيره : السميع والبصير والعليم معنى هذه الاسماء متقارب يؤ ول الى انه عليم .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ، ويوصف بانه دليل اي فاعله ؛ ابو هاشم (لا) قلنا : يا دليل المتحيرين .

قال الشيخ ناصر بن جاعد : لا يسمى الله الدليل وانما يوصف به مع اضافة نحو يا دليل المتحيرين .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ الحاكم ، ولا يسمى صبورا عندنا ، وجوزه بعضهم ، قلنا : هو احتمال المكاره واستعماله ، بمعنى حليم ، مجاز يفتقر الى

اذن ، قال غيره لا يسمى صبورا .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه (البصرية) : وانما يقبح الفعل لوقوعه على وجه من كونه ظلما او كذبا أو مفسدة ، اذ متى علمناه كذلك علمنا قبحه ، وان جهلنا ما جهلنا ومتى لا ، فلا ، وان علمنا ما علمنا ؛ الاشعرية : بل للنهي . قال غيره : وهذا يجوز جهل علمه والاختلاف فيه ، ان القبيح صار قبيحا للنهي ، أو اصله قبيح ، فان ذبح الدواب قبيح ، وحين اباحه الشرع صار غير قبيح ، وحين جاز تزويج الاربع فغير قبيح فيما زاد عن الاربع ، وحين حرمه الشرع صار قبيحا ، والظلم قبيح اصله ، فصارت الاشياء لا على وجه واحد في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : قلنا قد يستقبحه من لم يعلم النهي كالملحدة سلمنا لزم ان يحسن الحسن للامر ، قد استحسن من الله حسن بعض المجبرة ، بل لكونه الفاعل مملوكا مربوبا ، قلنا : يعلمه من لا يعلم ذلك البغدادية ، بل لعينه قلنا : يقبح ويحسن والعين واحدة كالسجود لله وللصنم ؛ الاخشدية ، بل للارادة ، قلنا : يقبح الظلم وان لم يرد .

(مسـألة) : ابو هاشم ، ووجه قبح القبيح الشرعي كالزنا ، وترك الصلاة كونه مفسدة .

ابو علي : بل تركه مصلحة .

قلنا : فيلزم تعيين تلك المصلحة اذ هي المقصودة ، ولم يعين بل عين المحرم فاقتضى كونه مفسدة .

فـرع ؛ البصرية ، وقبح الزنا سمعي ، بل عقلي قلنا : لا ضرر فيه ، فاقتضى العقل حسنه .

(مسألة) : ويحسن العفو منا ومنه ـ تعالى ـ لوقوعه على وجه الاشعرية ، بل يحسن منه الانتفاء النهي ، قلنا : فلزم ان يحسن منه الكذب وبعثه الكاذبين .

قال غيره : اما العفو عمن يظلم الناس من الملك فغير محمود ، واما في طاعته فيما امر أو نهى فعفوه عمن تمرد عليه وطغى ، ولم يأته معتذرا بل مصرا فليس بمحمود ، بل غير محمود الا من جاء اليه تائبا ، فكذلك الله ـ تعالى ـ واما قوله : الذي اليه الأمر لا فعل كذا من فعل كذا ، فان كان في نفسه لا يفعل فذلك من صفات الكذب ، وكذلك وصف الله بذلك انه يقول : انه سيفعل كذا ولا يفعله ، فهو من صفات الكذب تعالى الله ان يجوز وصفه بالكذب .

رجـــع

(مسألة) : الاكثر وهو قادر على فعل القبيح ، (النظام والجاحظ والاسواري والمجبرة) ، ولا يوصف بذلك قلنا له يمنع للحكمة لا للعجز اذ هو من جنس المقدورات .

قال غيره : لا يقال يفعل الله القبيح ، ولكن يقال يخلق الله القبيح ، كأبليس والشياطين هم قباح وخلقه لهم من فعله .

رجـــع

(مسألة) : ومنه ، ويريد كل افعاله سواء الارادة والكراهة ومن فعل غيره كالطاعات .

ابو علي وابو هاشم : لا المباح ولا المعاصي .

ابو القاسم البلخي ؛ بل اراد المباح وامر به وكلف به .

قلنا انما يريد ما يفعله على تركه من به اذ لا وجه لارادة غيره .

المجبرة ؛ بل مريد لكل واقع .

قلنا : ارادة القبيح قبيحة ولنهيه ، وقوله ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾[1] ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾[2] .

قال غيره : لا يجوز ان يكون شيء لم يرد الله ان يكون ؛ لانه يصير بذلك مغلوبا ممن كان منه اراد الكفر ان يكون من الكافر ليعذبه عليه حين اراده ، واختاره بنفسه ، واراد الطاعة ان تكون من الطائع حين ارادها الطائع ، والكراهة غير الارادة ، والمشيئة ، وكذلك المحبة غير الارادة والمشيئة ، والارادة سواء في المعنى .

وقوله : ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ ، فليس على هذا المعنى ، بل معناه ؛ والله لا يريد ظلما للعباد في تعذيبهم زيادة لهم فوق ما هم اهل له ، بل عقابهم كذلك هم اهل لذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ابو علي : ولا يريد اكل اهل الجنة وشربهم لاباحته ، وان اراد اثابتهم .

ابو هاشم : يجوز اذ فيه كمال النعمة اذا علموه ، ولقوله : ﴿كلوا واشربوا﴾[3] ، قال غيره : ما هو كائن وما سيكون فبارادته ، وهو المكون لذلك .

رجـــع

(مسـألـة) : والرضى والسخط والـولايـة والمحبـة بمعنى الارادة والكراهة ، فلا يقال : ساخط فيها لم يزل .

وقال سليمان بن حرير : بل ساخط فيها لم يزل على من علم انه سيعصى .

١- الآية ـ ٣١ ـ من سورة غافر
٢- الآية ـ ٣٨ ـ من سورة الاسراء
٣- الآية ـ ٣٢ ـ من سورة الاعراف

قلنا : السخط ارادة الاهانة والعقوبة . قال غيره والصواب ما قاله سليمان ؛ لان علمه بالذي يسخط عليه ويعاقبه ، ازلي غير حادث ، فليس شيء من صفات الله حادثة لسبب مخلوقاته ، لانه لم يزل عالما لما يخلقه للذي يسخط عليه ، وسخطه هو عقابه .

فصل في صفات الذات ؛ من كتب بعض (اهل المغرب) : واما صفات الذات التي لم يزل ربنا موصوفا بها في الأزل والحال ، فكالقدم ، والحياة ، والعلم والقدرة ، والارادة والكلام ، والسمع والبصر ، والعزة والعظمة والكبرياء ، والعلو ، والاولية والاخروية ، في امثالها من صفات الذات التي لم يزل موصوفا بها في الازل والحال ؛ اذ لو حدث القدم لاتصف قبله بالحدوث ، ولو حدثت الحياة لا تصف قبلها بالموت ، ولو حدث العلم لا تصف قبله بالجهل ، ولو حدثت القدرة لا تصف قبلها بالعجز ، ولو حدثت الارادة لا تصف قبلها بالاستكراه ، ولو حدث السمع لا تصف قبله بالصم ، ولو حدث البصر لا تصف قبله بالعمى ، ولو حدثت العزة لا تصف قبلها بالذلة ، ولو حدثت العظمة لا تصف قبلها بالصغر ؛ في امثالها من النقائض(٥٤) ؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ؛لأن من لم يكن قديما فهو محدث ، ومن لم يكن حيا فهو ميت ، ومن لم يكن عالما فهو جاهل ، ومن لم يكن قادرا فهو عاجز ، ومن لم يكن سميعا فهو اصم ، ومن لم يكن بصيرا فهو اعمى ؛ في امثال ما قدمنا ذكره وما شاكله من جميع صفات الذات ـ تعالى ربنا ـ عن الآفات علوا كبيرا .

فهذه صفات الله تعالى في ذاته وصفاته عندنا كلها ذاتية ، وانما وقع الكل ها هنا على الالفاظ لا على الموصوف ، وصفاته ـ جل وعلا ـ ؛ لأنه متصف بالقدرة على الخلق قبل وجوده .

فصل ؛ وذهبت الاشعرية فيما بلغنا عنهم ، الى ان ؛ صفات الله ـ عز وجل ـ غيره ، واثبتوها . معاني قديمة قائمة بالذات ، متغايرة بينها البين ، وزعموا ايضا ان الله ـ تعالى ـ بمقتضى هذه المعاني كان موصوفا ، فبالعلم كان

عالما ، وبالقدرة كان قادرا ، في سائرها من الصفات عندنا وهي معان عندهم .

وزعموا ايضا ان الأمر والنهي والكلام في سائر كتب الله المنزلة ؛ انها من المعاني القديمة القائمة بالذات عندهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ؛ وذلك انهم لما سمعوا بذكر العلم والقدرة والارادة ، وسائر الصفات ، فقالوا : هذه اشياء مختلفة المعاني ، متغايرة الأوصاف ، يجوز على بعض ما لا يجوز على بعض ، فليس ينبغي ان تكون كلها معنى واحدا .

زعموا ؛ فضلوا بذلك وضاهوا اقوال اليعقوبية من النصارى ، حين زعموا ان الله ـ عز وجل ـ ثلاثة أقانيم ذات جوهر واحد ، وكذلك الناكثة لما سمعت بذكر الصفة والصفات ، والاسم والاسماء ، فقالوا : لا بد ها هنا من العدد ؛ والعدد عن الله منفي ، فقالوا بهذه العلة : ان الصفة والصفات ، والاسم والاسماء هي ما يوجد من وصف الواصفين ، وتسمية المسمين والفاظهم وعبارتهم ، فذهبوا عن الحق كذهاب الأشعرية عنه ، ولم يعتبروا باجمعهم ان الافراد والاجماع ، والتأنيث والتذكير ، واقعة على الوصف والتسمية لا على الاسم والصفة .

فصل ؛ قال اصحابنا : ـ رحمهم الله ـ فيما وجدت في آثارهم : ان الفرق بين صفات الله في ذاته وصفاته وفعله ، انك تقول ، في صفة الذات : لم يزل الله عالما بما يكون قبل ان يكون ، ولم يزل قادرا على تكوين ما يكون قبل ان يكون ، ولم يزل مريدا ان يكون ما علم انه سيكون ، وكذلك سميع اي ليس باصم ، بصير ليس باعمى في امثالهم من صفات الذات .

وصفاته فيما فعل انك تقول : لم يزل الله خالقا على ان سيخلق ورازقا على ان سيرزق ، وساخطا على ان سيسخط ، وراضيا على ان سيرضى في سائر صفاته في فعله ، ولو كان الله ـ عز وجل ـ لا يتسمى الا ما كان ، فلا يجوز ان يتسمى باعث الموتى ؛ لانه لم يبعثهم بعد ، وكذلك مثيبا ومعاقبا ومحاسبا ، وانما جاز ذلك ؛ لانه صفة لم يزل بها عند نفسه ، ولم يحدث بتكوين الاشياء .

وذكر محمد بن عيسى العماني الملقب ببرغوث ، في كتابه : ان الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل ، انك تقول في صفة الفعل : يرزق فلانا ولا يرزق فلانا ، ويعفو عن فلان ولا يعفو عن فلان ، وكذلك يرحم ويعذب ، ويثيب ويخلق ، وقد كان قبل الخلق لا يخلق ؛ وهو القادر على ان يخلق .

قال : وكل صفة ثبتت وضدها في الوجود فهي من صفات الفعل ، كقولك : يعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، قال : ولا يجوز ان تقول : يعلم كذا ولا يعلم كذا ، ويقدر على كذا ولا يقدر على كذا ؛ لأن ذلك يؤ ول الى الجهل والعجز .

قال آخر ؛ تقول : الله ارحمني وارزقني واغفر لي ولا تقول : اللهم اعلمني أعلم واقدر ، وكن ربا وعزيزا في امثالها .

قال : وكل صفة توجد وضدها فهي صفة فعل ، كقوله يعادي ويوالي ، ويحب ويبغض ؛ في امثالها ، وذلك انه قسم الصفات في كتابه ثلاثة اقسام .

صفات ذاتية ، وصفات فعلية ، وصفات مشتركة .

قال : فكل صفة تنفي عن الله ضدها فهي صفة ذات ، كالعلم والقدرة وسائرها .

قال : وكل صفة ثبتت هي وضدها فهي صفة فعل ، كالاحياء والاماتة ، والحب والبغض ، والقبض والبسط ، والولاية والعداوة ، في امثالها .

وكل صفة تحتمل معنيين فهي مشتركة ، الله حكيم على نفي العبث فهذه صفة ذات وحكيم ، على انه يضع الاشياء مواضعها ؛ قال : فهذه صفة فعل ، وكذلك صادق على نفي الكذب صفة ذات ، وصادق مخبر بالصدق

صفة فعل ، وحليم بمعنى عليم صفة ذات ، وبمعنى لا يعجل العقوبة صفة فعل ، وسميع على نفي الصم صفة ذات ، وبمعنى يقبل الدعاء صفة فعل ، وكذلك لطيف بمعنى عليم صفة ذات ، وبمعنى رحيم صفة فعل ، وكذلك ما اشبه ما ذكرناه .

(مسألة) : ومثل هذا ذكر في اثر اظنه لابن الحسين ، أو لغيره ، - والله اعلم - ، فقال : كل صفة ينفيها النافي عن الله - تعالى - ، ولا يكون بذلك غائبا ، فتلك صفته فيها فعل واحدث ، قال : الا ترى انك تقول : كأن الله لم يرض ، ولم يسخط ولم يحب ولم يبغض في امثالها ، فلا يكون الواصف له غائبا بل مادحا .

قال : وكل صفة ينفيها فيكون غائبا ، فتلك صفته في ذاته ، قال : الا ترى انك لا يجوز ان تقول : كان الله ولم يعلم ، ولم يقدر ولم يسمع في امثالها ، قال : لانك تقول : عالم بكل شيء ، وقادر على كل شيء ، ولا يجوز ان تقول محب لكل شيء ، وراض عن كل شيء ، ومبغض لكل شيء في امثال ما قدمنا ذكره .

فعند هؤلاء فيما وجدت ان صفة الأفعال محدثة كائنة بعد ان لم تكن ؛ لانها عندهم هي الوصف ، وهو فعل الواصف عندنا ، وكذلك الاسم هي التسمية عندهم ، وعندنا التسمية مدلول الاسم وهو فعل المسمى على ما سيأتي ذكره ان شاء الله .

وفي آثار مشايخنا كما قدمنا ، ان صفات الله كلها ذاتية ؛ لانه يسمى قبل الخلق خالقا ، رازقا ، راضيا ، ساخطا ، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل ما قدمنا ذكره ؛ انه يقال : الله عالم في الأزل ، وقد علم ، ويقال : ساخط راض ، ولا يقال سخط ولا رضي في الأزل عند مشايخنا .

وعند شيوخ اهل افريقية ، يقال : رضي وسخط في امثالها ؛ لان الرضى والسخط عندهم من صفات الذات ، وسيأتي بيان هذا في موضعه -

ان شاء الله ـ ، انقضى الذي من كتاب اهل المغرب .

(مسألة) : من كتاب (بيان الشرع) ؛ وان سأل سائل فقال : هل يجوز ان يوصف الله انه لم يزل ساخطا على اهل النار ولم يزل راضيا على اهل الجنة ؟ فيقال : نعم ، على انه هو المعاقب لأهل النار ، والمثيب لاهل الجنة .

قال المضيف : لعله انما يجوز ان يقال : لم يزل الله وهو الساخط على اهل النار ، وهو الراضي على اهل الجنة ؛ لان الرضى والسخط محدثان وهما الجنة والنار ، والله اعلم ، انقضى .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه : ان صاحب المسألة لم يرد ما قاله المضيف فيما عنى به ، وانما اراد ما قد ذكر في مسألته والذي قاله المضيف مذهب الشيخ ابي الحسن البسياني ، ومن قال بقوله ، ولصاحب هذه المسألة مذهب يذهب اليه فيه ومن قال بقوله .

رجع الى تمام المسألة : واعلموا ان القوم انما ذهبت اوهامهم الى حدث الرضى والسخط ، وذلك ما لا يوصف الله به ؛ لانه يحدث له ما لم يوصف به فتفهموا معنى السخط من معنى الرضى ، واعلمكم ذلك معرفة منكم بالله اذا نفيتم عنه ما يجري على الخلق ، وانما قول المسلمين : لعله الله يسخط يعنون ؛ انه عاقب ولا يعنون انه اغتاظ ، لأن الغيظ تغيير في القلب ووجال ، فليس يجري على الخلق معانى الله ، ولا يجري على الله معاني الخلق ، وانما المعنى بان الله ساخط على اهل النار ؛ يعنون انه هو المعاقب لهم ، وانه لم يزل الله راضيا عن اهل الجنة ؛ يعنون انه المثيب لهم فتفهموا ما وصفنا . انقضى .

(مسألة) : ومن كتاب لاهل المغرب واما مسألة السخط والرضى ؛ ففي آثار مشايخنا ـ رحمهم الله ـ ان سأل سائل عن رضى الله ـ عز وجل ـ وسخطه ، هل هما الله ـ عز وجل ـ أو غيره ؟ قيل له : ان رضى الله وسخطه مخلوقان ، فرضى الله جنته نسأل الله التوفيق لما يقرب اليها ، وسخطه ـ جل جلاله ـ عذاب النار نعوذ بالله مما يقرب اليها من قول وعمل ، قال الله ـ

سبحانه ـ : ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ [1] اي داموا على العمل الذي اوجب لهم به خالقهم رضوانه اي جنته ، فرضي الله عن اوليائه ان يدخلهم في الآخرة دار رضوانه اي جنته ، ورضاه عنهم في الدنيا الايجاب والتسمية والاحكام لهم ، والجزاء على سالف اعمالهم ؛ اعني بالتسمية ان سماهم في الدنيا ، مسلمين صالحين قانتين راضين ، واعني بالاحكام ان حكم عليهم بحكم اوليائه المتقدم نعته ، وحرم دماءهم وأموالهم ، وقال تعالى : ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان﴾ [2] اي اوجب لهم رضاه وثوابه ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم .

ولو نقد بعقله من قال : ان رضى الله هو الله بذاته ، وسخطه الله هو الله بذاته ، لقال : كيف يجوز ان يقال : (يبشرهم ربهم) ، اي مالكهم برحمة منه ، اي بجنة ثم يعطف عليه (رضوانا) اي الله فيجعل الرضوان هو الله فيكون معنى قوله «يبشرهم ربهم برحمة منه » ، والله وجنات (الآية) فيعطف فاعلا على فاعل ، اعني بالفاعل الأول ربهم ، والثاني رضوان ، اي (الله وجنات) ، (الآية) فيعطف الشيء على نفسه ، والعرب لا تعطف الشيء على نفسه ، ولا تعطف فاعلا على فاعل ، ولا فعلا على فعل ، ولا مفعولا على مفعول ، ولا مالكا على مالك ، كقولك ، زيد وزيد تفسير زيد زيد ، اضافة مالك الى مالك ، فهذا مستحيل لا يجوز في الكلام ، وكل واحد من الزيدين معرفة بنفسه على غيره نكرة ، وانما يقال : ثوب زيد ، وغلام زيد ، فيعرف المضاف بالمضاف اليه ، ويجر المضاف اليه بالاضافة ، والمضاف اليه هو المالك ابدا ما خلا من الاضافة القرابة كقولك : اخا زيد ، وعم زيد ، وهكذا تقول ـ والله اعلم ـ ، ان رضى الله وسخط الله مضافان الى خالقهما ، وهو الله مالكهما وخالقهما .

وقال ايضا : ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله﴾ [3] اي الكفر والنفاق

---

١ - الآية ـ ١٧٤ ـ من سورة آل عمران
٢ - الآية ـ ٢١ ـ من سورة التوبة
٣ - الآية ـ ٢٨ ـ من سورة محمد

الذي اسخط الله ، اي اغضبه ، فأوجب لهم عذابه وكرهوا رضوانه ، اي فعل الأيمان الذي يستوجبون به رضاه اي جنته .

وقال تعالى : ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ [1] الى قوله : ﴿ورضوان من الله اكبر﴾ اي ورضى الله عنهم في تقبله اعمالهم التي وفقهم لها فاستوجبوا رضوانه اي (جنته) اكبر اي (اجل واعظم) من اعمالهم ، الا ترى انك تقول : (ورضوان من الله اكبر) ، ولم يقل (ومساكن طيبة في جنات عدن) ، والله من اكبر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وفي هذا الاثر احتجاج اكثر من هذا فتركته فاختصرت هذا منه .

وفي آثر لمشايخنا ـ رحمهم الله ـ يقول : وسئل صاحب هذه المقالة الخبيثة الذي وصف ربه بما يعرف من نفسه ، اليس عنده رضى الله هو الله ، وسخط الله هو الله ؟ هل يجوز عنده التغاير في الله ان يقال : هذا غير هذا ؟ فان قال : لا يجوز عليه التغاير ؛ فسله عن السخط ، أهو الرضى أو الرضى هو السخط ؟ فان قال : نعم ؛ فلا يقوله فقد سخط عن المؤمنين ، ورضي عن الكافرين .

فان قال : لا يجوز هذا فاعلم انه نقض قوله فاين قوله حين يقول سخطه رضاه هو لا غير ، فقال الله ـ جل ذكره ـ : ﴿اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه﴾[2] ، وقال في آية اخرى ﴿ان سخط الله عليهم﴾ [3] (الآية) قوله : ها هنا السخط هو الله ، والرضى هو الله ، الستم تعلمون ان الله يسمى خالقا قبل ان يخلق الخلق والخلق غيره ، ويسمى رازقا والرزق فعله ، ويسمى مثيبا والثواب فعله ، ومعاقبا والعقاب فعله ، ويسمى ساخطا والسخط تأويله العقاب ، وراضيا تأويله الثواب ، وكذلك وجدت عن ابي العباس احمد العماني ايضا ، قال : رضي الله ثوابه ، وسخطه عقابه .

---

١ - الآية ـ ٧٢ ـ من سورة التوبة
٢ - الآية ـ ٢٨ ـ من سورة محمد
٣ - الآية ـ ٨٠ ـ من سورة المائدة

وكذلك عن ابي عبدالله محمد بن محبوب ـ رحمه الله ـ ؛ اختصرت هذا من الام فقولنا : قول المشايخ والله المستعان ؛ انقضى .

(مسألة) : ومن غيره ؛ ويوصف ـ تعالى ـ بانه يغضب ويسخط ، ومعنى هذا الوصف له هو معنى الوصف لنا بهذا الفعل في الشاهد الا ان غضبنا وسخطنا يحلان فينا ، وغضب الله وسخطه لا يحلان فيه .

(مسألة) : فان قال قائل : فاذا لم يجز عندكم ان يحل فيه الغضب والسخط فلم وصفتموه به واجزتموه عليه ؟ قيل له : جاز ان نصفه بذلك بان فعله من غير ان يحل فيه .

وقال اهل العلم : ان غضبه وسخطه وعقوبته ناره ، وان حبه ورضاه هو ثوابه وجنته ، ولا يجوز ان تكون العقوبة الا محدثة ؛ لانه لا يجوز ان يحدث ذلك الا عندما يستحقه منه المذنب ، ولو كان لم يزل غضبان على من لم يعصه ، كان بذلك ظالما له ، وايضا فلو كان لم يزل غضبان لنفسه لا بحدوث غضب ان يصير راضيا ولو كان لم يزل راضيا ساخطا لنفسه ، لم يجز ان يغضب ، ويستحيل ان يقال : انه لم يزل راضيا ساخطا لنفسه ، كما يستحيل ان يكون انه لم يزل جاهلا بنفسه ، ولم يزل قاهرا بنفسه ، فصح بهذا ان الرضى والغضب وسائر ما ذكرنا هي افعاله اذا كان موصوفا بها ، وباضدادها من نحو الكراهية والارادة ، والحب والبغض ؛ لأن اضداد صفاته لذاته لا تجوز عليه ، كما لم يجز عليه الجهل لما كان لم يزل بنفسه عالما ، ولم يجز عليه العجز لما كان لم يزل بنفسه قادرا ، ولا يجوز الحدث لما كان لم يزل بنفسه قديما فصح بهذا انما جاز ان يوصف به أو بضده ، او بالقدرة على ضده ، من نحو الارادة والكراهة ، والحب والبغض ، والرضى والغضب ، والسخط ان ذلك فعله .

(مسألة) : ان سأل سائل فقال : هل يجوز ان يوصف الله ـ تعالى ـ بانه لم يزل ساخطا على اهل النار ولم يزل راضيا على اهل الجنة ؟ قيل له : نعم ؛

على انه هو المعاقب لاهل النار ، والمثيب لأهل الجنة ، وينظر في هذه المسألة والتي قبلها .

فصل ؛ من كتاب (النور) ؛ الصفة ، هي الشيء الذي يوجد بالموصوف فيكتسبه الوصف الذي هو النعت الصادر عن الصفة .

وقيل : الصفة ؛ ما يخلص الموصوف من غيره ويميزه مما يلتبس به .

قال : والصحيح ما أوجبت حكما للموصوف .

وقيل : الصفة ؛ ما له كان الموصوف موصوفا ، وحد الموصوف ما له صفة ؛ لأن ما ليس له صفة فليس بموصوف .

(مسألة) : في الصفة والوصف ؛ الوصف ، اقوال الواصف لله تعالى أو لغير الله ، بانه عالم وقادر ، وهو كلام مسموع ، وقد يكون عبارة عنه ، وقوله : زيد حي عالم وصف له ، وخبر عنه عن كونه على ما اقتضاه ، وهو قول يدخله الصدق والكذب ، والعلم والقدرة صفتان موجودتان بذات زيد .

والوصف ؛ قول الواصف فاذا كان الواصف لنفسه هو الله ـ تعالى ـ بانه حي عالم ، كان وصفه لنفسه معنى ليس هو علمه وحياته ، ولا هو غيرها لاستحالة وصف صفاته بالمغايرة ، واذا كان وصفه لنفسه وصفا لصفات افعاله ، قوله : اني خالق رازق محسن ؛ فهذه الصفات التي هي الخلق والرزق والعدل ، غير الوصف لعله غير الموصوف ؛ لأنها افعال وهي محدثات ، والوصف ؛ الذي هو قول : خالق رازق محسن مفضل من صفات الذات موجود مع عدم الأفعال ، وان كان الوصف لنفسه محدثا ، فان وصفه لنفسه بانه عالم غير صفاته التي هي افعاله ؛ لأن جميع صفات الانسان محدثة ، وكلامه الذي هو وصف لنفسه محدث ، وهما غيران .

(مسألة) ؛ كل وصف صفة من حيث كان قولا وكلاما ومكتسبا للمتكلم المخبر عنه حكما ، وان لم يجب أن يكون كل صفة وصفا ؛ لأن العلم

والقدرة ، والسواد والبياض ، ليست توصف بشيء ولا خبر عن معنى من المعاني .

وزعمت المعتزلة ؛ ان الصفة والوصف بمعنى واحد ، هذا جفا لاجتماع أهل اللغة ان الصفة هي النعت ، وذلك على اضرب :

صفة خلقة لازمة ؛ نحو أسود وأبيض وطويل وقصير .

وصفة حِرفة ؛ نحو كاتب وحداد وبزاز .

وصفة دين ؛ نحو مؤمن وكافر .

وصفة لنسب ؛ نحو عربي وعجمي .

وفي هذا دليل على أن الصفات هي المعاني ؛ ولأن قول القائل اذا قال : فلان له علم بالكتابة والفقه ، وفلان له عقل حسن ، وفلان له خلق قبيح ، يقال : وصفه بمعان موجودة أولاها ؛ ما صح وصفه بها ، وقول الواصف ليس بصفة على الحقيقة اذ لا يصح ان يعلم بمعنى يوجد بغيره ؛ لأن ما قالوه يؤدي الى أن يكون الباري ـ تعالى ـ فيما لم يزل بلا صفة ولا اسم ، حتى خلق الخلق ، وأحدثوا له أسماء وصفات ، واذا فني الخلق يبقى ـ سبحانه وتعالى ـ بلا صفة ولا اسم ، تعالى الله عن ذلك .

(مسألة) : في دليل قول من قال : ان الصفة والوصف واحد ، استدلوا على أن الصفة هي نفس الوصف ، الذي هو القول بأن أهل العربية قالوا : ان الصفة والوصف بمعنى واحد ، وانهما بمعنى الوجه والجهة ، والوزن والزنة ، والوعد والعدة ، قالوا : وايضا دليل آخر ان المعاني الموجودة بالذوات من العلوم ، والقدر ، والحركات ، ليست بصفات في الحقيقة ، وان الصفة هي قول الواصف اجماع الأمة على ان الله اذا قال : ان الجسم عالم أسود متحرك ، فقد وصفه بهذا القول ، واذا خلق فيه العلم والقدرة والسواد والحركة ، لم يكن واصفا له عند أحد من الأمة ، فيجب ان تكون الصفة هي ما يكون

الواصف بها واصفا دون ما لا يكون كذلك .

(مسألة) : ومنه ؛ ولا يجوز أن يوصف الموصوف بصفة الا بعد أن يعرف معناها ، وما يريد أن يصفه بها ، ألا ترى انه لا يجوز ان يصف زيدا انه طويل الا بعد أن يعرف معنى الطول ، ما هو؟ ويعرف زيدا !!

(مسألة) : عن أبي محمد ؛ ان قال قائل : هل له صفة يعرف بها ؟ فقال : نعم ؛ من صفته ـ عز وجل ـ التي يعرف بها انه واحد قادر عالم سميع بصير فاعل ، لم يزل موجودا ، ليس كمثله شيء ، فهذه صفته ـ تبارك وتعالى ـ . واما ان قال : هل له هيئة او حد أو صورة ؟ فهذا فاسد فلا يجوز ان يوصف الله بذلك .

(مسألة) : قال الشيخ ابو الحسن البسياني : جائز ان يوصف الله بما وصف به نفسه وان لم يعرف معنى ذلك ولا تفسيره ، واجاز الوصف لله ـ تعالى ـ بانه حسيب وحفيظ ، وعلى كل شيء وكيل ، بما ذكره الله ـ تعالى ـ .

فصل ؛ من كتب بعض (أهل المغرب) فان قال قائل : ما حد الوصف والصفة ؟ وما حد الاسم والتسمية ؟ وما حد الموصوف والمسمى ؟ قيل له : حد الوصف ذكر الصفة ، فاذا قال القائل : لله علم وله قدرة وعزة في أمثالها من الصفات ، فقوله وصف لا صفة ، ونفس العلم والقدرة هي الصفة ، فحد الصفة ما بان به الشيء من غيره ، فاذا ذكر الواصف صفة الشيء فقد ابانه عن غيره من الأشياء بصفاته التي ذكرها ، واما حد الاسم فهو ما عرف به الشيء من غيره .

وحد التسمية ذكر الاسم ، فاذا قال القائل : الله عالم أو قادر في أمثاله من الأسماء ؟ فقد ابانه من الجهال والعاجزين ، وكان قوله تسمية منه للأسماء .

وأما حد الموصوف ؛ فهو المستحق للصفة ، كما ان حد المتسمي هو

المستوجب للاسم .

فافهم هذه المعاني فان من قبلها دخل الغلط على الذين يزعمون ان الصفة هي الوصف ، والاسم هو التسمية ، ألا ترى ان لو كان ذلك كما قالوا ليس تكون الأشياء كلها موجودة قائمة بغير صفة ولا اسم ، حتى يكون الوصف لها من الواصفين ، والتسمية من المسمين ، فهذا مما يبطل وجود الأسماء في أعيانها ، فيكون الابيض ليس بأبيض حتى يقال فيه : انه ابيض ، والحار لا يكون حارا حتى يقال : انه كذلك ، وكذلك البارد لا يكون موصوفا بالبرودة حتى يقال فيه : انه بارد ، والمتحرك غير موصوف بالحركة ولا موجود بها حتى يقال : انه كذلك ، وكذلك السكون والألوان بأسرها أيضا كذلك ، والحلي بجميعها ، ففي هذا ابطال وجود الأشياء ، فلما لم يصح هذا ثبت ان صفات الأشياء هي حقائقها التي لا توجد الا بها ، وابطل القول : بأن صفات الأشياء وأسماءها هو ما يوجد من وصف الواصفين ، وتسميتهم اياها ، ألا ترى انه لو لم يصف الواصف ، ولو لم يسم أكان جائزا أن تكون الأشياء موجودة بغير صفة من الصفات ، ولا حقيقة من الحقائق ؟ وهذا قول قد بان فساده جدا ، وبالله التوفيق .

فصل ؛ ويقال : لمن زعم ان صفات الله وأسماءه هي الفاظ الواصفين ، وأقوال المسمين ، أخبرونا عن صفات الله ـ عز وجل ـ وأسمائه أهي مخلوقة عندكم محدثة كائنة بعد اذ لم تكن ؟ فان قالوا : نعم ؛ قيل لهم : فاخبرونا عن الله أليس لم يزل سميعا بصيرا عالما قادرا في أمثالها ؟ فان قالوا : نعم ، وهو قولهم ، قيل لهم : أفيجوز لنا أن نصفه بأن له علما بالأشياء ، وسمعا بها وبصرا ، وقدرة قبل ان يخلق الأشياء ؟ فان قالوا نعم ؛ قيل لهم : فكيف يجوز أن يكون له علم ولا يسمى عالما ، وبصر ولا يسمى بصيرا في أمثالها من جميع الصفات ؟ فان قالوا : لا يجوز لنا ان نصفه بأن له علما وبصرا وقدرة في سائر الصفات فقد جعلوهما بمنزلة سائر الموات ، وليس ذلك من قولهم .

وان قالوا : انه موجود بهذه الصفات متسم بأنه السميع البصير في امثالها ، وانما الصفات عبارة الواصفين ، والأسماء الفاظ المتسمين ، خلقها ليدل بها على نفسه انه كذلك ؛ قيل لهم : فهل تدل هذه الألفاظ الا على المتسمى السميع البصير العالم القدير ؟ فان قالوا : نعم ؛ نقضوا قولهم بأن اسماء الله وصفاته مخلوقة ؛ لأن اسماء العالم القادر وصفاته ، العلم والقدرة في أمثالها ، فان قالوا : نعم ؛ لا تدل على السميع البصير ، وقيل : فعلى من تدل اذا ؟ فلا يجدون بدا من هذا الذي ذكرنا ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : وقد وجدت في بعض الأثر ؛ ان اهل هذه المقالة اختلفوا بعد اجماعهم على ان الاسم غير المسمى ، وان أسماء الله الرحمن الرحيم كما ذكر في كتابه ، واختلفوا في المعبود ـ جل جلاله ـ .

فقال بعضهم : ليس هو الله في معناه لم يزل ، وانما هو الله في معناه ، ولا الرحمن ولا الرحيم ، وشبهوا ذلك ـ فيما وجدت ـ بالانسان ، اذا كان مولودا لم يدع باسم حتى يحدث له اسم ، مثل احمد ومحمد ، فهو قبل ان يحدث له اسم ليس هو في معناه احمد ولا محمد حتى يحدث له هذا الاسم ، وكذلك المعبود عندهم ليس هو الله في معناه ؛ ولا الرحمن ، ولا الرحيم ، حتى احدث لنفسه هذه الأسماء ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، فلعمري لئن كان هذا صحيحا عندهم كما ذكر في الكتاب عنهم ، فان الشرك يلزمهم من وجهين :

أحدهما تكذيبهم لله ـ سبحانه ـ اذ يقول : **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾** [1] ، فمن زعم فيما يقال : الله انه هو ، فقال : هو غيره ، فقد كذب على الله ، والمكذب لله مشرك .

والوجه الأخير الذي منه اشركوا قولهم : ان الله الرحمن الرحيم ، مخلوق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

لقد فاق قولهم هذا شرك عبدة الأوثان ؛ لأن عبدة الأوثان لم يزعموا ان الله مخلوق لقوله ـ تعالى ـ : **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾** [2] ،

---

١ - الآية ـ ٢٣ ـ من سورة الحشر
٢ ـ الآية ـ ٨٧ ـ من سورة الزخرف

ولكن عظموه بزعمهم ، فقالوا : ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ [1] ، فأثبتوا الله لم يزل ولم يجعلوه مخلوقا مثل اهل هذه المقالة الخبيثة .

وأما الفرقة الأخرى التي وافقت اهل هذه المقالة ، على ان اسماء المعبود غيره ، ووافقهم على ان اسماء الله الرحمن الرحيم ، هو قول القائل ، وخالفوهم في المعبود فزعموا ؛ أن المعبود هو الله لم يزل في معناه ، وزعموا ؛ ان اسمه الله وهو قول القائل ؛ وهو محدث ، واثبتوا في قولهم معنيين .

معنى هو الله لم يزل ، ومعنى هو الله قول القائل ، وهو محدث .

فان صح هذا عنهم فقد اثبتوا الهين : إلها قديما ، والها محدثا ؛ وزعموا ؛ ان الله الذي هو قول القائل هو ايمان منه وفعل يتقربون به الى الله الذي لم يزل ، فتعالى الله عن هذا علوا كبيرا .

وقد أشرك من زعم ؛ ان الله محدث بمعنى من المعاني ، فقد ضاهت مقالة هؤلاء مقالة المنانية الذين يثبتون الهين اثنين قديم ومحدث ، نور وظلمة ، وهم يقولون : الله هو قول القائل وهو محدث ، الا ان المنانية زعموا انهما لم يزالا تعالى الله عن جميع ما لا يليق به علوا كبيرا .

(مسألة) : فان قال قائل : ما قولكم في أسماء الله ـ سبحانه ـ : أهي الله أم غيره ؟ قلت ـ وبالله التوفيق ـ : هي هو لا غيره ، وان الله اسم للمعبود ـ جل جلاله ـ لا يكون قولا ولا فعلا ، وان ليس ثم الا المتسمي الله الرحمن الرحيم كما ذكر لنا في كتابه ، وقولنا : متسم كقولنا : متكبر متعظم متجبر جبار لا على اثبات فعل فمتكبر كبير ، ومتعظم عظيم ، ومتجبر جبار ، ومتسم ، انه رحمن رحيم كما ذكر لنا ، فقولنا : لله الأسماء بمعنى ذلك ، انه المسمى أي أنه العليم الحكيم الكبير في سائر الأسماء كما قلنا في صفاته من العلم ، والقدرة والملك ، والعزة والكبرياء ، في سائر الصفات لا يجوز ازالتها عنه ، ولا ان تكون بعضها منه ـ عز وتعالى ـ عن ذلك ، ولا هي غيره

---

١ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة الزمر

كصفاتهم التي هي غيرهم أو بعض منهم .

فاذا قلنا : لله علم وقدرة ، وعزة وكبرياء ، في امثالها ؛ اي انه العالم القادر ، العزيز الكبير ، فنفينا عنه اضدادها من الجهل والعجز وسائرها . وكذلك الأسماء اي انه المتسمى كما ان له العظمة اي انه العظيم المتعظم ، ألا ترى ان الدليل على ذلك انك تسأل عن أسمائه فيقال لك : الله الرحمن الرحيم ، ولا يجوز لك ان تقول : الله غيره ، ولا الرحمن غيره ، وان القول منك لا يكون ان الله ولا الرحمن ولا الرحيم ، وانما القول منك : حروف تؤول على أسمائه ، ألا ترى انك اذا قلت : توحد الله وتفرد ، وما كان على وزن [تفعل] ، لا يجوز أن تكون مخبرا عن فعل هناك ؛ لانك تقول ، تعظم الله وتقدس ، وتجبر فلا يدل هذا الا على عظمة وجبروت وقدس ، ولا يجوز لك ان تحمل هذا الوجه على الأفاعيل ، وكذلك قولك : تسمى الله كقولك : تعظم الله لا فعل في ذلك لقد اكثرنا في هذا وكررنا الالفاظ لكي يفهم جدا وبالله التوفيق .

(مسألة) : فان قال قائل : ما هذه اللفظة التي تسمع من القائل : يا الله يا رحمن يا رحيم ؟ قيل : لا يخلو سؤالك من أحد ضربين : اما ان تسأل عن اللفظة نفسها بغير هذا ، ويكون يسأل عما دلت عليه هذه اللفظة .

فان كنت تسأل عما دلت عليه اللفظة ، فيقال لك : دلت على المعبود المتسمي الله الرحمن الرحيم ، لا على ان قولك : [متسمّ] اثبات فعل للأمثل ، كمثل قولنا : [متعظم عظيم] ، فكذلك [متسمّ] أي الله الرحمن الرحيم وبالله التوفيق .

(مسألة) : فان قالوا : ألستم تقولون : ان اسماءه في القرآن ، والقرآن عندكم مخلوق ، فكيف تكون الأسماء غير مخلوقة ؟ وهذا في القرآن المخلوق ما يدل على خلقها ؟ قلنا : فياسبحان الله ! فهل احد منا يزعم ان أسماء الله في القرآن ، وانما في القرآن ذكر اسماءه وخبر عنها ، ألا ترى الى قوله ـ تعالى ـ قل

يا محمد : ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ [1] ، أوَليس هذا القول هو الله ، عن الله ـ سبحانه ـ ، وقد قدمنا قبل هذا ؛ ان الاخبار والالفاظ والحكاية مخلوقة دالة على الخالق ـ جل وعلا ـ .

فصــل ؛ واما ما ذكروا من فرز ما بين صفات الذات وصفات الفعل ، واسماء الذات وأسماء الفعل ، وان اسماء الفعل وصفاته محدثة مخلوقة عندهم ، مثل خالق ورازق ، ومثيب ومعاقب ، واشباه ذلك ؛ وانه لا يقال في الأزل خالق ولا رازق ، لئلا يثبت الخلق والرزق في الأزل .

قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : ان الله ـ تعالى ـ يقول في كتابه : ﴿ان ربك هو الخلاق العليم﴾ [2] ،ومثل هذا من كتاب الله كثير ، وليس في الخبر دليل على فرز ما بين صفات الذات وأسمائها ، وصفات الفعل واسمائه ، فقوله : [العليم] خبر عن الذات انها ليست بجاهله ، وقوله : [الخلاق] خبر عن الذات انها قادرة على الخلق ، ولم يستوجب الصفة بخلق الخلق ، فلو كان كذلك لم تجب به الصفة حتى يخلق ، ولا يقال له : خالق لما لم يخلق بعد ، وقد اخبرنا الله ـ عز وجل ـ في كتابه انه : ﴿فعال لما يريد﴾ [3] ، لما لم يفعل ، فقال : ﴿خالق كل شيء﴾ [4] ، فدخل في هذا المعنى ما خلق وما لم يخلق ، وكذلك قوله : ﴿فعال لما يريد﴾ .

ونحن واهل هذه المقالة متفقون على ان صفة الارادة صفة ذات ، وانه جائز عندنا وعندهم انه يوصف انه مريد لكون كل كائن قبل ان يكون في الوقت الذي يكون فيه ، وليس في تأخير المراد ما يبطل ان يكون الله موصوفا انه مريد له ، فثبت بهذا انه فعال لما لم يفعل ، لقوله : ﴿فعال لما يريد﴾ ، على ان سيفعل .

وكذلك على ان سيخلق لا على اثبات فعل ، وكذلك راض على ان

---

١ - الآية ـ ١ ـ من سورة الاخلاص
٢ - الآية ـ ٨٦ ـ من سورة الحجر
٣ - الآية ـ ١٦ ـ من سورة البروج
٤ - الآية ـ ١٠٢ ـ من سورة الأنعام

سيرضى ، وساخط على ان سيسخط ، وذلك جائز في اللغة بين الناس ، لا يجهله أهل المعرفة ، باللغة ، قال الله - تعالى - لنبيه ﷺ : ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ (1)

وكذلك يسمون من اراد الخروج خارجا ، ومن اراد الحج حاجا ، وزعموا عنهم في وجه آخر انهم قالوا : كل ما جاز فيه [قد] في الأزل فهي صفات الذات ، مثاله ؛ قد علم ، قد قال ، واشباه ذلك ، وكل ما لم يجز فيه [قد] فذلك صفات فعل ؛ مثاله قد رزق ، وخلق ، وأمثاله ؛ قلنا : جواد في الأزل كريم ، ولا يقال : قد اجاد واكرم ، وليس في ذلك ما يثبت صفات الفعل .

وقالوا عنهم ايضا : يجوز الخالق الرازق في الازل بالتعريف ، ولا يجوز خالق رازق بالتنكير واسقاط الألف واللام لئلا يثبت الصفة ، وكذلك سائر الاسماء قيل لهم : هذا داخل عليكم في العالم وعالم ، والقادر وقادر وسائر ذلك .

فصل ؛ واما قولهم : فاسماء الخلق وصفاته انها غيره ، فانه يقال لهم : ليس المخلوق بنظير الخالق - جل ذكره - وذلك ان صفات المخلوق محدثة كائنة بعد اذ لم يكن ، يجري عليه التغيير فيوصف باضدادها في بعض الاحوال ، والله - سبحانه - لا يجري عليه التغيير في حال ، وهو مخالف لخلقه من جميع الجهات ، وهو موجود في الازل وبعده ، فجميع صفاته لا تتغير ولا تتبدل ، وكذلك اسماؤه على هذه الحال انما استحقها بنفسه ، وبذاته ، لا بعلل وابعاض ، ولا بمعان غيره ، واما اسماء الخلائق فضروب شتى :

منها ما استحقها لنفسه مثل محدث وجسم وعرض وطول .

ومنها ما استحقها بأبعاض منه مثل : سميع بصير وسائر ما استحقه من جهة الحواس ، ومنها ما استحقها بمعان تحله ؛ متحرك وساكن ، وحي

---

1 - الآية - ٣٠ - من سورة الزمر

وميت ، فاذا حلته الحركة والحياة ، سمي متحركا حيا ، فاذا فارقته سمي باضدادها من السكون والموت ، فيسمى ساكنا ، وكذلك غيرهما .

واما الاسماء التي يستحقها من الدين والاسلام ؛ مثل مؤمن ومسلم وصالح ، فانما يستحقها عند اصحابنا بخواتم عمله ، ومنها ما لا يستحقها بمعنى من المعاني مثل اسماء الاعلام كجابر وزيد ومحمد واحمد ، وهي اسماء اصطلح الناس عليها ، وجعلوها علامة يتبين به الشيء من غيره ، فعلى هذا اسماء الخلق ، وبالله التوفيق .

فصل ؛ فان قال قائل : هل تسمون الله ـ تعالى ـ في ازليته خالقا رازقا باعثا وارثا في امثالها من الاسماء ؟ قيل له : نعم ؛ من قبل انا وجدنا الاسماء موضوعة في كتاب الله ، لثلاثة معان وقد سمى الله بها نفسه .

احدها ؛ للذات والمدحة ، كقوله تعالى : ﴿**ان ربكم لرؤوف رحيم**﴾ [1] وودود وغفور وكريم وفعال لما يريد في امثالها ، بما اخبر به عن صفاته في صفاته ، في ذاته وقدرته ، كان الفعل ، أو لم يكن ، لئلا تتغير ، والمدحة لا تكون ناقصة .

والثاني ؛ ما اخبر به عن نفسه انه سيفعله بعد ؛ كقوله تعالى : ﴿**يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي**﴾ [2] (الآية) ، وقوله : ﴿**اني منزلها عليكم**﴾ [3] وقوله : ﴿**انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه**﴾ [4] وقوله : ﴿**اني جاعل في الارض خليفة**﴾ [5] في امثالها ؛ فاعل على ان سيفعل .

والوجه الثالث ؛ ما كان من التسمية لما قد فعل ، كقوله : ﴿**فاطر السموات والارض**﴾ [6] ، ﴿**ان الله فالق الحب والنوى**﴾ [7] ، ﴿**جعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا**﴾ ، ﴿**آخذ بناصيتها**﴾

---

١ - الآية ـ ٧ ـ من سورة النحل
٢ - الآية ـ ٥٥ ـ من سورة آل عمران
٣ - الآية ـ ١١٥ ـ من سورة المائدة
٤ - الآية ـ ٩ ـ من سورة آل عمران
٥ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة البقرة
٦ ـ الآية ـ ١ ـ من سورة فاطر
٧ ـ الآية ـ ٩٥ ـ من سورة الانعام
٨ ـ الآية ـ ٩٦ ـ من سورة الانعام

فهذه الثلاثة موجودة في كتاب الله ـ عز وجل ـ ، سائغ في كلام العرب شهرتها ، تغني عن الاستشهاد عليها ، واذا كان هذا فلم لا يسمى فاعلا خالقا رازقا وامثالها في الازل ، والفاعل اسم يصلح لما مضى ، ولما انت فيه ، ولما سيجيء ، وبالله التوفيق .

فصل ؛ فان قال قائل : هل كان جائز لنا ان نسميه ـ عز وجل ـ بكل ما نسبه الى نفسه في القرآن مثل قوله : **﴿والسماء بنيناها﴾** ، **﴿والارض فرشناها﴾** [1] ومثل قوله : **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾** [2] ، **﴿فالق الحب والنوى﴾** في امثالها ، وندعوه يا فالق ؛ يا فارش ، يا سالخ ، في امثالها ؟ قيل له الجواب ؛ في هذه المسألة على ثلاثة اوجه :

احدها ؛ كل اسم على جماعة الخلق باسره ، مثل التسمية بخالق ، أو منشيء ، ومقدر ، وفاعل وجاعل ، ومدبر ومصور ، وبارىء ودار ، فالتسمية بهذا ومثله جائز .

والوجه الثاني ؛ كل تسمية فيها مدحه له ـ عز وجل ـ مثل قولك : يا محيي يا مميت ، يا باعث يا وارث ، يا معطي يا رازق ، في امثالها مثل الاسماء التي لا تليق بالخلق ولا يوصف بها الا الخالق ـ جل وعلا ـ ؛ فسائغ جائز .

والوجه الثالث ؛ لا يجوز الا بصلة ، مثل ان تقول : يا فالق يا سالخ ، يا فارش يا ماهد ، يا شديد ، فهذا النوع لا يجوز مرسلا دون صلاته يا سالخ الليل والنهار ، يا فارش الارض وبانيها وماهدها ، ويا رافع السماء وبانيها ، ويا فالق الاصباح ، ويا منزل كل منزل ، ويا مسكن كل مسكن في امثالها .

ومنها ما نسبه الى نفسه في كتابه ، ولا يسمى به على حال الا على طريق المجازات ، مثل قوله : **﴿الله يستهزىء بهم﴾** [3] ، **﴿ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** [4] وقوله : **﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾** [5] ولا يسمى مستهزئا

---

١ - الآيتان ـ ٤٧ ، ٤٨ ـ من سورة الذاريات
٢ - الآية ـ ٣٧ ـ من سورة يس
٣ - الآية ـ ١٥ ـ من سورة البقرة
٤ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة الانفال
٥ - الآية ـ ١٤٢ ـ من سورة النساء

ماكرا مخادعا على حال ، الا على المجاز ، وبالله التوفيق .

فصل ؛ ومنه في أسماء الله - عز وجل - ، اجتمعت الأمة ، ان الله لم يزل ، وان اسماءه كما ذكر في كتابه ؛ الله ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، كما اخبرنا في كتابه - عز وجل - ، واجمعوا ان الله خالق ، وما سواه مخلوق ، فاختلفوا بعد اجماعهم .

فذهبت المعتزلة والناكثة ومن وافقها ، الى ان الاسماء هي الالفاظ التي يخبر الله - عز وجل - بها عن نفسه على المعتاد فيما بينا من الاسماء : اسمائنا ، واستدلوا بان الاسم هو هذا اللفظ المعقول في لسان العرب ، يقارن الأفعال بصيغة ، ويجري عليه التنوين احيانا في غالب الحال كقولك ، عالم وعليم ، وعلام ، وراحم ورحيم ورحمن ، فهذا موجود في لغة العرب لا ينكره احد ، كداخل وخارج ، وطالع ونازل ، في امثالها فاقتصر هؤلاء على اسماء الله انها هي هذه الالفاظ ، وزعموا ان اسماء الله مخلوقة ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ولله الاسماء الحسنى﴾ [1] قالوا : هذا جمع وتأنيث ، واللام في قوله : لام - التمليك ، والجمع والتأنيث والعدد منفي عن الله - عز وجل - وقوله - عليه السلام - : «ان لله تسعة وتسعين اسما» مائة غير واحد ، «من احصاها دخل الجنة» ، فالعقل يحيل ان يكون الله معدودا ، والاسماء معدودة ، فدل هذا على انها الفاظ العباد .

وقال اصحابنا ومن وافقهم من سائر الامة : ان اسماء الله هي هو لا غيره ، وان الالفاظ اقوال المسمين وافعالهم ، والالفاظ خدمة للمعاني ، والاسم هو المسمى معنى ، لا اللفظ المسموع قولا ، فالاسم هو مدلول التسمية ، واللفظ والتسمية فعل اللافظ المسمى الدال على الاسم الذي هو المسمى ، فالاسم لا يرجع الى لفظه ، بل هو مدلول التسمية ، فاذا قال القائل : (زيد) كان قوله : تسمية ، وكان المفهوم منه اسماء .

والاسم هو المسمى في هذه الحالة ، والوصف والصفة بمثابة الاسم ،

---

١ - الآية - ١٨٠ - من سورة الاعراف

والتسمية ، فالوصف قول الواصف ، والصفة مدلول الوصف .

وذهب هؤلاء القوم المذكورون من المعتزلة والناكثة وسائرهما ، الى التسوية بين الاسم والتسمية ، والوصف والصفة ، فالتزموا على ذلك بدعة شنعاء ، فقالوا : لم يكن للباري ـ تعالى ـ في الأزل صفة ولا اسم ؛ لأن الأسم والصفة اقوال المسمين ، والفاظ الواصفين ، فمن زعم انه لم يكن لله ـ تعالى ـ في الأزل صفة الألوهية معنى ولا لفظا فقد فارق الدين ، وراغم اجماع المسلمين .

(مسألة) : الدليل على ان الأسم بفارق التسمية ، ويراد به المسمى اي من كتاب الله ـ عز وجل ـ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**سبح اسم ربك الاعلى**﴾ (١) وانما المسبح الله ـ تعالى ـ دون الفاظ المسبحين الذاكرين . وقال ـ عز من قائل ـ : ﴿**تبارك اسم ربك**﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿**ما تعبدون من دونه الا اسماء**﴾ (٣) ، ومعلوم ان عبدة الاصنام ما عبدوا اللفظ والكلام ، وانما عبدوا المسمى بالتسميات ، وقال تعالى : ﴿**انا نبشرك بغلام اسمه يحيى**﴾ (٤) ثم نادى الاسم وخاطبه ، فقال : ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ (٥) ، ومثل هذا موجود في لغة العرب ، ان الاسم هو المسمى ؛ قال لبيد بن ربيعة :

تمنى ابنتـــاي ان يعيش ابـوهمـــا وهل انا الا من ربيعة أو مضر
فقـوما فقـولا بـالـذي تعـرفـانـه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
فقـولا هو المـرء الذي لا خليله اضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

اراد ثم السلام ، فاقام الاسم مقام المسمى ، ومثل هذا كثير .

والاسم هو المسمى في حق الباري ـ سبحانه ـ ، وفي حق الاجناس

١ - الآية ـ ١ ـ من سورة الاعلى
٢ - الآية ـ ٧٨ ـ من سورة الرحمن
٣ - الآية ـ ٤٠ ـ من سورة يوسف
٤ - الآية ـ ٧ ـ من سورة مريم
٥ - الآية ـ ١٢ ـ من سورة مريم

ايضا كالجسم والعرض ، والسماء والارض ، والحيوان والموات ، فاذا قلت : الله ؛ كان المفهوم من قولك ذات الله المعبود ـ جل جلاله ـ ولفظة (الله) قول منك ، والقول فعل القائل ، ولو كان رجل اعمى فأحس بجانبه حسا ، فقال من هذا ؟ قيل : زيد ، فيكون السؤال والجواب عن الذات جميعا ، لا عن اللفظة ؛ قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿هذا خلق الله﴾[1] فالخطاب انما وقع على الذات ، لا على اللفظ وكذلك هذا جسم وهذا عرض ، وهذه سماء وهذه ارض ، فلا يتوجه الكلام الا الى الذات .

وكذلك هذا سوار وهذا بياض ، فعلمنا ان نسبة الاسم الى الذات في حق الله ـ سبحانه ـ افضل من جهة الشريعة ، ومن جهة اللغة ، ففي الشريعة حقيقة ، وفي اللغة مجاز ، فمن جعل اسم الله هو المسمى ، كان قد عزاه الى الافضل ، ومن قصر به الى اللفظ حبسه جهله بين الفاضل والمقصور .

فصل ؛ في الرد على من زعم ان اسماء الله مخلوقة ، اما قولهم : له الاسماء على التمليك واستدلوا بقوله : ﴿ولله الاسماء﴾[2] ان اللام ها هنا لام التمليك ، وان ما للشيء هو غيره ، يقال لهم : ان اللام في لغة العرب على معان شتى ومحصوله وجهان :

لام التمليك واضافة الشيء الى غيره كقولك لفلان مال وله ابل ، وما اشبه ذلك .

والوجه الثاني ؛ بمعنى الخبر عن الشيء من غير اضافة شيء اليه ، كقولك : لفلان جسم ولون ، وطول وعرض ، وله وجه هذا هو نفسه لا غيره ، كما يقال : لله الذات والالوهية والربوبية ، وله القدرة والعزة والعلم ، ألا ترى انهم قالوا : ان لله صفات الذات ، ولا يقولون : هي غيره المعنى لله الذات ، اي هو الله له الالوهية ، هو الاله والرب ، والعزيز ، والعظيم ، وليس هنالك شيء غيره ، قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿له ملك السموات

١ - الآية ـ ١١ ـ من سورة لقمان
٢ - الآية ـ ١٨٠ ـ من سورة الاعراف

والارض﴾[1] والملك من صفات الذات لم يزل الله وهو المالك ، واما قولهم في الاسماء : انها جمع والمراد التسمية بأسمائه ، الا تراه يقول : ﴿فادعوه بها﴾[2] وايضا فما شأن العرب افراد الجمع ، واجماع المفرد ، الا في اللفظ لا في المعنى ، قال الله جل ذكره : ﴿انا نحن نزلنا الذكر﴾[3] (الآية) ، ولو كان هذا جمعا في المعنى كما كان في اللفظ ؛ لكانوا آلهة كثيرة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

واما قولهم : الاسماء الحسنى فيها اجماع وتأنيث ، فلو اردنا قطع سؤالهم لقلنا لهم :

الجـواب فيها ؛ كجوابكم في اسماء الذات ، او لا يعلمون ان العدد والجمع ، والتأنيث والتذكير ، انما يقع على الالفاظ والاخبار ، وهي مخلوقة بلا خلاف ؛ لأن الله ـ سبحانه ـ كان ولا لفظ ، ولا خبر ، هو الله في معناه ، لم يستحدث اسما ، ولا صفة ، وانما جعل الدلائل والمعارف ليدل بها على نفسه ، فاخبر خلقه كل صنف منهم بلغته التي يصل بها الى معرفته ، فاختلفت اللغات ، ولم يختلف المخبر عنه في نفسه .

وهو الله باي لغة دل على نفسه ، الا ترى لو ان حالفا حلف بالله بلغة العرب ، أو بلغة العجم لكان حالفا بالله ، ولولا ذلك لما وجبت عليه الكفارة ، وبمثل هذه المعاني نزل القرآن ، وتفسير قوله : [له الاسماء الحسنى] عند العلماء ، فيما وجدت اي الصفات العليا ، و[الاعلى] عند اهل هذا المذهب من صفات الذات ؛ لأن الله لم يزل عاليا على الاشياء ، وهي من صفات القدرة ، الا ترى الى قوله : ﴿فتبارك الله احسن الخالقين﴾[4] ، و(احسن) معنا ، (اعلى) .

وسألوا ايضا فقالوا : اخبرونا عن اسمائه بالعربية ، أهي اسماؤه

١ - الآية - ٢ - من سورة الحديد
٢ - الآية - ١٨٠ - من سورة الاعراف
٣ - الآية - ٩ - من سورة الحجر
٤ - الآية - ١٤ - من سورة المؤمنون

بالعجمية ؟ لو اعطيناهم ان اسماء الله عجمية او عربية ، لاعطيناهم انها مخلوقة ، وان الله عجمي أو عربي ، ولكن المذكور بالعجمية هو المذكور بالعربية ، والمذكور واحد ، والذكر مختلف ، الا ترى ان عند اهل هذه المقالة : ان المقر بالله بالعجمية مقر بالله عارف به ، وهو في هذا لو تدبروا ما يدلهم على ان المعنى واحد وان اختلف اللفظ وذلك ان هذه الاسماء التي يقصدون اليها حروف مقطعة اذا افترقت ، لم يعلم ما اراده بها اللافظ فاذا الفها بضرب ما عرف مراده الفها بلغة العرب أو بلغة العجم ، والمعنى واحد .

ويقال لهم : اخبرونا عن هذه الحروف التي اشتركت فيها جميع الاشياء ، أمعروفة حروف اسم الله فيها ، ام مجهول حتى يؤلفها المؤلف فيكون الله غير معروف الاسم والصفة حتى يؤلفه المؤلف ؟ فينبغي على هذا القول ان يكون المؤلف فاعلا لاسم الله ، لان اسم الله عندهم توحيد الله بصفته ، فتكون للمؤلف على الله ـ تعالى ـ منة عظيمة ، لأنه اذا اراد أحدث اسمه ، واذا شاء ازاله ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وحاش لله ان يكون احد يفعل اسماءه أو صفاته ، وان تكون الحروف من صفاته مع انا لا ننكر ان تكون للواصف صفة يصف بها الموصوف وهي نطقه وخبره .

وكذلك التسمية على هذا المعنى ، فيكون الوصف صفة منه للموصوف ، وفعلا من افعاله ، ويبقى الموصوف بصفته التي هو بها وصفه الواصف ، أو لم يصفه ما أحدث له الواصف صفة لم يكن بها غير موصوف انه دل عليه وابان صفته من غيره وعرفه لمن لا يعرفه ، فثبتت الصفة للموصوف ، كما ذكرنا وثبتت صفة الواصف للموصوف التي هي نطقه وخبره ، واستفاد المخبر له من صفة الواصف علما لم يكن علمه فيسمى عالما بمعرفته صفة الموصوف ، وبالله التوفيق .

وسألوا ايضا فقالوا : ليس كل شيء غير الله اسمه غيره وصفاته غيره ، فيكون حتى زعمتم ان اسماءه وصفاته هي هو لا غيره ؟ قلنا : فياسبحان الله ! تعارضوننا بما لم نقر به ، ومع ذلك لو قال قائل : ان صفات الخلق واسماءه

غيره ، لا يلزمه ما قلتم اذ ليس كل ما يجري على خلقه يجري عليه ، فلو كان ذلك كذلك لكان علمه وقدرته في سائر صفات الذات غيره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولا يناظر اسماء الخلق وصفاته الى الله ـ تعالى ـ وسيأتي بيان هذا في موضعه ان شاء الله .

فصــل ؛ ويقال لهم : اخبرونا عن هذه الاسماء التي زعمتم انها مخلوقة ، ما هي ؟ فان قالوا : هي الله والرحمن والرحيم ، والخالق وما أشبه ما ذكرنا من الاسماء ، فيقال لهم : اكان الله في الازل اذ ولا خلق ليس هو الله ، ولا الرحمن ؟ فان قالوا : لم يكن هو الله ولا الرحمن ، فقد ردوا على الله نصا ، لأن الله يقول في كتابه : ﴿**هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم**﴾[1] فلا يخلو هذا الخبر الذي اخبر به عن ذاته ، أو عن غير ذاته .

فان قالوا عن ذاته ، وهو الذي نقول ، وان قالوا : عن غير ذاته ، فقد اجازوا ان ذات الله ليست هي الله ، ولا الرحمن ، ولا السميع ولا العليم ، فهذا رد على الله ونقض للاجماع وذلك ان الله قد خليقة محتملة للمعرفة مثل الملائكة ، والجن ، والانس ، وجعل لكل صنف من هذه الخليقة لغات يفهمون بها ما خوطبوا به ويتفاهمون بها ، فيما بينهم فاخبرهم ـ عز وجل ـ عن نفسه ، ودلهم على معرفته ، وامرهم بعبادته ، فقال لهم : ﴿**انني أنا الله لا اله الا انا فاعبدون**﴾[2] وقال : ﴿**اعبدوا الله**﴾[3] وقال ايضا : ﴿**نبىء عبادي اني انا الغفور الرحيم**﴾[4] ، السميع العليم في امثالها من الاسماء ، فان كان الله غير المعبود ـ سبحانه ـ فقد امرهم بعبادة غيره ؛ لان الله عندهم اسم مخلوق ، فقد امرهم بعبادة المخلوق ، وان كان ما امرهم بعبادة نفسه فقد صحت العبادة لمن عبد الله وانما قصدنا في هذا الى المعاني دون الالفاظ ، كما

---

١ - الآية ـ ٢٣ ـ من سورة الحشر
٢ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة طه
٣ - الآية ـ ٧٣ ـ من سورة الاعراف
٤ - الآية ـ ٤٩ ـ من سورة الحجر

قدمنا قبل هذا .

وقال الله ـ سبحانه ـ : ﴿هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ [1] فكيف يجوز لقائل ان يقول في هذا الموضع الذي قال الله فيه هو فيقول هو غيره ؟ على ان اهل هذه المقالة قالوا ، باقاويل ينقض بعضها بعضا ، مرة يقولون : ان الاسماء كلها مخلوقة ، ومرة يقولون : اسماء الذات ليست بمخلوقة ، زعموا ان العليم والقدير وصفات الذات كلها ليست بمخلوقة ، فان كان انما دلهم على خلق الاسماء ، انها ـ زعموا ـ في القرآن ، فقد جاء الخبر في القرآن بجميع الاسماء مجيئا واحدا ، اسماء الذات واسماء الفعل عندهم ، وان كان انما دلهم على حدثها انها اجماع وانها محدثة ، فقد جاء الخبر ايضا مجيئا واحدا ، فأما قولهم : بعضها مخلوقة ، وبعضها غير مخلوقة ، وان كان انما قصدهم الى الالفاظ والحكايات فهذا ما لا اختلاف فيه انها مخلوقة كائنة بعد اذ لم تكن كما قدمنا قبل ، هذا وبالله التوفيق ، انقضى الذي من كتب اهل المغرب .

فصـل ؛ في (العليم) من بعض كتب (اهل المغرب) ؛ والعليم صفة لله ـ عز وجل ـ في ذاته على نفي الجهل ، والدليل على علمه اتقانه الاشياء ، ولما رأينا الاشياء قد تأتت على مراده من الارض والسماوات ، والاشجار والنبات ، والجماد والحيوانات ، على نظام عجيب ، وتركيب عظيم ، وتدبير قويم ، علمنا ان صانعها عالم بها قبل تكوينها اذ لا تتأتى صنعة ممن لم يتقدم له علم بكيفيتها .

فان قال : ما معنى (الله عالم) ؟ قيل له : ليس بجاهل ، وزعم بعض المتكلفين ايضا : ان الاشياء لا تفسر باضدادها ، ومعنى (عالم) عندهم هو المستبين لما علم ، المدرك للاشياء على ما هي به .

وقول آخر : (العالم) الذي لا يخفى عليه ما علم .

(مسـألة) : فان قال : ما الدليل على انه لم يزل عالما ؟ قيل له : لا يعدو

---

[1] - الآية ـ ٢٣ ـ من سورة الحشر

ان يكون انما كان عالما بنفسه ، او بمعنى غيره ، فان كان بمعنى غيره ، فلا يخلو ذلك المعنى من ان يكون قديما معه أو محدثا احدثه ، فان كان قديما فهو اولى بالألوهية لكونه محتاجا اليه ، تعالى الله عن ذلك ، وان كان محدثا احدثه ، فلا يخلو من ان يكون احدثه لنفسه وهويعلمه او لا يعلمه ، فان كان لا يعلمه فالجاهل لا يحدث شيئا وان كان يعلمه فلا بد لذلك العلم من علم يعلمه به ، ولا بد للعلم من علم فيتصل ذلك الى ما لا غاية له ، فلما فسد هذا صح انه لم يزل عالما بنفسه وبذاته ، لا بعلم هو معنى غيره ، وهكذا القول في جميع صفاته ـ عز وجل ـ من القدم ، والحياة ، والقدرة ، والارادة ، وسائرها ، فلا معنى لتكرارها في كل مسألة .

فان قال : اخبرني عن العلم ، ما هو ؟ قيل له : قولك يحتمل معنيين :

ان كنت تريد علمه الذي هو صفة من صفات ذاته ، فمعناه الدرك والاحاطة والاستبانة .

وان كنت تريد علمه الذي احدثه ، فذلك قرآن وتوراة وانجيل ، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿انزله بعلمه﴾[1] يعني الذي هو من صفات الذات .

فان قال : لله علم ؟ قيل له : نعم ، هو عالم بنفسه لا على اثبات معنى ثان كان معه ، كما يقال جئتك بنفسي اي نفسه هي الجائية .

فان قال : نفسه علم ؟ قيل له : نفسه هي هو ، كما يقال نفس الحق ، اي هو الحق .

فان قال : هل يدرك العلم الا من قبل ثلاثة اوجه : احدها : المعاينة اذا كانت كما كان العلم موجودا ، والثاني : الخبر الذي يعلم به السامع ، والثالث:القياس على العيان والخبر ؟ قيل له : اما الخلق فلا يدركون الا بالاوجه الثلاثة ، واما الخالق ـ سبحانه ـ فيدرك بخلاف هذه الطرق ؛ لأنه لما كان بخلاف الخلق من جميع الجهات ثبت انه يعلم لا من هذه الجهات ،

١ ـ الآية ـ ١٦٦ ـ من سورة النساء

فالعالم بالخبر يستفيد به علما لم يكن يعلمه قبل الخبر ، والعالم بالقياس انما يستفيد بعلم ما لم يكن يعلمه ؛ لأن القياس اجتهاد ظاهر على باطن ، ومتجل على خفي ، والاشياء كلها لله ـ تعالى ـ متجلية ، مع ان الذي يعلم بالقياس يحتاج الى البحث والنظر ، واقامة الادلة ، ليعلم بها ؛ لأن القياس حمل معلوم على معلوم لامر جامع بينهما من نفي واثبات ، والذي يعلم بالادلة يحتاج اليها .

فان قال : فكيف اذا ؟ قيل : يعلم لا ينال العلم بكيفية علمه ، غير انا نعلم انه عالم بخلاف ما به يعلم الخلق اذ كان مخالفا لهم من جميع المعاني .

فان قال : علم الله قديم ؟ قيل له : إن كنت تريد ان القديم ـ سبحانه ـ عالم بنفسه فنعم ؛ وان كنت تريد علومه التي احدثها للخلق يعلمون بها من كتبه المنزلة التي هي له ملك وخلق ، فلا ؛ لأن الكتب المنزلة محدثة ليست بقديمة .

فان قال : افيتسمى الله علما ، قيل : (لا) .

فان قال : أوليس علمه هو هو ؟ قيل له : ان العلم صفة له ، والصفة لا تقوم مقام الموصوف ، وقد تكون صفة الموصوف هي الموصوف ، وليس بجائز ان يكون الموصوف في نفسه صفة لماذا رائد لنفسه او لغيره .

والثاني : ان يدعى يا صفة ، كما يدعى يا موصوف .

والثالث : هل توصف تلك الصفة بصفات أم لا ؟ .

وهذه الوجوه كلها فاسدة ، وايضا فليس للخلق ان يضعوا له ـ عز وجل ـ اسماء من تلقاء انفسهم ، وانما ينبغي لهم ان يسموه بما سمى به نفسه ـ جل وعلا ـ ، ولم نجده سمى نفسه علما ولا قدرة في امثالها من الصفات ، بل وجدناه قال : (عالما قادرا سميعا) في امثالها في الاسماء ، قلنا : لله علم اي هو العالم كما يقال : اسألك بوجه الله اي بالله ، وكذلك له القدرة اي هو القادر في

امثالها ، والله اعلم ، واحكم .

فصـل ؛ وحكي عن جهم بن صفوان واشياعه من الجهمية ، وبعض فرق الرافضة ؛ ان علم الله محدث ، وانه لا يكون ان يعلم الاشياء حتى تكون موجودة ، واعتلوا بذلك ، فان قالوا : وجدنا الله حكيما ، والحكيم حكيما لا يرسل رسولا بحاجة يعلم ان المرسل اليه غير قاض لحاجته ، ولو فعل ذلك لكان عابثا ، ووصفوه ايضا بالبدء لهذه العلة ، وتعلقوا بقوله : ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ [1] وموهوا على الجهال في مقالتهم بنفي علم الله عن الاشياء حتى تكون موجودة بآيات يزعمون انها موافقة لمذهبهم ، منها قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**﴾ [2] (الآية) ، وبقوله : ﴿**حتى نعلم المجاهدين منكم**﴾ [3] ، وبقوله : ﴿**ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا**﴾ [4] ، في آي كثيرة من القرآن ، زعموا انها دالة على مذهبهم في العلم .

ووجه الرد عليهم ان يقال لهم : هذا من قلة فهمكم بلغة العرب وبيان الفاظها ؛ لأن اهل اللغة جميعا لو سمعوا رجلا يقول لمن يفاخره : ينبغي لنا اهل المعرفة بالأنساب ، وأيام العرب ليعلم اينا اشرف نسبا ، وأكرم بيتا ، لم يتوهم احد ان هذا القول خرج من قائله على معنى الشك والارتياب لحاله ، الا ترى الى قول الله ـ تعالى ـ : ﴿**قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ [5] ، فلا يذهب وهم احد الى ان هذا يخرج من الرسول ـ عليه السلام ـ على الشك بحاله وحال المشركين ، فيقال لهم ايضا : لو جاز لكم هذا التأويل في هذه الآي المذكورة ، لجاز لغيركم في قول الله : ﴿**وارسلناه الى مائة الف أو يزيدون**﴾ [6] وقوله :

---

١ - الآية ـ ٣٩ ـ من سورة الرعد
٢ - الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة البقرة
٣ - الآية ـ ٣١ ـ من سورة محمد
٤ - الآية ـ ١٢ ـ من سورة الكهف
٥ - الآية ـ ٢٤ ـ من سورة سبأ
٦ - الآية ـ ١٤٧ ـ من سورة الصافات

﴿فهي كالحجارة أو اشد قسوة﴾ [1] وقوله : ﴿وما امر الساعة الا كلمح البصر﴾ [2] أو هو اقرب في اشباه هذا من القرآن ، فيتأول هذا في الاشياء الموجودة انه على معنى الشك من الله - تعالى - والجهل بكيفيتها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

واما ورود الآي التي استدلوا بها ، فانما هو على وجه الاستظهار بالحجة ، وقطع المعاذير ، كقوله - تعالى - : ﴿ليبلوكم ايكم احسن عملا﴾ [3] ، انما هو بلوى الامتحان بالفرض ؛ لأنه - تعالى - عالم بالاشياء قبل كونها .

وقال سليمان بن حفص الفراء : وجه الابتلاء والامتحان والاختبار ممن يعلم ، ليظهر ذلك لمن لا يعلم ، ولولا الامتحان ما عرف المنافق من المخلص ، ولا الجبان من الشجاع ، الا ترى الى قوله : ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ [4] ، وقال المنافقون : ﴿ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا﴾ [5] وكذلك قوله - تعالى - : ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [6] ، ﴿ لعله يتذكر أو يخشى﴾ [7] ، في أمثالها من الآيات ، انما هي على ايجاد الحجة ، وقطع العذر .

واما قوله : ﴿وانا أو إياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ﴾ في امثالها على استقصاء المطالبة والمبالغة في التغريف بحسن المعاملة ، كما قال : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾[8] على جهة التلطف والاستدعاء الى الصدقة .

---

١ - الآية - ٧٤ - من سورة البقرة
٢ - الآية - ٧٧ - من سورة النحل
٣ - الآية - ٢ - من سورة الملك
٤ - الآية - ٢٢ - من سورة الاحزاب
٥ - الآية - ١٢ - من سورة الاحزاب
٦ - الآية - ٢٥ - من سورة ابراهيم
٧ - الآية - ٤٤ - من سورة طه
٨ - الآية - ١١ - من سورة الحديد

واما قوله : ﴿الى مائة الف أو يزيدون﴾ ، اراد بل يزيدون ، وكذلك قوله ﴿أو اشد قسوة﴾ ﴿أو هو أقرب﴾ ، فاو ها هنا بمعنى بل .

وأما قوله : ﴿حتى نعلم المجاهدين﴾ ، في امثالها اراد حتى نعلم ذلك كائنا موجودا كما علمه قبل وجوده ، وحتى يراهم فاعلين في قوله : ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله﴾.[1] و(حتى واللام) عند المفسرين في هذه الآيات وما اشبهها واقعتان على المعلوم لا على العلم ، والله اعلم واحكم .

وقد اخبرنا الله ـ تعالى ـ انه عالم بالاشياء قبل وجودها في آي كثيرة ، من كتابه ، كقوله : ﴿وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين﴾ [2] ، وقوله عن ابليس : ﴿وقال الشيطان لما قضي الامر﴾ [3] (الآية) وعن مراجعة الذين استضعفوا للذين استكبروا ، وما حكي عن مالك وجوابه لأهل النار ، واستغاثة أهل النار بأهل الجنة والخزنة ، في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم﴾ [4] وامثال هذا كثير في القرآن .

(مسألة) : ويقال لهم : اخبرونا عن جميع ما اخبرنا الله ـ تعالى ـ من الامور الجائية ، أعالم بذلك ام غير عالم ؟ فان قالوا غير عالم ، قيل لهم : فالمخبر عما لا يعلم انه يكون أم لا يكون انه سيكون ، اليس هو بأكذب الكاذبين ، تعالى الله عن ذلك ؟ مع ما يقال لهم اخبرونا عن قولكم : ان علم الله محدث ، أهو أحدثه ام غيره ؟ فان كان غيره فهو اولى بالربوبية منه تعالى الله عن ذلك ، فان كان هو الذي احدثه فهو قبل ذلك جاهل ، والجاهل لا يحدث شيئا ، فبطل ما وصفوه به ـ جل وعلا ـ من حدوث العلم لكل ما ذهبوا اليه من البدء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(مسألة) : واما قوله تعالى : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام

---

١ - الآية ـ ١٠٥ ـ من سورة التوبة
٢ - الآية ـ ٤ ـ من سورة الاسراء
٣ - الآية ـ ٢٢ ـ من سورة ابراهيم
٤ - الآية ـ ٤٩ ـ من سورة غافر

الكتاب﴾ [1] ، وقوله - تعالى - : ﴿انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [2] ، أما هذه الآية فقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر فيها بان الحفظة تكتب ما حفظت من اعمال العباد ، فتلتقي في السماء مع ملائكة يكتبون ما صح للعبد مما يؤخذ به ، ويثاب عليه ، مما هو مكتوب في اللوح المحفوظ فيتقابل النسختان ، فيثبت جميع ما صح في اللوح المحفوظ ، ويتلاشى ما سواه .

وقال في كتاب العدل : وهو معنى قوله : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ والله اعلم بتأويل كتابه .

فصل ؛ فان قال قائل : هل يعلم الله نفسه ؟ قيل له : نعم .

فان قال : كما علمه الموحدون ؟ قيل له : سؤالك يحتمل معنيين :

ان كنت تريد ان علمنا بالله كعلمه بنفسه ، فتوقع التشبيه بين العلم والعلم فذلك فاسد .

وان كنت تريد ان العلم واحد لا يختلف على كل من علمه فنعم .

فان المؤمنين علموا ان ربهم واحد ليس كمثله شيء ، كما ان الله - عز وجل - علم نفسه انه واحد ليس كمثله شيء .

وان كنت تريد ان خلقه يعلمه بالمشاهدة كما يعلم هو نفسه بالمشاهدة ، فلا يجوز ؛ لان الخلق انما علموه بالدلائل التي جعلها في صغير الخلق وكبيره ، ولا يقال : علم الله نفسه بغير ما عرفه خلقه ؛ لأنه لا يقال : علم الله بكذا الا في ثلاثة :

علم نفسه بالمشاهدة ، وعلم نفسه بنفسه ، وعلم نفسه بذاته ، وما عدا هذه الوجوه الثلاثة ، لا يقال فيه بكذا ، كما لا يقال قدر ، ولا سمع ولا

---

١ - الآية - ٣٩ - من سورة الرعد

٢ - الآية - ٢٩ - من سورة الجاثية

ابصر ولا اراد بكذا ، ولا بغير كذا ، فاعلم ان الباء في جميع الصفات غير جائزة ، الا في وجهين :

قدر بنفسه وبذاته ، واراد بنفسه وبذاته ، وسمع وابصر بنفسه وبذاته ، وما عدا النفس والذات ، لا يقال فيه بكذا ، ولا بغير كذا الا في العلم ، فان فيه ثلاثة اوجه .

علم بنفسه ، وبذاته ، وبالمشاهدة ، واما العباد فجائز ان يقال عرفوا ربهم بغير ما علم نفسه ، اي بالادلة ولا يجوز على الله ـ عز وجل ـ لما كانت الادلة انما يستدل بها المستدل على ما غاب عنه ، والله ـ عز وجل ـ مشاهد لكل شيء ، ولا يغيب عنه شيء من الاشياء .

(مسألة) : ويقال : الله ـ عز وجل ـ عالم ، ويعلم ، وقد علم ، وعلام ، وعليم ، ولا يقال : فقيه ، ولا يفقه ، ولا فهم ولا يفهم ، ولا عاقل ولا يعقل ، ولا لا يعقل ، ولا يوصف بالحذق والكياسة ، ولا يقال : سخي ولا غير سخي ؛ لأن السخاء انشراح النفس ، ويقال : علم الله وابصر ، وادرك واستبان الاشياء .

(مسألة) : فان قال قائل : هل الله غاية أو له نهاية ؟ قيل له : ان الله ـ جل جلاله ـ ليس بذي غاية ولا نهاية ؛ لأن كل ذي غاية محصور ، وكل ذي نهاية محدود ذليل مقهور .

فان قال : هل يعلم غاية نفسه أو يجهلها ؟ قيل له : القول بهذا فاسد متناقض ؛ وذلك ان الله لا غاية له حتى يقول يعلمها أو يجهلها ، نظير هذا القول مثل من يقول يعلم الله ان المخلوق خالق ، أو يجهل انه خالق ، أو يعلم ان المسبح الاله ، او يجهل انه اله ، وكذلك المخلوق ، وذلك ان الشيء اذا لم يكن بصفة لم يجز القول : بان الله يعلم بانه بتلك الصفة ، او يجهل بأنه بتلك الصفة .

فان قال : كيف يقال اذا قيل له : بانه عالم بانه لا غاية له فان قال : هل

يقال لا يعلم الله لنفسه شريكا قيل له : انما يقال : يعلم الله انه لا شريك له .

فان قال : قول الله ـ تعالى ـ : ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم﴾ [1] قيل له : يعلم الله بخلاف ما قالوا ؛ والله اعلم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ ابي نبهان ، جاعد بن خميس الخروصي ، وعن قول الشيخ ابي محمد : والقسم الثاني ما كان الاختلاف بين الناس فيه ، مثل عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، أو عالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، فحجة هذا تلزم بعد الاستدلال والسؤال ، وعلى الشاك فيه الا يعتقد قولا من اعتقاد المختلفين بغير دليل ، وان يتمسك بالجملة ، وهي ان الله واحد ليس كمثله شيء .

قال غيره : نعم ؛ صحيح ان هذه المسألة مما قد وقع فيها الاختلاف بين اهل الحق ، وبعض اهل الخلاف ، اذ قد قالوا في الله : انه عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، واستدلوا على هذا بأدلة باطلة تشعر بفساد قولهم .

وقال اهل الاستقامة : انه عالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، لا بعلم معه هو غيره يعلم به المعلومات ، ولا قدرة يقدر بها على المقدورات ـ تعالى ـ عن ذلك وجل عن ان يشبه خلقه في شيء ، او يشبهه خلقه في شيء ، فانه ليس كمثله شيء .

هذا هو العدل من المقال ، في حق الكبير المتعال ، والأول من قول أولي الضلال ، ولا شك فيه انه باطل على حال ؛ لانه من الوصف للجبار ، بانه محل للاغيار ، ولانها على دعواهم فيهما انهما غيره لا بد من أن يكونا له حادثين ، أو يكونا معه أو قبله قديمين .

فان كانا حادثين فهو لا محالة قبل العلم جاهل ، وقبل وجود القدرة له عاجز .

وان كانا معه قديمين لم يكن المولى منهما بالقدم أولى .

---

١ ـ الآية ـ ١٨ ـ من سورة يونس

وان كانا قبله فاثبات الالهية لهما اليق ، لكونهما كانا بالأولية أحق ، وهذا مما لا يخفى باطله على احد من أهل الحق ، لانه المقتضى تشبيه الخالق بالخلق ، ونسبة الجهل والعجز الى الملك الحق ، مع الابطال من واجبات حقه لصفة الأولية ، والقدم في الأزلية والانفراد بالالهية .

ولما فسد هذا واتضح بالحق فساده في صفة الاله ؛ لانه من صفات المألوهين ، وكأنه لا ريب في انه عالم وقادر ، ثبت وصح ما قاله أهل الحق : انه عالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، اثباتا لذاته انها ذات عالمة وذات قادرة .

وفي الحجة في هذا تقوم على من قامت عليه من حجة العقل ، لكنه مما يسع جهله قبل ان يسمع به ، أو يدعى اليه ، أو يخطر على باله ذكره ، فيعرف معناه ، والمراد به ، واذا كان ذلك أو شيء منه لم يسعه جهله ، وضاق عليه الشك فيه ، ولم يجزه ما كان جاز له من التمسك بالجملة عنه بعد نزول بليته لقيام الحجة به عليه خلافا لأبي محمد في هذا ؛ لانه من الصفات القائمة بها الحجة من حجة العقل ، وعليه ان يعلم انه عالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، عند ذلك ، والا هلك في الحال ، ولا ينفس له لقيام الحجة عليه في السؤال .

وليس لمخالفة من خالف الحق بالباطل في هذا من المخالفين يكون له العذر في الجهل ، ولو كانوا الوفا لا تحصى الحجة عليه من نفسه بعد السماع له ، بنفس القول من قول من قاله به من المختلفين ، وهو الحجة له وعليه كيفما كان ذلك من ضعيف ، أو عالم ، أو تقي ، أو ظالم ، فكله في الحجة سواء ، لانه قائم بنفسه في الحجة ، وشاهد لنفسه بالحجة بانه حجة لمن قامت الحجة له منه به ، وعلى من قامت الحجة عليه به ، وليس له ان يرجع بعد الهدى الى الشك والعمى ، ولا بعد العلم الصحيح الى الجهل القبيح .

هذا ما لا يجوز في الباب اهل البصائر غيره قطعا ؛ لانه متى وسعه الشك في هذا من الصفات وسعه الشك فيها كلها ، واذا وسعه ذلك في الحق وسعه الشك في ان له الها خالقا ومحدثا ورازقا ، لا سيما على معنى قول الشيخ ابي محمد : عند وجود السماع منه لمقالات المنكرين ، وضلالات الجاحدين ، ولو

سمع العبارة في ذلك من قول الصادقين ، حتى يستخبر عن ذلك اهل الخبرة ، واذا كان في هذا هكذا لا غيره في الحق يخرج ، أو كان يجوز في الدين أو الرأي ، وكان له وجها في الصواب ، فمتى يكون على قوله هذا قول المخبرين حجة له او عليه ، اذا كان قول المخالفين للحق بالباطل حجة توجب له اباحة الشك في ذلك ، والسلامة في الكون على الجهل بعد الوقوف منه على قول المحقين ، أبعبارة الواحد ، أم الاثنين ، أم الثلاثة ، أو مائة الف أو يزيدون ، أو كل من في الأرض أو جميع العالمين ؟ ولأي فائدة في ذلك ؟

فان كان لازالة الشك عنه ، فكيف يزول وقول المبطلين لا يزال في مقابلة المحقين ؟

وان كان لقيام الحجة فبخاطر البال ، وسماع المقال ، على الصحيح تقوم وقد سمع ، وعلى الاختلاف اطلع ، فلم السؤال بعد ؟ والواحد كالمائة الف ، والمائة كالواحد ، ولا يكون قول الآخرين الا مثل قول الأولين ، فلا معنى للسؤال هنالك اذ لا بد من أن يقولوا كقوله : فلا مزيد ، أو بخلاف قوله ، فلا حجة ؛ لأن المحق من كان الحق في يده ، وعلى الناس ان يكونوا على الحق ، والمبطل لا حجة له ولا منه ، ولو كانوا جميع اهل الأرض الا ذلك الواحد فهو الحجة في الدين على جميع من سواه من المخالفين ، ولا نعلم في ذلك اختلافا .

واذا كان ذلك كذلك ؛ كان على من سمع الاختلاف في ذلك ، ان يعمل بالحق ، ويتبع المحق من حين ما يعرف معنى ذلك ، والمراد به ، ولا يجوز له من اجل ذلك البراءة منه ، ولا الوقوف عنه ، ولا الشك في صواب ذلك من قوله ، ولا في ضلالة من قال بخلافه ، فزعم ، بأن الله عالم بعلم ، وقادر بقدرة هما غيره فيه ؛ لانه يدين بنقض ما عليه به في هذا ان يدين .

وقيل : بالسعة له في الشك في ضلاله اذا لم يصل الى علم ما يبلغ به الى الحكم في ذلك عليه ، ما لم يتوله على ذلك بدين ، أو يبرأ ، أو يقف عن أحد من العلماء المحقين اذا برئوا منه على ذلك بدين ، أو رأي أو يبرأوا أو يقفوا

بدين على ذلك من ضعفاء المسلمين ، وهذا كأنه في مذاهب أهل الحق صحيح ، ولكن الأول فيما قيل أكثر .

ولكل واحد من القولين حجة قد ورد بها الأثر في [الاستقامة] و[المعتبر] ، وكل ذلك سائغ في النظر والذي مر المساغ في الدين والرأي لا ينساغ ؛ لكونه لا يجوز على حال تجويز الوقوف على الشك في نفس القول بالباطل ، الذي اضله بقوله له على سبيل تأويل الضلال في خالقه ، ومحدثه ورازقه .

وكذلك الجهل في صواب قول اهل العدل ، او الترك له ، او الشك فيه بعد قيام حجة العلم به عليه من وجه السماع للعبارة ، وفهم المراد في ذلك منها ، أو من الكشف لبرهان الحق فيه من نور البصيرة عن خاطر القلب بالذكر ، وفي هذا ، وفيما أشبهه مما لا يحصى في الله من الصفات لذاته وافعاله ومعانيها ، وما هو المناط بأحكامها ، ولا شك في انه في باب ما يسع جهله ، وما لا يسع جهله كله سواء ؛ لانه في درجة واحدة على سواء ؛ فانظر فيه وتدبر معانيه وطالع الاسفار تجد الآثار ، ان شاء الله قاضية في هذا لنا بالصواب ، وعلى ابي محمد بالغلط ، وذلك امر بين لا إشكال فيه ولا جدال ، ولا لبس ولا خفاء ، عند من فتح الله بصيرته فصفا فكره ، وانشرح بنور العلم صدره ، لكونه واضح المنهاج الا على من ركب اللجاج طلب الحجاج ، وسلك سبيل الاعوجاج ، وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم .

(مسألة) : ومن جواب الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ ما تقول فيمن سمع ، أو خطر بباله ان الله ـ تعالى ـ عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، أو عالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، فهل ينفس لهذا الانسان الضعيف ، الى ان يسأل ، أم السؤال مع خطور ذلك بالبال عبث لا فائدة فيه ، وتقوم علية الحجة من عقله كلمح البصر ، اذا خطر ذلك بباله ؛ افتنا ذلك مأجورا ؟

الجواب ؛ جاء في الأثر مجملا انه متى خطر بباله شيء مما لا يجوز في صفات الله ـ تعالى ـ ، لا ينفس له في السؤال ، والمعنى اذا عقل معنى ذلك ،

فاما بهذا الشرط انه اذا عقل معنى ذلك فلا شك فيه انه هو الحق ؛ لان [عقل] معناه هو ان يفهم معنى ذلك ، فلا ينفس له الشك الى ان يسأل ، وكيف يسأل عما قد عرفه ؟ وكيف يجوز ان الله ـ تعالى ـ عالم بعلم ، فيكون الله ـ تعالى ـ واحدا ، والعلم واحدا غيره ؟ فعلم هذا الواحد بهذا الواحد ، وهذا الواحد وهو العلم من خلقه ، فان كان خلقه الله ـ تعالى ـ ، فكيف يخلق شيئا من هو غير عالم ؟ وكيف يقدر من هو غير قادر قبل ان يخلق القدرة التي قدر بها ؟ وان كان لم يخلقها هو صح وجوب قدم الباري ، وقدم القدرة ، وقدم العلم ، وبهذا ضل الغزالي في [التوحيد] اذ قال : ان الله ـ تعالى ـ عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، فكانت صفات الله من هذه الحيثية مثلنا ؛ لاننا نحن علماء بعلم وقادرون بقدرة ؛ لأن العلم هو شيء غيرنا ، والقدرة هي شيء غيرنا ؛ بدليل انه يأتي علينا زمان لا نعلم ما نعلمه في حال معرفة ذلك ، ولا نقدر ما نقدر عليه ، وكذلك تختلف علينا الأحوال في القدرة والعلم ، فاذا علم هذا وفهمه هكذا فلا ينفس له في الشك فيه ؛ لانه شك في صفات الله ـ تعالى ـ بعدما علم انه لا يجوز .

واما اذا سمع ذلك ولم يفهم معناه ، ولم يعتقد في الله ، فيجوز له الشك حتى يسأل ، والمراد به الشك في معرفة معناه لا في الله ـ تعالى ـ انه لا يعرف معناه ، وكيف يكلفه الله ـ تعالى ـ فهم ما لم يفهمه وهو تكليف عقل ما لم يعقل ؟ ولله در الشيخ العالم الكبير ابي سعيد ـ رحمه الله ـ حيث تكلم في هذا الموضع فظهر بذلك نور علمه على علم الغزالي ، انه هو اكثر علما منه ، واقوى فهما ، حيث الزم الغزالي كل امرء حر بالغ عاقل عشر صفات لله ـ تعالى ـ ؛ وانه لا يمكن ان يأتي الى امرىء حر بالغ حالة هو معذور عن معرفتها .

وقال : شمس سماء العلم انه لا يلزم المرء معرفة شيء من صفات الله ـ تعالى ـ مما لم يخطر على باله ، فلم يكن علم الغزالي مع علم الشيخ الا كتفلة في بحر ، ولا سيما حيث كان هذا القول من الغزالي ايضا ، ان الله عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فافهم الفرق بين الشك ممن [عقل] اي فهم المعنى تماما ، ومن لم يفهم معنى ذلك فهو شاك في المعنى ما

هو ، والله اعلم .

(مسألة) : ومن كتاب [الاقليد] فان قال قائل : انكم زعمتم ان الذات واحدة ، وان صفاتها هي هو ؛ ما تقولون فيمن خلقه الله حيا ، ثم مات ، أو مات ثم حيي ؟ أبعلم واحد علمه ام بعلوم كثيرة ؟ فان قلتم : بعلم واحد ، فقد جعلتم الحي ميتا ، والميت حيا ، وان قلتم : بعلوم كثيرة ، فقد أثبتم قدماء كثيرة ، وان قلتم : علمه بلا علم وقعتم في المحال ؟

فالجواب ؛ علم الله للحي منّا في حين حياته ، ثم علمه في حال موته ، وقع التفاوت بين الحالين لا بين العلمين ، كما ان الذات التي علمته ميتا ، هي الذات التي علمته حيا ، كما قلت في العالم ، قلنا في العالم : وتعكس عليهم المسألة ، فان قالوا : بعلم واحد لزمهم ان يجعلوه حيا ميتا ، موجودا معدوما ، فان قالوا بعلوم كثيرة على عدد اجزاء الخليقة ، فقد اثبتوا قدماء كثيرة مع الله في الأزل ، فان قالوا لعلمهم بلا علم ؛ وقعوا في المحال ، ولا وقع لهم السبيل الذي سلكناه ، وكذلك القول في سائر الصفات من القدرة والارادة ، والسخط والرضى ، واعلم ان القوم عرضوا بالخمس هيئات : ـ

أولها قولهم : ان الذات واحدة ، ذات الباري ، وان صفاته هي هو ، لا غيره ، فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هي الله ، في أمثالها .

الثانية : إن أجزتم هذه فقولوا : الله هو العلم ، والله هو القدرة في أمثالها ، ومن غيره وفي كتاب [صحيح الاعتقاد وصريح الانتقاد] ؛ ان علم الله ليس هو هو ، ولا هو غيره .

رجـــع

والثالثة : ان العلم هو القدرة ، والقدرة هي العلم أو غيرها .

والرابعة : فان معنى [علم] هو معنى [قدر] ، ومعنى [قدر] هو معنى [علم] أو غيرها في أمثالها .

والخامسة : ان هذه الصفات التي وصفتم الله بها لا تخلو من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كانت معنى فهو ما قلنا ، وان كانت غير معنى فقد وصفتم الله بلا معنى .

وأما قولهم في علم الله : انه الله أو غيره ، فان بعض أصحابنا يقول هو هو ، فيقول : علم الله هو الله ، لا غيره ، وقدرة الله هي الله ، والأحسن أن نقول ليس هنالك غير الله ، والله أعلم .

(مسألة) : من كتاب [النور] تأليف عثمان بن ابي عبدالله الأصم ؛ قال المؤلف : الدليل على ان علم الله قديم غير محدث ؛ انه ـ تعالى ـ لو خلق علمه لآل الى انه قبل خلق علمه كان جاهلا ، والجاهل ليس باله ، انما الاله هو العالم القادر ، ليس كمثله شيء ، والفعل انما هو معلوم بالعلم ففسد ان يخلق علمه اذا كان الفعل انما هو معلوم بالعلم ، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿لننظر كيف تعملون﴾ [1] ، و﴿حتى نعلم المجاهدين﴾ [2] ، و﴿لنعلم من يتبع الرسول﴾ [3] ، ليس انه ـ تعالى ـ جاهل بذلك ، وانما مراده ان يفعلوا لكي يعلم بما يكون من فعلهم ظاهر كما علمه قبل كونه ، فارادة الباري ان يفعلوا ليظهر الله ـ تعالى ـ ما علمه منهم قبل ان يعملوا فيظهر ما عملوه من العدم الذي علمه في سابق علمه منهم الى الوجود ، ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، باظهار وجود عملهم ، اذ كان الباري لا يجازي العباد بما علم منهم في سابق علمه ، وانما يجزيهم فيما بينهم ، ويعاقبهم على الأمر والنهي ، لا على العلم عاملهم ، بل على الأمر والنهي .

ومن غيره ؛ ونقول : ان الله هو العالم وهو القادر ، ولا نقول : ان لله ـ تعالى ـ علما وقدرة هما غيره ، ولو كان علمه هو تعالى ، لجاز ان يقال : يا علم اغفر لي ، فالله ـ تعالى ـ هو العالم بنفسه ، لا بعلم هو غيره .

فلو جاز أن يكون علمه محدثا مخلوقا لوجب ألا يعلم العلم الذي يريد

---

١ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة يونس
٢ - الآية ـ ٣١ ـ من سورة محمد
٣ - الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة البقرة

ان يخلقه ، كيف يخلقه ، فلما استحال هذا وجب ان يكون علم الله غير محدث ، وانه هو العالم بنفسه ، وعالم بما يريد ان يخلقه ويحدثه قبل ان يخلقه ويحدثه فسبق العلم قبل العلم ، وكفى ذلك فالعلم غير مخلوق .

وكذلك القول : في المشيئة والارادة ، فلو انه اراد - تعالى - ان يخلق المشيئة والارادة ، فلا بد ان يتقدم قبلهما مشيئة وارادة ، ان الله - تعالى - لا يخلق المشيئة من غير ان يشاء خلقها ، ومشيئة بمشيئة ، ومشيئة بمشيئة ، يتسلسل ذلك الى غير نهاية وذلك فاسد ، كما انه اذا اراد ان يخلق علما فلا يخلقه حتى يعلم انه قد شاء ان يخلق علما ؛ فعلم بعلم ، وعلم بعلم فاسد .

وكذلك القول : في الارادة اذا اراد ان يخلقها ، فلا بد ان يريد ان يخلقها .

وكذلك القول : في القدرة ، فالعلم والقدرة ، والمشيئة والارادة ، من صفات الله - تعالى - والله - تعالى - العالم القادر يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، والله اعلم .

رجـــع

(مسألة) : ومنه ؛ قال المؤلف : الدليل على ان الله عالم بنفسه لا بعلم هو غيره به علم ، انه لا يخلو من أن يكون ذلك العلم قديما أو محدثا فان يكن العلم الذي علم به قديما معه ، وجب أن يكون معه شيء غيره [قديمين] ، وفسد التوحيد .

وان كان محدثا وجب ان يكون الباري قبل حدوث علمه غير عالم ، وكيف يحدث العلم لنفسه بلا علم ، والفعل انما يكون بالعلم ، والعلم قبل الفعل ، وقول الله - تعالى - : ﴿انزله بعلمه﴾ ؛ **المعنى انه أنزله وهو عالم به ، ولو كان عالما بعلم ؛ لكان حيا بحياة ، وقادرا بقدرة ، ومريدا بارادة ، وفاعلا بقوة عرضية هي غيره .**

(مسألة) : ومنه ؛ فان قال : أفتقولون ان لله علما ؟ قيل له : نعم ؛

نقول : ان لله علما ، نعني انه العالم بالأشياء ، ولا نقول ان له علما هو غيره به علم ، وانما نقول : ان لله علما كما قال في كتابه : ﴿انزله بعلمه﴾ [1] ، أي أنزله وهو العالم به . فان قال : أفتقولون ان له علما وقدرة ؟ الجواب ؛ انا نقول ان الله هو العالم وهو القادر ، ولا نقول : ان لله علما وقدرة هما غيره ، ولو كان علمه هو ، لحسن ان يقال : يا علم اغفر لي ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : من كتاب [بيان الشرع] ان سأل سائل فقال : ما الدليل على ان الله عالم ؟ قيل له : الدليل على ذلك لاني وجدت أفعاله هذه كلها محكمة ، فعلمت انه عالم .

فان قال : فلم قلت : ان من كانت أفعاله محكمة فهو عالم ؟ قيل له : لأن من لم يكن عالما كانت أفعاله مختلفة متفاوتة متناقضة ، ولما كانت افعال الله كلها متفقة متسقة محكمة ، علمت انه عالم .

فان قال : عالم بعلم ؟ قيل له : بل عالم بنفسه .

قال ابو سعيد : الذي معي ؛ انه اقرب من هذا الجواب واحسن ان يقال للسائل : بل هو عالم لا بعلم غيره ؛ لأن السائل لم يسأل [علم] فان قال : عالم بعلم ، أو عالم بنفسه ، لم يكن بدا أن يقال له : عالم بنفسه لمعنى الجواب اذا ثبت .

فان قال : لم انكرت ان يكون عالما بعلم ، اذ لم نشاهد عالما الا بعلم ، قيل له وكذلك لم نشاهد عالما الآن وكان قبل ذلك غير عالم ثم علم فيجب ان لا يقضي بالشاهد على الغائب .

قال ابو سعيد : معي ؛ انه لا يجوز ان يقال في صفات الله ؛ انه الغائب بل هو الشاهد كما سمى نفسه على غير المشاهدة ، كمشاهدة المشاهدين ، واذا ثبت انه عالم بعلم غيره ثبت انه جاهل قبل العلم الذي علمه .

واما قوله : انا لا نحب ان نقضي بالشهادة على الغائب ، فالله اعلم بما

١ـ الآية ـ ١٦٦ ـ من سورة النساء

اراد بذلك ، ومعنا ان معرفة الله - تبارك وتعالى - انه عالم لا بعلم غيره ، يدخل في علم الغائب عن مشاهدة بالعقول ، بل هي معنا مما تقوم به الحجة من العقول ، واذا ثبت في العقول لم يبن لنا أن نسميه غائبا لا على سبيل غيبة ذلك عن المشاهدة ، على سبيل مشاهدة الشيء للشيء.

فان قال : ما انكرت أن يكون بقوله : لا معنى له انه لا يخلو من ان يكون عالما بنفسه ،أو يكون عالما بعلم ، فان يكن عالما بعلم فهو ما أقوله ، وان كان عالما بنفسه وجب أن تكون نفسه علما ، فلما استحال ان تكون نفسه علما وجب ان يكون عالما بعلم .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه : ان هذا السؤال فيه غلط ، والذي عرفت ان هذا السؤال هو ان لفظه بأن قال قائل : ما انكرت من أن يكون ما تقوله من انه عالم بنفسه لا معنى له ؛ لانه لا يخلو من أن يكون عالما بنفسه او عالما بعلم ، فان يكون عالما بعلم فهو ما تقوله ، وان كان عالما بنفسه وجب ان يكون نفسه علما ، فلما استحال ان يكون نفسه علما ، وجب أن يكون عالما بعلم .

رجـــع الى الكتاب

قيل له : ان العالم ان ما كان عالما بوجود علمه وقولنا عالما بنفسه اثبات للذات ، انها عالمة ، فاذا قلنا بعلم لم يخل ان يكون ذلك العلم الذي ذكرنا ان يكون غيره قديما او محدثا ، فان كان قديما وجب ان يكونا قديمين في الأزل ، وان كان محدثا وجب ان يكون القديم كان غير عالم ، ثم علم ، فلما فسد هذان الوجهان صح الوجه الثالث انه عالم بنفسه .

قال ابو سعيد : هكذا عندي ، انقضى .

فصـــل ؛ باب في الصفات من كتاب [ركن الدين] تأليف ابي طاهر المعتزلي ينظر فيه ، ولا يؤخذ منه الا ما وافق الحق والصواب ، تعلقوا في اثباته بآيات فمن ذلك قوله - تعالى - : ﴿وما تحمل من انثى ولا تضع الا

بعلمه﴾ [1] ، وقوله : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء﴾ [2] وقوله : ﴿انزله بعلمه﴾ [3] ، قالوا : فقد أثبت العلم لنفسه .

الجواب ؛ ان الظاهر لا يصح لهم التعلق به ؛ لأن ظاهر اللفظ يقضي ان الوضع كان بعلمه ، والانزال بعلمه ، فيكون العلم آلة للوضع والحمل ، والانزال ؛ لآن ذلك قضية اللفظ ، وهذا ما لا خفاء بفساده ، ولا يحتج الخصم به ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء﴾ ، يقتضي ان علمه يتبعض لدخول [من] التي للتبعيض عليه ، ومتى عدل الخصم عن الظاهر سقط تعلقه ، ويقتضي ان علمه يتغير ؛ وان منه ما يعلمه العباد ، ومنه ما لا يعلمه العباد وانه لا يعلم من علمه الا الشيء الذي يشاء ، فلعله ـ تعالى ـ لم يشأ ان يعلم علمه ، اعني كونه عالما ، ولا يجيب القوم الى شيء منه ، ولا يسمحون به ، فاما معاني تلك الآيات فان الواجب ان يعلم ان [الباء] تدخل في الكلام لاوجه .

أحدها ؛ ان تكون آلة كما يقال : ضربته بالسيف .

أو يكون سببا للمسبب ، كما يقال : اوجعته بالضرب .

أو يكون علة للمعلول : كما يقال : اسود بالسواد .

أو يكون مع ما دخل عليها مجازا ، فيكون عبارة عن الفاعل كما تقول : كان ذلك بمرأى أو مسمع ، أي كنت اسمعه ، وأراه .

ولا يجوز ان يكون العلم لله لهذه المدركات في الوضع والحمل والانزال ، ولا علة ؛ لأن العلم انما يكون علة للعالم لا لما علقه به ، ولا يجوز ان يكون شيئا ؛ لأن العلم لا يوجب هذه الأشياء ، وانما يوجبه ارادته فعله ، فلم يبق الا ان المراد به انه انزله وهو عالم به ، وبعد ؛ فلفظة العلم المصدر . والمصدر يتردد بين الفاعل والمفعول به ، فتارة يراد به الفاعل ، وتارة

---

١ - الآية ـ ٤٧ ـ من سورة فصلت
٢ - الآية ـ ٢٥٥ ـ من سورة البقرة
٣ - الآية ـ ١٦٦ ـ من سورة النساء

يراد به المفعول ، يقال : فعلت كذا بعلمي ، اي فعلته وانا عالم به ، ويقال : ليكن جميع ما يفعله فلان بعلمك ؛ أي ليكن عالما بجميع ما يفعله ، ويقال : هذا علم ابي حنيفة اي معلومه ، واذا كثر استعمال ذلك تارة عن الاخبار عن العالم ، وتارة عن المعلوم ، وجب صرفه في كل موضع الى ما يليق به من المعنى دون اثبات المعنى الذي هو الغرض ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ [1] ، قالوا : فقد اثبت القوة لنفسه ، وذلك يوجب صحة القول بالصفات ؟

الجواب ؛ ان ظاهر الآية يقتضي ان يكون له قوة ، وان قوته اشد من قوتهم ، ويقتضي ان قوته شديدة ، والشدة انما هي الصلابة ، ولا يجوز وصف القوي والاعراض بالشدة والصلابة على الحقيقة . وبعد ؛ فالقوي انما يستعمل في الأجسام دون الجوارح المحتملة للاعراض .

فيقال : فلان ذو قوة ، وانه لذو قوة شديدة ، اذا كانت جوارحه مكينة متقنة صلبة الاعصاب غير رخوة ، على ان ظاهر الآية يقتضي ان يكونوا يعلمون انه أشد منهم قوة من حيث علموا انه خلقهم ، فالواجب ان ينظر ، فان كان خلقه اياهم يقتضي ان له قوة ، ويدل عليه ؛ قضي به ، وان لم يدل عليه ، ودلت على ذلك مما يمكن صرف الآية اليه على انه مجاز وجب رده اليه ، ومعنى ذلك انه اقوى منهم واقدر ، وهو جار مجرى قول القائل : فلان اشد بأسا منا وقوة ، فلا يخطر بباله ان هناك معاني بها صار اقوى ، وانما يقصد به الى انه اقدر منا على الامور واقوى ، والاصل في ذلك انه مما يستعمل هذه اللفظة اخبارا عن اثنين يفضل احدهما الآخر فيما يستحقه من الأوصاف ، كما يقال : فلان اكثر علما منك ؛ وسواء ذلك وقولك : فلان اعلم منك ، فلما كان قولهم : فلان اعلم منك لا يقتضي اثبات علم ، كذلك قولهم : فلان اكثر علما منك لا يقتضيه ولا يوجبه ، اذ يعرف بأحد اللفظين ما يعرف بالآخر .

فصــل ؛ ومما تعلقوا به في حدوث العلم ، وانه لا يعلم الشيء قبل كونه تعلق من ذهب الى ذلك بآيات منها قوله ـ تعالى ـ : ﴿أم حسبتم ان

١ - الآية ـ ١٥ ـ من سورة فصلت

تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [1] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [2] ، وقوله : ﴿وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ [3] ، وقوله : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم﴾ [4] .

قالوا فلو كان عالم بذلك لم يجز أن يقول : فعلت كذا لأعلم كذا ، وهو به عالم ، ومن ذلك قوله : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا﴾ [5] ، قالوا : فكما ان التخفيف حدث الآن كذلك العلم ، وكذلك قوله : ﴿لننظر كيف تعملون﴾ [6] ، وقوله : ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ [7] .

قالوا : ولا يجوز أن يقول : مثل ذلك وهو عالم به ؟

الجـــواب ؛ ان ما ذهبوا اليه لا يصح ؛ لأن العلم بحالهم وما كلفهم لو لم يتقدم لقبح التكليف اصلا ، لانه انما يحسن من المكلف ان يأمر بما يعلم جنسه ، وان المكلف يتمكن من فعله على الوجه الذي كلف ، فكيف يصح مع هذا ان يكون علمه بحالهم حادثا بعد التكليف عند فعلهم ما كلفوا ؟ على انه ليس في ظواهر هذه الآيات ما ينبيء عن كونه غير عالم بما سيكون منهم ، وانما فيه انهم لا يدخلون الجنة حتى يعلم المجاهدين منهم ، وحتى يعلم من يؤمن ، فالعالم بالشيء اذا كان عالما به اذا علمه على ما هو به ، والله ـ تعالى ـ انما يعلم المجاهد مجاهدا اذا جاهد ، ويعلمه مؤمنا اذا آمن ، وليس في ذلك نفي كونه عالما لمن سيؤمن وسيجاهد ، وهذا مع موضع الخلاف .

ومعنى هذه الآيات هو ؛ انهم لفصاحتهم من عادتهم ان يجتزئوا

---

١ - الآية ـ ١٤٢ ـ من سورة آل عمران
٢ - الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة البقرة
٣ - الآية ـ ٢١ ـ من سورة سبأ
٤ - الآية ـ ٣١ ـ من سورة محمد
٥ - الآية ـ ٦٦ ـ من سورة الانفال
٦ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة يونس
٧ - الآية ـ ٤٤ ـ من سورة طه

عما يريدون الاخبار عنه ، بان يعلقوا الخبر والوصف بما يوجد عنهم عند وجوده ، وذلك يختلف ، فمن ذلك تسميتهم الشيء بما يفعل لأجله نحو تسميتهم النبوة رحمة في قوله : ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [1] ، فسمى النبوة رحمة لما كان انباؤه إياها ، وذلك لأجل رحمته على العباد ، ومن ذلك الاخبار عن الشيء بما لا يحصل الا معه ، وبه كما اخبر عن الوطء بالملامسة تارة ، وباللمس اخرى ، وبالمباشرة تارة ، ومن ذلك ؛ الاخبار عن الشيء بما ينبيء عنه ، ويدل عليه ، أو يقوم مقامه ، نحو تسمية الاشارة الدالة على صوم مريم قولا ، لما كانت تلك الاشارة في الاخبار عن صومها يقوم مقام القول .

ومن ذلك ؛ ان تقام الاخبار عما معه يحصل الثاني ، او يتعلق به له مقامه نحو ، قوله : ﴿انني معكما اسمع وأرى﴾ [2] ، اخبر بذلك عن حفظهما ونصرهما ، اذا كان النصر والحفظ قد يقعان عند العلم لحاجة الغير اليها .

ومن ذلك ؛ الاخبار عن الشيء بما به يحصل عند حصوله لا محالة ، وذلك نحو تعليق حصول الشيء بعلم الله ـ تعالى ـ الذي لا بد من ان يعلمه كائنا عند كونه ، وذلك نحو قولهم : ما علم الله مني كذا ، أي لم أفعله ؛ لأن المعلوم انه لو فعله لعلمه الله ، ويقول : وما يعلم الله ذلك مني ، فهذا نحو قولهم : لم يخلق الله من ذلك قليلا ولا كثيرا قصدا لنفي كونه .

فلما كان جميع ما يحصل ويكون يعلمه الله علق حصوله على ما بيناه ، واذا كان كذلك ، فقوله : ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [3] ، معناه ؛ ولما يجاهد ويصبر ، ولما يعلم الله منك الجهاد والصبر سواء ؛ لأن علم الله بالجهاد هاهنا عبارة عن حدوث الجهاد ، وعلم الله بالصبر عبارة عن الصبر نفسه ، وعن حدوثه فمعنى حصول علمه هنا ؛ حصولها ؛ لانها لا يحصلان اذا حصلا الا بعلم الله فسواء قولك يكون كذ ان

١- الآية ـ ٣٢ ـ من سورة الزخرف
٢- الآية ـ ٤٦ ـ من سورة طه
٣- الآية ـ ١٤٢ ـ من سورة آل عمران

علم الله منك الجهاد والصبر وقوله : ان جاهدت وصبرت .

وكذلك قوله : ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ [1] ، معناه لتمييز المنقلب من الممتنع ، لانه اذا اتبع هذا ، وانقلب هذا علمه الله كائنا ، وان كان قبل ذلك عالما بما يكون منهما لا انه تعالى لا يعلمهم ، كذلك معنى كون هذا متبعا ، وكون هذا منقلبا ، الا بعد وجود الاتباع والانقلاب منهما ، ويدل على ذلك ان ظاهر اللفظ يقتضي انه جعل القبلة التي كان عليها ليعلم المتبع من المنقلب في جعل القبلة لا توجب كونه عالما بهما ؛ لأن ذلك ليس بسبب للعلم ، ولا بعلة موجبة له ؛ وذلك لأن جعله للقبلة التي كان عليها لا تقتضي ان يصير عالما به بعد ان لم يكن عالما ، واذا لم يقتض ذلك وهو ما يوجب قضية اللفظ ، فان كان ظاهره يقتضي ما ذكرناه ، وذلك لا يوجب حصول علمه سقط التعلق به ، في حدوث علمه ، اذا ما علقه لا يقتضي حصوله وحدوثه ، فصح انه انما علقه به اخبارا عن حدوث الفعل المعلق به العلم ، اذ لا ثالث سواهما يحتمله اللفظ .

وكذلك قوله : ﴿وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ [2] ، قضية اللفظ ما ذكرناه ، وكون سلطانه عليهم لا يقتضي علمه بالمؤمن والكافر ، اذ ليس هو سببا ولا لعلة موجبة ، وانما يقتضي ذلك من حيث ذكرناه ، وهو ان يدعو به اياهم بتمييز المؤمن من الكافر ، والمخلص من المرتاب ، فيعلم الله المؤمن حاصلا منه الايمان ، والكافر حاصلا منه الكفر ، وان كان عالما قبل ذلك بما يكون منهما الا انه لا يجوز ان يعلمه مؤمنا ، وهو لم يؤمن بعد ، كما لا يجوز أن يعلمه أسود الا بعد كونه أسود ، هذا التفسير مستمر على ما أصلناه وبيناه .

وقوله : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا﴾ [3] ، وقوله : ان حدوث [العلم] كان مع حدوث [التخفيف] ، فكما ان التخفيف

---

١ - الآية - ١٤٣ - من سورة البقرة
٢ - الآية - ٢١ - من سورة سبأ
٣ - الآية - ٦٦ - من سورة الانفال

حدث الآن ؛ فكذلك القول الأول فظاهر اللفظ لا يقتضي ما ادعوه ؛ لأن [الواو] قد تكون عطفا ، وقد تكون لغير العطف ، وليست [الواو] بعطف هاهنا ؛ لانه لو كان عطفا ، لوجب ان يكون العلم وجد بعد التخفيف عند من يقول : انها تقتضي الترتيب ، او توجب الجمع عند الآخرين ، وليس ذلك بقول لاحد ، اذ المعلوم انه اراد أن التخفيف حدث بعد العلم ؛ بأن فيهم ضعفا ، واذا صح هذا فالآية توجب ان التخفيف حادث ، وليس توجب حدوث العلم ، ويجوز ان يكون انما توجب التخفيف لاجل حدوث الضعف ، لا لأجل حدوث العلم ؛ لأن الضعف لو كان قبل ذلك حادثا ، لوجب ان يكون العلم به حاصلا ، ولوجب ان يخفف قبل ذلك ، فلما فسد ذلك صح أن الضعف حدث الآن ، وان التخفيف انما وجد عقيب حدوث الضعف ، وان صح ان العلم بذلك غير حادث فانما علقه على ما بيناه من حيث لا يجوز ان يعلم الضعف ، ولما يحصل ، وانما يعلم الضعف موجودا عند وجوده على ما بيناه .

وأما قوله : ﴿لننظر كيف تعملون﴾ [1] ، فانه لا يقتضي انه لم يكن عالما بذلك ، بل يوجب الامهال والانظار ، وقد تضمن ذلك التهديد ومعناه لينظر الى عملكم موجودا ، فيثيبكم او يعذبكم ، على ما يحصل من اعمالكم ، اذ كان غير جائز ان يعذبهم على علمه فيهم .

واما قوله ـ تعالى ـ : ﴿لعله يتذكر او يخشى﴾ [2] ، فلعل في مثل هذا انما توضع موضع [لام كي] .

وبعد ؛ فانه توفية للمخاطب دون تشكيك المخاطب ، ثم ما نقلته من كتب المعتزلة ينظر فيه ، ولا يؤخذ منه الا ما وافق الحق والصواب ؛ فانه لم يعرض بعدا على احد له بصر من ذوي الالباب .

فصل ؛ في القدرة من بعض كتب [اهل المغرب] ، وهي صفة الله ـ عز

١ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة يونس
٢ - الآية ـ ٤٤ ـ من سورة طه

وجل ـ في ذاته ، لم يزل موصوفا بها في الأزل ، والحال ، والدليل على قدرته ما وجد من هذه الصفة الدالة على صانعها ، والفعل لا يصدر الا عن قوة ، والا فالقوى والزمن واحد .

فان قال : ما الدليل على انه لم يزل قادرا ؟ قيل له : من قبل انه لا يخلو أن يكون قادرا بنفسه ، أو بمعنى غيره ، فان كان قادرا بمعنى غيره ، فلا يخلو ذلك المعنى من أن يكون قديما معه أو محدثا احدثه ، فان كان قديما فهو اولى بالربوبية لكونه محتاجا اليه ، فان كان محدثا احدثه ، فلا يخلو من أن يكون احدثه ، وهو يقدر عليه او لا يقدر عليه ، فان كان لا يقدر عليه فهو عاجز والعاجز لا يحدث شيئا ، وان كان احدثه وهو يقدر عليه ؛ فما القدرة التي قدر بها عليه ؟ فان كان بقدرة غيره ، اتصل ذلك الى ما لا غاية له ، فلما فسد هذا صح انه قادر بنفسه ، ومعنى [قادر] أي ليس بعاجز وقيل : القادر الممكن للفعل .

(مسألة) : وقال المتكلمون : ان جميع الصفات تنضم الى القدرة ، وليس المعنى في ذلك ان يضموا صفة الى صفة ؛ انما ارادوا ان صفة القدرة تنفي جميع العيوب ؛ لأن كل ما ينفى بصفة من الصفات ، فقد ينفى بالقدرة ، والجهل منفي بالعلم ، وهو عجز ، والعجز منفي بالقدرة .

وكذلك الصمم والعمى ينفيان بالسمع والبصر ، والصم والعجز ينفى بالقدرة ، وكذلك جميع الصفات ، وليس في ان في الله أسماء يقع عليها العدد ، والعدد عن الله منفي ، لانه الواحد الذي لا يتجزأ ، وانما قالوا ذلك على توسع اللغة .

فاذا ذكروا العلم فمعناهم [العالم] ، وكذلك سميع وبصير وجميع الصفات انما ارادوا ان الله لا شيء غيره ، هو العليم بنفسه ، السميع بنفسه ، لا بشيء غيره ، فبالجملة ان الله ـ عز وجل ـ قديم ليس بمحدث ، وكان الوصف بكل الصفات منوطا بالوصف بالقدم ، والآفات محدثة منفية عن القديم ، لما ان كانت تلك الآفات داخلة في معنى الحدث ، فمن ذلك قال

المتكلمون : ان من وصف الله بانه قديم ليس بمحدث ، فقد وصفه بكل صفة من صفاته ، ونفى عنه كل صفة من صفات خلقه ، ألا ترى ان القديم لو وصف بالعجز فلا بد له من معجز اعجزه ، وكذلك يقتضي ان يكون له فاعل فعله ، او محدث احدثه ، وكذلك لو وصف بالجهل أو بالموت ، او بالعمى ، أو بالصم ، فكلها آفات حادثة تدل على حدوث من حدثه تعالى الله ربنا عن ذلك علوا كبيرا .

(مسألة) : فان قال قائل : هل تصف الله بالقدرة على تكوين ما ليس بكائن من الأشياء ؟ قيل له : اذا كان كونه غير محال .

فان قال : وما حد المحال ؟ قيل له : ما لا يستقيم كونه ولا يتفق وجوده .

فان قال : أرأيت ما يعلم الله من الأشياء ، لانه يكون وما اراد من الأشياء ألا يكون ، وما اخبر عنه بانه لا يكون ، فهل تصفه بالقدرة على تكوين شيء من هذه الأشياء ؟ قيل له : نعم ؛ يقدر على تكوين ذلك كله اذا كان كونه ليس بمحال .

فان قال : فأي شيء ادخل في باب المحال ، من كون ما يعلم الله انه لا يكون ، ومن كون ما يريد الله الا يكون ، ومن كون ما اخبر الله عنه انه لا يكون ؟ قيل له : ذلك على نفي العجز عنه ، لا على ان تكون هذه الأشياء موجودة ، ولو كانت هذه الأشياء كائنة كان العلم بها انها كائنة وكانت الارادة فبطل اذ هي كانت على الا يكون ألا ترى ان الله ـ عز وجل ـ أمر فرعون وغيره من الكفار الذين كانوا في علمه انهم لا يؤمنون ، وقد اخبر عن قوم نوح ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿**لن يؤمن من قومك الا من قد آمن**﴾ [1] ، وهو مع ذلك قد امرهم بالايمان فهل يكون الله ـ عز وجل ـ آمرا بالمحال ؟ فكون الايمان منهم غير محال فلو كان الايمان من هؤلاء الكفار كائنا ، لكان ذلك هو الذي يعلمه الله ويريده ، ويخبر عنه ، وقد وصف الله

---

١ ـ الآية ـ ٣٦ ـ من سورة هود

- عز وجل - بانه على كل شيء قدير ، فجرت قدرته على كل شيء موهوم وجوده ، غير مستحيل كونه ، وما هو كائن او غير كائن .

(مسألة) : وقد حكي عن بعض المشايخ ؛ - أظنه أبا خزر - انه قال : كل ما جاز فيه لو جاز التكلم فيه واجرأ القدرة عليه ، قال الله تعالى : **﴿ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾** (١) ، فلو ان فيهم خيرا لعلمه الله ولكنه علم انه لا خير فيهم .

وقال في موضع آخر : **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾** (٢) ، فردهم لا يكون .

وقال - عز وجل - : **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض﴾** (٣) ، **﴿ولو شاء الله ما اشركوا﴾** (٤) ، **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾** (٥) ، وهو - تعالى - قد علم انهم جميعا لا يؤمنون ، واخبر عن ذلك ، ولا تكون المشيئة في شيء لا تجري عليه القدرة ولكنهم لو فعلوا ما لم يفعلوا ، وآمنوا ، وكان الله موصوفا بالمشيئة لذلك والقدرة عليه على الجهة التي هو بها كائن ، تفهموا ذلك فانه من العلم الخفي في باب القدر واثباته ، وهو رد على القدرية ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : فان قال قائل : فما تقول فيمن وصف الله بالقدرة على تكوين ما لا يتكون ؟ قيل له : قد روي عن بعض المشايخ انه قال في ذلك : من جوز ذلك ؛ فهو بمنزلة من زعم ان ذلك كائن ، وقالوا : من أجرى قدرة الله على المحال ، فهي على ثلاثة اوجه : حيث يشرك ، وحيث ينافق ، وحيث يذنب .

اما من قال : يقدر ان يذنب ، أو يجوز ، او يتخذ صاحبة او ولدا فهو مشرك . فان قال : يقدر ان يخلق ، أو يجعل الانسان قوة يخرج بها الشيء من

---

١ - الآية - ٢٣ - من سورة الانفال
٢ - الآية - ٢٨ - من سورة الأنعام
٣ - الآية - ٩٩ - من سورة يونس
٤ - الآية - ١٠٧ - من سورة الانعام
٥ - الآية - ١٣ - من سورة السجدة

العدم الى الوجود ، او يخلق او يجعل بها ؛ فهو منافق .

ومن قال : يقدر ان يجعل الانسان حيا ميتا في حالة واحدة ، فقد عصى واذنب ، واما من اجرى حكمته على المحال فعلى وجهين : حيث يشرك ، وحيث ينافق ، ويجوز في لفظ القدرة ما لا يجوز في لفظ الحكمة ؛ لانك تقول : لا يجوز في القدرة ان يجعل متحركا الا الشيء اذا جوزه مجوزه هلك .

وروي عن بعض المشايخ ، في قوله تعالى : **﴿لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾** [1] ، لو كان ذلك مما يكون ذلك لكان ، ولكنه مما لا يكون ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : ويجوز على الله قادر وقدير ويقدر وقدر ، ولا يجوز يقدر على نفسه ، ولا لا يقدر عليها ، ويقال : الاشياء عليه خفيفة يسيرة هينة ، ولا يجوز الأشياء على الله بعضها اهون من بعض ، قوله ـ عز وجل ـ : **﴿وهو أهون﴾** [2] ، أي هين عليه ، وقيل : أهون عليه اعادتكم ؛ لأن اعادة الشيء على الخلق أهون من ابتدائه ، والله اعلم واحكم .

(مسألة) : من كتاب [النور] قال المؤلف : العلم والقدرة ، والمشيئة والارادة ، كل ذلك ليس شيء منه بمخلوق ، بل ذاتي قديم ، لم يزل الله بجميع صفاته الذاتية ، واسمائه الذاتية ، من غير ان يقال : ان عنده شيئا خالدا كخلوده ، باقيا معه كبقائه ، اوليا كأوليته ؛ وانما الباري لم يزل بجميع صفاته الذاتية ، واسمائه الذاتية ، وقد قلنا في متقدم الكتاب : ان العلم لو كان مخلوقا ، لكان الباري ـ تعالى ـ لم يزل فيما لم يزل قبل خلقه العلم نفسه جاهلا ، الا ترى انه يقال لم يزل الباري عالما بنفسه ، انه واحد ليس كمثله شيء ، فكيف يكون علمه مخلوقا ؟ مع انه ـ تعالى ـ كيف يخلق العلم لنفسه ، ولا يعلم ما يخلق لنفسه ؛ لانه تعالى لو انه اراد ان يخلق العلم لنفسه ، أليس

١-الآية ـ ٤ ـ من سورة الزمر

٢-الآية ـ ٢٧ ـ من سورة الروم

يخلقه وهو عالم بما يريد ان يخلق ؟ فاذا كان كذلك عالما بما يريد ان يخلق ، فقد سبق العلم قبل خلق العلم ، وكفى ذلك ، فكيف ذاته غير مخلوقة .

فالعلم غير مخلوق : وكذلك القول : في المشيئة فلو انه ـ تعالى ـ اراد ان يخلق المشيئة ، فلا بد ان يتقدم قبل خلقها مشيئة ، خلق المشيئة ؛ لانه ـ تعالى ـ لا يخلق المشيئة من غير ان يشاء ان يخلقها ، ومشيئة مشيئة ، ومشيئة بمشيئة ، يتسلسل ذلك الى غير نهاية فذلك فاسد ، كما انه اذا اراد أن يخلق علما فلا يخلقه حتى يعلم انه قد شاء ان يخلق علما فعلم بعلم ، وعلم بعلم فاسد .

وكذلك القول : في الارادة اذا اراد ان يخلقها ؛ فلا بد ان يريد ان يخلقها ، فاذا كانت ارادة متقدمة لخلق هذه الارادة ففاسد ان يكون خلق ارادة بارادة ، وارادة بارادة ، يتسلسل ذلك الى غير غاية ، فذلك فاسد .

وكذلك القول في القدرة ، اذا اراد ان يخلق القدرة ، فلا يخلق القدرة الا بقدرة قبلها ، فقدرة بقدرة ، وقدرة بقدرة ، الى غير نهاية فاسد ؛ مع انه اذا خلق القدرة وكانت محدثة ، أليس يكون قبل خلقها عاجزا ؟ والعاجز ليس بالهْ قدير عليم خبير ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : ومن كتاب (اهل المغرب) :

فصل ؛ فان قال قائل : هل تصفون الله ـ تعالى ـ بصفة أو لا تصفونه بصفة ؟ قلنا : نعم ؛ نصفه بصفاته العليا ، وننفي عنه صفات الخلق ، وذلك انا نصفه بالقدم ، اذ لا بد لوجوده ، ومتكلم لاستحالة ان يكون اخرس ، وباق لاستحالة الفناء على من يستحيل عليه الحدوث ، ونصفه بانه حي عالم قدير حكيم ، مريد مدبر ، سميع بصير ، في امثالها من الاسماء والصفات .

فان قال : هذه الصفات التي وصفتموه بها من الحياة ، والعلم ، والقدرة ، وسائر ما قدمنا ذكره ، أهو شيء لم يزل موصوفا به ، أو شيء حدث ؟ قلنا : ان الله ـ تعالى ـ لم يزل موصوفا بصفاته العليا ؛ لأنه لو حدثت اليه هذه الصفات لا تصف بأضدادها قبل ذلك ، من الموت والجهل ، والعمى والصم ، وسائر تلك الآفات ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فان قال : صفاته هو هي أو غيره ؟ قلنا : ان الله ـ تعالى ـ ليس هناك معنى غيره يلازمه أو يفارقه ، فقولنا : الله قديم ؛ اخبار عن الذات انها ليست بحادثة ، وقولنا : الله حي ؛ اخبار عن الذات انها ليست بميتة ، وقولنا : ان الله عالم ؛ اخبار عن الذات انها ليست بجاهلة ، في امثالها من جميع الصفات .

فان قال : اذ قلتم : ان علمه هو ما تقولون فيمن علمه الباري حيا ثم مات ، أبعلم واحد علمه أم ، بعلوم كثيرة ، فان قلتم : بعلم واحد ، فقد جعلتم الحي ميتا ، وان قلتم بعلوم كثيرة ، فقد اثبتم قدماء كثيرة ، وان قلتم : علمه بلا علم وقعتم في المحال ؟ قلنا : ان الله ـ تعالى ـ علم الحي منا حيا ، وعلمه ميتا ، فوقع التفاوت بين الحالين لا بين العلم ، وكذلك في سائر الصفات من القدرة والارادة ، وسائرها .

فان قال : العلم هو القدرة ، والقدرة هي الارادة أو غيرها ؟ قلنا : هذا ممنوع من جهة ان العلم في اللغة هو ما ينفى به الجهل ، فيقع على كل معلوم يعلمه العالم فعلا كان ، أو غير فعل ، والقدرة في اللغة هو ما ينفى به العجز ، ويقع على كل كائن ، وغير كائن ، مما ليس كونه بمحال ، والارادة هو ما ينفى به الاستكراه ، والقدرة والارادة لا يقعان الا على فعل القادر المريد .

فان قلتم : فلم جاز على العلم ما لا يجوز على القدرة والارادة ؟ قلنا : ذلك لاختلاف المقدور ، لا لاختلاف العلم والقدرة وسائر الصفات ، واما صفات الله ـ تعالى ـ فلا يقع فيها التغاير والاختلاف .

(مسألة) : فان قال : فاذا ابيتم التغاير في الصفات من العلم ، والقدرة ، والارادة ، وسائرها فمعنى [يعلم] أهو معنى يقدر ويريد ؟ قلنا انا لم نأب ذلك من جهة التغاير والعدد ، وانما أبينا ذلك لما يوجبه القول في معنى (يقدر) ، ولا يوجبه في معنى (يعلم ويريد) لأن (يعلم) يقع على الفعل ، وغير الفعل ، و(يقدر ويريد) لا يقعان الا على الفعل ، وايضا فان (يقدر) على كائن أو غير كائن ، مما ليس كونه بمحال .

ومعنى [يعلم ويريد] الا على كائن ، فاتفق العلم في معنى (يعلم ويريد) من هذا الوجه ، كما اتفق معها معنى (يقدر ويريد) في انهما لا يقعان الا على الفعل ، وليس ذلك لاختلاف العلم والقدرة والارادة ، انما ذلك لاختلاف المعلوم ، والمقدور عليه والمراد .

فان قال : انكم ابطلتم المعنى المعقول في اللغة ؛ ان العرب اذا وصفت انسانا بالشجاعة أو الجبن ، أو السخاء أو البخل ، اثبتوها صفات غيره ؟ قلنا : ان العرب اذا وصفت انسانا بصفة انما يتوجهون الى معنى تلك الصفة ، وليس في لسانهم ما يقتضي انها هي هو أو غيره ، وانما تدرك معرفة ذلك من وجه آخر من طريق من نظر في ادوات العالم ، وعلى ان الجسمية صفة للجسم ، والعرضية صفة للعرض ، والخلق صفة للخلق وهي هو ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : فان قال : اذ زعمتم ان علم الله وقدرته هو ، فقولوا : الله هو العلم ، الله هو القدرة في امثالها ؛ قيل له : قولنا ان علم الله هو ، وقدرة الله هو ، معنى ذلك ان الله هو العالم القادر بذاته ، ليس ثم شيء غيره ، ولم يستحدث علما ولا قدرة ولا صفة من الصفات ، واما قولك : العلم هو الله ، فالصفة عند المتكلمين قد تكون هي الموصوف ، لا يجوز ان يكون الموصوف نفسه صفة ، فيكون صفة لماذا ؟ أو يدعى فيقال : يا علم اغفر لي ، يا قدرة ، هذا ممنوع من جهة اللغة ، وقد جاء في اللغة ايضا اطلاقه كقولك ، الله هو البر الرحيم ، الله هو العدل هو الحق المبين ، والله اعلم واحكم ، وبه التوفيق .

(مسألة) : ولا يقال : يعلم الله بعلم ، ولا يقدر بقدرة ، لئلا يوهم الاستعانة أو التبعيض ، ولا لا يعلم بعلم ، ولا لا يقدر بقدره ، لئلا يوهم التناقض ، الا بصلة يعلم بعلم غير محدث ، ويقدر بقدرة غير محدثة .

فان قال : هل توصف الصفة ام لا ؟ قيل له : ان اردت انا نخبر عن الصفة انها كذا فنعم ؛ فان اردت ان تجعل للصفة صفة ، وللصفة ايضا صفة

الى ما لا يتناهى قولك من احل المحال عند المتكلمين ، وبالله التوفيق .

ومن بعض كتب اهل المغرب :

فصل ؛ في الارادة ؛ وهي صفة الله ـ عز وجل ـ في ذاته ، ينفى بها الاستكراه ، فالله ـ عز وجل ـ مريد لم يزل وعين الارادة هو ما به يتكون المراد على ما اراده المريد غير مستكره على شيء من الافعال .

(مسألة) : اختلف الناس في ارادة الله ـ عز وجل ـ .

فقال قوم من المعتزلة : انها فعل من افعال الله ـ عز وجل ـ ، ليست بصفة ذات ! . واختلفوا في ذلك الفعل ما هو ؟ فمن قائل يقول:هو امر منه ـ عز وجل ـ بطاعته .

وقال آخرون ان الارادة عرض من الاعراض ، وانها في غير محل ، حكي ذلك عن ابن الاسكندراني .

وقال آخرون : هي حالة في المراد ، ولهم في هذا المعنى نزاع كثير .

وقال الجهمية : ان ارادة الله هي المراد .

وحكي عن شعيب المعرف من الاباضية : ارادة الله ـ عز وجل ـ للأشياء محبته ان تكون .

وقال جميع اهل الاثبات : ان ارادة الله ـ عز وجل ـ صفة ذات ينفى بها عن الله ـ عز وجل ـ ان يستكره على فعل من الافاعيل ، كما ينفى عنه في العلم ان يجهل شيئا من الاشياء ، والقدرة ان يعجز عن شيء من الاشياء ، وبالعزة المذلة ، فلما ان كانت هذه الصفات ينفى بها عن الله ـ عز وجل ـ هذه الآفات التي ذكرنا ، كانت لا تكون الا صفات الله ـ عز وجل ـ في ذاته ، وفي ازليته .

والارادة والمشيئة من صفات القادر ؛ لأن من صفات القادر اذا شاء ان يكون شيء كان ، واذا شاء الا يكون لم يكن ، كما ان من صفات العاجز اذا شاء ان يكون شيء فلا يكون ، واذا شاء ان لا يكون كان ، فهذا مغلوب ، والأول غالب لا مغلوب .

وبطل ايضا ما قالت الجهيمية : بان ارادة الله ـ عز وجل ـ هي المراد ، ولو كانت الارادة هي المراد ، لكان العلم هو المعلوم ، والقدرة هي المقدور عليه ، والعزة هي المعتز عليه ، وهذا فاسد جدا ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : وسأل عن الارادة والمشيئة ؛ أهما معنى واحد ام معنيان ؟ قيل له : ان الارادة والمشيئة في صفة الله ـ عز وجل ـ هما واحد ، وهو نفي الاستكراه عنه ـ عز وجل ـ ، وليس من صفته الاستكراه على ما لا يريد ، ولا على ما لا يشاء ، ومن صفته ـ عز وجل ـ الا يتكون شيء من الاشياء عن غير ارادته ومشيئته ، وربما جاءت عبارة الارادة في اللغة في موضع لا تصلح فيه المشيئة ، وقد يقال : دعا الله الكافرين الى الايمان ، وطلبه منهم وامرهم به ، وأراده منهم ، وهذا كله بمعنى واحد ،ولا يقال : شاء الايمان من الكافرين ، ولو شاءه منهم لكان ؛ قال الله تعالى : ﴿ولو شاء الله ما اشركوا﴾[1] ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾[2] ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾[3] فعبارة المشيئة للكائنات من الاشياء دون غير الكائنات ، ويقولون : اردت الله ـ عز وجل ـ بهذا الفعل على معنى التقرب اليه .

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾[4] وقال : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾[5] ولا تصلح المشيئة في شيء من هذه الوجوه .

ولا يقال : [شئت الله] بهذا الفعل ، ولا يقال : يشاؤ ون الدار الآخرة في موضع (يريدون) ويقولون : اردت فلانا بمعنى (قصدته) ولا يقال : شئته .

وفي بعض الكلام اردت عمروا ؛ واراد الله خارجة ، ولا تصلح المشيئة ايضا في هذه الوجوه ، والمشيئة ايضا في باب التكوين من عبارة الارادة ، وعبارة الارادة أوسع مجالا من عبارة المشيئة ، وعبارة المشيئة في معنى الدعاء ،

---

١ - الآية ـ ١٠٧ ـ من سورة الانعام
٢ - الآية ـ ٢٥٣ ـ من سورة البقرة
٣ - الآية ـ ١١٢ ـ من سورة الانعام
٤ - الآية ـ ٣٩ ـ من سورة الروم
٥ ـ الآية ـ ٢٠ ـ من سورة الشورى

والامر ، اقل استعمالا من عبارة الارادة ويقال : اردتك لامر كذا ولا يقال : شئتك لامر كذا .

(مسألة) : فان قال : هل اراد الله موت الأنبياء والرسل وذهاب الصالحين والعلماء ؟ قيل له : نعم .

فان قال : هل اراد الله بذهاب اولئك ذهاب دينه ؟ قيل له : نعم .
فان قال : فينبغي للمؤمنين ان يريدوا ما اراد الله من ذلك ؟ قيل له : لا .

فان قال : فابليس مريد لموت الأنبياء والرسل ، وذهاب الصالحين والعلماء وذهاب الدين ؟ قيل له : نعم .

فان قال : فابليس اذاً اوفق لله من المؤمنين لما كان ابليس مريدا لما اراده الله ، والمؤمنون غير مريدين لما اراد ؟ قيل له : قد ذكر ان عبارة الارادة ، تتسع في الكلام وتتصرف في المعاني ، فمنها ؛ الارادة نفي للفعل ، ومنها ارادة للفعل على التكوين ومنها ؛ الارادة على المحبة ولا ينبغي للمؤمنين ان يحبوا موت الانبياء والرسل ، وذهاب العلماء والصالحين ، ولا موت الدين ؛ لأن المحبة في هذه الاشياء معصية لله ـ عز وجل ـ ، فلذلك احبها ابليس .

فان قال : هل احب الله موت الانبياء والرسل ، وذهاب الدين ، وذهاب العلماء والصالحين ؟ قيل : هذا جائز ، وكذلك المؤمنون غير محبين لشيء من موت الانبياء والرسل ، وذهاب الصالحين ، فهم موافقون لله ـ عز وجل ـ لما كانوا لا يحبون موت الدين ، فذلك منهم طاعة لله ـ عز وجل ـ كما ان محبة ابليس في ذلك معصية منه لله ـ عز وجل ـ ، فالمؤمنون موافقون لله ـ عز وجل ـ لما كانوا لا يحبون الا ما احب الله ، وليس في الارادة وفق لاختلاف معانيها فافهموا .

(مسألة) : فان قال : هل اراد الله ـ عز وجل ـ نفسه ؟ قيل له : ان الارادة منه لا تقع الا على الأفعال ، ولا يقال : اراد نفسه .

فان قال : اذاً غير مريد نفسه ؟ قيل له : لا ؛ ان الارادة لا يصلح ان

تنفى الا في موضع يجوز فيه ، وهو ـ عز وجل ـ ليس بفعل ، يتعالى عن ذلك فيكون مريدا لنفسه أو غير مريد لها ؛ لأن الارادة لا تعدو ثلاث منازل :

احدها ؛ ارادة فعل كارادتي ان افعل .

وارادة تقرب ؛ كارادتي بالصلاة التقرب الى الله ـ عز وجل ـ .

وارادة تمن ؛ كارادتي الصحة والرزق والاموال ، والاولاد ، والله تعالى ليس بفعل فيقال : اراد ان يفعل نفسه أو صفاته .

وارادة التقرب لا تجوز على الله فيقال : اراد متقربا ؛ لأن المتقرب خاضع ذليل مع ان التقرب ايضا لا يكون الا بالفعل ، والتمني على الله تعالى منفي ؛ لأن التمني الذي يريد امرا فربما يكون ، وربما لا يكون ؛ لانه يتمنى على غيره أعطاه أو منعه ، والله ـ جل جلاله ـ ، اذا اراد شيئا كان .

والارادة منفصلة من العلم ؛ وذلك ان العلم قد يقع بالفعل ، وبغير الفعل ، الا ترى انه يقال : يعلم المؤمن ان الله واحد ، ولا يجوز ان يقال : يريد المؤمن ان يكون الله واحدا ، فالارادة والقدرة لا يقعان الا على الأفعال .

(مسـألة) : فان قال : هل اراد الله ان يكون الشيء قبل كونه ، أو اراده في حال كونه ؟ قيل له : اراده في حال كونه ؛ اي ان الشيء انما يتكون في الوقت الذي جعله الله وقتا لكونه ووجوده ، واما الله ـ عز وجل ـ فلم يزل مريدا لكون ذلك الشيء ، والارادة منه ـ عز وجل ـ ليست بمحدثة ، والسؤال والجواب انما وقعا على وجود الشيء لا على وجود الارادة .

فان قال : هل اراد الله في الأزل ان تكون الاشياء ؟ قيل له : نعم ، لم يزل مريدا لكون الاشياء في اوقاتها التي جعلها الله ـ عز وجل ـ أوقاتا لكونها ، انقضى الذي من كتاب (اهل المغرب) .

(مسـألة) : من شرح (عقيدة) عن الشيخ عمر النسفي قوله : والارادة صفة لله تعالى ازلية قائمة بذاته ـ تعالى ـ ، كرر ذلك تحقيقا لاثبات صفة قديمة لله ـ تعالى ـ تقتضي تخصص المكونات بوجه في وقت دون وقت ، لا كما زعمت

الفلاسفة من انه موجب بالذات ، لا فاعل بالارادة والاختيار .

والنجارية قوم من المعتزلة ، ينسبون الى حسن بن محمد النجار ذهب على ان الله ـ تعالى ـ مريد بذاته لا بصفته .

وبعض المعتزلة قال : انه تعالى مريد بارادة حادثة لا في محل .

والكرامية من ارادته حادثة في ذاته ـ تعالى ـ .

والدليل على ما ذكرنا الآيات الناطقة باثبات صفة الارادة والمشيئة لله ـ تعالى ـ مع القطع بلزوم قيام صفة الشيء ، وامتناع قيام الحادث بذاته ـ تعالى ـ وايضا نظام العالم ، ووجوده على الوجه الأوفق الأصح ، دليل على كون صانعه قادرا مختارا وكذا حدوثه اذ لو كان صانعه موجبا بالذات ، لزم قدمه ضرورة امتناع تخلف المعلول عن العلة الموجبة .

قال الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي : قد مر البيان ان الاحسن ان لا يقال في صفات ذات الله ـ تعالى ـ : انها قائمة بذاته ؛ لانها توهم انها: اعراض قديمة ليست قائمة بذواتها ، وانما هي قائمة بذات الله ـ تعالى ـ ، وانما الحق ان يقال : هي صفات ذات الله لم يزل موصوفا بها .

وقوله : انه يفعل الاشياء بارادته واختياره ، والمعنى انه يفعل ما يشاء كما شاء ، واراد فهو الحق الذي لا يجوز خلافه ، واذا كان اراد انه يفعل بتلك الصفة القائمة بذاته على قياد قوله ، فهذا مما يوهم انه يستعين على ذلك الفعل بتلك الصفة القائمة بذاته ، ولا يجوز هذا في توحيد الله .

والحق ان يقال من صفات الله تعالى : انه مريد ، وانه لم يزل مريدا لما يريده ، ولما اراده ، وبذاته يفعل ما يريد على ما اراد ، ويكون على ما اراده ، وعلى ارادته ، ولا يقال : الاشياء بارادته على معنى انه تكون الاشياء بصفة ذاته التي هي صفة الارادة ، فافهم المعنى ؛ واما ما رده على غيره ممن خالفهم ، فالاصح ما قاله هذا الشارح ، وبالله التوفيق .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان من رده على بعض مخالفينا ؛

ان الارادة والمشيئة بمعنى ، وهما ما يريد أو يشاء ان يفعله المريد ، أو يريد تركه ، والرضى والمحبة والكراهة ضدهما ، بمعنى ؛ وهما : يحب ان يكون ، ويرضى ذلك ، أو احب بما قد كان ، ففعل الغير ان كان غيره يريد ان يفعله ذلك الآخر فقد اراد ، وان كان انما احب ذلك ان يكون منه ، فذلك حب لا ارادة ، والكراهة ان يكره فعل غيره ، أو ان تكره فعلا تريد النفس ان تفعله فتوقف الارادة فتكون هي السبب الباعث عن فعل ما ارادته النفس ، وان احبت فعلا كان هو السبب على ارادة فعل ذلك .

واما المعتزلة ؛ وارى هذا الزيدي يميل الى مذهب المعتزلة في الارادة والمشيئة ، والرضى والمحبة ، الى انها تؤول الى معنى واحد ، فلذلك قالوا : ان الله ـ تعالى ـ لا يريد من الكافر فعل الكفر .

ومع غيرهم ان الله اراده ان يكون ؛ لأنه في علمه ان ليعصيه متى خلقه فاظهره من عالم الغيب الى عالم المثال ، ثم الى عالم الشهادة ، ولا يحب ذلك منه ولا يرضاه .

رجـــع

(مسـألة) : والتمنى غير الارادة ، قال ابو علي : بل من جنس القول .

قال ابو هاشم : جنس برأسه .

قال القاسم : ارادة مخصوصة لا تعلق الا بمعدوم .

قالت النجارية وغيرهم من المجبرة : ارادة ما لا يحصل تمن .

قلت : التمنى قول : (ليت) ونحوه ، وما ذكروه [إرادة] فقط .

ومن الحاشية ليس (تمني) .

رجـع ؛ قال الله تعالى : **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾** ويتعلق التمني بالممكن والمستحيل معدوما .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : ان كان يتمنى كون شيء من غيره ان

يكون فهو تمني حب ، وان كان يتمنى ان يفعل ذلك هو ان لو استطاعه فهو حب وتمن وارادة ؛ لأن الارادة قد تعاون المحبة والتمني في بعض الامور ، وان بين معناهما فرقا ، فكذلك في صفات الله لا يجتمع معناها اذ لا تجوز عليه صفة التمني ، والمشيئة مثلها وقد تخالفها ، فنحب ضدها فيجتمع الكراهة لها ، وتبطل الارادة ، والتمني هذا في صفات الخلق ، ولا يقاس بها في صفات الخالق ، كما ذكرنا ، والله اعلم .

(مسألة) : والعزم هو الارادة المتقدمة على الفعل ، اذ كان فاعلها وفاعل المراد واحدا .

ابو علي : بل هو جنس برأسه .

قلنا : اذن لحصلت هذه الامور ولم يسم عازما لفقد المعنى والعكس .

قال الشيخ ناصر بن ابي نبهان : ان الارادة لفعل شيء اذا لم يبطلها داع آخر فهي الباعثة للعزم للفعل ، فالعزم ليس هو حقيقة الارادة ، ولا يصدر من الارادة فعل الا بواسطة العزم ؛ لأن من فعل شيئا لم يكن عن عزم صح انه سهو او غفلة يمكن أن النفس كانت لا تريد ان يكون منها ذلك الفعل .

فصـــل ؛ في صفة الله بالكلام ، من تفسير قصيدة الشيخ فتح بن نوح المغربي ؛ والله ـ تعالى ـ لم يزل متكلما على نفي الخرس ، والقرآن كلامه ـ عز وجل ـ الذي هو فعل من أفعاله ؛ بدليل وصفه اياه بصفات الخلق من الاتصال ، والانفصال ، والتبعيض ، والتشابه ، والتماثل ، ويجوز على الله في الأزل [متكلم ومكلم] فيما ذكر في كتاب [الجهالات] ؛ متكلم اي ليس بأخرس ، مكلم أي فاعل للكلام ، وذكر انه قد اجاز في [التوحيد الكبير] مكلما وأبى من متكلم ، وبلغنا ان ابا نوح ، سعيد بن زنعيل ، سئل عن المتكلم فقال : ان سيتكلم .

وفي جواب الشيخ ابي يعقوب بن يوسف بن ابراهيم ، قال : ويجوز على الله كلم ، ويتكلم ، ومتكلم ، ومكلم ، فهذا كله بقرائن الأحوال .

وسئل الشيخ ابو سليمان ، داود بن هارون : يجوز على الله متكلم ، قال : الله اعلم على نفي الخرس ، فقيل له : هل يجوز [مكلم] ؟ قال : على انه فاعل للكلام . فقيل له : هل يجوز عليه [كلم وتكلم] ؟ فقال : يجوز ذلك عليه بعد خلقه الخلق . فقيل له : هل يجوز عليه يتكلم ؟ قال : لا ، ذلك في الأزل ، وأما اليوم ففيه قولان .

وقد زعم قوم من اهل الكلام [ان يتكلم] لا يجوز عليه ، فقال ابو عمار في كتاب [الجهالات] : جوازه أحب اليّ ؛ وهو في اللغة الفصيحة ، قال عنترة :

أعيــاك رسم الــدار لم يتكــلم حتى تكـلم كــالأصم الأعــجم

ويقال : كلم الله أنبياءه ، ورسله ، ولا يقال : كلم عباده . ويقال : قال الله لأنبيائه ورسله ، وقال لعباده ، ولا يقال : قالوا له : ولا كلموه ، ولا أخبروا له ، وانما يقال : سألوه ودعوه .

(**مسألة**) : فان قال قائل : ما الفرق بين القول والكلام ؟ قيل : ان الكلام معناه المخاطبة بصوت مسموع مفهوم ، وقطع حروف لا غير ذلك ، وأما القول فقد يتصرف ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سمٰوات**﴾ [1] ، فيروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ انه قال : انتهى تدبيره الىٰ السماء فصيرها سبع سماوات ، ثم قال : فقال لها وللأرض : ﴿**إئتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ [2] ، فقال ابن عباس أيضا فيما يروى عنه ، قال : اعطيا حقوقكما وجبالكما أو رمالكما ، قالتا : [أتينا طائعين] ، أي أعطينا ذلك من أنفسنا طائعين .

وقال بعض اهل التفسير يعني كون السماوات والارض [فكانتا] على ما يشاء واراد من أفلاكها وشمسها ، وقمرها ونجومها ، وظلمتها ونورها ،

١- الآية ـ ٢٩ ـ من سورة البقرة
٢- الآية ـ ١١ ـ من سورة فصلت

وجبالها ورمالها ، ونباتها ومياهها ، لا على ان القول هناك يتردد ، وكذلك قوله : ﴿انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [1] ، المعنى انه كونه على ما اراد لا يمتنع شيء من تدبيره - عز وجل - ، وقال الشاعر :

قد امتلأ الحوض وقال قطني   سلا رويدا قد املأت بطني

سلا أي استسقى ، ويقال : ايضا كتبت الى فلان ؛ فقلت له : ولا يصلح في هذا كلمته ، والكلمة عند النحويين هي اللفظة الدالة على معنى منفرد بالموضع ، والكلام هو المركب من كلمتين اسندت احداهما الى الأخرى ، وذلك لا يتأتى الا في اسمين ، كقولك زيد أخوك ، أو في فعل واسم نحو ضرب زيد ، وانطلق بكر ، ويسمى الجملة ؛ والله اعلم واحكم .

(مسألة) : من كتاب [الارشاد] اختلف الناس في كلام الله - عز وجل - لموسى - عليه السلام - فقول : انه اسمعه نفسه متكلما .

وقول : اسمعه صوتا افهمه به الكلام .

وقول : اضطر الله جسما من الأجسام حتى يسمع منه موسى - عليه السلام - الكلام .

وقول : كلمه كما شاء ، وكيف شاء .

وقول : انه كلمه بالوحي لقول الله - تعالى - : ﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا﴾ [2] ، وهذا خبر لا يجوز عليه النسخ .

وقد سمى الله التوراة كلامه بقوله : ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ [3] ، وسمى الله القرآن كلامه بقوله : ﴿وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه﴾ [4] ، يعني ؛ حتى يسمع من القرآن ما تقوم عليه به الحجة .

---

١ - الآية - ٤٠ - من سورة النحل
٢ - الآية - ٥١ - من سورة الشورى
٣ - الآية - ٧٥ - من سورة البقرة
٤ - الآية - ٦ - من سورة التوبة

واجمعت الأمة : ان القرآن كلام الله ، وكذلك قال رسول الله ﷺ : «القرآن كلام الله» ، واجمعت الأمة ان كلامه صفته ، واختلفوا في هذه الصفة .

فقال بعضهم : صفة لذاته .

وقال بعضهم : صفة له في فعله .

ويقال : ان جبريل ـ عليه السلام ـ قال لموسى ـ عليه السلام ـ : يا موسى ؛ كلمك الله ـ تعالى ـ وانا الى جانبك ولم اسمعه ، فانطق الله جبة موسى ـ عليه السلام ـ ، فقالت : يا جبريل ؛ انا الصق منك بجسده ولم أسمعه .

ويقال : كلمه الله بالألسنة كلها ، فلم يفهم منها شيئا ، حتى كلمه بكلامه على مثل صوته فحينئذ فهم .

ويقال : جاءه الكلام من جميع الجهات من يمين ، وشمال ، وفوق ، وتحت ، وقدام ، وخلف .

ويقال : الكلام الذي سمع موسى ـ عليه السلام ـ كأشد من الصواعق في احلى حلاوة .

ويقال : ان موسى ـ عليه السلام ـ قال : يا رب ؛ هذا الذي سمعت كلامك ؟ فقال : «يا موسى ؛ لو كلمتك لم تك شيئا» .

وجميع هذه الاثار تدل على انه انما اوحى اليه وحيا ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده**﴾ [1] ، الى تمام القصة .

وقال قوم : ان الله اوصل موسى ـ عليه السلام ـ كلاما لم يكن بينه وبين موسى منه رسول وليس هكذا كلامه لغيره من الأنبياء ؛ لانه انما كلمهم

١ - الآية ـ ١٦٣ ـ من سورة النساء

بجبريل وغيره من الملائكة ـ عليهم السلام ـ ؛ والدليل على ذلك ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾ [1] ، وقوله : ﴿يا موسى اني أنا الله رب العالمين﴾ [2] ، والذي نقوله : ان الله ـ تعالى قد كلم نبيه موسى ـ عليه السلام ـ حق كما اخبرنا ـ تعالى ـ في كتابه بقوله : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [3] ، فهو حق كما قال : ونقول : انه كلمه كما شاء ، وعلى ما شاء من ذلك خصه بذلك ، والله اعلم .

(مسألة) : من كلام لبعض قومنا ؛ والكلام الأزلي هو المعنى القائم بالذات ، المعبر عنه بالعبارات المختلفة ، المباين لجنس الحروف ، المنزه عن الكل والبعض ، والتقديم والتأخير ، والتحدد والسكون ، واللحن والاعراب ، وسائر التغييرات المتعلق بها يتعلق به العلم من المتعلقات .

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي : ومما ينبغي في تنزيه الله ـ تعالى ـ في وصفه ؛ ان لا يقال في صفة من صفاته انها قائمة بذاته ؛ لأن القائم بالشيء هو غير الشيء ، ويكون حالا فيه ، وليس ذات الله ظرفا لصفاته ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . ولا يقال في صفة من صفاته انه عالم بعلم يعلم به ، ولا انه قادر بقدرة يقدر بها ، وكذلك السمع والبصر ؛ لانه يكون كالمستعين على تلك الصفة ، بل وصف ذاته انه حي قدير ، سميع بصير ، عليم مريد ، فاعل متكلم ، وكلامه ليس بحرف ولا صوت ، ولا مؤلف بعضه مع بعض ، فاعرف ذلك .

فصل ؛ في السمع من كتب بعض اهل المغرب ، والسمع في صفة الله ـ عز وجل ـ على ثلاثة اوجه :

سميع ؛ اي ليس بأصم ، ولا يجري عليه الصم .

والسميع الذي لا تخفى عليه الأصوات ، وبلغنا ان عائشة سألت

١ - الآية ـ ١٤٤ ـ من سورة الاعراف
٢ - الآية ـ ٣٠ ـ من سورة القصص
٣ - الآية ـ ١٦٤ ـ من سورة النساء

النبي ﷺ عن ذلك ؛ فقال ـ عليه السلام ـ : «السميع الذي لا تخفى عنه الأصوات» ، والبصير الذي لا تخفى عليه الألوان» ؛ والذي لا تخفى عليه الأصوات هو الذي ليس بأصم ، كما أن الذي لا تخفى عليه الألوان هو الذي ليس بأعمى ، ويقال : الله ـ تعالى ـ سميع وسامع ، ويسمع وقد سمع .

والوجه الثالث سميع ، بمعنى قابل ومنه ، سمع الله لمن حمده ، قال الشاعر :

دعــوت الله حتى خفت ان لا يكــون الله يسمــع مــا أقــول

أي يقبل ، ويجوز على الله يسمع كل شيء يعني (يعلمه) ، قال الصديق ـ رضي الله عنه ـ :

يــذودوننــا عن دينهم ونــذودهم عن الكفر والرحمن راء وسـامع

وجوز بعض العلماء ان يقال : مستمع قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**انا معكم مستمعون**﴾ [1] ، واما سماع فلا يجوز ؛ لانه مصغ الى غيره ، او قابل للكذب ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**وفيكم سماعون لهم**﴾ [2] ، أي هم عيون اولئك الغيب ، والعيون الجواسيس .

وقال في موضع آخر : ﴿**سماعون للكذب**﴾ [3] ، أي قابلون ؛ والله اعلم بحقيقة التفسير .

ويجوز على الله مسمع اي اسمع غيره ، وبمعنى جاعل له سمعا ايضا ، ويجوز يسمع الأصوات بمعنى يعلمها .

فان قال : هل يسمع اصوات اهل النار في النار ؟ قيل له : نعم ؛ ذلك جائز لا على ان تكون اصواتهم اليوم موجودة ، وكذلك يقال : يرى تقلب

١- الآية ـ ١٥ ـ من سورة الشعراء
٢- الآية ـ ٤٧ ـ من سورة التوبة
٣- الآية ـ ٤٢ ـ من سورة المائدة

اهل النار في النار كما فسرنا ، كما تقول لم يزل يسمع أصوات أهل النار في النار ، ويرى تقلبهم في النار ؛ لأنه لم يزل يعلم الأشياء قبل وجودها ويسمعها ويبصرها ، ولم يستحدث ـ عز وجل ـ علما ولا سمعا ولا بصرا .

(مسألة) : فان قال قائل : الله سميع والانسان سميع ، فما الفرق ؟ قيل له : الله سميع اي ليس بأصم ، ولا يجري على الله الصمم ، ولا يسمع بحاسة السمع ، وهو سميع لم يزل ولا يزال ولا يزول ، والانسان انما يسمع بحاسة السمع ، ويجري عليه الصم ، فمهما سمع السامع بذكر السمع في صفة الله ـ عز وجل ـ ولم يعتقد ان ذلك بخلاف الخلق ، او شك فيه كان مشركا بذلك ، جاهلا بصفة الله ـ عز وجل ـ ، ولا يقال للسمع بالحاسة : يسمع ولا لا يسمع ، ولا سميع ولا أصم ، انما تلك الأسماء كلها للانسان بجميعه .

فان قال : اخبرني عن السمع والصمم ، هل هما ضدان ؟ قيل له : انما يقال في ذلك : ان الصمم هو آفة الحاسة ، فضد الصم صحة الحاسة ، ولا يكون ان تضاد الحاسة نفسها فالصحة والآفة ضدان .'

فان قال : اخبرني عن الذي يسمع أبضطرار يعرف انه يسمع أم باكتساب ؟ قيل له : ان ذلك مما لا يمتنع منه وهو درك الأصوات وملاقاته إياها فذلك منه اضطرار غير اكتساب ، واما المعرفة فانه يسمع بالسمع دون سائره من الجوارح فذلك منه اكتساب غير اضطرار ، ويقال في صفة الخلق : انه يسمع بالسمع ، ولا يسمع بالبصر ، كما يقال : انه يبصر بالبصر ولا يبصر بالسمع ، وكذلك في سائر الحواس لانها اجزاء متغايرة ؛ انقضى .

فصـــل ؛ من كتاب [جواهر الآثار] فان قال قائل : لم يزل الله سميعا لماذا ؟ قيل له : ان السميع ليس [تعدى] الى مسموع فلا يلزمنا ان نقول : لم يزل سميعا لمسموع .

فان قال : أفتقولون ان الله لم يزل سامعا ؟ قيل له : لا يجوز قول

ذلك ، لانه تعدى الى مسموع ، والمسموع لا يكون مسموعا الا وهو موجود ، فلم يجز ان يقول : لم يزل الله سامعا .

فان قال : فلما انكرتم ان يكون وصفكم له بانه سامع ليس من صفات الذات اذ لم يجز ان تقولوا لم يزل سامعا ؟ قيل له : لا يجوز ان يوصف بانه سامع الا لذاته ؛ لانه لو وصف بذلك بسمع محدث ، لجاز ان يحدث المسموع ، ولا يحدث السمع ، فلا يكون سامعا ، فلما لم يجز ذلك ، وصح ان الوصف له بانه سامع ؛ انما هو صفة وجبت له لذاته عند وجود المسموع .

فان قال : فلم قلتم : ان (سميعا) لا يتعدى الى مسموع ، وقد قال الله - تعالى - : ﴿سميع الدعاء﴾ [1] ؟ قيل له : ليس معنى قولنا : سميع الدعاء هو ما اعنينا بقولنا : انه سامع الدعاء ، ومدرك له وانما معنى سميع الدعاء [مجيب الدعاء] فجعل قوله (سميعا) مكان (مجيب) على التوسع .

ومنه ؛ قول المسلمين : سمع الله لمن حمده ، ومعنى ذلك ؛ قبل الله منه هذا القول ، وكذلك ؛ سمع الله دعاك ، أي معناه أجاب الله دعاك ، والله تعالى سامع على كل حال ، وانشد ابن العباس عن ابن الاعرابي شعرا : -

دعوت الله حتى خفت ان لا ... يكون الله يسمع ما أقول

معناه ، يجيب ما اقول وهذا يؤول معناه الى الفعل .

واما القول في وصف الله - تعالى - : انه سميع ، والله سامع من صفات الذات فهو على ما بينا ، ويدل على ان السميع ليس يتعدى الى مسموع ، قول اهل اللغة : الانسان انه سميع بصير اذا لم يكن اعمى ولا اصم ، وكان اذا سمع المسموع سمعه ، واذا وجد المبصر أبصره ، وان لم يكن في حال ما وصفوه بانه سميع بصير بحضرته ما يسمعه ، ولا ما يبصره ، فلو كان الوصف له بانه سميع تعدى الى مسموع لم يكونوا يصفونه بذلك ، من غير ان يثبتوا له في ذلك الوقت مسموعا .

---

١ - الآية - ٣٨ - من سورة آل عمران

(مسألة) : ومن كلام الشيخ ابي الحسن ؛ فان قال : أتقولون ان الله سميع بصير ؛ قيل له : نعم ؛ كذلك نقول : ان الله سميع بصير ، سامع ، عالم ، خبير ، وقد قال : ﴿انه هو السميع البصير﴾ [1] ، فنصفه بما وصف به نفسه ، وذلك من صفاته اللاتي لا يستحيل ان يوصف بضدها ؛ لانه ان لم يوصف بانه سميع بصير لوصف بانه غير سميع بصير ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يزل سميعا بنفسه ، عليما بنفسه ، قديرا بنفسه ، لا بآلة ولا بجارحة ـ سبحانه ـ هو الحي العالم ، السميع البصير ، القادر الواحد القهار .

فصــل : في البصر من كتاب لبعض أصحابنا أهل المغرب ؛ ويقال : الله ـ عز وجل ـ بصير أي ليس بأعمى ، والبصير ايضا الذي لا تخفى عليه الألوان ، والبصير بمعنى العالم ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿بصير بما يعملون﴾[2] ، أي عالم بأعمالكم ؛ لأن الأعمال اعراض ليست بألوان فترى .

قال الشاعر :

ابنيّ ان من الرجال بهيمة   في صورة الرجل السميع المبصر

ويجوز ؛ يبصر الألوان وابصر كل شيء بمعنى علم ، ويجوز بصر غيره بمعنى جعله مبصرا ورائيا .

واما بصّار فلا يجوز على الله ، وكذلك يتبصر ، ولا يجوز ما ابصره ولا ما اسمعه ، ولا يجوز التعجب في صفاته ـ عز وجل ـ على انهم قالوا : ﴿اسمع بهم وابصر﴾ [3] ، معناه التعجب ، والله اعلم . وأما في أفعاله فجائز ما أوسع رحمته واحسانه ! فجائز وما اوسع علمه ! أي معلوماته ، فجائز ايضا ، والقول في البصر كالقول في السمع حذو النعل بالنعل ، الا ان الأوزان والمصدر يختلف ، والله اعلم ؛ انقضى .

---

١ - الآية ـ ١ ـ من سورة الاسراء
٢ - الآية ـ ٧١ ـ من سورة المائدة
٣ - الآية ـ ٣٨ ـ من سورة مريم

فصـــل ؛ ويوصف بانه بصير ، وانه لم يزل بصيرا ، وهو من صفات الذات ، ولا يجوز ان يقال : لم يزل مبصرا ؛ لانه لا بد من أن يكون [معدى] الى المبصر فلما لم يجز ان يكون المبصر الا وهو موجود لم يجز ان يوصف الله تعالى بانه مبصر له ؛ لأنه لا يكون مبصرا الا وهو موجود .

فصـــل ؛ في الكبر والعظمة من كتب [اهل المغرب] من أصحابنا فان قال قائل : أتصف الله ـ عز وجل ـ بالكبر والعظمة ؟ قيل له : نعم ؛ الله كبير أي لا احد اكبر منه ، عظيم أي لا احد اعظم منه ، كبر شأن ووحدانية لا كبر جثمان وجسمانية ، وعظيم عظمة شأن وربوبية ، عظيم عن صفات الخلق والحاجة ، والسفل والضعة ، والنقصان والزيادة ، وغير ذلك من صفات الخلق ، ومعاني النقص كما قال القائل :

كلما يرتقى اليه بوهم ... من جلال قدرة وسناء
فالذي ابدع البرية اعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء

فلما كان الخلق موصوفا بهذه الصفات ، كان الله ـ عز وجل ـ كبيرا عنها ، عظيما عن الوصف بها ، تعالى ربنا علوا كبيرا .

وكذلك الجليل في صفات الله ـ عز وجل ـ معنى العظيم عن صفات المخلوقين ، وكذلك العزيز والعالي والمتعالي ، هو عال رفيع الدرجات عن جميع ما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان ، فمهما سمع سامع ان الله عظيم ، في امثاله من الأسماء ، ولم يعتقد ما ذكرنا من العظمة والكبرياء ، والرفعة والعلاء عن صفات الخلق ، وشك فيما ذكرنا كان حينئذ معتقدا لعظم الاجزاء وتكايفها (١٨٠) جاهلا بصفات الله ـ عز وجل ـ غير عارف به ، مشبها لله بخلقه ، كافرا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فصـــل ؛ في وصف الله بالحجاب من كتاب [الارشاد] ؛ ذكر اهل الجهل ان الله ـ تعالى ـ احتجب بحجب ساترة ، وكذبوا على الله ، ليس بين الله ـ عز وجل ـ وبين خلقه حجاب ؛ لانه لو كان محتجبا بالحجب لم يحتجب

عن الحجب وهي خلق من خلقه ، والله ـ تعالى ـ لم يحتجب بخلقه عن خلقه ، ولا بشيء غيره ، ولو جاز ان يحتجب بخلقه ، كان بما احتجب به منتفعا ، واليه محتاجا والله ـ تعالى ـ لا يحتاج ولا يفتقر لشيء .

وقال عليّ في قوله ـ تعالى ـ : **﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب﴾** [1] ؛ أي ما ينبغي لبشر ، كما قال : **﴿ما كان لله ان يتخذ من ولد﴾** [2] ، وروي انه قال : ان الله حجب الكلام الذي سمعه موسى عن اهل السماء والارض ، فلم يسمعه الا موسى ـ عليه السلام ـ ، وهذا احسن ما قيل في هذا الباب .

وقال بعض العلماء : الحجاب في اللغة على معنيين : حجاب ساتر وهو الذي تفعله الناس ، وحجاب بمعنى المنع من غير ستر ، مصور بشخص .

فلما كان موسى ـ عليه السلام ـ غير جائزة الرؤ ية منه عليه ـ تعالى ـ ، ولم يكن الله ـ تعالى ـ يجوز عليه ذلك ؛ جاز ان يقال : موسى محجوب عن الله ـ تعالى ـ ، كما ان الرجل قد يريد ان يتكلم فيمنعه مانع فيقول : حجبني فلان عن الكلام ، ويقول : حجبني خوف الله عن المعاصي ، اي منعني ويقال : الضرير محجوب ؛ أي ممنوع ، وليس هناك حجاب ساتر فكذلك موسى ـ عليه السلام ـ محجوب عن الله ، اذا كان الله ـ تبارك وتعالى ـ لا تجوز عليه الرؤ ية ولا يرى ؛ لانه قديم ولا يرى في الدنيا ولا في الآخرة ، لانه لا يتغير عن صفاته ابدا ، والله اعلم .

(مسألة) : روي ان عليّ بن أبي طالب مر على لحام وهو يقول : لا والذي احتجب بسبع سماوات ، فقال علي : ومن المحتجب بسبع سماوات ؟ فقال اللحام : رب العالمين ، فقال علي : أخطأت ، ثكلتك أمك ! ان رب العالمين ليس بينه وبين خلقه حجاب ؛ لانه معهم أينما كانوا ، فقال : يا أمير المؤ منين ؛ فما كفارة ما قلت ؟ فقال له علي : كفارته ان تعلم انه معك أينما كنت ، والله اعلم .

---

[1] - الآية ـ ٥١ ـ من سورة الشورى

[2] - الآية ـ ٣٥ ـ من سورة مريم

(مسألة) : ولا يجوز أن يقال : ان الله يحتجب عن خلقه ؛ لأن المحتجب مستتر .

(مسألة) : ولا يجوز ان يقال : يا من احتجب بقدرته عن أعين الناظرين ؛ لأن القدرة ليست هي غيره ، وليس هو ممن يتوارى بالحجب .

قال : أفليس قد قال الله تعالى : **﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب﴾** [1] ، فان معنى الحجاب المنع لهم عن رؤ يته ، وليس من دون الله حجاب يستره .

(مسألة) : من كتاب تفسير قصيدة الشيخ فتح بن نوح المغربي ؛ فان قال : ما معنى قول الله ـ عز وجل ـ : **﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب﴾** الى آخر [الآية] ؟ قيل له : ان الله ـ عز وجل ـ احتجب عن الخلق كله بنفس الخلق ، لا بحجاب ثالث يكون بينه وبين الخلق ، كما حجب الابصار عن درك الاصوات ، والاسماع عن درك الألوان ، وسائر محسوسات الحواس ، نظير قوله ـ تعالى ـ : **﴿كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** [2] ، أي عن رحمته وفضله لا كما زعمت المشبهة ان الله احتجب عن خلقه بكذا وكذا حجابا من نور ، وكذا وكذا حجابا من ظلمة ، وكذا وكذا حجابا من غمام ، كما يحجب ملوك الدنيا في قصورهم ؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ولا يرون ان الحجاب معناه المنع .

ومنه ؛ الحجب في الميراث ، كذلك قوله : **﴿كلاّ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** ، عن خيره وكرامته ، وتقول العرب : حجبنا الأمير اذا منعهم فضله ، ومعنى حجاب الرؤ ية يقول الله : **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾** [3] ، [الآية] الا وحيا قيل : انهم الأنبياء الذين يوحى اليهم ، وقوله : **﴿أو من وراء حجاب﴾** ؟ قيل : انه موسى

---

١ ـ الآية ـ ٥١ ـ من سورة الشورى
٢ ـ الآية ـ ١٥ ـ من سورة المطففين
٣ ـ الآية ـ ١٠٣ ـ من سورة الانعام

ـ عليه السلام ـ ، كلمه بلا واسطة وهو محجوب عن الرؤية ، وقوله أو ﴿يرسل رسولا﴾ قيل : انه جبريل الى محمد ـ عليه السلام ـ :

ووجدت في بعض التفاسير في قوله : ﴿ان يكلمه الله الا وحيا﴾ ان الوحي على وجهين ، أي ضربين :

وحي الهام كقوله : ﴿وأوحى ربك الى النحل﴾ [1] ، أي الهمها .

ووحي ارسال الى الأنبياء على لسان جبريل ـ عليه السلام ـ ، واحتجب الله ؛ اي امتنع من ان تراه العيون ، لانه لو احتجب بحجاب ثالث بينه وبين الخلق ، لما احتجب عن ذلك الحجاب ؛ لأن الحجاب خلق من خلقه ، ولو جاز ان يحتجب بخلقه ، لكان ما احتجب به لا يخلو ان يكون فوقه ، او تحته ، أو أمامه ، أو خلفه ، أو يحيط به ، فهذه الجهات من صفات الأجسام ، والتحديد ، فحاشاه من ذلك .

فان قال قائل : فما له لا يرى اذا لم يكن محتجبا ؟ قيل له : ان نفسه نفس ترى لا لعلة من الأشياء ، فلما كان لا يرى لا لعلة غيره ، كان لا يرى في آخرة ولا دنيا ؛ لانه لا يتغير ابدا .

(مسألة) : عن الشيخ ناصر بن ابي نبهان الخروصي ؛ ان في عزيمة [السباسب] ؛ الحمد لله الذي احتجب عن الأبصار فلا يرى ؛ هذا يقول به أصحابنا ، لأن الله ـ تعالى ـ لم يحتجب عن الابصار ، بل ذاته لا تراها الأبصار ، فهو شيء لا يرى من غير ان يحتجب هو فهو غير محتجب ، ولو كان محتجبا لكان محتاجا الى الحجاب حتى لا يراه احد ، ولو كان مما يمكن ان يكون شيئا يراه ، ولكنه لم يكن لكان من الممكن أن يكون في القدرة شيء يراه ، ولكنه لم يكن ، وكل هذا معنا باطل ، في صفات الله ـ تعالى ـ .

(مسألة) : عن أبي معاوية ؛ قلت له : فيقول القائل : يا من احتجب عن خلقه ؟ قال : نعم .

قيل له : فيقول يا من احتجب عن خلقه بسماواته قال لا . قيل له :

---

١ ـ الآية ـ ٦٨ ـ من سورة النحل

فيقال : يا من احتجب عن خلقه بنور قال لا ؛ لأن النور محدود ولكن يقول : يا من احتجب عن خلقه بعزته وقدرته .

قال غيره : لا يجوز ان يقال : يا من احتجب بعزته وقدرته ، اذ العزة والقدرة صفتان من صفات الله ، وجبتا لذاته ، ولا يجوز ان يقال : هما غير الله ، ولا يقال : انه عزة ولا قدرة ؛ بل نقول : صفات الله ـ تعالى ـ الذاتية ، ولم يزل موصوفا بها ، ولم يزل موجودا له الأسماء المعلومة لا يحصيها الا هو ، وأما تأويل الحجاب الذي جاء ذكره في القرآن ، فهو المنع عن الرؤ ية ليس بين الله وبين خلقه حجاب ساتر ، تعالى ربنا عن صفات المخلوقين علوا كبيرا .

رجـــع ؛ ومن غيره ؛ قال : وقد قيل لا يقال ان الله يحتجب عن خلقه ، ولكن يقال : ان الله حجب خلقه عن رؤ يته .

قال غيره نعم ؛ هكذا قيل ، وهو أعدل مما تقدم من الأقاويل ؛ الا ان القول الأول لا يجوز ، اذ انه لم يحتجب هو ـ تعالى ـ بل حجب خلقه عن رؤ يته ، والقول الثاني اذ انه لو احتجب بشيء لاضطرته الحاجة اليه ، ولكان الحجاب اكبر من المحجوب ، والصغير المضطر الفقير ليس بالهٍ على كل شيءقدير ، والقول الثالث كالأول ؛ الا انه اكثر ايهاما للسامع ان قدرته وعزته هما غيره قد احتجب بهما ؛ والله اعلم .



الباب الخامس

من سيرة لبعض أصحابنا من أهل المغرب فيها معان شتى ومن كتاب العدل والانصاف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

جواب مسائل ارسل بها الينا اخونا محمد الابديلاني ، يشبه ما نحن فيه ؛ كتبت يا أخي تسألني عن تفسير قول الله - عز وجل - في هاتين الآيتين : **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوابالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ، ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾** [1] .

وقلت : فيمن نزلت ، أفي المنافقين ، أم في أهل الكتاب ؟ وما هذا الايمان الذي أمروا به ؟ أهو الايمان الذي نسبهم اليه ؛ حيث يقول : **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا﴾** ؟ والذي ذكرت انك نظرت في كتاب ابي عمار - رحمه الله - يقول كل موضع قال الله - عز وجل - : **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** ، معناه ؛ يا أيها الذين أقروا ، وقد يقع اختبار عن ضمير القلب . قال الرماني في مصحفه الكبير : **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** ؛ بمن قبل محمد من الأنبياء ، [آمنوا بالله وبرسوله] محمد ﷺ ، وهو قول الحسن البصري .

---

١ - الآيتان - ١٣٦ ، ١٣٧ - من سورة النساء

وحكى الزجاجي : انها في المنافقين .

وأما الآية الأخرى : ﴿ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا﴾[1] ، فحكي عن قتادة : انها في اهل الكتابين من اليهود والنصارى ، آمن اليهود بالتوراة ثم كفروا بمخالفتها ، وكذلك آمنوا بموسى ، ثم كفروا بمخالفته ، وآمن النصارى بالانجيل ، ثم كفروا بمخالفته ، وآمنوا بعيسى ، ثم كفروا بمخالفته ، ثم ازدادوا كفرا بمخالفة الفرقان ومحمد - عليه السلام - .

وقال بعض أهل التفسير : وهو [الحسن] ؛ انهم طائفة من أهل الكتاب قصدت لتشكيك المؤمنين ، فكانوا يظهرون الايمان به ، والكفر به ، وقد بين الله امرهم في قوله : ﴿وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ [2] ، ثم ازدادوا كفرا بموتهم على الكفر .

وهذه الصفة ، - والله اعلم - ، في ابن صوريا واهل خيبر ، نزلت الآية ؛ وقال بعضهم ، وهو مجاهد وابن زيد : انها في المنافقين نزلت آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم ، وهذا التفسير عندي اشبه على انه يؤول على تشريك المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، وربما يتوجه الى انهم اقروا بمحمد على شك في اول أمرهم ، فنسبهم الله - عز وجل - الى الايمان بالاقرار ، والى الكفر والشك ، ثم عقب فقال : ثم آمنوا أي اخلصوا وتحققوا ، وتبين لهم ، ثم كفروا بتضييع العمل ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك الى الموت ، ألا ترى الى قول الله - عز وجل - حيث عقب فقال : ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ [3] ، ولم يجز لأهل الكتابين ذكر ، وربما يكون التأويل لأهل الكتابين كما تقدم ، فقال الله - عز وجل - تعقيبا وتأنيبا للمنافقين : ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ ؛ والله اعلم .

١- الآية - ١٣٧ - من سورة النساء

٢- الآية - ٧٢ - من سورة آل عمران

٣- الآية - ١٣٨ - من سورة النساء

والتفسير يتوجه الى الفريقين ، والله اعلم .

واما قول ابي عمار : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا) اقروا فصحيح ، غير انه قد يقع احيانا في القرآن على الضمير ، واحيانا على الوفاء بالقول ، والضمير والعمل ، والدليل على الايمان بالضمير والقول قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾[1] ، فجمع وعم اعتقادا وقولا ، وكذلك قوله : ﴿**أولم تؤمن قال بلى**﴾[2] ، فقصر الايمان هاهنا على القلب ، ثم قال : ﴿**ولكن ليطمئن قلبي**﴾ .

وأما حيث يقع الايمان باللسان كما تقدم ، فكثير آمنوا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم . وأما حيث يقع الايمان فيشتمل المعاني الثلاثة لقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم**﴾[3] .

ولا يليق ان يقصر هذه الصفة على نطق اللسان دون الضمير والفعل ، وقد نسبهم الى اقصى درجات الاسلام والايمان ، والذين يمدحهم بها فاذا بلغنا هذا المقام ، فينبغي لنا ان نشير الى مذهبنا في الايمان ، انه القول والاعتقاد ، والأعمال تصريحا وتصحيحا ، وهو مذهبنا ومذهب السنية ، مالك والشافعي وابن حنبل وابي حنيفة على قول : وهو مذهب المحكمة ، اعلم ان الايمان ثلاث مقامات .

احداها ؛ انطواء القلوب وضمير النفوس ، على اعتقاد التوحيد لغة وشرعا .

الثانية ؛ الاقرار باللسان نطقا ، والاعراب عن الضمير وفقا ، وقيله : صدق ، وهذا دون الأول ، لأن الأول يجزي عن هذه العلل ، ولا يجزي هذا عن ذلك على حال لغة ايضا وشرعا .

---

١ - الآية ـ ٣ ـ من سورة البقرة
٢ - الآية ـ ٢٦٠ ـ من سورة البقرة
٣ - الآية ـ ١٩ ـ من سورة الحديد

والثالثة ؛ التصديق بالأعمال ، والتحقيق بالأفعال شرعا وسمعا .

الدليل على الأولين من اللغة ؛ قول اخوة يوسف لابيهم يعقوب : **﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾**[1] ، وقوله : **﴿أولم تؤمن قال بلى﴾**[2] ، وقوله : **﴿فآمن له لوط﴾**[3] ، وقد شمل القرآن ذلك كله ، قال : **﴿ومن كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾**[4] ، وجميع ما حكى الله ـ عز وجل ـ في ذم المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم ، دليل على ان الايمان فيهما جميعا باثبات الله اياه في الأفواه وذمهم اذا لم يكتسبوه بالقلوب ، قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾**[5] ، والاتفاق واقع على هذا ، وانما الكلام في الأعمال ، ودليلنا على الأعمال انها من الايمان ، واتفاق الجميع على ان الشرع طار على اللغة ، وان الشرع قد ورد في اشياء نقل لسان العرب اليها فانتقل ؛ منها :

المنافق كان في اليربوع فانتقل الى من انسلّ من الاسلام من حيث لم يدخل فيه .

والوضوء ؛ معهود اللسان الموضاة في الجوارح ، فزاد الشرع المسح .

والصلاة ؛ الدعاء ، فزاد الشرع الركوع والسجود .

والهجرة في الحمير ؛ هاجر الحمار : اذا خرج من بلاده فانتقل الى المهاجرين .

والغائط في اللسان ؛ المطمئن من الارض فانتقل الاسماء الى النجو ، فغلبت الشريعة اللسان ؛ ولهذا قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾**[6] ، يعني [صلاتكم] عند بيت المقدس في رأي اهل التفسير .

١- الآية ـ ١٧ ـ من سورة يوسف
٢- الآية ـ ٢٦٠ ـ من سورة البقرة
٣- الآية ـ ٢٦ ـ من سورة العنكبوت
٤- الآية ـ ١٠٦ ـ من سورة النحل
٥- الآية ـ ١٤ ـ من سورة الحجرات
٦- الآية ـ ١٤٣ ـ من سورة البقرة

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [1] ، وانما من حروف الحصر ، وكذلك أولئك ، وقال : ـ عليه السلام ـ : وهو المبين عن الله ـ عز وجل ـ : «فانزل اليهم الايمان مائة جزء واعلاها شهادة ان لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق» وقال : «الصبر والسماحة من الايمان» ، وقال : «الحياء من الايمان» ، وقال : «الصبر نصف الايمان والوضوء نصف الصبر» ، وقال : «حسن العهد من الايمان» ، قال : «البذاذة من الايمان» .

وهذه الامور كلها محمولة عن الرسول ـ عليه السلام ـ على ان اسم الايمان غير مستحيل عن الأفعال لما قدمنا من احكام الشرع ، ونقلت الاسماء عن مواضعها ، فمن صادم هذه الآثار فليحاسب نفسه وليراقب ربه .

فان قال قائل : فما الحكم فيمن انعرى من هذه المقامات الثلاث ؟ قلنا : قول الله ـ عز وجل ـ فيهم : ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون**﴾ [2] ، لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون .

وان كان في قلبه وانعرى منه لسانه ، فهم الذين قال الله ـ عز وجل ـ فيهم من قوم فرعون : ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ [3] .

فان كان في القلب واللسان ، وانعرى منه العمل فهم الذين قال الله ـ عز وجل ـ فيهم : ﴿**ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ [4] ، والثاني والاوسط من المفسدين ، والثالث من الخاسرين .

---

١ - الآية ـ ٢ ـ من سورة الانفال
٢ - الآية ـ ١٠٨ ـ من سورة النحل
٣ - الآية ـ ١٤ ـ من سورة النمل
٤ - الآية ـ ٢ ـ ٣ ـ من سورة العنكبوت

اعلم ان الله ـ عز وجل ـ قد ادرج الايمان ، والاسلام ، والدين في آيتين من كتابه ، وهما خواتم سورة البقرة فتضمنتا جميع ما امر الله ـ عز وجل ـ به من دينه ، فاذا ذكرنا هذا ، فلا بد من الاشارة الى شرح بعض هاتين الآيتين ، والتنبيه على متضمنها لقواعد الدين اصلا وفصلا ، وعبارة واشارة .

اما قول الله ـ عز وجل ـ : **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾** [1] ، فالرسول محمد ﷺ بدليل التعريف ، وهو تعريف العهد اذ ليس بتعريف الجنس .

فلو قال قائل : رأيت رجلا فقيل من الرجل لدل [لام التعريف] ان المرء هو المسئول عنه ، وما لم يكن منكرا ، بدليل قول الله ـ عز وجل ـ : **﴿ان مع العسر يسرا﴾** [2] ، فدل تكرار المعرف انه واحد ، وتكرار المنكر انه اثنان ، بدليل قول رسول الله ﷺ : «لن يغلب عسر يسرين» ، وقول الله ـ عز وجل ـ : **﴿وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا ، حتى اذا بلغ مغرب الشمس﴾** [3] ، ثم قال : **﴿واتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس﴾** ، ثم قال : **﴿واتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين﴾** ، فدل تنكيرها ان ذلك اسبابه كثيرة ، مصداقا لقوله : **﴿آتيناه من كل شيء سببا﴾** وقوله ـ عز وجل ـ : **﴿آمن الرسول بما أنزل اليه﴾** ، فقد اخبر الله ـ عز وجل ـ عن رسوله انه آمن فاطلق ولم يقيد ، فاثبتناه انه آمن قولا وعملا واعتقادا ، ثم قال : **﴿والمؤمنون كل آمن بالله﴾** ثم قال في الرسول ـ صلوات الله عليه ـ : انه آمن بعد الله بما انزل الله في كتابه ، فأثبتنا كل الايمان نطقا واعتقادا وامتثالا وتركا ، ثم قال : **﴿والمؤمنون كل آمن بالله﴾** ، فظهرت العلة ، انما سماهم [المؤمنين] لاجل [الايمان] ، والحكم تابع للعلة .

واسماء الصفات اذا قرنها الباري ـ سبحانه ـ بحكم ، دلت على التعليل ، وفي التعليل اوضح الدليل ، على منهاج السبيل ، الا ترى الى قول

---

١ - الآية ـ ٢٨٥ ـ من سورة البقرة
٢ - الآية ـ ٦ ـ من سورة الشرح
٣ - الآية ـ ٨٤ ـ من سورة الكهف

الله ـ عز وجل ـ : ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾[1] لأجل ماذا ؛ لشركهم ؛ ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾[2] ، لاجل ماذا ؟ لهذا الامر الذي عزاهم اليه ، ووصفهم به .

وكذلك :﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[3] لاجل ماذا ؟ لاجل زناهما ، فاقتضت الزيادة في الاسماء التعليل ، كما يقتضيه الشرط لو قال : من اشرك فاقتلوه ، ومن زنا فاجلدوه .

اما اسماء الالقاب فلا ؛ ولهذا المعنى ذهب فقهاء الامة في قوله ـ عليه السلام ـ : «الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر حتى الملح يدا بيد سواء بسواء ، فمن زاد أو ازداد فقد اربى» ، فلم يصيبوا من جهة اللغة معنى يقتضي فيها الربا ، فذهب بعض الى الطعم ، وبعض الى الكيل ، وبعض الى النبات ، وبعض الى الاثمان ، والاقوات .

وقوله : ﴿والمؤمنون كل آمن بالله﴾ فقولنا : الله ، مأخوذ من الاله فاستثقل النحويون الهمزة فألغوها ، فالتقى اللامان فادغم احدهما في الآخر ، فقالوا الله ، وهذا على مذهب اهل الاشتقاق ، واما من قال : ان اسم الله هو اسم تبنى عليه الصفات ، جعله غير مشتق .

واعلم ان الاسماء انما تعرف بحدودها أو برسومها ؛ اعني المعرفة الصحيحة وما وراء ذلك ، كالقلب ، وللاسماء ثلاثة احوال : حدود ، ومقامات ، ومقتضيات .

اما الحدود ، فانها تعرفك الاسم معرفة تحصره بها ، حتى لا تدخل فيه ما ليس منه ، ولا يخرج منه ما هو منه ، كقولك : انسان ؛ ما حده ؟ قلنا : حيوان ، آدمي ، منتصب ، مؤنس بالبصر ، يصلح للتكليف ، غالبا فقولنا : حيوان احترازا من الموت ، وقولنا : آدمي احترازا من سائر

---

١ - الآية ـ ٣٦ ـ من سورة التوبة
٢ - الآية ـ ٣٨ ـ من سورة المائدة
٣ - الآية ـ ٢ ـ من سورة النور

الاجناس ، اجناس الحيوانات ، وقولنا : منتصب ؛ احترازا من ذوات الاربع ، وقولنا : مؤنس البصر ؛ احترازا من الملائكة والجن ، ويصلح للتكليف بشرط العقل .

وما ذكره ببعض رسومه ان تقتصر على بعض هذه الاوصاف ، ولم تحصره كل الحصر كالحدة .

واما مقامات الاسماء ، وذلك ان تعرف ان قولك : الاله اعظم من قولك الملك ، وقولك الملك اعظم من قولك الرب ، والرب اعظم من قولك الاب ، والاب اعظم من قولك الابن ، والابن اعظم من قولك العبد ، والعبد اعظم من قولك البهيمة .

واما مقتضيات الاسماء فمعرفة معانيها التي تتضمنها ؛ فالاله ؛ من له الوجود والايجاد ؛ والملك من له الجند والرعية .

والرب ؛ من له المال والعبيد .

والاب ؛ من له الولد .

والولد ؛ من له الاب .

والعبد من له المولى

واما التفسير قولك : الاله هو المخترع ، والملك ، القاهر ، والرب المصلح ، والاب الاصل ، والابن الفرع ، والعبد المسوس ، وينبهك على هذا قول الله عز وجل : ﴿قل اعوذ برب الناس﴾[1] الى آخرها ، الا ترى الى هذا الترتيب العجيب الذي خاطب به اولى الالباب لينفهم لهم من معاني هذه الاسماء ترتيب الخلائق ، والترقي الى صفات الخالق ، فاذا كان الله ـ عز وجل ـ هو المخترع ، والاختراع ، والابتداع ، من العدم الى الوجود .

ومن عرف الله ـ عز وجل ـ فقد عرف انه من دونه محدث مصنوع ،

١- الآية ـ ١ ـ من سورة الناس

خارج من العدم الى الوجود ، ومعنى الحدوث لم يكن ثم كان ، ومن كان قبل الحدوث فهو قديم ، والله ـ تعالى ـ قديم لم يزل ، ويقتضي حدوثنا قدمه ، وتصرفه فينا حياته ، وتأنينا علمه ، وصدودنا قدرته ، وتميزنا ارادته ، واختلافنا سخطه ورضاه .

فمن عرف الله فقد عرف جميع ما ذكرنا ، وتضمنه الله ـ سبحانه ـ وقد اندرج في قولك : الله الساخط بمعنى ؛ الساخط ، والراضي ، ومعنى المريد ، ومعنى القادر ، ومعنى العالم ، ومعنى الحي ، ومعنى القدير ، ومعنى الموجود ، ومن عرفه انه الله فقد عرفه ان له الخلق ، وان الخلق له ، ومن عرفه انه مالك ، فقد عرف ان له الجند وهم الملائكة ، والرسل ، والكتب ، ومن عرفه انه الرب ؛ فقد عرف ان له التكليف ، والامر ، والنهي ، والثواب والعقاب ، في عباده ، واليه المصير .

وظهور القضية في حقنا شرعا وعقلا قولك : عبدالله فاذ نحن عبيد الله ، فنحن له كل الوجوه من الوجود والايجاد ، فهو الرب فساسنا بالتكليف ، والرب هو المصلح والملك ، هو القاهر والاله هو المخترع ، فمن عرفه ربا ولم يعرف انه مكلف عباده فلم يعرفه ، ومن عرفه ملكا ولم يعرف ان الخلق له رعية ، وان الانبياء والرسل سفره وكتبه بأوامره ونواهيه الى رعيته فلم يعرفه ، ومن عرفه الها ، ولم يعرف انه سبق الحدوث وجوده ، والعجز والحاجة ، كونه فلم يعرفه .

وقد دخل في قولك : عبدالله جميع ما خلقت له الدنيا والآخرة تصحيحا وتصريحا ، وتفصيلا ، وتوصيلا ، ولعل هذا اراد المعنى ، اراد غران بن الصقر في مذهبه فيما لا يسع ان عنده من نطق بالجملة معنى ذلك كله جملة ، ويسعه ذلك ما لم يقع التفصيل ، والله اعلم بمذهبه ، في ذلك ، والله المستعان .

ويحقق هذا ويؤيده ، قول رسول الله ﷺ : «من عرف نفسه عرف ربه» ومعرفة العبد لنفسه ان يعترف بثلاث صفات : الحدوث ، والعجز ،

والحاجة ، ونفيها في حق الباري ـ سبحانه ـ ، وعلى ان الرب ـ تعالى ـ قصد الى الجمل التي لا تعرف الا بالتوقيف ، واشار فيها الى التعريف ، ولم يكل عباده الى متضمن الجملة ، فلعل وعسى من اعترف لله ـ تعالى ـ بصفة من صفاته ، ان يكون قد اعترف بها كلها ، كما ان من انكر صفة من صفاته فقد انكرها كلها ، ومن انكر ان يكون الله ـ عز وجل ـ خلق هذا الخلق ، فقد انكر جميع الخلق ، ومن اقر له انه خلق الخلق ، فقد اقر له بجميع الخلق ، بل من انكر جسما واحدا فقد انكر جميع الخلق ، ولعل من اقر له بجسم واحد ، فقد اقر له بخلق جميع الخلق .

واما قوله : ﴿**سمعنا واطعنا**﴾ فالسمع ؛ القبول ، والطاعة ؛ الاذعان ، فهذا اعتراف للمولى بجميع واجباته ، فمن كان بهذه الصفة فهو ولي الله ، وموف بدين الله ، فلما اطاعوا بهذا قالوا : (غفرانك ربنا واليك المصير) ، فطلبوا المغفرة ، وايقنوا بالمصير ، فغفر لهم سيئاتهم وجازاهم بحسناتهم ، وكان لهم وليا وبهم حفيا .

وللمصير اسماء كثيرة : القيامة ، والقارعة ، والحاقة ، والصاخة ، والطامة ، والحشر ، والنشر . ومتضمن هذه الاسماء المجازاة بالجنة او بالنار .

ومن عرف انه عبدالله دخل الجنة والنار بالعكس ؛ لأن مقتضيات العبد التكليف والأمر والنهي ، والطاعة والمعصية ، والثواب والعقاب ، وثمرتها الجنة والنار ، نعوذ بالله من النار .

ومن واجبات الالوهية ما قدمنا اولا ، فعند ذلك يصح للعبد معرفة الالوهية والعبودية ، والحال والمآل .

واما الآية الثانية وهو قوله : ﴿**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**﴾ الى آخر السورة ؟ فان الله ـ تعالى ـ قد ادرج فضائل هذه الأمة ما يقصر الوصف دونه ، لانهم سألوه المغفرة في الآية الاولى ، وتفضل عليهم بمضمون ما في الآية الثانية ، وقال المفسرون : ان الله ـ تعالى ـ حكى عن نفسه ، انهم سألوه وهو اصدق القائلين ، وهو موصوف بالكرم لمن سأله ، ولمن لم يسأله ، وقد نهى

عباده عن اللوم ، فكيف يرضى به ؟ فقالوا : لا بد من لحن الخطاب ، ورد الجواب ، وهو الصواب ، ولحن الخطاب ؛ ان يقول لهم مرحبا مرحبا بكم انتم احبتي وجيراني ، في جنتي ، فانا اهل التقوى ، وانتم اهل المغفرة ، فطاع لهم الرب ـ تعالى ـ في الآية الثانية ، بافضل مما سألوه ، فبشرهم وقال : ﴿**لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾ فاسعفهم بهذه الخلال العشر ، بعد المغفرة ، فبشرهم انه لا يكفلهم ما لا طاقة لهم به ، وهو ما خرج عن وسعهم .

فان قيل : فلم كلفهم الجهاد الذي هرب منه بنو اسرائيل ، وسنه قابيل في هابيل ، وهو الفساد العظيم في البلاد والعباد ؟ قيل له : ان العرب الذين هم مبتدأ هذا الدين ، كان من عاداتهم في الجاهلية وصنيعهم التهاوش والتعارش ، وهو كسبهم ونسبهم وحسبهم ، حتى قال رسول الله ﷺ : «جعل رزقي تحت ظلال السيوف» فكلفهم الله الجهاد حيث صار لهم لذة وطبيعة وحرفة وصنيعة ، ولو خير الناس في التكليف لاختاروا طلب الدنيا والسعي لها ، وهو الشقاء البين ، ولكن كل احد ووسعه في الراحة والدعة ، وللعرب خارجة عن وسعهم ، ولا طاقة لهم بها ؛ شعرا :

ومكلف الايام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار
كمكلف الذئب الحلامة لو رأى خرفان حي في فناء الدار

ومن العجائب ان كلف الله لبني اسرائيل قتل انفسهم فصبروا ، ولو كلفهم قتال عدوهم ما تسارعوا ، ولو كلفت هذه الأمة ملاقاة العدو فتسارعوا ، ولو كلفوا قتل انفسهم ما قدروا ، وقد قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم**﴾[1] وقال في بني اسرائيل ، حين امرهم بالقتال ، فقالوا لموسى ـ عليه السلام ـ : ﴿**اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون**﴾[2] ووعد الرب ـ تعالى ـ في الجهاد الذي هو لذتهم الظفر والنصر والمثوبة والاجر .

---

١ - الآية ـ ٦٦ ـ من سورة النساء

٢ - الآية ـ ٢٤ ـ من سورة المائدة

واما قوله : ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ ، وتحت (كسبت) و(اكتسبت) ، فائدة عظيمة منها ؛ ان (فعل وصورة) ، تقتضي ما ينتسب الى الانسان من افعاله وكسبه ، ونسب اليه ، وان لم يفعله وما جرى من ذلك طوعا وكرها ، فكل وزن وافق (كسب) فمحسوب له في اجره ، لقوله : عمل ، وفعل ، وكسب ، وقام ، وقعد ، واكل ، وشرب ، ونام وعاش ومات وفات ، فكل هذا محسوب له اجرا وذخرا ؛ بدليل قوله : ﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾ [1] وقال : ﴿تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ما له وما كسب﴾ [2] وولده من كسبه ؛ بدليل قول ابن عباس حين قعد لخصومة بني ابي لهب بالحجر : حتى تواثبوا فوطئوه بأرجلهم ، فقال : ادركوني من الكسب الخبيث ، يريد (اولاد) بني لهب .

ثم قال : ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ ، فدل على انه لا يأخذ من افعاله ، ولا يأثم الا فيما تعمده وتكلفه واعتقده واكتسبه ، كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان﴾ [3] فشدد واكد ، و(افتعل) عند العرب يقتضي الاشغال ، والمشقة ، والتكلف ، واما (فعل) و(كسب) فانه يأتي عفوا صفوا ، ويتضمن الاجور فضلا من الله ورحمة ، ولهذا عدوا ولد الرجل المؤمن من كسبه ، ويؤجر عليه ، كما يؤجر على سائر كسبه ، ومنه قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ [4] يريد الولد .

وهذه العشر الخصال التي من الله ـ عز وجل ـ بها على هذه الأمة ، بعد الجواب بالمغفرة ، فلما نظروا الى الاسعاف الخفي العظيم الجلي ، والالطاف الخفي ، حملتهم الدالة فقالوا : ﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [5]

---

١ - الآية ـ ١٦٢ ـ من سورة الانعام
٢ - الآية ـ ١ ـ من سورة المسد
٣ - الآية ـ ٢٢٥ ـ من سورة البقرة
٤ - الآية ـ ١٨٧ ـ من سورة البقرة
٥ - الآية ـ ٢٨٦ ـ من سورة البقرة

وهم قد سبقت لهم الاجابة قبل ان يخلقوا ، ايام سأل موسى ربه لبني اسرائيل فلم يسعفوا ، وحبيت وأحفيت به هذه الأمة ، وقد قال موسى ـ عليه السلام : ﴿**ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك**﴾[1] .

قال الله ـ عز وجل ـ جوابا لسؤاله : ﴿**عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوارة والانجيل**﴾[2] الى تمام الآيات ﴿**يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[3]

واما قوله : ﴿**ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا**﴾ ، قال اهل التفسير : ان نسينا اي تركنا ، أو اخطأنا اذا تعمدنا ، وربما يستكف الجاهل العمر المعجب بنفسه الغر عن هذا التفسير ، فيقول : ان هذا خروج من المعقول ، وترك لسان العرب المعلوم ، الى الاهواء والاضاليل ، خلا ان من لم يمارس الشريعة ويتفقه في فنونها تشمئز منه الطبيعة ، وتنسلق بالوقيعة الى عدول العلوم ، وارباب الحلم فيها لم يبلغه عقله ، ولم يضبطه علمه ، وعدو المرء ما جهل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله ونحن نكشف الغطاء في مثل هذا ان شاء الله واعلم .

ان اهل التفسير الذين هم لسان القرآن ، وولاة البيان والتبيان ، نظروا الى انفاس الشريعة قد اوهي بميل الى احد الجانبين ، وهو اليسر دون العسر ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾[4] قال عز من قائل : ﴿**يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم**﴾[5] ، ﴿**يريد الله ان يتوب عليكم ويريد الذين**

---

١ ـ الآية ـ ٥٥ ـ من سورة الاعراف
٢ ـ الآية ـ ١٥٦ ـ من سورة الاعراف
٣ ـ الآية ـ ١٥٨ ـ من سورة الاعراف
٤ ـ الآية ـ ١٨٥ ـ من سورة البقرة
٥ ـ الآية ـ ٢٦ ـ من سورة النساء

يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما﴾[1] ، **﴿يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا﴾**[2] ، وقد كان رسول الله ﷺ : «ما خير بين اثنين الا اختار ايسرهما» .

والخبر المأثور ان بعل بن امية سأل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال : انا نجد صلاة القصر في المسايفة ، ولا نجد قصر المسافر ، فقال له عمر : تعجبت مما تعجبت منه ؛ فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : «الا تقبل رخصة الله يا عمر» ، وليس فيها اكثر من مكابدة السفر ، فقاسوها على مكابدة العدو ، وقصروا ، ورسول الله ﷺ راغب في صلاح امته ، والتخفيف عليها حتى ذهب في الذين يتوبون من قريب الى ان يتغرغر ويكره التنطع في الدين ، والرهبانية ، وقال : «شر السير الحقحقة» ، يريد (المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى) ولرأفته بهم ، ورحمته عليهم ، وحرصه عليهم ، انزل الله تعالى : **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾**[3] ، ظاهرها مدحة وباطنها منحة ، وفي خلالها قدحة .

والآية الاولى في عتاب المؤمنين والآية الاخرى في تأنيب الكافري .

اما المدحة التي فيها لرسول الله ﷺ ، ان قال : **﴿لقد جاءكم رسول﴾** فوسمه بالرسالة اعظم منها منة ، ومدحه رسول رب العالمين بخ بخ الى منقطع النفس ، كما قال : **﴿من انفسكم﴾** فعزاه الى اكرم النسب ، خليل الرحمن ابراهيم ـ عليه السلام ـ ، واعظم الحسب اهل الله فختم به بالرأفة ، والرحمة لأولياء الله ، وبالصفح الجميل ، والعفو الجليل لاعداء الله ، فهذه اعظم المدح علما وحلما ، وحسبا ونسبا ، ثم قال : **﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾** ؛ هذه أعلى الدرج في مصانعتهم يعز عليه ما يفتنه ، ويحرص فيما فيه

---

١ - الآية ـ ٢٧ ـ من سورة النساء
٢ - الآية ـ ٢٨ ـ من سورة النساء
٣ -الآية ـ ١٢٧ ـ من سورة التوبة

مصلحتهم ، فعاتب الرب ـ تعالى ـ المؤمنين فيمن كانت هذه حالته الا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ، بل يفدونه بالآباء والامهات ، وبالبنين والبنات ، بل يقوونه بالمهج والارواح ، ويعززونه ويوقرونه ، واما تأنيب الكفار فليس يستجيبون بعد من هو من (انفسكم) ، واحرص الناس في اصلاحكم ، وأوطأ كنفا ، واقرب رحما ، وألين عريكة ، واقل افيلة ، أ إله غير الله تريدون ، كذلك رسولا غير محمد تريدون .

وفي هذه الآية الاخرى لهم عبرة حين قال : ﴿**فان تولوا فقل حسبي الله**﴾ نعم الحسيب رقيبا .

واما المنحة ؛ فقد اوفر الله ـ تعالى ـ له الحظ والنصيب بدلا من اجابتهم ، حين قال : ﴿**قل حسبي الله**﴾ فمن استأثر بالسهم الاوفر ، وفاز بالحظ الاكبر ، وهو الله كان بالغاية القصوى لم يكله الله ـ تعالى ـ الى درجة دونه ، وليس وراء الله ـ تعالى ـ درجة فهذه اعظم المنح .

واما القدحة ؛ فان محمدا ﷺ مال بحميته الى قوم ، واهتبل بأمته ما لم يصف الله ـ تعالى ـ عنه بالاهتبال بامره ، فحميته ظاهرة حيث وصفه الله ـ تعالى ـ فقال له : ﴿**لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا**﴾ [1] ، وقال : ﴿**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ [2] ﴿**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**﴾ [3]

فلما نظر العلماء بعين البصيرة الى هذه النكتة ، ان الله ـ تعالى ـ في عون من يسعى في صلاح العباد ، ورغب في سلامتهم من المهالك والفساد ، اغمض له من حقه ، وصار في حسبه ، عمدوا الى ما هو انفع للعباد فشرعوه دينا للمعاد ، فقضوا به ، وذهبوا اليه ، والله ـ تعالى ـ قد فوض اليهم الامر ، وقضى لمن تبعهم بالاجر ، وحط عنهم الاصر والوزر ، ﴿**ولو شاء ربك ما فعلوه**﴾ [4] ألا ترى الى الذين استحلوا حرمة الشهر الحرام حين ابتهم المشركون فرجع الرب ـ تعالى ـ في نصرتهم فقال : ﴿**يسألونك عن الشهر**

---

١ - الآية ـ ٦ ـ من سورة الكهف
٢ - الآية ـ ٥٦ ـ من سورة القصص
٣ ـ الآية ـ ٨ ـ من سورة فاطر
٤ - الآية ـ ١١٢ ـ من سورة الانعام

الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل﴾[1] ثم ان الله ـ تعالى ـ نسخ حرمة الشهر بحرمة اهل الاسلام ، وقال : ﴿ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾[2] .

واما قوله : ﴿ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ والأصل الذي كلفه الله ـ تعالى ـ لمن كان قبلنا ان كلفهم قتل انفسهم عند الذنب ، ولم يرض بشيء دون ارواحهم ولا بعوض من انفسهم ، ولا بغاية دون القتل ، والموت فرضي عنا بفضله ، وكرمه ، بنطق اللسان ، واخلاص الجنان ، شتان ما بين القتل والقول ، وفواز الغم عوضا من القتل ، وسفك الدم .

وقوله : ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[3] ، وهي الامور التي كلفها بني اسرائيل تأنف منها العقول ، وتعافها النفوس ، ابتلاهم بأمور الرجال في القتل والقتال ، فحاموا وشرع لهم امور النساء في الاعراس والمآتم ، فطابوا امرهم ببنيان العرائش في الاعياد وتعليق العراجين والرمان مثل لعب الصبيان ، واستعملوا في عيد الفطر اكل الفطير ، وجانبوا الزيت والخمير ، وانتحسوا عند خروج ارواحهم الموتى كالنساء في المحيض ، والنفاس ، وسخروا في اقتحام المياه عند الشروق والغروب ، سبعة ايام ، ولمن جازت عليه يوما وليلة ، ولهم في الذبائح امور لا تصلح الا بعقول الأطفال ولا عقول .

فسألت هذه الأمة ان يأنف بهم عن الامور التي لا مكرمة فيها ، ولا مروءة الى امور الرجال ذوي المروءة والكمال ، القتل والقتال ، واستباحة النفوس والاموال ، واستيلاء على العباد والبلاد ، ليظهروا نور المصالح والرشاد ، ويطفئوا نور الفساد ، فاسعفهم الله ـ تعالى ـ لما علم من عقولهم انها

---

١ ـ الآية ـ ٢١٧ ـ من سورة البقرة
٢ ـ الآية ـ ٢٢ ـ من سورة النور
٣ ـ الآية ـ ٢٨٦ ـ من سورة البقرة

محتملة لذلك ، فافضل منه فسألوه فأسعفهم ثم قالوا : ﴿**واعف عنا واغفر لنا وارحمنا**﴾[1] فالعفو محو اثر الذنب حتى لا يكون له خبر ولا اثر ، والا فاغفر لنا اي استر علينا الذنوب والعيوب ، فقد فعل اذا كشف عن عوار كل امة ، وجعلهم هم آخر الامم والشهداء عليهم يوم القيامة ، و(ارحمنا) اي بدل لعله سيئاتنا حسنات وقد قال : ﴿**فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [2] ﴿**وانصرنا على القوم الكافرين**﴾ أول ما سألوه الاقتدار على انفسهم واهوائهم ثم على عدوهم الكافرين ،الى يوم الدين ﴿**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين**﴾ [3]

وقد احتسبت هذه الامة اياسة الشيطان ان يعبدوا نبيها قد أيس الشيطان ان يعبد بين ظهرانكم ، ولكن رضي منكم بالمحقرات وصفة المؤمن الذي له هذه البشارات والمكرمات ، من حقق ايمانه بأقواله ، وصدق اقواله بافعاله ، واستعمل خصلتين ، التوبة ، والاستغفار ، وسلم من البدعة والاشرار ، كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه**﴾[4] .

واعلم ان الجنة لا يدخلها الا صاحب ذنب ما خلا يحيى بن زكريا ، واما الذين خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا ففي الجنة هم فيها خالدون ، واما قوله : ﴿**فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ فاذا تقصينا ذكر الايمان واصوله وفصوله ، فلنذكر ايضا ها هنا الكفر والكافرين ، واختلاف الناس فيه ، ومذهبنا الذي نعتمد عليه فنقول والله الموفق للصواب .

ان الكفر نقيض الايمان ، وهما اسمان شرعيان ، وقد يقعان قولا واعتقادا وفعلا .

واصل الكفر في اللغة (الستر والتغطية) ويقع في الشرع جحودا واستفسادا الى ولي النعمة .

---

١ ـ الآية ـ ٢٨٦ ـ من سورة البقرة
٢ ـ الآية ـ ٧٠ ـ من سورة الفرقان
٣ ـ الآية ـ ١٤٨ ـ من سورة آل عمران
٤ ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة هود

وضد الكفر ، الشكر ، وضد الشكر الكفر ، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿اما شاكرا واما كفورا﴾ [1] .

ولو قلنا : ان الايمان ضد الكفر ، والكفر ضد الايمان ، لكان سائغا ، بدليل قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [2] .

وقد ثبت في الشرع ، الكفر اعتقادا ، ونطقا ، واختلفوا فيه فعلا ، كالذي ذكرنا من الايمان اولا .

قالت المرجئة : الايمان هو التوحيد ، والتوحيد ضد الشرك ، ولا شرك الا في اللسان ، وفي الجنان ، واما الاعمال فلا .

وقالت القدرية : لا كفر الا في اللسان ، والجنان كالمرجئة ، وكذلك قالت السنية لا كفر الا في الجنان وفي اللسان ، غير انهم خالفوا هؤلاء في الايمان ، وقالوا الايمان جميع ما امر الله به وطاعة الله كلها ايمان ، فاثبتوا الايمان في الافعال والاقوال ، والاعتقاد .

وقالت المارقة : ان الايمان جميع ما امر الله به من طاعته ، وان الكفر جميع ما نهى الله عنه عن معصيته ، وكل كفر شرك موكل شرك كفر .

وقال اهل الحق : ان الايمان يقع في المعاني الثلاثة : اقرار باللسان ، اعتقاد بالجنان ، وعمل بالاركان ، وان الكفر ايضا يقع فيها جميعا نطقا ، واعتقادا ، وفعلا .

ونحن نذكر ـ ان شاء الله ـ مستقى كل فرقة من هذه الفرق الاربع .

اما المرجئة : فانما اصيبوا من قبل الراحة والدعة ، والرخص والسعة ، وقلة الاهتبال والدعة ، والاغترار والمعمعة ، وقنعوا من الدين بأول خطة منه ، وسموا بمقتضى اعقل معناها ، كالذي يريد الحج من اقصى البلاد فرحل على حماره يوما كاملا طرادا ، وقال قد وجبت ورجع الى بلاده وقال : قد

١ـ الآية ـ ٣ ـ من سورة الانسان

٢ـ الآية ـ ٨٥ ـ من سورة البقرة

حججت ، انا مؤمن ، وغيري مؤمن ، ما الفرق بين المؤمنين ؟

فهيهات ! مؤمن اسما ، ومؤمن جسما ، وقد صدق الغزالي حين ضرب لهم المثل بشجرة الصنوبر ، اذ قالت لها شجرة القرع : انا شجرة وانت شجرة فما فضلك علي ، فحقيق ان تجاوبها شجرة الصنوبر ، وتقول : لأغلبنك فامهلي حتى اذا هبت عليك رياح الخريف ، واعتراك الذبول ، وعراك الاصفرار ، فهنالك تعلمين افرس تحتك أم حمار ؟ أليل جاز عليك ام نهار ؟ فعند ذلك تفوزين بالديار ، ويأتي عليك الهلاك ، والدمار ، فتتبرين من اسمية الاشجار ، والعجب منهم حتى نسبوا على الله ـ عز وجل ـ .

اعلم ان المؤمنين ﴿**الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [1]

فعول هؤلاء القوم على ان المؤمنين الذين اذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم رجسا الى رجسهم ، وعلى معاصي الله يعولون ، واضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فهؤلاء المؤمنون عندهم حقا ، وعند الله كذبا ، فبؤسا لمن رضي ان يكون من المؤمنين كذبا ، واغفل قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ [2] .

وعول هذا الفريق على الاغترار بظاهر الاقرار ، فابطلوا به فائدة الخوف والرجاء ، وعطلوا سبيل السلامة والاذكار والنجاة والاعتبار ، واطلقوا عقال الامن والاغترار ، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، ﴿**فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**﴾[3] ، فجعلوا باقراره مؤمنا ولو زنا وسرق ، وقتل النفس ، التي حرم الله ، وجميع النبيين بغير الحق ، وهدم الكعبة ، وسرق

١ - الأيتان ـ ٢ ، ٣ ـ من سورة التوبة
٢ ـ الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ـ من سورة العنكبوت
٣ - الآية ـ ٩٩ ـ من سورة الاعراف

رتاجها واخذ تاجها ، وخرب المدينة ، وعطل مسجدها ، وأكل اموال اليتامى ظلما واتخذ الغزو والسباء ، والغنيمة ، في اموال المسلمين غنما وبدل احكام الله ، وبدل دينه غشما ، وظلما وشرب الخمور ، ودق الكيور معرفة وعلما ، بعد تعطيل الصلاة ومنع الزكاة ، وانتهاك الحرمات ، واتخذ بيت الله مبوأ اخذانه ، ومبوأ ندمانه ، وفي فنون الشر وحيد زمانه اقذر بهذا الدين اللعين واهله اجمعين .

واما المارقة فكما وصفهم رسول الله ﷺ انهم مرقوا من دين الله ـ تعالى ـ مروق السهم من الرمية ، فعطلوا الغرو في المشركين ، واستعملوه في المؤمنين ، فسبوا وغنموا وقتلوا واستباحوا الفروج ، وشددوا على الناس في الخروج ، حسبهم قول رسول الله ﷺ : «ان ليس لهم في الدين نصيب» الا نصيب الفرق اذا كان في شك مريب ، وآفاتهم هم ايضا ان الله ـ تعالى ـ كتب الجهاد على العباد من هذه الامة خصوصا ، دون عامة الامم ، ولما سمعوا ما فضل الله به الجهاد في كتابه ، على لسان نبيه محمد ﷺ ، وكان عادتهم في الجاهلية وديدنهم القتل والقتال ، والمطاعنة والنضال ، والهياط والمياط في الاسحار والعطاط ودبغوا على ذلك من بطون امهاتهم ، ولا سيما ربيعة وبكر بن وائل ، وتغلب وبني حنيفة ، ونظروا الى قوارع القرآن ، وقرأوه ، واحكموه ، بلغ بهم الخوف وهم أعبد خلق الله ، واقرأهم للقرآن ، كما وصفهم رسول الله ﷺ .

بلغ بهم الخوف حتى بلغوا القضية ، واستعملوا في اهل الاسلام كما ينبغي لهم ان يستعملوه في اهل الاصنام ، وقضوا على المعصية كلها انها شرك ، ونظروا الى الامة قد ارتبكوا في المعصية ، وقد ارتضموا فيها فحولقوا ، ولقلقوا وقالوا : يا غياث المستغيثين ، فركبوا عليهم القتل والقتال ، والهزيمة والسباء ، والغنيمة فعاثوا في العباد ، وافسدوا في البلاد جميع فنون الفساد ، ورجعوا القهقرى عن السداد ، وحسبوا انهم على شيء ؛ الا انهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ، وهم أذكر خلق الله وأقوم ، واعبد واصوم واخشع ، واخشى واظلم واجهل

واعلم .

واما المعتزلة ؛ فقد وافقوا المرجئة في جميع ما قالوا في الكفر ، واختلفوا في انفاذ الوعيد فانفذته المعتزلة ، ووافقونا في جميع ما قلنا الا في تسميتها لاهل الكبائر بالكفر ، فمذهبنا فيمن قصر علمه عن علمنا ان يكون ضعيفا ما لم يبع فيتدين بجهله ، ويقطع عذرنا بمخالفته .

واعلم ان المعتزلة ساحت المرجئة بعض المسامحة ، في قولهم : ان الكفر هو الشرك ، ولا كفر الا في الاعتقاد والنطق ثم ان المرجئة سألت المعتزلة : ما قولكم في اهل الفسوق ، واهل الكبائر والجرائم ، والذنوب العظائم ؟ فانفذت المعتزلة الوعيد ، وقالوا : هم في النار خالدون مخلدون لا يموتون ، ولا هم منها مخرجون ، صاحت المرجئة ، ضاع الذمار فعليكم الدمار ، فقد وثقنا بقولكم وعولنا عليكم : **﴿كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين﴾**[1] ، فرجعوا الى انفسهم فقالوا : ما رجاؤكم في القدر يأتي الملاعنين على لسان سبعين نبيا ، وسقط في ايديهم ، ورأوا انهم قد ضلوا وقالوا :(سيرحمنا ربنا ويغفر لنا ولو كنا قوما ضالين ثم ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) حتى فتح عليهم ابليس اللعين بالخروج من النيران بعد الخزي ، والهوان والدخول في الجنان ، **﴿وفرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾**[2] .

ولا مر ما لعنهم الله جميعا هم والقدرية ، وايسهم من شفاعة رسوله عليه السلام ، فقال : «طائفتان من امتي لا تنالها شفاعتي» فاطمع المارقة واناسها ، وهم القدرية والمرجئة .

واما ذكر الطائفتين وآفاتها للأمم وضررهما للانبياء ، قال رسول الله ﷺ : «طائفتان من امتي ملعونتان على لسان سبعين نبيا» وذلك ان المرجئة لما نظرت للانبياء تدعو الامم الى الايمان والاسلام ، ومفتاح دعائهم شهادة ان

---

١ - الآية - ١٦ - من سورة الحشر

٢ - الآية - ٨٣ - من سورة غافر

لا اله الا الله ، ووعدت الانبياء على هذه الكلمة الجزيل من الثواب ، اقتصروا عليها ، وتسامحوا فيما عداها من اعمال الطاعات ، وارتكاب المعاصي والسيئات ، فادخلوا على الانبياء الضرر في اممهم ، وابطلوا بهذا الاعتقاد الخوف من الله ـ تعالى ـ واستعملوا الأمن **﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾** [1] . وقد تقدم الكلام في تساهلهم على المعاصي فهذا هو الضرر الذي لعنتهم به الانبياء .

اما القدرية ؛ فان الانبياء كلما ذهبت الى شرائعها اجاب من الامم من اجاب ، فمنهم من اقتصر على مذهب المرجئة كما قلنا ، ومنهم من اجاب واناب ، وعمل صالحا من الطاعات ، وتحرى جهده واجتنب المعاصي والسيئات ، وبلغ من ذلك اقصى الدرجات ، وقد كان ابليس يدعوه الى طريقة المرجئة ، ويسهل له سبيل المعصية ، فاذا ما رآه ابليس اللعين قد الج ولج ، وعمل الطاعة ، قطع امامه بغير الوجه الذي اتى به المرجئة ، وأتاه وذويه من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم ان اقررتم لله ـ عز وجل ـ بهذه الافعال انها خلقه ، وانه قدرها ودبرها ، واخرجها من العدم الى الوجود ، وانشأها واجرى حكمها على العباد فيما احبوا وكرهوا ، خرجتم منها صفرا ، وجرى عليكم حكم الله طوعا وكرها ، ففيم العمل الى الرب الأجل ، اعملوا في غير معمل ، ومع هذا المذهب نسبتم الهكم الى الظلم والعدوان ، وعزيتموه الى الاثم والبهتان حين جعلتموه فعل بكم ، وعذبكم ثم انكم نسبتم افعالكم الى ارواحكم ، وسلبتموها موالكم كان القدح اعظم واطم منه في المرة الاولى ، اذ صرتم شركاءه في الخلق ، وانداده في القدر .

وليس بين هاتين منزلة ، فهناك تذبذت الفريق الصالح الطالح ، عند قول هذا العبد الناصح الفاضح ، فهاهنا افترقوا فرقتين : فرقة ذهب بهم ذات اليسار ، واخرى ذهب بهم ذات يمين الشمال ، ولج لهما سبيلي الضلال .

فاما اهل اليسار فزعموا وأرمقوا انهم آلهة افعالهم ، وليس لها خالق غيرهم .

١ـ الآية ـ ٩٩ ـ من سورة الاعراف

واما اهل الشمال فاتفقوا مما عملوا وفعلوا واكتسبوا حالة الذنب الى غيرهم ، واظهار المعذرة لانفسهم ، فخاض الفريقان في بحر القدر ، وامواج لجج الشر ، وعجزوا عن صحيح النظر وانواع البصر ، فعموا وصموا ، واخلوا الطريقة الوسطى ، لأهل الخبر ، واتباع الأثر الموقنين بسر القدر ، ففازوا بحمد الله بجميل الستر والنصر والظفر ، فكل يعمل على شاكلته ويدعو الى طريقة ؛ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ونحن نشرح في ايضاح مذهب اهل الحق والله المستعان .

اعلم ان الشرع قد ورد بان الكفر يقع من الوجوه الثلاثة ، التي ذكرنا ، وقد اطبقت الامة منها على وجهين ؛ القلب واللسان ، واختلفوا في الافعال ، وقولنا الذي نعتمد عليه : ان الكبائر كلها كفر ، وهو كفر النعمة ، لا كما قالت الفرق الاولى : انه مقصور على القلب واللسان ، ودليلنا على ذلك ان الكفر في لسان العرب ، وهو الستر والتغطية ، فمن ستر جميلك واحسانك ونعمك عليه ، فقد كفرك ، قال لبيد :

يعلو طريقه متنها متواترا ... في ليلة كفر النجوم غمامها

وقال يصف الظليم والهقلة :

فتذكرت ثقلا رتيدا بعد ما ... القت ذكاء يمينها في كافر

يريد الشمس استترت بالليل فسمي الليل كافرا

وقال عنترة الفوارس (شعرا) :

نبئت عمروا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

والكفر ايضا في الشرع ؛ الجحود والاستفساد الى ولي النعمة ، فعلى اي وجه فاللغة تقتضي ان الكفر في الافعال ، وحتى قالوا لمن استنجى بيمينه كفر نعمة اليمين ، واما الشرع ؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**﴾[1] ، اي ومن ترك الحج رغبة عن الله ، فان الله غني عنه .

---

١ - الآية ـ ٩٧ ـ من سورة آل عمران

وذهبوا به الى الايمان ، والتصديق ، والافراد دون الفعال ، وهذا ذهاب عن الظاهر بغير دليل ولا تخصيص ، وتخصيص العموم بغير بيان ، ونحن على عموم الآية في الاوجه الثلاثة ، قال الله ـ عز وجل ـ يخاطب بني اسرائيل : **﴿واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ، ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾**[1] ، فاثبت لهم الكفر بهذه الافعال التي خالفوا فيها اقرارهم وشهادتهم ، انه حرام محرم عليهم اخراجهم ، فاكفرهم بالفعل ، واتخذ اقرارهم وشهادتهم عليه حجة فاخبرهم انهم آمنوا اقرارا ، وكفروا فعلا ، وقال رسول الله ﷺ : «ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة» ، وقال : «من ترك الصلاة كفر» ، وقال ﷺ : «سبى المؤمن فسوق وقتاله كفر» ، والقتال من امثال الخوارج ، وقال ـ عليه السلام ـ : «من آتى امرأة في دبرها أو حائضا كفر» ، وقال ـ عليه السلام ـ : «ان انتفاء الرجل من ابيه كفر واخذ الرشوة على الحكم كفر» .

وقال في الحج حين قال له الاقرع بن حابس : أفي كل عام ام للابد ؟ فغضب رسول الله ﷺ وقال : «لو قلت نعم ؛ لوجبت ولو وجبت ما قدرتم عليه ولو لم تفعلوا اذا لكفرتم» فوجب ان ترك الحج كفر ومصداق لقول الله ـ عز وجل ـ : **﴿فان الله غني عن العالمين﴾**[2] .

وكفر النعمة مذكور مشهور في هذه الامة ، فمن انكره فقد كفر نعمة الله فيه .

وقال ـ عليه السلام ـ للنساء : «ما رأيت من ناقصات عقل ودين اغلب لعقول ذوي الالباب منكن تصدقن فاني نظرت في النار فرأيت اكثر اهلها النساء والاغنياء» ، وقيل : ولم ذلك يا رسول الله ﷺ أيكفرن بالله ورسوله ؟

---

١ - الآيتان ـ ٨٤ ، ٨٥ ـ من سورة البقرة

٢ - الآية ـ ٩٧ ـ من سورة آل عمران

قال : «يكفرن العشير» ؛ الا ترى الى احداهن تكون مع زوجها طول دهرها وهو محسن ، اليها فاذا رأت منه ما يسوءها قالت : ما رأيت منك خيرا ، وما فعلت لي وما صنعت .

قال ابن مسعود : وددت اني وعثمان برمل عالج ، يحثي علي واحثي عليه ، حتى يموت الاعجل ، قيل له : اذا يقتلك ؛ قال : لا يعين الله الكافر على المؤمن واثبته كافرا لا بالخروج من الملة .

ويقول حذيفة حين بلغه مقتل عثمان ، فقال : لا ادري اكافر قتل كافرا ، أو مؤمن قتل كافرا ، قيل له : انك لن تجعل له مخرجا ، فقال : بل الله لم يجعل له مخرجا ، وقوله : التوله من الكفر ، وقيل : من الشرك .

وقوله : من اتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

وقال عمر بن عبدالعزيز في قوله ـ عز وجل ـ : **﴿اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، الا من تاب﴾**[1] ، قال : اضاعوها اي ضيعوا حدودها ومواقيتها ، واما من تركها فقد كفر .

واما المعتزلة الذين وافقوا المسلمين في اهل الكبائر ، وقصرت عقولهم عن كلمة واحدة ، ان يقولوا : انهم كفار بعد معرفتهم بكفر النعمة ، قد تجاهلوا فحسبهم .

واما المرجئة ، استعملوا الراحة قبل أوانها ، كالفراش المبثوث نظر ببصر ضعيف ، واقتحم النار حساية الضياء ، وهم قد عولوا على الخروج ، وقصروا بالدخول ، وانى لهم بالخروج عند من قال : **﴿لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد﴾**[2] .

واما المارقة فهم في امر مريج ، جمعوا بين العبادة والزهادة ، فمزجوها

---

١ - الآية ـ ٥٩ ـ من سورة مريم

٢ - الآيتان ـ ٢٨ ، ٢٩ ـ من سورة (ق)

بالرغبة في الدنيا ، وسفك الدماء ، والعلم والحلم فشابوهما بالقتل ، والجهل ، والمسلمون بعد على هداهم ، وما رزقهم الله من التوفيق ، اخذوا بالطريقة الوسطى ، وسلكوا النمط الأوسط وخير الامور اوسطها والسلام .

رحم الله كاتبه ، والملي عليه ، فمن وقف عليه من الاخوان ، فليجتهد بالدعاء لهما ، ويستغفر لهما من جميع الخطايا والزلل ، واياه فاسأله التوبة والتطهير من الحوبة بمنه ، وجوده ، وطوله ومنه ، وبمنه وتوفيقه وتأييده ، وتسديده ، وعونه وعلمه . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين .

الرد على الاشعرية في مذهبهم في صفة الباري سبحانه

اعلم يا أخي ؛ اعزك الله ، وارشدك ، ووفقك وايدك ، انك ذكرت لي ما جرى لبعضكم ، مع بعض اهل الادب من الاشعرية ، في خلق القرآن ، وامر صفات الله ـ تعالى ـ واسمائه الحسنى ، وكتبت تسألني شرح ذلك فصادفني كتابك ، وانا مشغول البال مختل الحال بمرض العيال ، وهو السبب الذي اوجب تأخير الجواب الى هذا الأوان ، سيما ان الكلام في هذه المسائل مخطر لامرين :

احدهما ؛ التعرض للقدح في ذات الباري ـ سبحانه ـ وصفاته العليا ، واسمائه الحسنى ، من غير ما حاجة داعية ضرورية اذ يتعذر كنه جلال الباري ـ سبحانه ـ ان تقع الاوهام على حقيقته ، فكيف بان تنطلق الألسنة فتنطق وتسعى وتفتق ، لولا ما سمحنا فيه من ذكره بأسمائه التي نص عليها ، وبصفاته التي قصر عنها ، وقد يستسمح الناس على قلة اخطارهم من الابناء والعبيد ، والعوام والنديد ، ذكر الآباء والكبراء ، والسادة والاكفاء مشافهة بأسمائهم ، لكن كناية (يا أبت) اذا كان اباه ، ومن العبد يا مولاي ، اذا كان مولاه ، ومن الاكفاء يا اخي ، ومن العامة يا سيدي ، فكيف بمن ليس كمثله شيء ، وجل عن ان يشبهه شيء ، ان تبوح الالسن بذكره ، أو تتعرض

لشكره ، فينطق ويقول بلسان عال ، وقلب خال ، يا الله يا رحمن يا رحيم هكذا باسمائه ، لا كناية لولا الرؤوف الرحيم الغني الكريم ؟

الثاني ؛ ان هذه المسائل قليلة الجدوى فيما يتعلق بالبلوى اذ لا تؤثر في العبادات ، ولا تنفع في تلك الحرمات ، وقد تحصل ذكر الله ـ عز وجل ـ في القلوب التي هي موقع نظر الباري ـ سبحانه ـ باقل الخطرات ، وتخرس الالسن عن ذكره عند من اشرف واشفى على الملكوت والجبروت ، دون التفهيق والتشدق في هذا الوجه المخطر العظيم الضرر ، فكأن الخائض فيه خائض فيما لا يعني ، وساع فيما لا يغني ، واذا لم يعفني من السؤال ولا بد من الشروع في المقال ، فاني اقول : ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الكبير المتعال :

اعلم ان الاشعرية قد اختلفنا معهم في عشرة مواطن :

أولها : انا قلنا : الباري ـ سبحانه ـ يوصف بالعلم والقدرة ، والارادة وسائر الصفات التي يوصف بها ، فقالوا : انها معان ، وليست بصفات ، فالعلم عندنا صفة ، وهو عندهم معنى لا صفة ، والقدرة عندنا صفة ، وعندهم ليست صفة ، وكذلك الارادة وسائر الصفات ، ليست بصفات ، لكنها معان ، فالصفة عندهم هو الوصف .

الثاني : انهم اطلقوا على هذه المعاني التي ذكروها انها اغيار لله ـ عز وجل ـ وأوجبوا التغاير بينهما البين .

الثالث : انهم اثبتوها معاني غير الله ، وهي قديمة ونحن نقول : ليس هناك معنى غير الله ، ولا قديم مع الله ـ تعالى ـ ان بمقتضى هذه المعاني كان الله موصوفا بها ، فبالعلم كان عالما ، وبالقدرة كان قادرا ، وبالارادة كان مريدا ، وعلم بعلم ، وقدر بقدرة ، واراد بارادة ، وحي بحياة ، وقدم بقدم .

والرابع : ان هذه المعاني التي وصفوه بها معان قائمة بالذات ، ذات الباري سبحانه .

والخامس : انهم وصفوه بالوجه واليدين ، والرأس والعينين ، والجنب والجلسة ، واليمين والقبضة ، والساق والقدم ، والاستواء والميل ، وخرق الحجب ، وركوب الحمار الأقمر ، وانه المنور الانور .

والسابع : ان الكلام من المعاني التي وصفوه بها وهو قائم بذاته سبحانه لم يزل به .

والثامن : ان الأمر والنهي المندرجين في الكلام من المعاني التي وصفوه بهما ، وقائمان بذاته لم يزل كذلك ، وتعالى الله عن ذلك .

والتاسع : ان القرآن وسائر كتب الله المنزلة من المعاني التي يوصف بها في ذاته لم يزل بذلك سبحانه .

والعاشر : ان العدل ، والاحسان ، والفضل ، والمن ، والانعام صفاته ، لكنها افعاله محدثة .

فصل : ولا بد من مقدمة تكون بين يدي هذه المسائل اسّا واصلا ، بين المناظرين ، وعدلا وفضلا بين المختلفين :

احدها : ان يقع الاتفاق على ان الباري ـ سبحانه ـ لم يفرد نفسه بلغة غير لغتنا التي استعملناها بيننا .

والثاني : انه لا يطلق على الباري ـ سبحانه ما لم يأذن به الشرع ، أو معنى يحيله العقل لاتفاقنا نحن وهم على ان الله ـ عز وجل ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

والثالث: مراعاة اللسان التي يقع بها التناظر والتحاور بين الفريقين ، ويقع بها البيان بين المختلفين ،

ومع الثلاث ثلاثة اخرى :

احدها : ان يتضح المعنى الذي اراده المناظران فيحصل حدا أو رسما ،

لئلا يصير كالأحولين .

الثاني : ان يستند قول المحق منهما الى البرهان الصحيح حقيقة وبيانا ، فيحصل علما ضروريا ، أو عقليا أو شرعيا او لغويا ، فان ابوا من هذه الاربع كان باطلا لغويا .

والثالث : الاقرار بالحق اذا ظهر والاذعان له اذا بهر ، والانتصار اذا كفر من جميع من حضر .

فصل : اعلم ان الاشعرية بنت مذاهبها في الباري - سبحانه - وصفاته ، وأسمائه وتشبيهه بخلقه على الهروب من الواضح الى المشكل ، وعولت بعد العثار على الاعتذار ، وانى لهم به بعد الانتصار ، وتعرضوا للبلاء وهم عنه اغنياء ، فلن يرضى بهذا عاقل ، ولن يخفى على جاهل ، وقد قال : الأول : اياك وما يعتذر منه ، وقد اتفقنا نحن وهم على تنزيه الباري - سبحانه - ، ونفينا عنه شبه الخلق من كل الوجوه ، واقررنا بوحدانيته لا شريك له ، فاول ما غلطوا فيه ، ان افسدوا على العرب لسانهم ، وغيروا عليهم لغتهم ، وقالوا : ان الصفة هي الوصف ، والعدة هي الموعد ، والزنة هي الوزن ، والسمة هي الوسم ، والعظة هي الوعظ ، وقد فرق اهل اللسان ما بينهما ، واوجبوا الصفة للموصوف ، والوصف للواصف ، والعدة للموعود ، والوعد للواعد في امثالها .

واعتذروا بأن قالوا : ان النحاة قد اجازوا ذلك ؛ قلنا لهم : مجازا لا حقيقة ، وانما نحن في الحقائق والعجب منهم انهم يأتون امرا لم ينفعهم ، ولم يضر غيرهم ، وكذلك العدة هي العطية الموعودة ، والموعد فعل الواعد ، والعظة صفة الموعوظ ، والوعظ فعل الواعظ ، والسمة اثر في الوجه ، والواسم الفاعل .

والثانية : انهم نفوا عن السواد والبياض والالوان بأثرها والحلي بجميعها ، والصنائع العلمية ، والحياة والعلم ، والقدرة والارادة ، والرضى

والسخط ، وامثالها ان تكون صفات لكنها معان ليست بصفات ، هربوا من الواضح المعهود الى المشكل المردود فما حاجتهم في ان جعلوا لله معاني في قول من جعل الصفات السبع بجموعها هي الالوهة ، وفي قول من لا يثبت الذات ، وركب فيها المعاني السبعة فأثبتها هي الالوهة ، جمعوا بين فساد اللغة ، وبين فساد الألوهة ، وخافوا ان يتوهم عليهم وحدانية الباري - سبحانه - وقالوا : ان هذه المعاني اغيار لله - عز وجل - واغيار بينها البين .

قلنا : وهل يجوز ان يكون اغيار لم تزل .

وقالوا : انها قديمة فارتبكوا ، وقلنا لهم : يا سبحان الله ؛ فالقديم فلا بد لتنزيهه من العدد والشركة والتباين ، فلما نظروا الى قولهم قد تفاحش تكعكعوا ولا يغني عنهم ، وقد جعلوا لله من عباده جزءا ، **﴿ان الانسان لكفور مبين﴾** ، فتفرقت بيننا وبينهم السبل ، فحصلوا في الكثرة بعد الوحدانية ، وحصلنا في الوحدة من وراء هذا ان يظهروا افتقار الباري - سبحانه - الى هذه المعاني التي ذكروها من العلم ، والقدرة ، وامثالها .

وقالوا : بالعلم علم ، ولولا علمه لم يكن عالما ، ولولا قدرته لم يكن قادرا ، ولولا ارادته لم يكن مريدا ، واظهروا افتقاره - تعالى - الى هذه المعاني وسلبوها عن ذاته ، وجعلوا الذات محتاجة الى الغير ، ولما نظروا الى العلم لا يوصف بالقدرة ، ولا بالارادة ، ولا بالحياة ، والقدرة كذلك لا توصف بالعلم ، والارادة الحياة ، فكعكعوا ورجعوا الى الذات ، وقالوا لا بد لها من المعاني المذكورة من الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، ولا بد لهذه المعاني من ذات تقوم بها هذه المعاني بجموعها ومجموعها ، هو الاله فضاهوا بقولهم : قول الذين كفورا من قبل ، قاتلهم الله انى يؤفكون .

وهو قول اهل الهيولي والصورة وجاوزوهم الى الثنوية الى اصحاب ثالث ثلاثة ، اصحاب الأقانيم ، بل الى اصحاب الطبائع الاربع ، اصحاب الاسطسفات من الحرارة ، والرطوبة ، والبرودة ، واليبوسة ، بل الى الجرمية الذين قالوا بالألسن ، بل الى اصحاب العدد الكامل ، اهل التسديس ،

فجاوزوهم الى التسبيع والتثمين ، ولم يبلغوا التسبيع والاثنى عشرية ، وهذا تنبيه على ما قلنا اول من الاشارة الى انهم يهربون من الواضح الى المشكل ، من غير ما ضرورة دافعة وبهم غنى عن ان يجعلوه عظين كالمشركين في القرآن .

ثم انا سألناهم عن هذه المعاني التي اوجبوها قائمة مع الباري سبحانه أين هي ؟ فقالوا قائمة بالذات فضاهوا بقولهم قول المحققين في الاعراض انها حالة في الاجسام ، وقالوا هم ان المعاني قائمة بالذات ، فلو جعلوا الاعراض قائمة بالجسم ، والمعاني التي ذكروها حالة في ذات الباري ـ سبحانه ـ لما زادوا فاتوا بالمعنى الموجود في الاحكام صراحا ونحلوه ذات الباري سبحانه براحا ، ولبسوا على انفسهم حين خالفوا بين الالفاظ ، فما يتحاشون مما يأتون به من لا شيء ، ام لا يرون ان الحي منا حي ، والباري ـ سبحانه ـ حي ، وقد قدمنا ان اللغة واحدة ، والقائمة حالة ، والحالة قائمة ، وقد قدمنا ان الباري ـ سبحانه ـ لم يفرد نفسه بلغة غير لغتنا التي نتخاطب بها ، وللباري علم ولنا علم ، وله قدرة ولنا قدرة ، وله ارادة ولنا ارادة ، وله قيام المعاني ، ولنا حلول الاعراض ، يا سبحان الله ؛ لو عظموا فما عدا . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !

واما مذاهبهم في التشبيه والجوارح فعلى وجهين :

اما من ذهب مذهب الخوارج ، فلا يخاطب ولا يعاتب ، فان انفرهم قد تراءى ببصر نحو الهه فانعكس بصره الى جسده ، فلمحه فخاله الهه ، فكبر وعظم ، وصلى وسلم ، وقال : الحمد لله الاكرم ذي الآلاء والنعم ، والوجه والقدم ، واليد والمعصم ، والعين والفم ، والجوارح كلها الجم ، والنون والقلم ، وما ادراك ما نون والقلم وما يسطرون ؟ فاستجاب له العميان من جميع البلدان ، وصدقوا قولتهم ، واجابوا دعوتهم ، ولم يبق الا ان يقول : انا الرب الى الكعبة البيت الحرام ، واني رسول فاستجيبوا لربكم ، فان انتم لم تؤمنوا فأنا الرب .

واقرب من ذلك موقعا ، ان يختلف معهم في الاسواق ، ولا يعرفونه

وتضمه معهم المساجد والمجالس ، ولا يثبتونه ، ويقول : انا ربكم الاعلى ولا ينكرونه ، بشرط ان يكون وسيما قسيما ، جميلا جليلا ، لا قبيحا ولا ذميما ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وهؤلاء قوم فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .

واما من امتنع منهم من اجرائها على المعاني التي تعرف من الوجه انه الجاه ، ومن القدم انه ما قدم لها من اهل الشهوة ، ومن البداية النعمة والقوة ، ومن المعصم ما يعتصمون به ، ومن العين العلم تجري بأعيننا ، وبالفم الكلام في امثال هذه معروفة عند العرب ، انها الجارحة ، أو ثمرة الجارحة ، كما تعقلها العرب فاحبوا طريقا وسطا من الخبال والوبال ، فامتنعوا من الجوارح ، وامتنعوا من اللغة ؛ قلنا لهم : اتعرفونها ؟ قالوا : لا الا انها صفة الله ، وقد صدق القائل : قد يتكلم المجنون بما يعجز عنه العاقل ، فهؤلاء مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، شرعوا الجهل دينا ، ورأوه زينا ، ومالوا عن الحق بونا ، فأصابوا حينا ومينا .

واما مذهبهم في الكلام والامر والنهي ، والقرآن فهو الذي جر عليهم حينهم ، فأظهر الرب الكريم شينهم ، فاصبحوا مثل النصارى بينهم ، واما دينهم الذي اوردهم جميع المهالك وسيئاتهم التي احاطت بهم من اجلها جهلنا ومتى لا فلا ، وان علمنا ما علمنا ، الاشعرية بل للنهي .

قال غيره : وهذا يجوز جهل علمه ، والاختلاف فيه ، ان القبيح صار قبيحا للنهي ، أو اصله قبيح ، فان ذبح الدواب قبيح ، وحين اباحه الشرع صار غير قبيح .

وحين جاز تزويج الاربع فغير قبيح فيما زاد عن الاربع ، وحين حرمه الشرع صار قبيحا ، والظلم قبيح اصله ، فصارت الاشياء لا على وجه واحد في ذلك .

رجـــع

(مسـألة) : قلنا : قد يستقبحه من لم يعلم النهي كالملحدة ، سلمنا لزم

ان يحسن الحسن للامر قد استحسن من الله حسن بعض .

المجبرة ؛ بل لكونه الفاعل مملوكا مربوبا ، قلنا : يعلمه من لا يعلم ذلك .

البغدادية بل لعينه . قلنا : يقبح ويحسن والعين واحدة ، كالسجود لله وللصنم .

الاخشدية ؛ بل للارادة ، قلنا : يقبح الظلم وان لم يرد .

(مسألة) : ابو هاشم ووجه قبح القبيح الشرعي كالزنا ، وترك الصلاة كونه مفسدة .

ابو علي بل تركه مصلحة ، قلنا : فيلزم تعيين تلك المصلحة اذ هي المقصودة ، ولم يعين بل عين المحرم ، فاقتضى كونه مفسدة ، (فرع) .

البصرية ؛ وقبح الزنا سمعي بل عقلي ، قلنا : لا ضرر فيه فاقتضى العقل حسنه .

(مسألة) : ويحسن العفو منا ومنه ـ تعالى ـ لوقوعه على وجه الاشعرية ، بل يحسن منه الانتفاء النهي ، قلنا : فلزم ان يحسن منه الكذب وبعثة الكاذبين .

قال غيره : اما العفو عمن يظلم الناس من الملك ، فغير محمود ، واما في طاعته فيما امر أو نهى فعفوه عمن تمرد عليه وطغى ، ولم يأته معتذرا بل مصرا فليس بمحمود بل غير محمود الا من جاء اليه تائبا ، فكذلك الله ـ تعالى ـ ، واما قوله : ﴿اليه الأمر﴾ لافعل كذا من فعل كذا ، فان كان في نفسه لا يفعل ، فذلك من صفات الكذب ، وكذلك وصف الله بذلك ، انه يقول انه سيفعل كذا ولا يفعله ، فهو من صفات الكذب ـ تعالى ـ الله ان يجوز وصفه بالكذب .

رجـــع

(مسـألة) : الاكثر ، وهو قادر على فعل القبيح ، (النظام والجاحظ والاسواري والمجبرة) ؛ ولا يوصف بذلك قلنا : يمنع للحكمة لا للعجز اذ هو من جنس المقدورات .

قال غيره : لا يقال : يفعل الله القبيح ، ولكن يقال : يخلق الله القبيح ، كابليس والشياطين هم قباح وخلقه لهم من فعله .

رجـــع

(مسـألة) : ومنه ؛ ويريد كل افعاله سواء الارادة والكراهة ، ومن فعل غيره كالطاعات .

ابو علي وابو هاشم ؛ لا المباح ولا المعاصي .

ابو القاسم البلخي ؛ بل اراد المباح وامر به ، وكلف به .

وقلنا : انما يريد ما يفعله على تركه من به اذ لا وجه لارادة غيره .

المجبرة ؛ بل مريد لكل واقع .

قلنا : ارادة القبيح قبيحة ، ولنهيه وقوله : ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ [1] ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ .

قال غيره : لا يجوز ان يكون شيء لم يرد الله ان يكون ؛ لانه يصير بذلك مغلوبا ممن كان منه اراد الكفر ان يكون من الكافر ليعذبه عليه حين اراده واختاره بنفسه ، واراد الطاعة ان تكون من الطائع حين ارادها الطائع ، والكراهة غير الارادة ، والمشيئة وكذلك المحبة غير الارادة والمشيئة ، والارادة سواء في المعنى .

وقوله : ﴿وما الله يريد ظلما للعباد﴾ ، فليس على هذا المعنى بل معناه

١-الآية - ٣١ - من سورة غافر

والله لا يريد ظلما للعباد في تعذيبهم زيادة لهم فوق ما هم اهل له ، بل عقابهم كذلك هم اهل لذلك .

رجـــع

(مسـألة) : ابو علي : ولا يريد اكل اهل الجنة وشربهم لاباحته ، وان اراد اثابتهم .

ابو هاشم : يجوز اذ فيه كمال النعمة اذا علموه ولقوله : **﴿كلوا واشربوا﴾** [1] .

قال غيره : ما هو كائن وما سيكون فبارادته ، وهو المكون لذلك .

رجـــع

(مسـألـة) : والرضى والسخط والـولايـة والمحبـة بمعنى الارادة والكراهة ، فلا يقال : ساخط فيما لم يزل .

وقال سليمان بن حرير : بل ساخط فيما لم يزل ، على من علم انه سيعصى .

قلنا : السخط ارادة الاهانة والعقوبة .

قال غيره : والصواب ما قاله سليمان ، لأن علمه بالذي يسخط عليه ، ويعاقبه الدليل على اثبات وجود الباري سبحانه الحدث .

فان قال : ما الدليل على قدمه ؟ قلنا : سبقه الحدث ، فان قال : ما الدليل على حياته ؟ قلنا : تصرفه في الحدث .

فان قال ما الدليل على علمه ؟ قلنا : اتقانه الحدث .

فان قال : ما الدليل على ارادته ؟ قلنا : تمييز الحدث .

---

١ - الآية - ٣٢ - من سورة الاعراف

فان قال : ما الدليل على رضائه وسخطه ؟ قلنا : اختلاف الحدث .

فان قال : ما الدليل على الحدث ؟ قلنا : الحدث ؛ والله الموفق للصواب .

وعلى هذه الاصول عولت الموحدة في اثبات الالوهية بينهم وبين الدهرية ، فاطبقت الموحدة على ذلك الا من شذ منهم في بعض الفروع .

الشـرح ؛ فان قال قائل : وما في الحدث مما يدل على وجود الباري ـ سبحانه ـ ؟ قلنا وبالله التوفيق : انطباق الفطرة العقلية على ان البناء دال على الباني ، والكتابة دالة على الكاتب ، والاثر دال على المؤثر ، والصناعات كلها دالة على صناعها عقلا وشرعا ولغة وطبعا ، اما من جهة العقل ؛ فان علوم العقل ثلاثة مقرورة في جبلة ، ومنقوشة فيه مجلة ، وهي وجوب الواجبات ، وجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، فهذه احدى الواجبات ، ومحال ظهور الاثر ، ولا مؤثر ، وكتابة ولا كاتب ، وبناء ولا بان ، وصناعة ولا صانع ، وحدث ولا محدث .

واما الشرع فقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون**﴾[1] ، وجعل الله ـ عز وجل ـ حدوث هذه الاسباب دلالة على صدقه ، فيما قال فضلا عن وجوده ، وقد ثبت وجود الفرع ، فما بال الاصل .

فان قال : فما وجه الدلالة في هذا الأصل المذكور في هذه الآية ؟ قيل : اما خلق السموات والارض ، فيدل على خالق لا يشبه الاشياء ، ولا تشبهه الاشياء من جهة انه لا يخلق الاجسام ، والاعراض الا القديم الذي ليس بجسم ، ولا عرض ، اذ جميع ذلك محدث ، فلا بد للمحدث من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل .

---

١ - الآية ـ ١٦٤ ـ من سورة البقرة

واما اختلاف الليل والنهار فيدل على عالم ، ومدبر مريد حكيم ، من جهة انه محكم متقن .

واما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل على منعم به ، دبر ذلك لمنافع الناس ، ومن جرى مجراه من الاجسام ، التي يتعذر عليها فعل ذلك .

وأما الماء الذي ينزل من السماء ، فيدل على منعم به ، يقدر على التصريف فيما شاء من الأمور ، لا يعجزه شيء جل وعلا .

واما احياء الارض بعد موتها ، فيدل على الانعام بها يحتاج اليه العباد .

واما تصريف الرياح ؛ فيدل على الاقتدار بما لا يتأتى به العباد ، ولو حرصوا واجتهدوا فيه ، كل الاجتهاد .

واما السحاب المسخر بين السماء والارض فيدل ؛ على انه يمسكه قديم لا شبه له ولا نظير ؛ لانه لا يقدر على تسكين الأجسام الا الحي الذي لا ينام ، وهو بكل خلق عليم .

واما اللغة فمن جهة اللطف قسمت العرب هذه الالفاظ في جميع لغتها ان الحدث يقتضي الاحداث ، والمحدث والخروج يقتضي المخرج والخارج ، هذا في سائر لغة العرب ، ولا بد للعقل من هذه الاربع معان : الفاعل ، والمفعول ، والفعل واسم الفعل ، فالفاعل والمفعول معروفان والفعل المصدر واسم الفعل ، قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين﴾** (1) .

واما الطبع فلاحالة وجود الحدث ولما يعقله احد عقلا ، ففرت منه الطباع واستحال الاختراع ، الا من مخترع مبتدع ، وساغ الامتناع فلو انطبق الخلق والخلائق على ان ينحلوا فعلا غير فاعله لا حالوا ، ولو شهدوا بهذا عند

١ - الآية ـ ١٩ ـ من سورة الشعراء

من له ادنى عقل لكذبهم واستحمقهم ، وعلم انه لم يختلف اثنان بعد ثبوت حدث المحدث ان له محدثا فعلم ، هذا ضروري كما قدمنا ، وانما وقع التشابط والتخابط ، بين الموحدة والدهرية ، في حدوث الحدث ، ولسنا والاشعرية بمختلفين في شيء من هذا .

فان قال قائل : ما الدليل على قدمه ؟ قلنا : كونه قبل الحدث ، واعلم ان القديم من سبق وجوده وجود الحدث فكل من لم يكن ثم كان فهو الحدث ! فكل من كان ولا يكون فهو القديم .

فان قال قائل : ما الدليل على حياته ؟ قلنا : تصرفه في الحدث بالاشياء ، والافناء ، والابادة والاعادة ، بالنقص والزيادة ، وهذه الى علم الضرورية اقرب ، واليه اذهب .

فان قال قائل : ما الدليل على علمه ؟ قلنا : اتقانه الحدث ولما رأينا المحدث قد تأتى على مراد المحدث ، وصار كل شكل الى شكله ، ورجع كل فرع الى اصله من الارض ، والسموات ، والاشجار ، والنبات والجماد ، والحيوانات ، على نظام واحد ، وترتيب واحد ، **﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** ، وهذه الى الضرورية اقرب .

والعلم والقدرة ، والارادة ، والرضى والسخط ، من توابع الحياة ، وصفات الحي مهما انحزمت منها صفة انحزمت الحياة ، ولا بد من الاشارة .

فان قال قائل : ما الدليل على القدرة ؟ قلنا : صدور الحدث ولا يصدر الا عن قوة ، والا فالقوى والزمن واحد ، والحي والميت واحد .

فان قال : ما الدليل على الارادة ؟ قلنا : تمييزه بين المقدور هذا قد شاء وجوده فوجد ، وهذا لم يشأ وجوده فلم يوجد ، ووجد الموجود على صفة وغيره على خلافها ، والقدرة جارية عليها وقد شملتها ، وفرقت الارادة والمشيئة بينها ، وكذلك الرضى والسخط دليلها اختلاف المحدثات ، فهذا حسن

جميل وهذا قبيح رذيل .

ولولا الرضى والسخط لما وقعت التفرقة بين الخير والشر . فمن كان بهذه الصفة فهو الى الموات والجماد اقرب .

فان قال قائل : ما الدليل على الحدث ؟ قلنا : الحدث وهذه المسألة بيننا ،وبين الدهرية ، وحسبنا منها حدوث في الاجسام ، والاعراض محدثة ، ولا يخلو الجسم من حادث ، ولا ينفك منه فما لم يسبق الحدث فحدث مثله .

فمن اراد حقيقة هذا فليطلبه في ادلة الموحدين في النفر الثمانية ، وفي كتاب ابن الخياط مستقصى .

فان قال قائل : اذا ثبت وتقرر وجود ذات الباري ـ سبحانه ـ بالدليل فما مذهبكم في الصفات التي ادعيتم ؟ ولن يخلو قولكم فيها من احد ثلاثة اوجه :

اما ان تبطلوا وجود الصفات البتة ؛ لئلا تجعلوا مع الله آلهة اخرى ، فتكونوا من المبطلين المعطلين .

واما ان تثبتوها محدثة كائنة بعد ان لم تكن ، فيكون الباري ـ سبحانه ـ بعكسها فيتصف بالموت قبل الحياة ، وبالجهل قبل العلم ، وبالعجز قبل القدرة ، وبالكره قبل الارادة ، وبالجمادة قبل الرضاء ، والسخط ـ سبحانه ـ او تثبتوها معاني غير الله ، وقديمة غير محدثة كما قلنا ، قلنا : ـ وبالله التوفيق ـ .

اما ابطالها بعد ما تقرر الدليل ولاح السبيل فلا .

واما اثباتها محدثة كائنة بعد ان لم تكن ويتصف الباري ـ سبحانه ـ بعكسها فلا سبيل اليه .

واما اثباتها انها اغيار لله ـ عز وجل ـ فقديمة منه معه ، فلا سبيل اليه .

فهذه الاوجه الثلاثة مستحيلة ، وذلك انه تحكم ، فتهكم حين خص

ولم يعم ، واغفل الوجه الرابع ، وفي التقسيم (توصيم) ؛ ولا سيما في الكاف والميم وسيأتي الفيصل (بالصيلم) على دنادن الظلم فتنثلم باذن الله ـ تعالى ـ وذلك عادة الله في الحق والباطل ، اذا حل الحق زهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .

فان قال قائل : فما الوجه الرابع ؟ قلنا : وبالله التوفيق ؛ ان صفات الباري ـ سبحانه ـ ليس هناك معنى غيره ، أو شيء يلازمه أو يفارقه ، فقولنا : الله ـ تعالى ـ موجود اثباته ليس هناك وجود غيره يخالفه ، او يوافقه ، الله حي اخبار عن الذات أنها ليست بميتة ولها التصرف في الغير .

وقولنا : الله قادر ؛ اخبار عن الذات انها ليست بعاجزة ، ولا يعوزها شيء .

وقولنا : الله مريد ، اخبار عن الذات انها غير مكرهة ، ولا يفوتها شيء وكذلك سائرها ، وليس في ان نفينا عن الذات هذه الامور ما يقتضي ان معها شيئا غيرها يقاومها فيضاهيها ، أو شيئا غيرها تستعين به ، أو يكون جزء منها محالا في ذات الباري ـ سبحانه ـ ، فالقديم سبق الحدوث والعجز والحاجة وجوده ، فمن حصل له اسم القدم حصلت الالوهية والصفات الكاملة ، وذلك عن غير الله منفي ولا قديم الا الله ، ولا اله الا الله ، واستأثر الله بالكمال ، ولم يبرأ الغير من النقصان .

واضرب في ذلك مثلا رجلا قاعدا في موضع من المواضع ، تختلف عليه فيه الاشياء من بين مار بين يديه ، وآخر من خلفه ، وآخر فوقه ، وآخر تحته ، وليس في اختلاف هذه الجهات ما يقتضي اختلاف ذات الانسان ، وربما يتوهم الغمر علينا ، فيقسمه تقسيما ، ويجعل الرأس ناحية ، والرجلين ناحية ، والجنبين ناحية .

اعلم ان غرضنا الذات ، واعلم ان من جاز بين يدي انسان فقد جاز عليه كله ، وكذلك سائر الجهات وليس ان اختلفت النسب الى هذه الجهات

ما تقتضي الاختلاف في الانسان فهو اولا انسان واحد ؛ انسان وان التبس الامر مع هذا وقع الكلام معلى جزء من الغرض ومن وراء ذلك المرأة ، فان الصور تنطبع فيها وليس ذلك بمؤثر في ذاتها ، او ناقص ، او زائد فيها ، ولله المثل الاعلى ، وهذا معتقدنا في الهنا ـ سبحانه ـ ، ولنرجع الى معارضتهم ايانا في الصفات .

فان قالوا : اذ زعمتم ان الذات واحدة ، وان صفاتها هي هو ، ما تقولون فيمن خلقه الباري ـ سبحانه ـ حيا ثم مات أو ميتا ثم حيا أبعلم واحد علمه أو بعلوم كثيرة ؟ فان قلتم : بعلم واحد ، فقد جعلتم الحي والميت حيا ، وان قلتم : بعلوم كثيرة فقد اثبتم قدماء كثيرة ، وان قلتم : علمه بلا علم ، وقعتم في المحال ؟ قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : ان الله ـ تعالى ـ علم الحي منا في حين حياته ، ثم علمه في حال موته ، وقع التفاوت بين الحالين لا بين العلمين ، كما ان الذات التي علمته ميتا هي الذات التي علمته حيا ، فما قلت في العالم ؟ قلنا في العلم وتعكس عليه المسألة .

فان قالوا : بعلم واحد لزمهم ان يجعلوه حيا ميتا موجودا معدوما ، وان قالوا : بعلوم كثيرة على عدد اجزاء الخليقة ، فقد اثبتوا قدماء كثيرة مع الله في الازل ، فان قالوا : علمهم بلا علم ، وقعوا في المحال ، ولا مخرج لهم الا السبيل الذي سلكناه ، وكذلك القول : في سائر الصفات من القدرة والارادة والسخط والرضى .

واعلم ان الاشياء تختلف بالاعيان والازمان والمكان ، وتقع النسبة اليها من جهة العلم نسبة واحدة ، او من جهة القدرة أو غيرها نسبة واحدة من جهاتها مختلفة ، وليس ذلك بضار الذات شيئا ، وكذلك لو علم رجلان شيئا واحدا والشيء على حدته ، والعالمان اثنان ، او علم رجل شيئين على انا لا نثبته مع الباري ـ سبحانه ـ علما غير ما يقع التطايف والتخاطب عليه ، فان ابوا الا ان يثبتوا معاني قديمة غير الله ، قلنا لهم : أأفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟

فان قالوا : انكم ابطلتم المعنى المعقول في لغة العرب ؛ انهم اذا وصفوا انسانا بالشجاعة او بالجبن والسخاء أو البخل ثبتوها صفات غيره ؟ قلنا ، - وبالله التوفيق - : ان العرب اذا وصفت شيئا بصفة انهم يتوصفون الى معنى تلك الصفة ، وليس في لسانهم ما تقتضي انها هي هو او غيره ، وانما تدرك معرفة ذلك من وجه آخر من طريق ، من نظر في ادوات العالم ، وعلى ان الجسمية صفة الجسم ، وليس في ذلك ما يقتضي انها غير الجسم ، وكذلك العرضية للعرض والخلق صفة الخلق وهي هو .

فصل : واعلم ان القوم عرضوا بالخمس هنات .

أولها ؛ قالوا : اذا زعمتم ؛ ان الذات واحدة ، ذات الباري - سبحانه - وان صفاته هي هو لا غيره فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هي الله في امثالها .

الثانية ؛ ان اجزتم هذه ، فقولوا : الله هو العلم ، والله هو القدرة ، في امثالها .

والثالثة ؛ فقولوا : ان العلم هو القدرة ، والقدرة هو العلم أو غيرها .

والرابعة ؛ ان معنى [علم] هو معنى [قدر] ومعنى [قدر] هو معنى [علم] ، أو غيرها في أمثالها .

والخامسة ؛ ان هذه الصفات التي ذكرتم ووصفتم الله - تعالى - بها ، لا تخلو من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كانت معنى فهو ما قلنا ، وان كانت غير معنى ، فقد وصفتم الله - تعالى - بلا معنى .

الرد - وبالله التوفيق - :

الأولى ؛ اما قولهم في علم الله انه الله ، أو غيره ؛ فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله - تعالى - ان تقول : هي هو ، فنقول : علم الله هو الله لا غيره ، وقدرة الله هي الله ، والأحسن عندي ان تقول : ليس هناك غير الله .

وأما الثانية ؛ ان تقول : الله هو العلم ، أو تقولون الله هو القدرة ، واعلم ان اللغة منعت من اطلاقه ، وفي بعض الأسماء كقولك : الله الرب ، والله اكبر ، والله العدل ، والله الوتر والله هو الحق المبين .

وأما الثالثة ؛ ان العلم هو القدرة ، والقدرة هي العلم ، وهذا ممنوع من جهة التخاطب ، واللغة ، ولو اطلقه انسان لما جاوز خطأ اللغة ، وهو احسن حالا ممن اخطأ في ذات الباري ـ سبحانه ـ .

وأما الرابعة ؛ فالقول فيه : كالقول في الثالث هو ممنوع من جهة اللغة والتعارف بين الناس .

واما الخامسة ؛ فانا نمتنع من ان يجعل صفة الباري ـ سبحانه ـ [معلي] لما يتوهم علينا من الغيرية ، وقد اطلقت الأمة الصفات العليا والأسماء الحسنى .

فان قالوا : تقولون يعلم نفسه ، أو لا يعلمها ؟ قلنا : يعلمها ، ولا نقول لا يعلمها .

فان قالوا : يقدر على نفسه ، أو لا يقدر عليها ؟ قلنا : لا يجوز يقدر على نفسه ، ولا لا يقدر عليها .

فان قالوا : تقولون : يريد نفسه أو لا يريدها ، قلنا : الجواب فيها كالجواب في التي قبلها .

فصــل : واعلم ان القوم انما ذهبت بهم خصلتان :

احداهما اللغة ؛ وذلك انهم نظروا الى تقاسيم الأفعال والحروف في اللغة ، فكل لفظة تقتضي معنى في الأجسام وحركاتها ، فانقسمت اقساما كثيرة من أجل الأعيان والأزمان والمكان ، فتحولت عليهم فذهبوا ذلك المذهب في خالق الأنام ، ونظروا الى قولهم : علم ويعلم ، وسيعلم ، عالما ، وعالم ، وعلام ، وعليم ، وقالوا : لا بد لهذه التقسيمات ان تقتضي معاني

متفاوتة حتما ، واضطرهم الدليل المثبت الالوهية الا ان يقولوا بقدمها ، ونسوا ما ذكروا به من قبل ان الله ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

فشبهوا الذات التي لا تتجزأ ولا تحلها الأعراض ، بالأجسام التي تتجزأ وتحله الأعراض ، ولم ينظروا بعين الحقيقة الى من هو فوق المكان والزمان ، ولم يشبه شيئا من الأعيان ، ولم يراعوا سهام الزمان والمكان ، التي تجري على الاعيان دون القديم الذي كان قبلها .

وسهم العين الوجود والتشبيه والذات والمعنى والاثبات ! واما سهم الأمكنة ، فالجهات امام وقدام ، وخلق وفوق ، وتحت ويمين وشمال ؛ وأما سهم الأزمنة ؛ فالآن ، واليوم ، وأمس وغدا ، والشهر والعام ، وقابل وقاب وقباقب .

فالذي يظهر في الأعيان ان يكون المقتضي واحدا وان اختلفت الالفاظ ، فتكون اخبارك عن ذات الباري ـ سبحانه ـ وهو الاخبار عن مشيئته وعن غيبه ومعناه ، وان اختلفت الالفاظ فليس في ذلك ما يقتضي الغير .

وأما سهم المكان فاختلاف الأمكنة لا يوجب اختلاف الذات ، وكذلك في الأزمان سيما في الواحد الذي لا يتجزأ .

والخصلة الثانية ؛ انهم ذهبوا في الههم مذهبهم في انفسهم ، وحصروه الى أوهامهم واعتقدوا ان ذلك اثباته لا ابطاله وان خلاف ما تذهب اليه الأوهام ابطال ، فآمنوا بالوحدانية لفظا ، واعقلوها في المعنى حفظا ، وعجزوا عن قول الصديق ـ رضي الله عنه ـ العجز عن درك الادراك ادراك ، وقالوا لهم : ان العجز عن درك الادراك هلاك .

الرد عليهم في نفيهم خلق القرآن ؛ فان قالوا : لِم قلتم : ان كلام الله ـ تعالى ـ وامره ونهيه والقرآن ليس بصفة الله ـ تعالى ـ في ذاته ، ولا هو معنى قائم بذاته ؟ قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : انه لما تقرر عندنا بالأدلة القائمة ان الحي مرتبط بأوصاف لا ينفك منها ، واثبتنا الباري ـ سبحانه ـ انه الحي الفعال

المثبت وجوده وحياته وعلمه وقدرته ، وارادته ورضاه ، وسخطه وفعله ، ولكل كلام مقدمات وسوابق ومزجرات ولواحق .

فمقدمات الألوهية الوجود ، ولواحقها : الأفعال ، والوجود .

والأفعال ليست بصفة ؛ لأن الوجود اثبات ، والفعل حدث ، وما بينهما فصفة ؛ قد استحال ان يكون الحي ولا علم ولا قدرة ، ولا ارادة ولا رضى ، ولاسخطا فماستحال ان يكون الرضى أو السخط والارادة ، ولا قدرة ولا ارادة ؛ ولا قدرة ولا علم ، ولا علم ولا حياة ، فاثبتناه حيا عالما قادرا مريدا راضيا ساخطا لم يزل اذ لو حدثت الحياة لكان قبلها مواتا ، ولو حدث العلم لكان قبله جاهلا ، واذ لو حدثت القدرة لكان قبلها عاجزا ، واذ لو حدثت الارادة ، لكان قبلها مستكرها واذ لو حدث الرضى والسخط ، لكان قبلهما جمادا بليدا ، فمن اين ارتبط الكلام بالحي لارتباط لزمه ؟

فان قالوا : الاستحالة حدوث الكلام اليه ، فلو حدث لكان اخرس قبل حدوث الكلام ، والخرس ضد الكلام ونقيضه ؟ قلنا : و- بالله التوفيق - : ان هذا الحكم وهذا التحكم لا يلزمه ؛ لانه يجوز أن يكون من لم يتكلم ساكتا لا أخرس ، وليس كالعلم ، لأن من لم يكن عالما فهو جاهل ، ومن لم يكن قادرا كان عاجزا ، وليس الخرس بنقيض الكلام بل السكوت نقيضه .

ويلزمهم ايضا ان الخلق معه لم يزل ؛ لانه لو حدث اليه الخلق ، لكان قبل حدوثه عاجزا ، ويلزمهم ايضا ان يجعلوا الخلق من المعاني القديمة القائمة بالذات كالكلام ، ولعمري هو اشبه بمذهبهم ، فان لم يكن العجز نقيض الخلق ، فليس الخرس بنقيض الكلام غير ان الخرس زمانه لا يستقيم معها الكلام ؛ وكذلك العجز آفة لا يستقيم معها الخلق ، وهما منفيان عنه بالقدرة ، وقد يكون الحي ساكتا لا متكلما ولا أخرس ، وهل يصح من الحي ان يكون غير عالم ، أو ان يكون غير قادر او مريد او راض أو ساخط ؟ فهاتيك مهما انحزمت منها صفة ، انحزمت الحياة ، وليس ذلك في الكلام البتة والله ولي التوفيق .

الدليل على خلق القرآن ؛ ان لأهل الحق عليهم ادلة كثيرة ، واعظمها استدلالا لهم على خلقه بالأدلة الدالة على خلقتهم هم ، فان أبيا من خلق القرآن ، ابينا من خلقهم هم ، وقد وصف الله ـ عز وجل ـ في كتابه وجعله قرآنا عربيا مجعولا منزولا مسموعا بالآذان ، مقروءا بالألسن ، مكتوبا في المصاحف ، وفي قلوب الذين أوتوا العلم ، وليس لهم معول بعد العثور الا الاعتذار بالغرور ، وذلك انهم نصبوا للكلام ، وللامر والنهي والقرآن هيولا خيالا.غير القرآن وهي العبارة عن القرآن فما حاججناهم به من صفات الخلق الموجودة في القرآن .

قالوا : صدقتم غير ان ذلك يتوجه الى العبارة عن القرآن لا نفس القرآن ؟ قلنا لهم : ان الله ـ عز وجل ـ يقول : **﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾** [1] ، قالوا : العبارة عنه ، قلنا لهم : قال الله ـ عز وجل ـ : **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** [2] ، **﴿ نزل به الروح الأمين﴾** [3] ، **﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** [4] .

قالوا العبارة ؛ قلنا لهم بعد قول الله ـ عز وجل ـ : **﴿انزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾** [5] ، قلتم : العبارة عنه لا هو ، فمن يشهد لكم بهذا بعد ان وجدتم شهادة الله ـ عز وجل ـ وشهادة الملائكة ، فياسبحان الله من قوم انكروا نزول القرآن مثل اهل الأوثان ، ولو عورضوا بمثل ما هم فيه بمحمد ﷺ ، وبجبرائيل الروح الأمين ، انه لم ينزل به جبرائيل ـ عليه السلام ـ على قلب محمد ـ عليه السلام ـ ، وانما انزل بالعبارة للقرآن وخيال جبرائيل هو الذي على خيال محمد ، ولم ينزل نحن أيضا علينا القرآن ، وانما نزل على خيالنا .

وقوله : **﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾** [6] ، وان القوم ما كذبوا

١ - الآية - ٣ - من سورة الزخرف
٢ - الآية - ١ - من سورة القدر
٣ - الآية - ١٩٣ - من سورة الشعراء
٤ - الآية - ٨٢ - من سورة الاسراء
٥ - الآية - ١٦٦ - من سورة النساء
٦ - الآية - ٦٦ - من سورة الانعام

بالقرآن ، وانما كذب ضلالهم بالعبارة ، وهو الحق ، فليس القرآن في نفسه بحق ، وانما العبارة عنه هي الحق ، وهي التي كذب بها خيال القوم وضلالهم ، فمن كان بهذه الصفة فليسوا بالعقلاء الذين يخاطب الله ـ عز وجل ـ امثالهم الا تجاهلوا تعمدا .

فصـــل : واما قولهم : ان المن ، والفضل ، والعدل ، والاحسان ، والانعام ، من صفات الباري ـ سبحانه ـ ؛ اعلم يا اخي ؛ ان الله ـ تعالى ـ خالق لم يزل ، وفاعل ومثيب ، ومعاقب ، ومحيي ، ومميت ، ومنان ومنعم ، ومحسن وعادل ، لم يزل ، فان كان مرادهم هذا ؛ فهو جائز وهذه اسماؤه وصفاته ، وان كان مرادهم ان المن ، والعدل ، والفضل ، والاحسان ، والنعمة صفات الله ـ تعالى ـ فليلحق الخلق ، والرزق ، والفعل ، وجميع المحدثات ، ولا يقولها مرشد .

فان قال قائل : لم أجزتم عليه خالقا ورازقا لم يزل ، وهل الخلق والرزق موجودات في الأزل ؟ قلنا ـ وبالله التوفيق ـ : ان الأسماء لا تقتضي الأوقات والأزمنة ، والفاعل يصلح اسما لما يأتي ولما مضى ، ولما أنت فيه ، هذا رجل حاج ، يريد الحج ، وهذا حاج مشتغل بالحج ، وهذا حاج على ان سيحج ، فمن امتنع من هذا ، فهل عن خليل الله ـ عز وجل ـ صلوات الله عليه (وسماكم المسلمين من قبل) فمن لم يدخل في تلك التسمية ؟ وقيل : لم يدخل بعد والسلام .

والعجب كل العجب من هؤلاء القوم ، انهم يرغبون في الكثرة ، ويرغبون عن الوحدة ، وما حاجتهم الا الكثرة والعدد في الله ، ـ عز وجل ـ ، فان كان مراده مدحه فبأن يفردوه أولا مزايلا الأزل عليه قدم ، ولينقصوا من هذا العدد الطويل فهو اولى بالجليل ، وهذا حين جعلوا السمع والبصر من المعاني السبعة القائمة بذات الباري سبحانه ، والسمع والبصر فرعا العلم ، أوليس البصر كناية عن درك الألوان ، والسمع كناية عن درك الأصوات ؟ فهما نفس العلم .

وان كان مرادهم كثرة المعاني في الأزل مع الباري ـ سبحانه ـ ، فعليهم بالطعوم فلينحلوه السمع والذوق ، ويجعلوه ثامنا ، وعليهم بالروائح ، فلينحلوه الشم ، ويجعلوه تاسعا ، وعليهم بالمحسوسات كلها ، فلينحلوه اللمس ويجعلوه عاشرا ، وليتبعوا الخلق ما دام لهم ، من العلوم اسم فيسمونه ، ويجعلون ذلك المعنى قائما بذاته بمذهب الاعرابي ، وان الخطأ في الملائكة اسهل حالا من خطئهم في الباري ـ سبحانه ـ حين قال ذلك الاعرابي :

وذو العرش محمول على ظهر سبعة ولولاه ما راموا النهوض ولا كادوا

قيل له : ويحك ! جعلت الباري ـ سبحانه ـ محمولا ، وجعلت الحَمَلة الثمانية سبعة ؛ فقال الاعرابي : اليسوا اذا نقص من عددهم اقوى لاسرهم فذهب في الحملة الى نقصان العدد اقوى للاسر ، وذهب هؤلاء الى زيادة العدد اقوى في المدد ، فالاعرابي افطن بالمعنى الباطن ، وهم ذهبوا الى الحس الظاهر .

ولا شك ان القوم ما اغترفوا الا من بحر لجي من بحور الدهرية في قولهم : ان الله ـ تعالى ـ هو العلة ، والخلق هو المعلول ، ولن يفارق المعلول العلة ؛ لانهم قالوا للموحدة : ألم تقولوا : ان الله ـ تعالى ـ قبل خلقه ؟ قلنا : نعم ؛ قالوا ثم حدث الخلق ؟ قلنا : [نعم] .

وقالوا : انه ليس بين وجود الله ـ تعالى ـ ، وبين خلقه الخلق مسافة ولا مدة ولا عدة ولا آفة ، ولم يسبق الخالق الخلق الا بالمقدار الذي يسبق به الاناء الصل فالحركة والسكون ، او الكون او المكون ؛ فهذا غرض القوم ، غير انهم لم يقدروا ان يبوحوا بأكثر مما ذكروا مما يتعلق بصفات الباري ـ سبحانه ـ المعهودة عند الناس ؛ غير انهم حادوا الى مذهب الدهرية ، ولا شك انهم قد تشموا روائح ابي شاكر الديصاني الذي فتح لهم الباب في نفي خلق القرآن بمكيدة عظيمة كادهم بها غير الأول .

تم الجزء الرابع من كتاب قاموس الشريعة في [توحيد الباري المجيد]

يتلوه ـ ان شاء الله ـ الجزء الخامس من كتاب قاموس الشريعة : في القضاء والقدر ، والرد على من وصف الله بشيء من صفات خلقه ؛ من الجوارح والصور ، ورؤية ذاته بالبصر ، وفي الخروج من النار ، وفي الصراط ، والميزان ، والشفاعة لأهل المعاصي ، وما يتعلق بمعاني ذلك .

تأليف الشيخ العالم جميل بن خميس بن لافي السعدي .



الباب السادس

قال الفقير لله ـ تعالى ـ ؛ يحيى بن خلفان بن ابي نبهان الخروصي : وهذه مسألة عن الشيخ العالم الفقيه الرباني ابي محمد سعيد بن خلفان بن احمد الخليلي ، في التوحيد فأحببنا الحاقها بهذا الجزء المبارك ، لتتم الفائدة وهي هذه كما ترى :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله وكفى ؛ وسلام على عباده الذين اصطفى ، اما بعد : فاعلم انه لما وقف بعض الطلبة على ما يوجد في الأثر ، ان ذاته ـ تعالى ـ هي اثباته ؛ سألني حل هذه العبارة فقال : ما نصه :

تفضل ؛ بين لنا في الذات والاثبات ، ما يزيل قناع الجهل منا ، ويذهب صدأ الصدور عنا مأجورا ـ ان شاء الله ـ .

فقلت له : في الجواب ؛ متحريا لاصابة الصواب ، مستعينا بعناية الملك الوهاب ، ان من نظر في كتاب الله ـ تعالى ـ بعين بصيرة ، عن صفاء سريرة ، فتأمل ما اخبر به الالٰه المنزه في قدسه ، من وصف نفسه ، في محكم آياته ؛ فانه لا يجد فيه بالجزم الا تعريفه الى الخلق بصفاته ، او بأسمائه الحسنى ، أو بأفعاله الخاصة التي لا يمكن ان يشاركه فيها احد من مخلوقاته .

واما ما وراء ذلك من معرفة ذاته الكريمة على ما هي عليه ، فامر خارج عن حد القدرة البشرية ، وشيء لا يبلغ الى معرفة كنهه الأنبياء ـ عليهم

السلام ـ ؛ ولا القوى الملكية فهي البحر الذي تغرق فيه سفائن العقول ، والمحل المعبر عنه بمقام الحيرة والدهشة والذهول

فجواب من يسأل عن ذاته العلية ، ان يقال له : هي حقيقة الخاصة التي لا يعلمها الا هو ، وغاية العلم بها انها ذات لا كالذوات ، فانه ـ سبحانه ـ ليس بذي شكل ، ولا جسم ، ولا يدرك بحد ، ولا رسم ، فما هو بجوهر ولا عرض ، في قول اهل العدل ، اذ لا جنس له ولا نوع ، ولا فصل ، وقد عرفك نفسه من هو بمصالحك خبير ، فقال : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [1] ، وبهذا فاقنع ان كنت للحق تتبع .

فغاية العلم به من ملائكته وأنبيائه وغيرهم من علمائه ، معرفة صفاته واسمائه ، كما جاء بها كتابه الكريم ، وكفى به حجة وبرهانا لمن شاء منكم أن يستقيم .

فان ابى الا السؤال على وجه التفتيش عن الذات العلية ، لبيان شرح الماهية ، قيل له : ان نفس سؤالك هذا باطل في هذه القضية ، لا جواز له بالكلية ؛ لانه من طلب المحال ، وهو عين الضلال ، وبمثله اهلك الله اربد ابن ربيعة بصاعقة اذ قال : مم رب محمد ؟ من در هو أم من ياقوت ، أم من ذهب ؟ فاخبر بصفات الله تعالى وأسمائه ، فلم يكفه فبينا هو في محاورته اذ ارتفعت سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وفيه انزلت قوله ـ تعالى ـ : ﴿**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال**﴾ [2] ، فدع عنك في الله الجدال ، ان جدالا في الله كفر وضلال .

ولو كان الجواب عن الذات العلية ، لسائل عن الماهية ، من الممكنات ، لأخبر الله ـ تعالى ـ عن نفسه ، واجاب به رسول الله ﷺ ، ولكنه ليس بذلك ، فالمكابرة فيه بعد وضوح الأحكام تستدعي صواعق الانتقام ، والجواب الحق في ذلك ، ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد**﴾ .

---

١ - الآية ـ ١١ ـ من سورة الشورى

٢ - الآية ـ ١٣ ـ من سورة الرعد

فقد زعم بعض المفسرين انها انزلت في جواب اربد ، وقال آخرون : هي جواب ناس من اليهود ، سألوا رسول ﷺ عن ذات واجب الوجود ، والمعنى واحد ، وان قيل : بغيرهما فلا ضير .

ومن هذا النوع ، جواب موسى ـ عليه السلام ـ اذ قال له فرعون : ﴿وما رب العالمين﴾ [1] ، فانه سؤال من الخبيث المارد عن الماهية عند أكثر المفسرين ، ﴿قال رب السموٰات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾ ، عدل موسى في جوابه عن مطابقة سؤاله الى ما لا وجه في الحق لغيره من الأخبار عنه ، بصفاته وأسمائه عزّ في جلاله ، فقال في جوابه عن الذات : انه رب السماوات ، ويسمى هذا الجواب عدولا ؛ لانه عدل به عن مطابقة اللفظ ، الى مطابقة الحق ، والحق احق ان يتبع ، فهو في هذا كالجواب عن سؤال اربد ، بقوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ .

ولقد احسن الزمخشري فيما أورده على مسألة فرعون في هذه الآية الشريفة فقال ما نصه : واما ان يريد به أي شيء ؟ هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي ؟ فأجابه بأن الذي اليه سبيل ، وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة ، على ذلك ، واما التفتيش عن حقيقة الخاصة ، التي هي فوق فطر العقول ، فتفتيش عما لا سبيل اليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق ، انتهى .

فهذا القدر كاف من الجواب عن الذات القدسية ، وأما فتح باب الكلام على صفاتها العلية ، فقول الحق وهو مذهب أصحابنا ، ان صفاته هي غير ذاته الأزلية ، ولا ينكشف هذا الا بتجريد الذات المقدسة عن الصفات بالكلية ، فنقول في وصفه ـ تعالى ـ مثلا : بالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والارادة ، وغيرها من صفاته ـ تبارك وتعالى ـ انها ليست بشيء زائد في ذاته ، لئلا يلزم الحلول في ذاته ، ولا زائد من ذاته لئلا يلزم التبعيض في ذاته ، ولا زائد على ذاته لئلا يلزم افتقاره الى غير ذاته ؛ فانه عالم

١ - الآية ـ ٢٣ ـ من سورة الشعراء

مثلا لا بعلم هو غيره ، لئلا يكون مفتقرا الى غيره ، ومن كان مفتقرا الى غيره فليس بالله وانا وان وصفناه بانه عليم خبير ، سميع بصير ، فليس المعنى به زيادة الصفات فيه ، بل المراد به ان ذاته المقدسة كافية في انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما .

فهذه حقيقة صفته بالعلم ، كما انها يتجلي لها كل مسموع ومنظور تجليا تاما ، وهي حقيقة وصفه بالسمع والبصر ،، وهكذا في سائر الصفات ، فالذات واحدة ، والمتجليات كثيرة ، والمتجلى له بفتح اللام واحد ، وان كان المتجليات كثيرة ، فان كثرتها لا تؤثر في وحدانيته ، فقدرته ـ سبحانه ـ على المقدروات ، وعلمه بالمعلومات ، وسمعه بالمسموعات ، وبصره بالمرئيات كله في الاصل لمعنى واحد ؛ لانه بذاته ، ولا محل للتعدد فيها ، فهو يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع ، ويعلم بما به يبصر ، ويقدر بما به يعلم ، وهكذا في سائرها ، ويكفيك في هذا الموضع ان تقول في الصفات ، انها امور اعتبارية يراد بها نفي اضدادها من النقائص عنه ـ سبحانه وتعالى ـ ، فبالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر ، والكلام والكرم ، والعزة والحلم ، تنفى عنه الأوصاف الناقصة من الموت والجهل ، والعجز والصمم والعمى ، والخرس ، والبخل والذلة والطيش ، فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة وهكذا في سائرها .

فان قال قائل : اذا ثبت هذا فهو يقتضي ان الصفة عين الموصوف بها ، وهو يستلزم ان يكون الله ـ تعالى ـ هو العلم ، والقدرة ، والحياة ، والسمع والبصر ، والارادة ، فيلزم تعدده وهو باطل ؛ فيقال له : اذا عرفت ان الله غني في الأزل بذاته ، عن ان يزيد فيها شيء من صفاته ، لم يلتبس عليك اذا قلنا انه حي مثلا ، انا لم نرد بالحياة غيره ، فتعد صفة زائدة فيه ، وانما نريد بها نفي الزوال ، والتغير والفناء عنه ، فمعنى الحياة له هو نفس وجوده لا غير .

وبهذا لا يقتضي ان الحياة صفة زائدة على الذات ، ولا يلزم من هذا ان يقال : هو الحياة ، فان أسماء الصفات تثبت لمعان أخر ، وهي ان تكثر

الصفات وتعدد الأسماء ، انما كان لامور اعتبارية بحسب تجليات اعيان الوجود وتأثرها وانفعالها للذات العلية لطفا من الله لعباده لكمال المعرفة به ، فان تجلي المعلومات من اعيان الوجود ، بمعنى انكشافها للذات ، لو سمي ارادة او قدرة ، لما صح معنى ولا لغة ، فكذا تجلي المسموعات لها ، لا يسمى بصرا ، ولا تجلي المرئيات لها يسمى سمعا ، وهكذا في سائرها ، ولا يشكل عليك كثرة تجليات اعيان المظاهر الموجب لتعدد الأسماء والصفات في الظاهر ، فان نفس الذات المقدسة واحدة ، وهي مستغنية بذاتها عن الأكوان ، وتجلياتها ، وتأثرها وانفعالاتها ، غير قابلة للتعدد ، ولا النقص ، ولا المزيد في شيء ابدا كان الله ولا شيء معه ؛ وهو الآن على ما كان عليه ، قد كان في الأزل قديما ، ولم يزل سميعا بصيرا ، عليما حكيما ، قبل وجود كل شيء ، لا تأثير للمظاهر في صفة ذاته العلية ، بل هي على ما كانت عليه في الأزلية ، والا كانت المظاهر معه قديمة ، وهو باطل .

وباعتبار ان ذاته القديمة الازلية كافية عن مزيد الصفات عليها كما سبق ، تعلم ان الصفات امور اعتبارية ، فلم نجز ان يقال في حقه ـ تعالى ـ انه الحياة ولا القدرة ، ولا السمع ولا البصر ، ولا الارادة ، وهكذا . بل يقال : هو المريد القدير ، العلي الكبير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، فهي اسماء صفاته الواجبة لذاته ، بمعنى انه في ذاته كذلك ، وقد ظهر لك ان تنفي الصفات عن ذاته ـ تعالى ـ على طريق ما قدمناه تطهير سر التوحيد ، بشمس التفريد ، فيقال : انه ـ سبحانه ـ عليم لا بعلم ، هو نفسه ، فيلزم منه ان نفسه علم أو ثبوت علم في نفسه ، وهذا باطل وبه تعلم ايضا انه لا يصح ان يقال : في حقه ـ تعالى ـ انه علم ولا قدرة ولا مشيئة ، وهكذا واذا بطل ان يقال : انه علم بعلم هو نفسه ، فالقول : انه عالم بعلم هو غيره ، وقادر بقدرة هي سواه أوضح بطلانا اذ لا بد من احد امرين .

اما القول : بانها حادثة ، فيكون الرب ـ سبحانه وتعالى ـ محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل .

واما القول : بانها قديمة معه ، وبهذا يستلزم ان غير الله قديم ، واذا

جاز ان يكون معه في الازل قديم غيره ، جاز ان يكون معه اله غيره ، وهذا باطل .

فاثبات الاشعرية لله ـ تعالى ـ صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، لا مخرج له من هذا ، وبهذا تعلم ان الحق فيما قاله اصحابنا ، من تجريد الصفات اكتفاء بالذات المقدسة مع اتصافها بها كما سبق ، فيقولون : هو القادر المريد ، العليم الخبير ، السميع البصير الشهيد ، لا بقدرة هي هو ، ولا بقدرة هي غيره ، وكذا في سائرها ؛ فهو عليم لا بعلم ، بل هو عليم بذاته ، وهكذا في باقي الصفات .

وقولهم : هو عليم بذاته لا يزيد شيئا على وصف ذاته بانها عليمة ، ومعنى قولهم ان ذاته عليمة اي هو العليم لا بعلم هو هو ، ولا بعلم هو غيره ، بل هو العليم بذاته المقدسة ، كما سبق وقد وضح بهذا بطلان ان يقال : في ذاته : انها علم أو قدرة ، او ثبات أو مشيئة ، وهكذا .

وقولهم في صفاته : انها عين ذاته لا يخالف هذا ، فليس مرادهم به ان سلب الصفات عن ذاته مع اتصافها بها كما قررنا ؛ فقالوا : هي عين ذاته ، بمعنى انه ليس ثم من صيغته زائدة على ذاته ابدا ، وقد مضى من القول مكررا فيها للتوضيح ، ما يغني عن المزيد ، فليراجع النظر فيه من كان ذا قلب ، او القي السمع وهو شهيد .

فان قلت : فكيف يصح في ذاته العلية ، ان تسلب عنها صفاتها القدسية ، وكتاب الله ناطق بذلك ؟ فهو ينادي على بطلان تلك المسالك ، فان فيه اثبات الصفات في غير موضع كقوله ـ تعالى ـ : **﴿ فلله العزة جميعا﴾**[1] ، **﴿ ان الله هو الرزاق ذو القوة﴾**[2] ، **﴿ سبحان ربك رب العزة﴾**[3] ، **﴿وله الكبرياء في السموات والارض﴾**[4] ، **﴿انما العلم عند الله﴾**[5] .

---

١ - الآية ـ ١٠ ـ من سورة فاطر
٢ - الآية ـ ٥٨ ـ من سورة الذاريات
٣ - الآية ـ ١٨٠ ـ من سورة الصافات
٤ - الآية ـ ٣٧ ـ من سورة الجاثية
٥ - الآية ـ ٢٦ ـ من سورة الملك

قلنا : هذا لا ينافي ما قاله اصحابنا في هذه المسألة ، بل هو لهم اعظم شاهد واوضح دليل في الرد على المعاند ، فان قوله تعالى : (له العزة(لا يزيد شيئا عن وصفه بانه عزيز «وذو القوة» ؛ في معنى القوي ، «وله الكبرياء» ؛ بمعنى انه الكبير ، فتأويل هذا الباب كله قريب المأخذ سهل التناول .

ولو جاز التعلق بظاهر هذه الالفاظ ، لاثبات صفة قديمة زائدة على الذات القديمة ؛ لجاز لمن قال بظواهر الفاظها ان يقول ايضا ان هذه الصفات محدثة من جنس المخلوقين . بدليل قوله ـ تعالى ـ «رب العزة» ، فانه لا يجوز ان يكون ربا الا لمخلوق محدث ، وبطلان هذا اظهر من ان يعتنى به فثبت ما قلناه .

فانظروا يا معشر المسلمين في هذا ، وفيما جاء في مواضع من الآثار القديمة ، ان ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ هي قدرته ومشيئته ، وفي قول آخر ـ هي (اثباته) ، فكان معول الجميع فيها على ما تقرر من ان ذاته هي غير صفاته ، لكن باعتبارات قصرت عنها هذه العبارة ، ولم تدركها باشارة مع ان همزة التعدية في لفظة (اثباته) لا معنى لها في حقه ـ تعالى ـ ، فان اثباته من نفسه لنفسه محال ، فكيف به من غيره ؟ وانما يحتاج الموحد الى النفي والاثبات في العقائد لدفع الشركاء والاضداد ، ونفي النقائص والانداد ، كما هو في قوله : (لا اله الا الله) و(لم يلد ولم يولد) ؛ والا فالثابت غير محتاج الى مثبت ـ جل الله وعز ـ .

ولو قيل : ذاته ثباته بغير همزة لكان اقرب الى ما اراده ، وعلى كل حال فهي على ما تراه من القصور والبعد عن ادراك حقائق الأمور ، فهي من الآثار المجملة التي لا تصح بظاهر لفظها ، وها هنا نمسك اعنة الاقلام عن الجري في مضمار الكلام ، فان بحار التوحيد وشموس التفريد ، لا مطمع في احصائها ، ولا سبيل الى استقصائها ، واني من العوم في بحارها ، لعلى مخافة من الغرق بأنوارها ، فكيف بحال ضعيف القوة ، الذي لا بصر له بالعوم ، اذا القى نفسه في البحر الذي لا ساحل له ولا قعر ، الا ان تأخذ بيده العناية

فتنقذه بالهداية ؟

واني لاجىء به وضارع اليه ، ومعول في طلب الهدى عليه ـ سبحانه وتعالى ـ ، لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(مسألة) : ومنه (بسم الله الرحمن الرحيم) ؛ سأل بعض الطلبة المتعلمين ؛ عما يوجد في الاثر ان ذاته ـ تعالى ـ هي اثباته ؛ فقال على اثر ذلك : تفضل بين لنا في الذات والاثبات ، ما يزيل قناع الجهل عنا ، ويذهب صدأ الصدور منا مأجورا ـ ان شاء الله ـ .

الجواب ؛ بعد حمد الله ، والثناء عليه بما هو له اهل ، ان معرفة الله بصفاته وافعاله الخاصة ، اذا خطرت بالبال من عاقل بالغ مما لا يسع الجهل به على حال ؛ لأنها مما تقوم به الحجة من العقل بلا جدال ، وقيام الحجة بها خاصة بالمعاني المدركة ، التي يبعث بها رسول العقل ، عن الحضرة الالهية لمن هدي بنور الفهم لاتباع الحق الذي اتت به الواردات الالهامية ، فهي من الله ـ تعالى ـ رسالة باطنية ، تقوم بها الحجة على من بلي بها ، كما تقوم بالرسل الظاهرية ، فلا جواز للعدول عنها ، ولا الشك فيها ، ولا الرجوع الى ما يوجب اللبس من الوساوس الشيطانية .

فمن خطر على قلبه مثلا ان له او لشيء من الموجودات ، أو لجميع الكائنات المحدثات الها ، او ربا أو خالقا محدثا ، او صانعا أو مقدرا ، ومدبرا لزمه الاقرار لمولاه بذلك في الحال ، ولم يوسع له في الجهل به على اعتقاد السؤال لانه لو نظر في نفسه مثلا فعرف ما بدأ من ضعف وعجز لا ينفك عن ملازمته من حال طفولته الى بلوغ اشده ، أو ما فوقه من سنه ، دع ما تقلب فيه اطوارا من حال كونه نطفة ، الى علقة ، الى مضغة ، الى عظام ولحم ودم ، الى ان انشأه ، الله بنفخ الروح فيه خلقا آخر ، فتبارك الله رب العالمين ؛ علم بالضرورة انه حادث بعد ان لم يكن شيئا مذكورا ، وعلم بالضرورة استحالة

كونه خالقا لنفسه ، كما لا يتصور ان تكون النطفة هي التي خلقت نفسها جنينا في الرحم ، فلزم من ذلك ان له خالقا غيره خلقه واحدثه ، وانشأه ، وبرأه ، وصوره ، وابدعه ، واخترعه .

وكما بطل ان يكون الحادث محدثا لنفسه فكذا في غيره ، لأن من عجز عن نفسه ، فهو عن غيره اعجز ؛ لانه لا يلزم منه وجدان محدث احدثه ، محدث لمحدث ، محدث فيتسلسل الى غير نهاية ، وهذا باطل والحق ان المحدثات كلها متساوية في صفة العجز والفقر ، والضرورة الى محدثها الموصوف ، بالقدم والأولية ، لانه لو كان حادثا ؛ لكان له محدث احدثه كغيره من المحدثات ، وهو باطل ، واذا ثبت انه خالق الكل ، ومحدثهم ، ومنشئهم ، فلا يشك انهم له عبيد ، وملك ، ولا بد للعبد من سيد هو ربه ، ومالكه ، الذي تحق له الطاعة والعبادة ، والخضوع والخشية ، والخشوع ، فهو الرب والاله ، والسيد والملك والمالك ، ولا يجوز اطلاق هذه الاوصاف على الكثيرين ، لاقتضائها المنازعة في الممالك ، وايذانها بنقص القدرة ، والاتصاف بالعجز والشركة ، وهو مناقض لصفة الالوهية ، فدل على انه واحد أحد ، فرد صمد ، علي عظيم ، متعال كبير ، منزه عن كل وصف ناقص ذميم ، موصوف بكل صفة حميدة عظيمة ، فلا شيء يشابهه في ذات ، ولا صفة ، لاستحالة ان تشابه الصنعة صانعها ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

واعلم ان وجه الاستدلال على ثبوت الصفات الالهية ، قد يمكن ان يكون من طرق شتى متباينة مواردها متفقة احكامها .

فان من قام له البرهان الصحيح مثلا ، ثبوت الالهية لواجب الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ ، اذ لا قصور في نفسه ، هل يجوز في هذا الاله ان يكون متصفا بشيء من النقائص أو الرذائل ، او المفاسد ؟ وجب عليه نفي ذلك عنه في الحال ؛ لأن من كانت هذه صفته ، فليس باله ، فاهذه طريق واضحة في نفس الصفات القبيحة عنه كلها من الفناء ، والموت ، والحدوث والعجز

والفاقة ، والضعف والصاحبة والولد ، والشريك والثاني ، والثالث ، والعمى والجهل ، والصمم والخرس ، والبكم والغفلة ، والسهو والسنة ، والنوم والجور والظلم ، وهكذا في سائرها ، وفي هذا اثبات لصفاته ـ تعالى ـ كلها ، لأن بنفي الجهل مثلا يثبت له العلم ، وبنفي العجز تثبت له القدرة ، وهكذا .

والطريق الثانية ؛ اذا خطر بباله مثلا في الاله ـ سبحانه وتعالى ـ انه ؛ هل هو متصف بالصفات الحميدة ، الكاملة الجميلة ؟ وجب عليه العلم بانه كذلك ؛ لان من لم يتصف بهذه ، فلا بد ان يتصف باضدادها من النقائص والقبائح تنزه عنها وتقدس ، فلا يمكن اذا خطر بباله انه عليم أو حكيم ، او سميع أو بصير ، او علي أو عظيم ، أو حي أو قيوم ، أو مريد ، وهكذا الا ان يصفه بذلك ؛ لأن من لم يكن كذلك ؛ فهو عاجز جاهل ، احمق بليد ، ومن كان كذلك فليس باله .

الطريق الثالثة ؛ النظر في افعاله الخاصة ، فان من علم انه خالق هذه المحدثات كلها من املاكها ، وعرشها ، وفرشها ، انسها وجنها ، احيى وامات ، واعطى ومنع ، ووضع ورفع ، وفعل ما شاء ؛ علم ان مثل هذا لا يكون الا عن ارادة ومشيئة غالبة ، من ملك عظيم مريد لخلق ما خلق ، قوي عليه ، قادر قهار له ، قابض عليم بحاله ، خبير سميع بصير ، حكيم عدل في قضائه ، بر بأوليائه ، رازق لخلقه ، باسط لرزقه كريم رحيم ، علي عظيم ، وهكذا في سائرها ؛ لأنه لو جاز ان لا يكون عليما أو حكيما أو قديرا لكان جاهلا غير متقن لصنعه ، ولا قادر لفعله ، وهكذا وقد ثبت بالمشاهدة والبراهين بطله ، وبالنظر في نفسه كفاية عن النظر في الافلاك والاملاك لمن فهم ؛ لأن الحكم على البعض والكل في هذا سواء .

والطريق الرابعة ؛ النظر في افعاله الخاصة على معنى التنزيه له ، والتقديس عن الصفات الناقصة الذميمة ، فنقول : ان هذه الكائنات كلها ناطقة بلسان التوحيد . ان مثل هذا الخلق والصنع المتقن لا يصدر عن فاعل

ضعيف ولا عاجز ولا جاهل ، ولا مغلوب ولا مقهور ، ولا منازع ولا مدافع ، ولا مستعين بغيره ، ولا محتاج الى سواه ، ولا مفتقر الى ما يخلقه ، وهكذا ، وفي هذا ثبوت لاضدادها من الصفات الكمالية على طريق ما سبق .

الطريق الخامسة ؛ هي التي نبه عليها النبي ﷺ : «من عرف نفسه عرف ربه» .

ولأهل العلم بيان في معرفة الله ـ تعالى ـ بما دل عليه هذا الحديث الصحيح من معرفة العبد نفسه ، ثلاثة مذاهب .

احدها ؛ وهو اوضحها : ان نفس العبد يستفاد منها اوصاف العبودية كلها ، ولفظة الرب ذاته على صفات الربوبية كلها ، فكل صفات الربوبية على ضد صفات العبودية ، والعكس ، فمن عرف نفسه بالعبودية والحدوث ، والفناء والعجز ، والضعف والجهل ، والخفة والطيش ، وغاية الفقر والضرورة ، والذلة والمسكنة ، وكونه عرضا للحوادث والهموم ، والاسقام ومرور الليالي ، والايام والاحتياج الى الصاحبة والولد ، والمعين والمشير ، والزمان والمكان ، وهكذا ؛ عرف به صفات الربوبية ، انها على الضد من هذا ، فاثبت لمولاه ـ تعالى ـ صفة الربوبية والقدم ، والبقاء والحياة ، والقدرة والعلم ، والكرم والعزة ، والعظم وهكذا .

وثانيها ؛ انه اذا نظر في صفات نفسه الجميلة التي جعلها الله ـ تعالى ـ مظاهر لصفاته الكمالية ؛ علم بها صفات ربه ـ تعالى ـ في جمالها وكمالها ، فانت يا عبد على سبيل المجاز حي قدير ، قوي مريد ، متكلم عليم ، حكيم خبير ، سميع بصير ، معط باسط ، مدبر ولي ، غني كريم رحيم ، وهكذا ، هذه خلعة البسكها مولاك ، لتكون شهادة عليك له ، اذا انكرت معرفته بهواك ، فانه بالحقيقة هو الحي القدير ، المريد المتكلم ، العليم الحكيم ، القابض الباسط ، الرازق المنعم وهكذا ، فقد صارت اوصافك الذميمة القاصرة مظاهر لصفاته المقدسة كما ترى ، فهي واضحة ظاهرة .

وثالثها ؛ ما قاله بعض الصوفية : ان النفس ها هنا عبارة عن الروح ، وهي امر الهي غيبي لا يبلغ العبد الى معرفة ما هي حق المعرفة ، واذا لم يعرف ما هية نفسه حق المعرفة فكيف بمعرفة الذات الالهية على ما هي عليه ؟ فذلك ما لا سبيل اليه ، ثم اذا كانت هذه روحك التي بين جنبيك وانت لا تراها بعينيك ، ولا تسمعها باذنيك ، ولا تمسها بيديك ، ولا تذوقها بشفتيك ، ولا تشمها بمنخريك ، ولا يتوهمها قلبك ، ولا يبلغها فهمك ، ولا تعرف كيفية اتصالها بجسدك ، ولا انفصالها عنه ، ولا موضع استقرارها منه ، ولا انها فوقه ولا تحته ، ولا وسطه ، ولا هي اقرب الى شيء منه عن شيء ولا ابعد عن شيء منه الى شيء ، الى غير ذلك من صفاتها ، فبذلك تعلم ان الذات الالهية المقدسة ، منزهة عن وصفها بالجسم والعرض ، والشكل والحلول ، والاستعلاء والنزول ، والحركة والسكون ، والاتصال والانفصال ، وقرب المسافة وبعدها ، وعن مماسة الحواس ، وبلوغ الوهم والقياس ، واحاطة الفكر وادراك البصر ، ونحو هذا ، وكما ان الروح مقومة لجسدها بحلولها فيه ، فهو حي بها ، عليم مريد ، الى غير ذلك ، فالله أولى بذلك ، فبه قامت السموات والارض ، ومن فيهن خلقا واستمدادا لتكوينهن وبقائهن ، وافاضة كل خير عليهن ، فهو القائم بذاته ، والقائم على ما سواه بكل شيء ، بل لا قيام بالحقيقة لغيره ، اذ لا قيام له الا به ، فهو الواجب الوجود لذاته ، ولا وجود لغيره الا به فما تم على الحقيقة الا هو ـ سبحانه وتعالى ـ .

والقول الحق ؛ ان هذا الحديث لمن الكلام البليغ ، والقول الفصل ، بل هو من جوامع الكلم التي اوتيها ﷺ ، فاستأثر بها على من سواه ، من اهل البلاغة واللسن ، وهو على ما به من فصاحة لفظه ، وحسن بيانه ، وبلاغة معناه ، لمعاني هذه المذاهب كلها ، فتأويله بمجموعها ، وتفسيره بها كلها ، هو الأليق والأصح ، والأولى والأرجح ، ليكون دالا على معرفته ـ تعالى ـ من كل وجه تارة على الذات ، والاخرى على الصفات .

الا وربما حسن الاستدلال على بعض الصفات بالمذهب الاول خاصة ، كمعرفة الالوهية والربوبية من ضدها ، الا وهي العبودية ، فهي اعم من

الثاني ، وكلاهما في الصفات .

والمذهب الثالث ؛ في الذات ، واذا ثبت ان الحديث المشار اليه في عمومه يتناول المذاهب كلها ، بدلالة مفهومة ، فالقول في تأويله بجميع ذلك هو المذهب الرابع .

واعلم انه لا يلزم ان يكون العبد المكلف عارفا بجميع صفات الله ـ تعالى ـ واسمائه ، من اول وهلة ، ولا في قدرته ان يخطر شيئا من ذلك على قلبه ، قبل ان يفتح له باب النظر فيه ، فاذا اراد الله ان يبتليه به ، ليثبت عليه التكليف به ، ألقي ذلك على قلبه بإلهام ، أو تفكر أو استدلال ، أو نظر ، او غيره ، او ما زاد عليه من وجدانه مكتوبا ، أو سماعه متلوا أو مقولا به ، على طريق الانكار ، أو على وجه الاقرار من حر أو عبد بالغ ، أو صبي عاقل ، أو مجنون مسلم أو مشرك موافق أو مخالف ، فاذا فهم معناه من اي وجه كان ، فقد قامت به عليه لله الحجة البالغة ، وضاق عليه الجهل به ، والشك فيه ، والانكار له ، ووجب عليه الاقرار به والاسلام .

وبأي صفة قامت عليه الحجة دون غيرها من الصفات ، كانت وحدها كافية له لثبوت الاسلام ، وهي اذا في حقه جملة الاسلام ، التي دعا اليها على الخصوص ، فاذا آمن بها كان مسلما مؤمنا ، برا تقيا ، صالحا عدلا وليا ، وهو على ذلك ما لم يخطر على باله شيء غيرها من هذا الباب ، من باب ما لا يسع الجهل به ، فلا يسعه حينئذ الا ان يقر بجميع ما قامت به عليه الحجة من ربه ، والا كان ناقضا لعهده ، شاكا في جملته ، محكوما بشركه ، ان ردها جحدا أو شكا وبكفره ونفاقه وفسقه ، ان ردها اوشك فيها بالباطل تأولا .

واعلم ايضا انه لا تقوم الحجة في هذا الباب بنفس الالفاظ على من لم يفهم معناها والمراد بها ، فالعجمي مثلا ؛ اذا لم يدر ما معنى قول العرب : الخالق والرازق ، والرب والاله ، لم تقم عليه الحجة العقلية بسماع هذه الالفاظ ، التي لا فرق بينها وبين سماع صوت الحجر في حق من لم يبلغ الى فهمها ؛ لأن ذلك مما ليس في طاقته وتكليف ما لا يستطاع محال .

وكذا العربي في هذه القضية ان سمع مثل هذا من اللغات الاعجمية ، بل كل لفظ لم يهتد السامع الى معناه سواء كان اللفظ أعجميا أو عربيا ، وكذا السامع سواء كان أعجميا ام عربيا فكله في الحكم سواء ، لأن الاصل الذي قامت به الحجة فيها واحد ، وهو معرفة المعاني وصحة ادراكها بالفهم ، من اي وجه كان ذلك ، وهذا لا خلاف بين اهل الفقه فيه ، فانظر فيما اسلفناه ، وقس عليه قول من صرح بان ذات الله ـ تعالى ـ اثباته ، وما جاء في موضع آخر من الاثر ان ذاته قدرته ومشيئته فهي في الاصل من باب الالفاظ والعبارات التي يسع جهلها ، ولا يلزم تكلف النظر فيها ، فان الموحد تام الايمان ، ثابت الاسلام ، بدونها ، ولا يلزم البحث والتنقير عن مشكل الالفاظ والعبارات بعد صحة معرفته ، وكمال ايمانه واقراره ، بانه تعالى (احد صمد) ، (ليس كمثله شي) ، و(هو السميع البصير) .

الا وان في قطع النظر عن البحث عن اكثر دقائق عبارات المتكلمين ، سلامة للضعفاء من اقتحام اللجج التي غرق فيها اكثر العالمين ، وقد دل على ذلك صاحب الشرع ـ صلوات الله عليه ـ ، في مسألة القدر فقال . القدر سر الله في ارضه فلا تتكلفوه .

واذا كان النبي ﷺ قد اشفق من النظر فيه على امته ، وما هو بالنسبة الى علم التوحيد الا قطرة من وابله ، وموجة في ساحله ، فما ظنك بمطلق الخوض في الكلام على الذات العظيمة ، والصفات الكريمة ، والافعال الجسيمة ؟ فان لله ـ تعالى ـ سبعين حجابا من نور ، لو تقدم العبد فيها قدر انملة لاحترق ، وانما ثبت التكليف ، وحصل الاذن بما هو الكافي في معرفته ـ تعالى ـ ، والموصل الى العلم به ، وللسالكين في وصولهم الى معرفته ـ تعالى ـ طرق كثيرة ، واي طريقة كانت موصلة للعبد الى باب ربه الكريم ، فهي طريق الحق وسبيله المستقيم ، ومن ضل عنها ، قاده الوهم الى مهواة تسمى الهاوية والجحيم .

فقوم ؛ سلكوا اليه في استدلالهم عليه ، مسلك الحكماء الفلسفية ، فاستدلوا عليه بأقيسة عقلية ، ونتائج فكرية ، حتى عرفوه في زعمهم بالحجة والبرهان .

وقال آخرون : انه لا تتم معرفته الا لاهل الطريقة الصوفية فاشتغلوا بتصفية القلب عن الشواغل الحسية ، وألزموه التبتل الى الله ـ تعالى ـ ، والانقطاع عليه بالكلية ، وداموا له حضور القلب وسره ، مع ملازمة ذكره ، حتى يتجلى القلب بما يتجلى عليه من الواردات الالهية ، وزعموا انه لا حاجة الى تقويم البراهين عليه ، وانهم قد وصلوا الى معرفته بالشهود والعيان .
وقوم ؛ وقفوا عند الالفاظ القرآنية ، والعبارات الفرقانية ، والاحاديث النبوية ، وقالوا : انها هي التي جاءت عن الله ـ تعالى ـ بالهدى والبيان .

وفرقة تقول : ان الله ـ تعالى ـ لم يأمر احدا بالنظر ولا بالفكرة في ذاته ، ولكنه امر بالنظر في مخلوقاته والعبرة في مصنوعاته ، فقال : **﴿ويتفكرون في خلق السموات والارض﴾**(١) وقال : **﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات﴾**(٢) فهي دلائل توحيده ، وشواهد تفريده في كل زمان الى غير هذا .

وكلها اما حق في نفسها ، أو قابلة للحق عند من اقتدر على التصرف بها ، لموجب الهداية ان سبقت له بها من الله عناية ، وانما يضل بها من ضل لسوء فهم أو غلبة وهم ، أو عمى بصيرة عن ادراك الحقائق ، أو سبق عقيدة فاسدة تعمي القلوب عن اتباع الادلة الا من امده الله بأنواره ، واطلعه من علم غيب توحيده على غوامض اسراره ، وجعله من الراسخين في العلم ، والناظرين الى حقائقه بنور الفهم ، فهم اهل النظر فيما به تزول الشبهات ، وتنجلي الظلمات ؛ لانهم لعباد الله هداة ، والى سبيل الله دعاة وقليل ما هم ،

---

١ ـ الآية ـ ١٩١ ـ من سورة ال عمران
٢ ـ الآية ـ ١٩٠ ـ من سورة آل عمران

ولا سيما في هذا الزمان الذي تراكمت فيه الظُّلَم ، وقل فيه من اهل الخير الهمم ، ولم يوجد فيه من الخير شيء يعرف الا معرفة الله ـ تعالى ـ ، والوقوف على بابه في كل ما اتى به .

وعندي ؛ ان ابتغاء معرفته ـ تعالى ـ من هذه العبارات المحررة ، في تلك الآثار المقررة ، بان ذاته ـ تعالى ـ اثباته ، أو هي قدرته ومشيئته انه لبعيد عن الحصول ، وانه لفي غاية البعد عن الاصول ؛ لأن القدرة والمشيئة صفتان من صفات ذاته ، وكذلك الثبات ـ بفتح المثلثة ـ بمعنى (دوامه وبقائه) ، واما الاثبات بزيادة (الهمزة) فكأنه ابعد ؛ لانها تفيد التعدية في هذا الموضع وهي باطلة ، لأن المفعول لا يكون الا لفاعل ، ولا يجوز ان يكون فاعلها هو ـ سبحانه وتعالى ـ لاستحالة ان يكون مثبتا لنفسه ، فكيف به من غيره ؟ فهو الغني بذاته عن ان يصل اليه النفع منه ، فكيف به ممن سواه ؟ فلم يبق لها معنى نعرفه ، اللهم الا ان يقدر حذف مضاف مع ذاته ، فيقال اثبات ذاته اثباته ، فالمعنى صحيح ويكون اثبات الذات ها هنا بمعنى اعتقادها ثانية ، وتلك عبارة عن الاقرار بوجودها ، وعدم انكار ثباتها .

ومنه ؛ عبارتهم بالنفي والاثبات في لفظة (لهيلله) لاثبات الوحدانية والالوهية ولكن هذا تحصيل حاصل ، من دون طائل ، والظن به ان الهمزة فيه اما غلط من ناسخه ، او خطأ من قائله فيرد الى باب العبارة عن الذات لبعض الصفات ، كالقدرة والمشيئة ، والارادة والعلم ، وغيرها ، وليس هو بشيء ايضا ، والا لجاز ان يكون كل من الصفات الها على حدة ، وهذا باطل ، وتحقيق القول فيه يستدعي فتح باب الكلام في الذات والصفات ، فلا بد من كشف طريق الحق فيه بتمهيد قواعد الاستدلال ، بما تذهب عن الناظر فيه ـ ان شاء الله تعالى ـ ظلمات اللبس ، والاشكال والأصل ، الذي ذهب اليه اصحابنا في هذا ان صفاته ـ تعالى ـ هي غير ذاته الازلية ، ولا ينكشف هذا الا بتجريد الذات المقدسة عن الصفات بالكلية .

فنقول في وصفه مثلا بالحياة ، والعلم والقدرة ، والسمع والبصر ،

والارادة ، وغيرها من صفاته ، ـ تبارك وتعالى ـ انها ليست بشيء زائد في ذاته ، لئلا يلزم الحلول في ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض في ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى ما يزيد على ذاته ، فهو ـ سبحانه ـ مثلا ، عالم لا بعلم ، يعلم به ، وقادر لا بقدرة يقتدر بها ، وهكذا في سائرها لانه لو كان يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، فلا بد :

اما ان يكون ذلك العلم هو هو ، فيقتضي ان العلم هو الاله ، وان الاله هو العلم وهذا باطل ، والا لجاز ان يكون العلم ربا لقوم ، والقدرة الها لغيرهم والارادة معبود لاخرين وهكذا ، وهذا باطل لا يدعيه احد لانه شرك ظاهر .

واما ان يكون العلم غيره ، فيلزم منه افتقارا لله ـ سبحانه ـ الى غيره ، وهذا باطل ؛ لأن من كان مفتقرا الى غيره ، فليس بإلٰه .

واما ان يكون ذلك العلم لا هو هو ، ولا هو غيره ، وهذا باطل لعدم الثالث .

واعلم ان القول : بانه ـ تعالى ـ يعلم بعلم هو غيره ، وان له ارادة هي غيره ، لا بد له من احد أمرين :

أما قول : بان صفاته ـ تعالى ـ حادثة ، فيكون الرب ـ سبحانه وتعالى ـ محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث وهذا باطل .

واما ان يقال : انها قديمة ازلية معه لاهي هو ، ولا هي من خلقه ، فتكون له شركاء كثيرة في وصف القدم والاولية ، وفيه رجوع عن القول بالتوحيد والفردانية ، الى التصريح بالاثنين والثالث ، وما زاد ، وهذا باطل .

ولا بد في كل واحد من هذه الأشياء الموصوفة بالقدم والأولية ، من أن يكون ربا أو مربوبا ، أو الها أو مألوها ، وكل هذا باطل .

والحق ؛ لا إله إلا الله ، فلا قديم غيره ، ولا أول سواه ، وكل ما جاز القول فيه بانه غيره ، فلا يجوز أبدا الا ان يكون مخلوقا له محدثا ، مصنوعا كغيره من المخلوقات ، والقول بهذا في صفات الله ـ تعالى ـ باطل لما تقرر .

والحق الذي لا مرية فيه ، ما قاله اصحابنا من تجريد الصفات عن الذات المقدسة ، مع اتصافها بها ، فقالوا : انه يعلم بذاته ، ويقدر بنفسه ، وكذا في يسمع ويبصر ، ويقدر ويشاء ، ويريد وغيرها ، فهو عالم بذاته ، وقدير بها .

وهكذا وهو معنى قولهم ، في صفاته : انها غير ذاته ، فليس مرادهم به الا سلب الصفات عن ذاته الكريمة ، مع اتصافها بها ؛ بمعنى انه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته المقدسة ابدا ، فقولهم : انه عالم بذاته مثلا ، لا معنى له عن اثبات العلم لذاته العظيمة ، بمعنى ان ذاته عليمة ، ولا فرق بين قولنا : ان ذاته عليمة خبيرة ، وبين قولنا : انه العليم الخبير .

وكذا قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بنفسه ، وقولك ذاته سميعة بصيرة عليمة خبيرة كله سواء ، وكله لا يراد به الا معنى قولك انه هو السميع البصير ، العليم الخبير ؛ لأن ذاته ـ سبحانه ـ هي حقيقته الخاصة ، التي هي هو ، بلا جدال ، ولا فرق بين قولك ، ذاته عليمة ، وقولك : هو العليم ، لكن قولك : عليم بذاته ، فيه مزيد ايضاح ، وكشف للحقيقة ، ودفع للاغاليط الوهمية من العقيدة الاشعرية ، في قولهم : انه ـ تعالى ـ يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، واثباتهم له صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، وبطلان هذا واضح بما سبق ، ومن تأمل فيما قاله أصحابنا في هذا الاصل العظيم ، ليجدنه ولا شك انه عين ما جاء به القرآن الكريم ، كما رأيت ان قولهم : سميع بذاته ، بصير بها ، وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿وهو السميع البصير﴾ [1] .

فعلى من عدل عن هذا الى غيره ، اقامة الحجة على قوله ، وايضاح

---

١ ـ الآية ـ ١١ ـ من سور الشورى

الدليل ، وقد قام البرهان على بطلان قوله : فما الى ذلك من سبيل .

واعلم ان لأصحابنا في تعريف صفاته الذاتية ـ سبحانه وتعالى ـ قولين : كلاهما يخرج على الصواب ، وقد رأيت تكميل الفائدة بذكرهما في هذا الجواب .

احدهما ؛ ان يقال : في هذه الصفات ؛ انها امور اعتبارية ، يراد بها نفي اضدادها من النقائص المنزه عنها ـ سبحانه ـ فوصفه مثلا بالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع والبصر ، والكلام والكرم ، والعزة . والحلم ، عبارة عن تنزيهه عن الاوصاف الناقصة من الفناء والجهل ، والعزة والعجز ، والصمم والعمى ، والخرس والبخل ، والذلة والطيش وهكذا .

فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهذا كاف في تقريب العبارة لمن شاء ، وبضدها تتبين الاشياء .

واعلم ان صفاته ـ تعالى ـ الكمالية هي أخص بهذا الباب ، اذ لا يحسن عندي ، ان يقال : بغيره في الجواب فوصفه بالأزلية والقدم ، والأولية ، لا يقتضي الا نفي الحدوث عنه ، فالقديم ما ليس بحادث ، والأول ما لاشيء قبله ، والأزلي مثله في هذا ، والحياة ، والبقاء ، عبارة عن عدم موته وفنائه وتغيره ، وزواله ، والاخروية عبارة عن عدم تناهيه ، ونفي الفناء عنه ، والاحدية الواحدية ؛ عبارة عن سلب الكثرة ، وتنزيهه عن الثاني ، والثالث ، ويجوز فيهما ان يكون المراد منهما نفي الحدوث ايضا ، لأن الواحد ما لا شيء قبله ، والأحد كذلك .

وثانيهما ؛ ان يقال في صفاته ـ تعالى ـ انها امور اعتبارية بحسب تجليات اعيان الوجود وتأثرها ، وانفعالها للذات العلية ، وهي الفاعلة بذاتها ، والمنكشفة لها ، الحقائق بها ، فما ثم صفة زائدة عليها ، فاذا وصفناه مثلا ؛ بالعلم قلنا : ان ذاته المقدسة كافية في انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما ، فهي حقيقة صفته بالعلم .

فاذا خص ذلك الانكشاف المذكور بالمسموعات ، والمرئيات ، فقيل : ان ذاته الكريمة كافية في تجلي كل مسموع ، أو منظور لها ، تجليا حقيقيا على ما هو عليه فهو حقيقة وصفه ـ تعالى ـ بالسمع والبصر ، فاذا تجلت ذاته العظيمة على شيء بما تشاء من ايجاد معدوم ، او اعدام موجود ، أو غيرهما من أفعاله الخاصة ، انفعلت لها الأكوان بلا واسطة ، وهي الحالة المعبر عنها (بكن فيكون) ، في قوله : ﴿انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [1] ، وهي المعبّر عنها بالفعل والانفعال بصورة الأمر ، والجواب في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ [2] .

ولما كان مثل هذا لا يكون الأمر الا من مريد قادر ، قاهر قابض ، مدبر علي عظيم ، خبير عليم ، متقن حكيم ، متصرف خالق ، بارىء مصور ، فعال لما يريد ، وصف بالارادة والمشيئة ، والقدرة والقوة ، والكبرياء والعظمة ، والقهر والغلبة ، والعلم والحكمة ، وهكذا ، فكانت أسماء هذه الصفات ومعانيها بمقتضى مدلولاتها ، وهو معنى قولنا : بحسب تأثر أعيان الوجود وانفعالها للذات العلية ، فالفاعل واحد ، وذاته كافية في كل ما يريد ، الأشياء كلها منفعلة لذاته ، على وفق ارادته ، فهو الفاعل بذاته ، خالق بها ، محدث مخترع موجد معدم ، منشىء مبدىء معيد بذاته الكريمة ، كما هو عليم بذاته ، سميع بصير بها ، ولا يتصور في بال عاقل ابدا أن يكون الالهٰ محتاجا الى غيره في شيء من أفعاله ، مفتقرا الى معين ووزير ، ومدبر ومشير ، وهذا باطل .

والحق انه هو الغني بذاته ، والفعال لما يريد بها ، لا بشيء آخر ، فارادته وامره ، وفعله ، غير مقصورة على العلل والطبائع ، والافلاك والكواكب والعقول ، والنور والظلمة ، والدهور ، ـ سبحانه ـ عن ذلك ،

---

١ - الآية ـ ٨٢ ـ من سورة يس
٢ - الآية ـ ١١ ـ من سورة فصلت

فهو فاعل كل ذلك ، وخالقه ومحدثه ، ومخترعه ومكونه ، قبل الاكوان والعلل والأزمان ، وكان في ازله قادرا قويا بذاته ، على خلق كل ذلك واتقانه واخراجه من غيب العدم الكلي ، الى ظهور الوجود الشهودي ، كما شاءه واراده ، من غير استعانة بشيء ، ولا احتياج الى شيء ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان عليه .

وهكذا القول في سائر صفاته وافعاله ، فان اسماء الصفات والأفعال ؛ انما كانت معددة كثيرة ، لكثرة معلوماتها ، وتعدد مدلولاتها تقريبا لافهام العباد ، ليتوصلوا بها الى معرفته التي هي سبب فلاحهم ، وكيمياء سعادتهم ، والأصل في صفاته ـ تعالى ـ انها شيء واحد في الحقيقة ، باعتبار تجلي ذاته المقدسة ، على كل شيء ، لكنها باعتبار الامور الخارجية من تعدد التجليات ، وتنوع المتجليات للذات الكريمة ؛ تكون انواعا عديدة بحسب ذلك .

فلو سمي العلم مثلا قدرة ، أو ارادة ، أو قهرا أو كبرياء ، او عزة ، لما صح معنى ولا لغة ، وكذلك لو سمى السمع بصرا ، او البصر سمعا ، أو احدهما قدرة ، او القدرة كلاما ، او الكلام مشيئة ، أو المشيئة قهرا ، وهكذا وقد راعى الله هذا الاعتبار الخارجي في خطابه ، كما قال في كتابه : **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾**[1] ، فلا يجوز في اطلاق اللغة الا مراعاة هذه النسب الخارجية ، فلا يقال : انه تعالى يبصر الأقوال ، ويرى الأصوات ، وينظر الدعاء ، كما لا يقال : انه يسمع الجبل ، والحجر ، او الشجر أو المدر ، أو غيره من كل ساكن في حال سكونه ، وعدم تحركه واضطرابه .

ولو قيل هذا : لكان خطأ واضحا وغلطا فاضحا ، لمخالفته اوضاع اللغة ، واتساع العرب فيها ، ومثال ذلك ان الأكل والشرب كليهما عبارة عن اساغة شيء في الحلقوم ، من الفم الى البطن ، فهما معنى واحد في الأصل ،

---

١ ـ الآية ـ ١ ـ من سورة المجادلة

لكن واضع اللغة خص تسمية الاساغة من المائعات ، بالشرب والجامدات بالأكل ، فلو قيل : اكلت ماء ، وشربت طعاما ، لكان خطأ ، ولهذا احتاجوا الى التأويل فيما افهم العكس فقالوا في قول الشاعر :

فعلفتها تبنا وماء باردا

ان انتصاب الماء بفعل مقدر أي وسقيتها ماء باردا ؛ لأن الماء لا يعلف ، وانما يسقى ، وهذا معنى في اللغة لا يخفى على من عرفها ، وليس هو مما نحن بصدده من الكلام ، على الحقائق الأزلية في بيان الوحدانية ، بالاكتفاء لا عن الذات القدسية جميع صفاتها الحقانية ، كما تقرر فنقول ان الله - تعالى - يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يعلم ، ويعلم بما به يقدر ، ويقدر بما به يخلق ، ويخلق بما به يعطي ، ويعطي بما به يمنع ، ويحيي بما به يميت ، ويميت بما به يحيي ، وهكذا ، وهذا ظاهر بما سبق .

والذي يقع لي في حدسي ؛ ان فيما ذكرناه من هذا كفاية عن المزيد ، لمن كان له قلب ، او القى السمع وهو شهيد ، فانظر في هذا ، وفيما سألت عنه من تلك العبارة ، والى الله اعتذر من قصور فهمي ، عن ردها الى اصول الحق ، في تصريح او اشارة ، فهو يعلم مني انني لا أريد بما ذكرته في هذا محبة للخلاف ، فليس من مذهبي الطعن والازدراء بالاسلاف ، ولكني رأيته مزلة للاقدام ، ومدحضة للأحلام ، ومجلبة للأوهام ، فربما اعتقده كذلك الناسكون ، أو تاه في أودية الفكرة به السالكون ، أو وقف بين قبوله ورده لعجز عن فهمه الضعفاء المتمسكون .

الا وان نشر العلم في موضع الحاجة اليه لمن الواجبات على من قدر عليه لقوله ﷺ : «من أتاه الله علما فكتمه عن الناس في موضع حاجتهم اليه ألجمه الله بلجام من نار» ، فهذا يجب ابتداء فكيف به اذا سئل عنه : لا يجوز ان يبخل بالحكمة عليه فيعد ذلك ظلما في حق من قصد اليه ، بشهادة الحديث

الصحيح : «لا تضعوا الحكمة في غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن اهلها فتظلموهم» .

والله أسأله الحماية ، والتوفيق الى الهداية ، والحمد لله الذي علم بالقلم ، حمدا كثيرا على ما أنعم به ، والهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

* * *

تم الجزء الرابع في التوحيد ونفي الاشباه والتحديد عن البارىء المجيد ، ووصفه بما يليق به من التحميد ، ومن كتاب (نهج الابرار وجواهر الآثار والاخبار) ، وفي اسماء الله الذاتية والفعلية وما يجوز ان يوصف به في الازل وما لا يجوز ، وفي تفسير اسماء الله تعالى وفيما يجوز ان يوصف الله من الاسماء والصفات ، وفي سيرة اصحابنا من اهل المغرب فيها معان شتى ، ومسألة عن الشيخ ابي محمد سعيد بن خلفان بن احمد الخليلي في التوحيد

يتلوه ـ ان شاء الله ـ الجزء الخامس في بيان القائل بالجبر وفيما يتعلق به من قال في القرآن آيات تدل على انه جائز ، وفي التكليف ومعانيه ، وفي القضاء ، وفي القدر واحكامه ، والارادة والرد على القدرية ، والمشيئة وخلق الافعال ، والاستطاعة في العون والعصمة ، وفي الخذلان والختم أو الطبع والأكنة ، وفي هدى السعادة والبيان ، والدلالة والارشاد ، وفيما يتعلق به في الهداية والاضلال ، وفي نفي التشبيه ، والصفات الجسمانية عن خالق البرية ، وفي النفس والروح والعين والوجه واليد ، وفي اليمين والجنب والقبضة ، والكشف عن الساق ، وفي النزول والمجيء والانتقال والاتيان ، وفي الاستواء وما يتعلق به في اثبات مكان له ، وفي النور والقوة ، وفي رؤية الباري ـ عز وجل ـ ، والورود ، وفي بقاء أهل الجنة والنار وفنائهما والخلود والخروج من النار ، والصراط والميزان والشفاعة .

تأليف

الشيخ العالم الفقيه الورع النزيه

جميل بن خميس بن لافي بن خلفان السعدي

***

قد اوقف سيدنا ومولانا الأجل الأكرم المحترم المعظم الهمام برغش بن سعيد بن سلطان بن الامام جميع الكتب المطبوعة من اجزاء قاموس الشريعة ، أولها وآخرها على طلبة العلم المتعلمين والراغبين فيه ، المجتهدين ابتغاء ما عند الله تعالى من الثواب ، وهربا من أليم العقاب ، وانه قد اخذ عهد الله وميثاقه على من صار في يده شيء من هذه الكتب ان لا يبيعها ، ولا يهبها ، ولا يرهنها ، ولا يتملكها ، وان لا يمنعها من كان مستحقا للقراءة منها ، وان لا يعطيها من هو غير مأمون عليها خوفا من ضياعها ، وان احتاجت الى اصلاح فليصلحها من صارت في يده وأجره على الله ـ تعالى ـ ، وقفا مؤبدا صحيحا شرعيا لا يحال ، ولا يزال ولا تباع هذه الكتب ، ولا تورث ولا توهب ولا ترهن ، ولا تملك حتى يرث الارض وارثها . اشهد الله ـ تعالى ـ على ذلك وكافة المسلمين فمن بدله بعد ما سمعه ، فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم .

وكتب هذا عن امره خادمه الفقير لله يحيى بن خلفان بن ابي نبهان الخروصي ، بيده في ١٠ رمضان سنة ١٢٩٩ .

صحح ذلك السيد برغش بن سعيد

تم بحمد الله

الفهرست





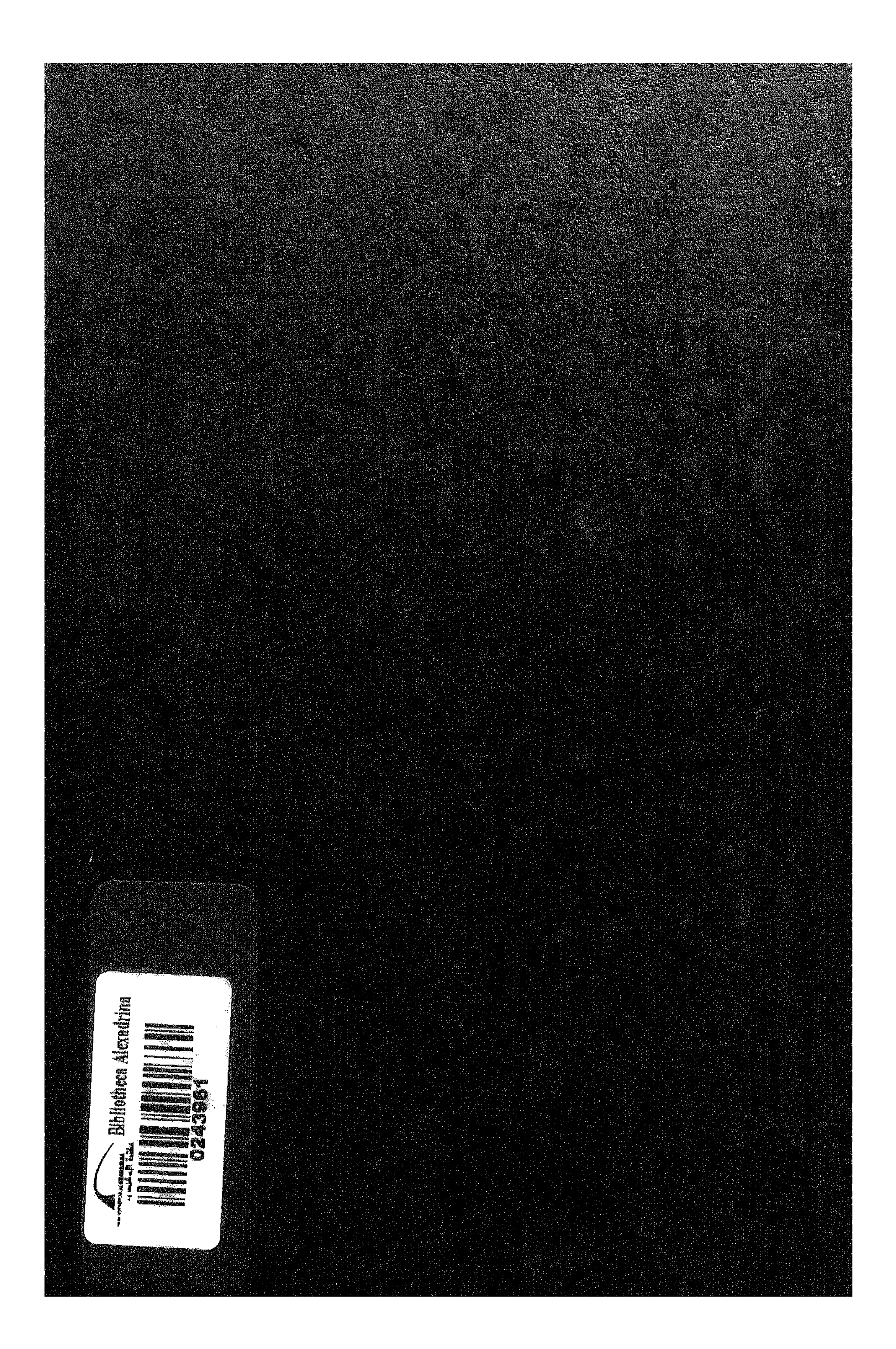


طبع بمطابع
دار جريدة عُمان للصحافة والنشر
سـلطنة عُمـان
١٩٨٣






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Bibliotheca Alexandrina
0243961